

دورية دولية محكمة

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية



العدد 05: مارس 2019



ISSN: 2625-8943



مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

المركز الديمقراطي العربي

**Journal of
cultural linguistic and artistic studies**
International scientific periodical journal



Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
<http://democraticac.de>

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

مجلة علمية دولية محكمة، ربع سنوية. تصدر من ألمانيا-برلين عن "المركز الديمقراطي العربي" تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الثقافية واللغوية والفنية بعدة لغات

ISSN : 2625-8943

Journal of cultural linguistic and artistic studies

Is an international scientific periodical journal issued by the democratic arabic center –germany- berlin

The journal is concerned with research studies and research papers in the fields of science cultural and science linguistic and science artistic

ISSN : 2625-8943

الناشر:

المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

برلين-ألمانيا

Germany:

Berlin 10315 GensingerStr: 112 Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail : culture@democraticac.de

شهادة تكيم المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

بناءً على تقرير السادة الخبراء، يشهد مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بأن:

مجلة (لدراسات الثقافية واللغوية والفنية)

الحاملة للترقيم المعياري:

ISSN: 2625-8943

قد حصلت على درجة 100/57

وعليه فهي حسب مؤشر (AIMQSJ) نعتبر من المجلات الحسنة؛ فئة (B+)



Arabic Index of Measuring the Quality of Scientific Journals



مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

د. محمد الحاج
مدير مركز مؤشرات

الهيئة المشرفة على المجلة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

د. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. فاطمة الزهراء نسيبة

دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية-جامعة خميس مليانة، الجزائر

رئيس التحرير التنفيذي:

د. سالم بن لباد

دكتور بقسم اللغة والأدب العربي-جامعة البويرة، الجزائر

مساعد رئيس التحرير:

د. فايزة حريزي

دكتورة بقسم الأدب العربي-جامعة بومرداس، الجزائر

د. محمود فتوح

دكتور بقسم الأدب العربي-جامعة الشلف، الجزائر

مستشار التحرير:

◆ أ.د. أيمن محمد ميدان: دكتور بكلية دار العلوم-جامعة القاهرة، مصر

◆ أ.د. الغالي بن لباد: دكتور بقسم العلوم الاجتماعية-جامعة تلمسان، الجزائر

◆ د. محمد فتحي عبد الفتاح الأعصر: جامعة الطائف، السعودية

◆ د. ليلي مهدان: دكتورة بقسم الأدب العربي-جامعة خميس مليانة، الجزائر

◆ د. نسيبة أمينة: دكتورة بقسم الهندسة المعمارية-جامعة البليدة 02، الجزائر

◆ د. أمال مقدم: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية-جامعة خميس مليانة، الجزائر

لجنة التحرير:

- ◆ د. نوال بناي: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. فوزية مصباح: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. أم الخير سحنون: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. صادق حطابي: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. يوسق بوزار: دكتور بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. فاطمة زعيتير: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة خميس مليانة، الجزائر -
- ◆ د. فاطمة الزهراء النباتي: دكتورة بقسم اللغة العربية - المركز الجامعي مغنية، الجزائر -
- ◆ هبيري فاطمة الزهراء: أستاذة بجامعة تلمسان، الجزائر
- ◆ خلاف دريس: أستاذ بجامعة الجزائر 02، الجزائر

رئيس اللجنة العلمية:

عمار ساسي: أستاذ التعليم العالي كلية الآداب جامعة البليدة 02، الجزائر

اللجنة العلمية والإستشارية:

- ◆ حاجي دوران: أستاذ التعليم العالي بجامعة آيدين إسطنبول، تركيا
- ◆ أيمن محمد ميدان: أستاذ التعليم العالي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر
- ◆ عبد الكريم سعيد المدهون: أستاذ التعليم العالي بجامعة فلسطين، فلسطين
- ◆ الغالي بن لباد: أستاذ التعليم العالي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تلمسان، الجزائر
- ◆ حسام العفوري: أستاذ التعليم العالي بالجامعة العربية المفتوحة، الأردن
- ◆ عمار ساسي: أستاذ التعليم العالي كلية الآداب جامعة البليدة 02، الجزائر
- ◆ علي جبار الشمري: أستاذ التعليم العالي بكلية الاعلام بغداد، العراق
- ◆ أشرف محمد زيدان: أستاذ التعليم العالي في الدراسات الإسلامية والتنمية بجامعة ملايا، ماليزيا
- ◆ حافظ المغربي: أستاذ التعليم العالي بكلية دار العلوم جامعة المنيا، مصر
- ◆ ذهبية أم موسى: أستاذ التعليم العالي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة البليدة 02، الجزائر
- ◆ خالد كاظم حميدي: أستاذ التعليم العالي كلية الآداب جامعة النجف، العراق

- ◆ عبد الفتاح محمود إدريس: أستاذ التعليم العالي بجامعة الأزهر بالقاهرة، مصر
- ◆ جمال مجناح: أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب واللغات جامعة المسيلة، الجزائر
- ◆ فاطمة الزهراء نسيبة: دكتورة بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة خميس مليانة، الجزائر
- ◆ زين العابدين سليمان: دكتور بمركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث مكناس، المغرب
- ◆ جلال حسن عبد الله: دكتور بكلية الاقتصاد، حقوق المنصورة، مصر
- ◆ عبد المطلب إيشيدان: دكتور بجامعة أنقرة يلدرم بايزيد، تركيا
- ◆ ليلي مهدان: دكتورة بكلية الآداب واللغات جامعة خميس مليانة، الجزائر
- ◆ محمود فتوح: دكتور بكلية الآداب والفنون جامعة الشلف، الجزائر
- ◆ محمد أحمد محمد حسن مخلوف: دكتور بكلية اللغة العربية بأسبوط جامعة الأزهر، مصر
- ◆ سالم بن لباد: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة البويرة، الجزائر
- ◆ سمية قندوزي: دكتورة بكلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 02، الجزائر
- ◆ فاطمة الزهراء ضياف: دكتورة بكلية الحقوق والآداب جامعة بومرداس، الجزائر
- ◆ مريم بابو: دكتورة بكلية الآداب واللغات جامعة سعيدة، الجزائر
- ◆ طه حميد حريش الفهداوي: دكتور بكلية الإمام الأعظم جامعة بغداد، العراق
- ◆ خالد بن غازي الدلبحي: دكتور بكلية التربية جامعة شقراء، السعودية
- ◆ فايزة حريزي: دكتورة بكلية الحقوق والآداب جامعة بومرداس، الجزائر
- ◆ المختار علة: دكتور بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، الجزائر
- ◆ سام وليام: دكتور بكلية الآداب جامعة حلب، سوريا
- ◆ محمد مكّي: دكتور بكلية الآداب واللغات، جامعة المدية، الجزائر
- ◆ محمد فتحي عبد الفتاح الأعصر: جامعة الطائف، السعودية
- ◆ مولوجي قروحي صورية: دكتورة بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر
- ◆ محمود خليف خضير عبّيد الحياي: دكتور بكلية التربية جامعة الموصل، العراق
- ◆ أرزقي شمون: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة بجاية، الجزائر
- ◆ عبد القادر لباشي: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة البويرة، الجزائر
- ◆ جميلة ملوكي: دكتورة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تيارت، الجزائر
- ◆ محمد الصديق بغورة: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة المسيلة، الجزائر
- ◆ زينب قندوز غربال: دكتور بالمعهد العالمي للفنون والحرف، جامعة القيروان، تونس

- ◆ نعيمة بن عليّة: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة البويرة، الجزائر
- ◆ نصيرة شيادي: دكتورة بكلية الآداب واللغات جامعة تلمسان، الجزائر
- ◆ رشيدة بودالية: دكتورة بكلية الآداب واللغات جامعة البويرة، الجزائر
- ◆ بوخدونى صبيحة: دكتورة بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة البلدية 02، الجزائر
- ◆ أحمد حسن إسماعيل الحسن: دكتور بقسم اللغة العربية الجامعة الهاشمية، الأردن
- ◆ عبد العالي السراج: دكتور بمركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس، المغرب
- ◆ كريمة الرفاعي بوعثمان: دكتورة بالمعهد العالي للفنون والحرف جامعة القيروان، تونس
- ◆ يوسف بوزار: دكتور بقسم العلوم الاجتماعية جامعة خميس مليانة، الجزائر
- ◆ عيشاوي وهيبية: دكتورة بقسم العلوم الاجتماعية جامعة البلدية 02، الجزائر
- ◆ مجاني باديس: دكتور بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة باتنة، الجزائر
- ◆ كمال علوات: دكتور بكلية الآداب واللغات جامعة البويرة، الجزائر
- ◆ الطاهر غراز: دكتور بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة جيجل، الجزائر
- ◆ طلال بن أحمد بن شداد الثقفي: دكتور بالكلية الجامعية بترية، جامعة الطائف، السعودية
- ◆ نذير بوحنيكة: دكتور بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الطارف، الجزائر
- ◆ بن عطية كمال: دكتور بجامعة الجلفة، الجزائر
- ◆ سميرة مالكي: دكتورة بجامعة وهران 02، الجزائر
- ◆ آمنة شنتوف: دكتورة بجامعة تلمسان، الجزائر
- ◆ أرزق يشمون: دكتور بجامعة بجاية، الجزائر
- ◆ ضياء غني العبودي: دكتور بجامعة ذي قار، العراق
- ◆ عبد الكريم حمو: دكتور بمركز البحث في الاثروبولوجيا وهران، الجزائر
- ◆ محمد بوعلاوي: دكتور بجامعة المسيلة، الجزائر
- ◆ زهراء خالد سعد الله محمد العبيدي: دكتورة بجامعة الموصل، العراق
- ◆ كريم كاتب: دكتور بجامعة التكوين المتواصل، الجزائر
- ◆ مصطفى عبيد: دكتور بجامعة المسيلة، الجزائر

التعريف بالمجلة:

مجلة "الدراسات الثقافية واللغوية والفنية" دورية علمية دولية محكمة، تصدر عن ألمانيا، برلين عن المركز العربي الديمقراطي وتعنى بنشر الدراسات والبحوث في التخصصات التالية:

1. الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية

2. اللغات والترجمة والآداب والعلوم الإسلامية

4. العلوم الفنية وعلوم الآثار

وكل الدراسات التي لها علاقة بالتخصصات السابقة.

تعنى المجلة بالبحوث والدراسات الأكاديمية الرصينة التي يكون موضوعها متعلقاً بجميع مجالات علوم اللغة والترجمة والعلوم الإسلامية والآداب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا العلوم الفنية وعلوم الآثار، للوصول إلى الحقيقة العلمية والفكرية المرجوة من البحث العلمي، والسعي وراء تشجيع الباحثين للقيام بأبحاث علمية رصينة.

مقاييس وشروط النشر:

تخص البحوث المرسله الى المجلة الى مجموعة من الشروط تتمثل فيما يلي:

1. يجب أن تتوفر في البحوث المقترحة الأصالة العلمية الجادة وتتسم بالعمق.

2. على صاحب البحث كتابة اسمه وعنوانه الإلكتروني والجامعة والبلد الذي ينتمي إليه أسفل عنوان البحث، مع إرفاق سيرة ذاتية وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.

3. ترتب المراجع والهوامش في نهاية المقال حسب الطرق المنهجية المتعارف عليها ووفقاً للتسلسل العلمي المنهجي وتكون بطريقة يدوية وليس آلية.

4. ترفق المقالات بملخص لا يتجاوز 10 أسطر باللغة العربية ويترجم الملخص إلى اللغة الإنجليزية أو العكس مع التطرق إلى الكلمات المفتاحية.

5. حجم البحث لا يقل عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة.

6. تكتب المقالات بحجم 16 بصيغة Traditional Arabic بالنسبة للمتن وبحجم 12 بصيغة Times New

Roman بالنسبة للهوامش، أما بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى يكون بحجم 12 بصيغة Times New Roman بالنسبة للمتن و10 بالنسبة للهوامش وبنفس الصيغة.

7. إرفاق البحث بملخص باللغتين العربية والإنجليزية.

8. على البحوث المقترحة أن تراعي القواعد المنهجية والعلمية المتعارف عليها.

9. ترسل المقالات المقترحة لهيئة أمانة التحرير لترتيبها وتصنيفها، كما تعرض المقالات على اللجنة العلمية لتحكيمها.

10. يجب ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم الى مجلة أخرى.
11. ترسل المقالات الى البريد الالكتروني للمجلة.
12. تمتلك المجلة حقوق نشر المقالات المقبولة ولا يجوز نشرها لدى جهات أخرى الا بعد الحصول على ترخيص رسمي منها.
13. لا تنشر المقالات التي لا تتوفر على مقاييس البحث العلمي أو مقاييس المجلة المذكورة.
14. تحتفظ المجلة بحق نشر المقالات المقبولة وفق أولوياتها وبرنامجهما الخاص.
15. البحوث التي تتطلب تصحيح أو تعديل مقترحا من قبل لجنة القراءة تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
16. ألا تكون البحوث المرسله مستلة من مطبوعة، او جزء من أطروحة.
17. أن تتضمن البحوث المرسله على قائمة المراجع تدرج في الأخير.
18. تخضع كل البحوث المقترحة للتحكيم العلمي المزدوج من طرف لجنة القراءة وبسرية تامة، بحيث:
 - يحق للمجلة اجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على البحوث المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.
 - يقوم الباحث بتصحيح الأخطاء التي يقدمها له المحكمين في حال وجودها وإعادة ارسالها للمجلة.
 - لغات المقالات: العربية، والأمازيغية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية.
19. المراجع والهوامش تكتب بالطريقة التالية:
 - إسم ولقب الكاتب، عنوان الكتاب، الطبعة، دار النشر، بلد النشر، سنة النشر، الصفحة.

مهام إدارية:

- يرسل الباحث تعهد يبين فيه عدم نشر المقال في أي جهة أخرى، أو أخذ من مؤلف نشره سابقا.
- ترسل إدارة المجلة للباحث اشعار باستلام المقال.
- البحوث المرسله للمجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت او لم تنشر.
- تسلم إدارة المجلة للباحث الذي قبل مقاله وعد بالنشر بعد القرار الإيجابي من طرف المحكمين.
- تمنح مجلة لصاحب المقال نسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي يتضمن مقاله.
- ترسل البحوث المقدمة للنشر عبر:

البريد الالكتروني: culture@democraticac.de

ملاحظة: جميع الآراء الموجودة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الاخلال بقواعد الملكية الفكرية.

افتتاحية العدد

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المصطفى، وعلى آله أهل الصفى، ومن تبعهم بإحسان ووفى، اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

بفضل الله تعالى، وفقنا في إصدار العدد الخامس من مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، الصادرة عن المركز الديمقراطي العربي، هذا المركز الذي دائما يفتح لنا أبوابه لرفع مبراس العلم والمعرفة، ونحن على هذا الدرب بكل جدّ ومثابرة، نساهم في فسح الطريق، أمام الباحثين في مجالات عدّة: الثقافية واللغوية والفنية وميادين أوسع في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية.

احتوى العدد الخامس، على مقالات علمية قيّمة ومختلفة المواضيع، حيث تنوعت الدراسات وتعددت بين المجالات الأدبية والنقدية، وبين المجالات السوسولوجيا، والمجال الديني وصولا إلى المجال السياسي...

هذا التنوع الموضوعي في البحث، ساهم بشكل كبير في إثراء الجانب العلمي للمجلة، كما ساهم في فتح الآفاق للباحثين الآخرين، لدراسات أخرى قصد الوصول الى حقيقة علمية، نكتشفها في أعمال مستقبلية قادمة.

وبمناسبة صدور هذا المولود الجديد؛ نتمن نحن هيئة تحرير مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، جهود كلّ الباحثين، على ما قدموه من جهد في سبيل البحث العلمي، ونهنئهم على اختار مجلتنا هذه، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى هيئة التحرير وعلى رأسهم الدكتورة فاطمة الزهراء نسياسة لما تبذله من جهد جهيد في تنظيم وإخراج الأعداد، دون أن ننسى الدكتور شرعان الذي فتح لنا الأبواب، وساعدنا في نشر وتوزيع أعداد المجلة، والذي يقدم لنا الكثير من الدعم، وخاصة الدعم المعنوي.

في الأخير نشكر الجميع، ونتمنى التوفيق لنا ولكم في الأعداد المقبل، كما نرحب بكل الأعمال الجادة التي تدخل ضمن اهتمامات واختصاص المجلة.

الدكتور سالم بن لباد

رئيس التحرير التنفيذي

فهرس العدد

رقم الصفحة	العنوان
09	فهرس
12	<p style="text-align: center;"><u>Proverbs in Algerian Writings and Speech</u> - Survival or Demise- DR. SEKKAL (Babou) Meryem (Université/ Moulay Tahar (SAIDA)</p>
24	<p style="text-align: center;"><u>إشكالية المقاربة والطريقة التعليمية؛ دراسة في المصطلح والمفهوم</u> The Problematic Approach and the Educational Method; A Study in Term and Concept. الدكتورة جميلة غريب (جامعة عنابة/ الجزائر)</p>
39	<p style="text-align: center;"><u>الجملة القرآنية - تركيباً ودلالة - قراءة لسانية في ضوء منهج الدكتور خليل عمايرة *</u> Quranic Sentence - Synthesis and Significance - Linguistic Reading in the Light of Dr. Khalil Amayreh's Curriculum د. محمد لعروسي حامدي (جامعة الجزائر: 02)</p>
75	<p style="text-align: center;"><u>الحبيب السايح نساقد</u> قراءة في كتابه (هذا المجاز... قراءات أدبية) Habib Sayeh as a critic A reading in his book « That metonymy ... Literal readings » د. فايد محمّد (المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر))</p>
87	<p style="text-align: center;"><u>بين اللسانيات المعرفية ولسانيات التوليدية التحويلية</u> دراسة مقارنة Between cognitive linguistics and transformational generative Linguistics study in the fundamentals and concepts د. دقي جلول (جامعة المسيلة-الجزائر)</p>
105	<p style="text-align: center;"><u>تعليم اللغة العربية في الصين</u> Teaching the Arabic language in China د. آمنة شنتوف (مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية)</p>
121	<p style="text-align: center;"><u>"الوشام": ذاكرة جسد بين المصّرّح نقاش والمسكوت عنه رسائل</u> د. زينب قندوز غربال (جامعة القيروان-تونس)</p>
135	<p style="text-align: center;"><u>سوسيولوجيا التنظيمات والعمل في الجزائر</u> "البحث عن الذات" د. بن هامل جميلة (جامعة تلمسان/ الجزائر)</p>

148	نشر التكنولوجيا الحديثة في ظل الفوارق الجغرافية The diffusion of new technologies and spatial inequalities د. عادل بن حسين (جامعة تونس - تونس)
181	استجابة المتلقي الجمالية لطبيعة الصورة المرئية دراسة تحليلية لفيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد ريمة بن أكراديجة (جامعة مستغانم / الجزائر)
217	التعزير غير اللساني للخطاب المنطوق حيزية كروش (جامعة الشلف / الجزائر) سامية شهبي قمورة (جامعة ستراسبورغ-فرنسا)
232	الثابت والمتحول عند أدو نيس - قراءة في التراث العربي وآليات تأويله Adonis's variable and invariable -reading in the Arabic heritage and its methods of interpreting_ زيقم عصام (جامعة الجزائر - 02)
251	الخطاب العلمي في الفيسبوك - خصائصه ومرتكزاته - "عبد الله عيسى لحليح" نموذجًا بسمة زحاف (جامعة - أم البواقي / الجزائر)
264	أشكال السلطة في التجربة القصصية الجزائرية " الزهرة والسكين لزهرة بوسكين و بيت النار لفاطمة بريهوم اختيارا " The forms of authority in the algerian short story experience Flower and knife zahra bouskin, house of fire fatima brihoum selection فغلول حورية (جامعة مستغانم / الجزائر)
277	اللغة الأمازيغية بين الطرح البنوي والاستخدام الوظيفي: مسارات في إشكالية الوعي بالأزمة الهويةية Amazigh language between structural proposition and functional use: Pathways in the problematic of awareness of the identity crisis. الجيلالي رقاد (جامعة تلمسان / الجزائر) محمد كحلي (جامعة وهران 2 / الجزائر)
293	السجلات اللغوية في مجموعة البشير خريف الأصوصية " مشوم الفل " Machmoùm el "The Linguistic records in Béchir Khaief's fictionnel collection "fel الفاضل النابلي (جامعة سوسة / تونس)
314	الوطنيون الجزائريون و النهضة الجديدة 1912-1939 زايدي عزالدين زايدي عزالدين (جامعة سيدي بلعباس / الجزائر)
340	لغة وجماليات السينما The language and aesthetics of cinéma عبدالله طيبي (جامعة مستغانم / الجزائر)

Proverbs in Algerian Writings and Speech

- Survival or Demise-

DR. SEKKAL (Babou) Meryem (Université/ Moulay Tahar (SAIDA)

Each nation is characterized by its culture which is an essential element to embody and project people's way of life. Culture is an amalgamation of basic components such as traditions, food, music, poems, proverbs and so on. Proverbs or communication quotes are popular sayings which contain advice about how to act and live. Most proverbs have their origins in oral tradition; they involve encoding and intended messages which serve as a repository of people's wisdom and folklore. Proverbs are generally classified within literary work as they accompanied the writers in their writings in order to sustain their ideas and give them weight. In other words, when the writer strives to reach authenticity, differentness and creativity, he commonly includes proverbs in his work. Further, proverbs may also provide the paper with originality since they reflect the writer's environment, identity, language and traditions. Nevertheless, we cannot deny the fact that proverbs are rarely used nowadays and this scarcity leads to their loss. For this reason, the present research aims at investigating the extent to which Algerians writers may or may not employ proverbs in their papers or daily life. Thus, a brief, survey has been initiated on the Algerian literary works in addition to an interview done with specialized teachers in literature and sociolinguistics and a questionnaire directed to master 2 students to reinforce the credibility of our data. The results show that proverbs are seldom used at present time and this can be due to the lack of their use and more importantly to the fact of not being recorded in special or academic books.

Key words: Proverbs, folklore, culture, language, identity.

ملخص:

تتميز كل دولة بثقافتها التي تعد عنصراً أساسياً لتجسيد وتوضيح نمط حياة الناس. الثقافة هي مزيج من المكونات الأساسية مثل التقاليد والطعام والموسيقى والقصائد والأمثال وما إلى ذلك. الأمثال أو اقتباسات التواصل هي أقوال شعبية تحتوي على نصائح حول كيفية التصرف والعيش. معظم الأمثال لها أصولها في التقاليد الشفهية. فهي تنطوي على التفسير والرسائل المقصودة التي تخدم كمستودع لحكمة الناس وفلكلورهم. تصنف الأمثال عموماً في العمل الأدبي لأنها رافقت الكتاب في كتاباتهم من أجل الحفاظ على أفكارهم ومنحهم الوزن. وبعبارة أخرى، عندما يسعى الكاتب إلى الوصول إلى الأصالة والتنوع والإبداع، فإنه عادة ما يتضمن الأمثال في عمله. علاوة على ذلك، قد تقدم

الأمثال أيضاً الورق بأصالة لأنها تعكس بيئة الكاتب وهويته ولغته وتقاليده. ومع ذلك، لا يمكننا أن ننكر حقيقة أن الأمثال نادراً ما تستخدم هذه الأيام وهذه الندرة تؤدي إلى خسارتهم. ولهذا السبب، يهدف البحث الحالي إلى التحقق من مدى قدرة أو عدم استخدام الكتاب الجزائريين للأمثال في أوراقهم أو حياتهم اليومية. وهكذا، تم البدء في دراسة استقصائية موجزة حول الأعمال الأدبية الجزائرية بالإضافة إلى مقابلة تم إجراؤها مع معلمين متخصصين في الأدب والعلم اللغوي الاجتماعي واستبيان موجه لتدريب طالبين على تعزيز مصداقية بياناتنا. تظهر النتائج أن الأمثال نادراً ما تستخدم في الوقت الحاضر، وهذا يمكن أن يرجع إلى عدم استخدامها، والأهم من ذلك إلى حقيقة عدم تسجيلها في الكتب.

الكلمات المفتاحية: الأمثال، الفولكلور، الثقافة، اللغة، الهوية.

1- Introduction

As is well known proverbs take up a considerable part in any culture. This pure cultural heritage commonly reflects nation's ways of life and portrays numerous situations. Actually, the old generation's speech was full of codified words whose main role was to transmit wise and meaningful ideas. Thus, there existed proverbs to illustrate current events i.e. marriage, divorce, nastiness, generosity and so forth. The main aim behind the usage of proverbs was to direct and correct people and show them the right way of conduct when they are faced to similar circumstances. Yet, proverbs started to take place in any society after observing the same thing or event which is repeated many times and the results are the same. So, the old generation will use specific words to describe it. Therefore, proverbs come to use after many real experiences with the same outcome. However, proverbs have not become the interest of the present generation and their use is no more noticeable. From this point, we find it suitable to ask the following questions:

- 1- Why are proverbs attributed to the old generation only?
- 2- What are the main reasons behind their loss in the Algerian society?

First, we may hypothesize that the new generation is no more interested in traditions and they are rather following new high tech as they are also influenced by language change. So, instead of finding proverbs we may encounter uncountable coded speech used by them. Also, they do not care about preserving their heritage (outdated) as they are no more conscious about their behaviours since we can hardly notice respect or consideration for the parents, teachers and so on. Second, proverbs are lacking daily use and their vocabulary contains some ancient words that need to be decoded. Thus, their disappearance is also due to the phenomenon of language change.

2-Proverbs

Proverbs or communication quotes are folk forms which belong to the oral tradition. Their major functions are to direct and show people the rules of conduct in a wise manner since they consist of advice about how to act and behave. Moreover, this style of saying things encompasses the principal values and beliefs that are deemed essential in any society. Their major influence is embodied in helping the individual to shape his ways of thinking and to respond correctly to the circumstances he constantly faces. Mele (2007:246) argues these features of proverbs in the following quotation:

Proverbs and some figurative expressions are intrinsically related to culture and reflect and safeguard a society's way of life...the proverb is valuable as it incorporates materials, social and ideological features of culture such as...values, beliefs and morals which are coded (linguistically) and passed down as tradition.

Typically, the messages communicated through proverbs include intended and encoding connotations which need to be unraveled in order to grasp their real meaning. Moreover, the majority of scholars acknowledge the difficulty of defining proverbs for many reasons namely their moderate use by people notably the young generation and the absence of context where they are sometimes required. Pfeffer (1997:1) asserts that:

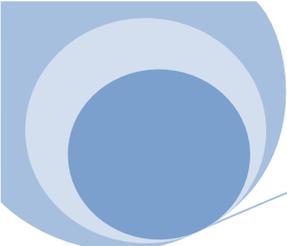
To date no one has successfully defined what a proverb is. In part, this is because proverbs are such an integral part of our daily lives and language that we rarely give them any considered attention. They are something that we grow up hearing and that we internalize, using them as needed.

However, we can have at least an idea about the nature and the origin of proverb when we look at some definitions such the one of Mieder (2004:3) who defines the proverb as "a short, generally known sentence of the folk which contains wisdom, truth, morals, and traditional views in a metaphorical, fixed and memorable form and which is handed down from generation to generation". Ohtsuki (1989) quoted in Barajas (2010:51) construes proverbs using negation forms as follows:

Proverbs are not made up of only one word; their meaning is not the literal semantic message of their individual words; they cannot be modified by addition or subtraction of lexemes or syntactic order; and their authorship is not known.

They serve as a repository of people's ancestor's language, wisdom and folklore and no body denies their vital role in preserving the ancient vocabulary which belongs to different eras of the past. Proverbs though their conciseness are able to conserve and condense cultural norms into short expressions. Kizza (2010) argues that "proverbs are trusted expressions of wisdom that help to keep society functioning properly; they preserve the dignity and eloquence of their language; and they keep the culture alive". Specifically, they attempt to show people the main rules of having effective and potent relationships such as leading people to avoid being selfish and violent. "⊗★□● ●★⊗⊕⊗□✎ ◆★◆⊗→◆✎⊗✂" is an Algerian proverb used notoriously in Tlemcen and is directed to persons who want to take or to own everything (selfish). "●⊗ ⊗→⊗→○●◆ ⊗⊗⊗✎ ⊗→⊗→○●◆ ◆⊗⊗→◆" also used to convince people to speak politely and not to be violent. Here, it is clearly discerned that proverbs often result from distinctive situations and mirror also the prevailing commonalities shared by people. Further, it is agreed that the use of proverbs is mainly the old generation's priority and this category of people who should be respectful and respected is not supposed to use taboo terms. Consequently, euphemistic proverbs can be the right alternatives to express their anger and disappointments. A person who does not conform to his social role and does not take the matters seriously will obviously encounter critics alluded or referred to through a proverb. For instance: "○★⊗◆⊗⊗ ⊗ □→⊗⊗⊗ ⊗→◆/⊗ ◆→⊗ ⊗⊗:□ ⊗◆□⊗→⊗" is a communicative quote that is targeted to a person who likes to show off using others properties, affairs or clothes rather than trying to work hard and succeed by himself.

It is obvious however that although few people use this kind of linguistic utterances, we cannot deny their crucial role in carrying messages to guide and influence people and their ability to preserve the ancient vocabulary. Indeed, this kind of saying includes the values and beliefs of a society. These values and beliefs are in effect deemed essential in life because they have a direct correlation to our needs as they shape our manner of thinking and responding to any circumstances we face. Moreover, our acts are



guided or done relying on our values, since they justify our actions and permit us to make the right choice and decisions and also to treat people adequately without using prejudices for example.

Accordingly, proverbs reflect not only cultural values and uniqueness but also commonalities shared across the society. In a nutshell, they reveal ways of seeing life; for instance, if a wife does not conform to her social role, she will immediately suffer from social disapproval which will generally be expressed or shown through a proverb. And because it is always linked with the transmission of wisdom and rules of conduct, it is thus believed to serve and follow the traditions since they are transmitted from generation to generation.

3-Content of Algerian Novels

Algerian writers such as Benhedougua, Tahar wattar, Ahlem Mostghanmi, Mohamed Dib, Asia Djebbar Wacini Laraj and many others are considered as benchmarks of Algerian writings. They have dealt with variable topics concerning the Algerian society. S. Hassan (2017: 167/168) writes that:

Laraj exploited the potential of myth and storytelling to produce meaning and provide a secular source of identity separate from the sacred space of Islam... Mustaghanmi's work explores the representation and imagining of Arab women, contrasting the male viewpoint of her narrator with that of the young woman he idealizes, the novels also explore Algeria's history, contrasting an idealized nostalgia with current realities.

Holt (2008: 137) cited in Hassan (ibid): Beyond their subject, the novels are noteworthy for the way that Arabic itself is used as a resource for meaning from rhymes and alliteration to the shape of the word on the page or the pairing of masculine and feminine in constructions. Inter-textual references to poetry convey meaning and identity, and privilege Arab readers to whom they familiar. Hassan (ibid) adds that: "Most fictional works published in Tamazight to date have recorded folk tales and proverbs with only a small number of novels, including works by kabylie writers."

Therefore, Algerian writers have dealt with past and present themes so as to achieve their readers' needs and attain significant audience. Topics about Algerian war, way of living at that era, role of women during the war, Algerian culture and tradition represent the backbone of the Algerian novels. Nevertheless, works that include Algerian proverbs can rarely be found and if so they are countable.

4-Methodology

Proverbs are deemed to be the appropriate means which describes and explains people's culture and folklore. Thus, when investigating the pervaded proverbs and their real meaning, we can easily grasp the norms of a given speech community. They enable the researcher to clarify the ambiguities that surround life. Yet, their scarcity- though they may guide people- leads us to scrutinize why they are neglected or more precisely no more used. Respectively, a semi-structured interview was directed to teachers of literature and sociolinguistics in addition to a questionnaire to the students of master two.

The collected data is analyzed qualitatively (interview) and quantitatively (questionnaire).

The former is commonly employed to attain in-depth understanding and clarifications as it approaches the researcher to his target population. The latter however, aims at quantifying the data for the sake of generalizing the results obtained from a sample to a larger population.

5-Analysis of the Interview

The interview was handled with 4 teachers from the university of Saida and Tlemcen. Their answers were variable but there are some common views among them.

1- What do you think about the place of proverbs in Algerian novels?

The answers of the teachers turn around the idea that almost Algerian writers use the French language to express themselves in their writings. They use it to write about uncountable topics and matters which are retrieved from the Algerian society. Consequently, it is obvious that Algerian proverbs are found in Algerian dialects and for these reasons proverbs rarely appear in their writings. One teacher contends that even if a big slice of the Algerian literature is written in French, we can easily find a considerable amount of Algerian expressions. He added that the main objective of such a use is to achieve the desired meaning and to transmit it to the reader. Among the recorded answers we have noticed that teachers insist on the fact that at present the writers focus on modern topics so as to attract the existed minority of readers as they argue that people in this era are not fanatics of books whatever their content is.

2- What do you think about the inclusion of proverbs in literary works?

The majority agree on that proverbs are part and parcel of the Algerian culture and they need to be preserved. The only way to preserve them is through putting them in

records such as novels and books. Teachers emphasize on this act because this kind of oral tradition can easily be lost as far as their users pass away i.e. the old persons die.

3- Are your students of master two interested in working on proverbs?

One teacher said that students nowadays do not care about their lectures anymore. Instead they strive to succeed whatever the means is. However, some of them say that it depends on the content of the lecture as they are learning British or American literature; Algerian proverbs are not included in their lectures except in topics similar to what is learned or sometimes in ice breaking or warming up activities. Another teacher said that students' interests are shown in their selection of the topics to be dealt with in their dissertations.

4- What are the reasons according to you that have led to the disregardance of proverbs?

For this question, teachers argue that the globalized era has led the new generation to be preoccupied by what is found in the international arena i.e. new high technologies, social media and games. The latter push the youth to employ the language variety that serves their purposes rather than proverbs which are generally the particularity of the old generation.

6-Analysis of Students Questionnaire

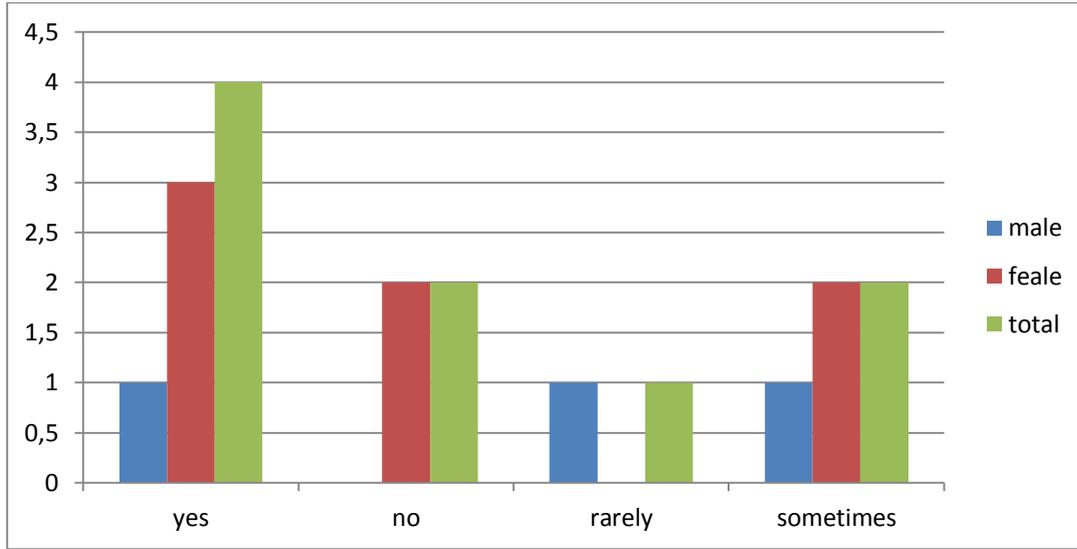
We have distributed the questionnaire to master two students but only 10 students provided us with answers.

1- Do you use proverbs in your daily life?

yes no rarely..... sometimes

.....

Justify.....

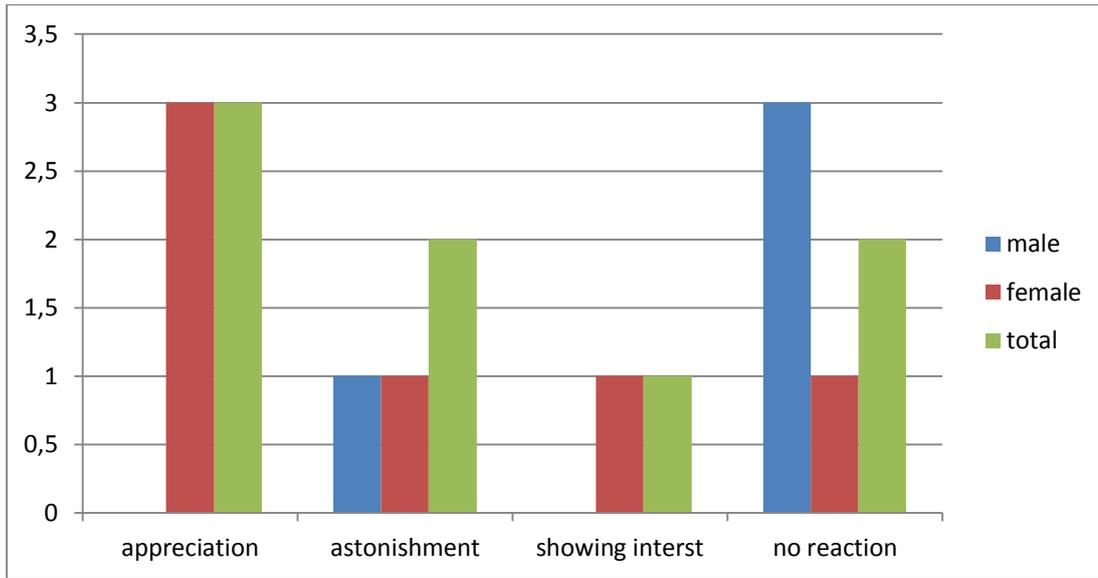


The results show that few students use proverbs in their daily life and the rest said ‘sometimes’ ‘rarely’ or simply ‘no’. They justify their answers by the following points:

- Proverbs are outdated as they prefer using new fashioned words such as ‘chriki’, ‘el-halla’, ‘rak fahem la3b’ and so on.
- Some students especially ladies even add that the use of proverbs make them look older.
-

2- What is your reaction after hearing a proverb? Justify

Appreciation... astonishment.... showing interest.... no
 reaction....
 Others.....

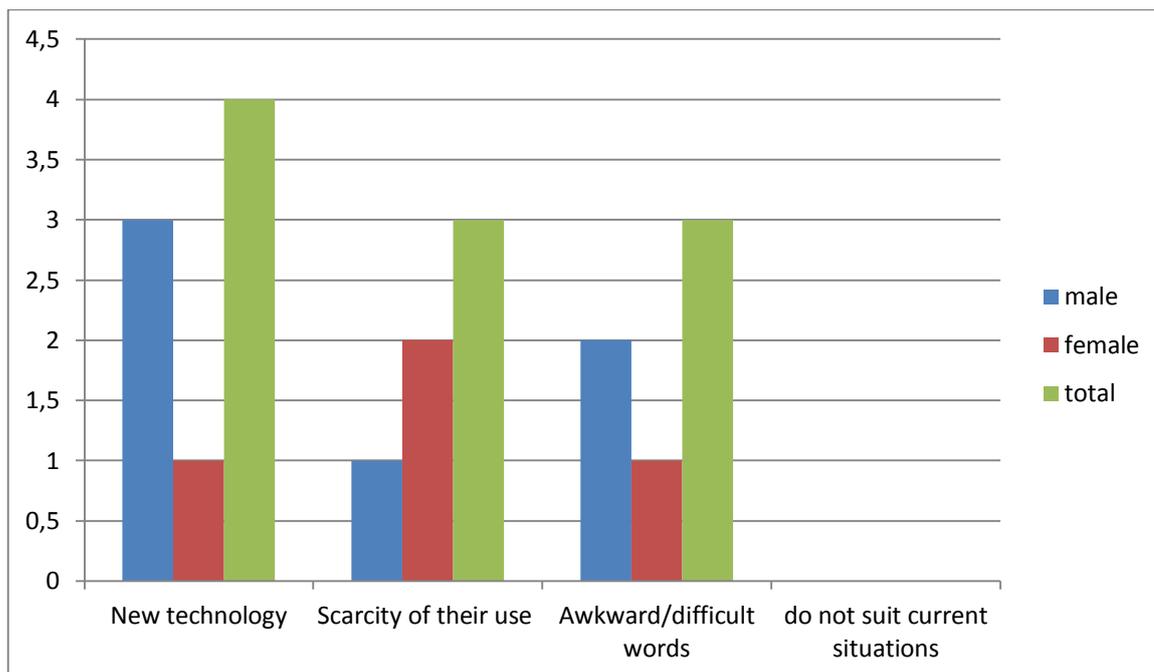
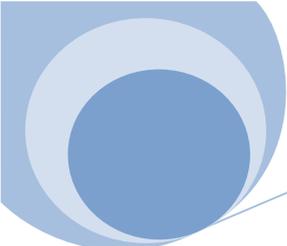


The above results show the reactions of students when they hear proverbs. Yet, females said that they appreciate the proverbs in discussions and they show their interest when hearing them. The results of the other options of ‘astonishment’ have gained same statistics among males and females. And the last option which is ‘no reaction’ demonstrates that the majority who show their indifference are males. The respondents have also been asked to add other reactions which are not mentioned within the options. Hence, one said that:

- It depends on the proverbs, there are some proverbs that make you laugh whereas others make us learn. In general I laugh and I try to understand what is beyond the meaning.
- While hearing a proverb , I feel happy to the patriotic preservation

3- What are the reasons according to you that have led to the disregardance of proverbs?

New technology.... scarcity of their use awkward and difficult words ...



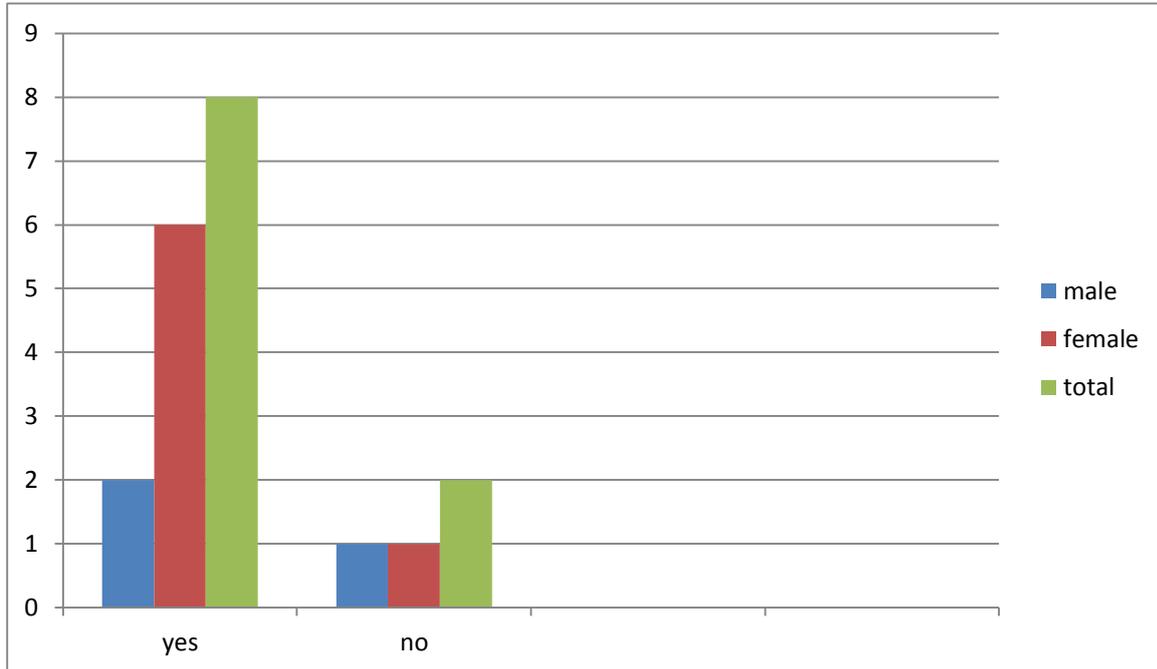
The answers of the informants reveal that new technology pervades the life of persons i.e. it has its specific repertoire of words such as ‘lol’ which means ‘laugh out of loud’. The options of ‘scarcity of their use’ and ‘do not suit the current situations’ have gained equal statistics. Indeed if the word which is no more employed in a given speech community will definitely disappear through time. Further, people use the terms and the expression that serve their daily purposes of communication and as it is already know that proverbs appear as a remedy or as an expression that will change the path of the conversation.

4- Do you think they are important in our social life or not?

Yes.....

No.....

If yes, what is the utility of using proverbs?



The above diagram shows that the young generation is aware of the importance of proverbs. So, we can say that the scarcity of their use is behind their silent disappearance. As for the second part of the question, students say that proverbs preserve the culture and traditions of their ancestors as they convey deep meaningful words and expression in addition to morals that can be used or followed in order to avoid making the same mistakes in life.

7- Results

The instruments employed in this paper (interview and questionnaire) lead us to the following outcomes:

Algerian novelists rarely use proverbs in their works. Rather, they try to exemplify the studied situation or to bring up their topic by using language or dialect which exists at that era i.e. when the novels or the papers are written. Nevertheless, the morals that are behind the proverbs provide them with a particular weight and significance, and for this reason the interviewed teachers emphasize on their conservancy.

As far as teaching proverbs is concerned, teachers said that they exceptionally use them especially that they belong to the literature genre, and students are taught British or American literature not the Algerian one. Moreover, the actual generation is preoccupied

by the novelties regarding only the latest apparatus and creations such as new and advanced mobiles and computers. This act leads the youth to use specific terms so as to transmit their ideas.

8- Conclusion

Strikingly, people often employ proverbs especially old generations to soften or to substitute rude words that are frequently deployed metaphorically in order to replace harsh terms. Consequently, understanding their metaphorical nature helps us to unfold their authentic meanings. Proverbs requires additional explanation in order to achieve their authentic meaning. For this reason, they are used to refer to distinct situations or acts for the sake of making the addresses correct or think about their behaviours because proverbs have morals and insightful stories behind them. Sometimes they are also used for the sake of making others accepting their destinies according the outcomes of several experiences which have been lived by the ancestors. Henceforth, as far as our paper is concerned and according to the results achieved by the tools of investigation employed, we have noticed that proverbs are no more the interest of the current generation and we have to react or to find ways about how to preserve them.

References:

- 1- Elías Domínguez Barajas (2010).The Function of Proverbs in Discourse: The Case of a Mexican Transnational Social Network. De Gruyter Mouton. Gmbh & Co. KG. Newyork.
- 2- Immaculate N. Kizza (2010).The Oral Tradition of the Baganda of Uganda: A Study and Anthology of Legends, Myths, Epigrams, and Folktales.
- 3- Mele, M.L.(2007) Nigerian Languages and Conflict Resolution: The Case of Proverbs and Figurative Expressions: In Ozo-Mekuri Ndimel(ed).
- 4- Mieder, Wolfgang (2004). Proverbs: A Handbook. Westport, Connecticut: Greenwood Press.
- 5- Wail S. Hassan (2017). The Oxford Handbook of Arab Novelistic Traditions. Oxford University Press.
- 6- Wendy Pfeffer (1997). Proverbs in Medieval Occitan Literature. University Press of Florida

إشكالية المقاربة والطريقة التعليمية؛ دراسة في المصطلح والمفهوم

The Problematic Approach and the Educational Method; A Study in Term and Concept.

الدكتورة جميلة غريب (جامعة عنابة/ الجزائر)

ملخص:

إن العملية التعليمية اليوم تحتاج إلى تجديد في الطرائق، حتى نجعل منها تلك العملية الهادفة إلى تكوين جيل معاصر يأخذ بأسباب الحياة العلمية ويؤمن بها إيمانه بوجوده وذاته. ولعلّ انتهاج طرائق ومقاربات مبنية على أسس علمية وموضوعية؛ تحدّ من الانزلاق المشهود على الساحة التعليمية، وتضمن للأجيال سيرورة ناجحة تتحقّق من خلالها الأهداف المستطرة بإحكام. وبدأ الاهتمام ينصبّ على كيفية تكوين متعلّمين فعالين، وكيفية تطبيق أحسن الطرائق والوسائل وأنجعها من أجل صقل متعلّم فعّال، وكيفية تحقيق الغايات والأهداف التي يرغب في تجسيدها على المدى القريب والبعيد. وغدا الاهتمام موجّه ليس على تحفيظ وحشو المعلومات في الرؤوس، وأن نكون المتعلّم الموسوعة؛ بل بدأ التركيز على كيفية تجاوز هذا الجانب الدسم من التعليم، نحو تمكين المتعلّم من التفكير وحلّ المشكلات، بل يتعدّى ذلك نحو التقدير والإبداع. من هنا بدأت الفكرة النوعية التي عرفها مجال التعليم، وتطوّرت بذلك المفاهيم لتصبح أكثر دقة وعلمية، فتغيّرت النظرة لمراحل التعلّم بدءاً بمرحلة الطفولة، وصولاً إلى الجامعة آخذين بالحسبان جميع الاتجاهات الفاعلة في هذه العملية الحساسة (نفسية، واجتماعية إلخ). وقد تمخّض عن هذا ظهور طرائق ومقاربات تعليمية، لم يعد فيها المتعلّم متلقّ سلباً للمعلومات، بل جعلت منه عنصراً فاعلاً ومشاركاً في العملية التعليمية والتعلمية.

وفي ظلّ التحوّلات الحاصلة في منظومة المصطلحات التعليمية؛ قد يجد القارئ أو الباحث المبتدئ، التباساً في فهم بعض المصطلحات، التي تستعمل في الأدبيات التربوية، ويتمّ توظيفها في غير محلّها نحو: مقارنة، وطريقة. وعليه؛ يتنزّل بحثنا بالدراسة والتحليل لمفهوم المصطلحين، لبيان الحدود الدلالية لكلّ منهما، في ظلّ مستجدّات المنظومة المفاهيمية التعليمية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: مقارنة، طريقة، تعليمية، مصطلح، مفهوم.

Summary:

. The process of education today needs to be renewed in methods and methods, so that we make it the process of creating a contemporary generation takes the reasons of scientific life and believes in his faith in his existence and self. It is possible to adopt methods and approaches based on scientific and objective principles that limit the slippage in the educational arena and ensure that generations have a successful process through which

to achieve the goals that are strictly regulated. Attention has been focused on how to create effective learners, how to apply the best and most effective ways and means to fine-tune an effective learner, and how to achieve the goals and objectives he wishes to achieve in the near and long term. The focus is on how to overcome this fat aspect of education, to enable the learner to think and solve problems, but beyond criticism and creativity. From here, the qualitative leap in the field of education began, and the concepts developed to become more accurate and scientific, changing the perception of the stages of learning from childhood, to the university taking into account all the active trends in this sensitive process (psychological, social, etc.). This has resulted in the emergence of educational methods and approaches, in which the learner is no longer a passive recipient of information, but has made it an active and involved element in the educational and learning process.

In light of the transformations in the educational terminology system, the reader or novice researcher may find confusion in understanding some of the terms used in the educational literature and are misplaced in relation to: approach, and method. Therefore, our research is based on the study and analysis of the concepts of the two terms, in order to show the semantic boundaries of each of them, in light of the modern educational conceptual system.

Keywords: Approach, Method, Educational, Term, Concep.

مقدمة:

تطوّرت الحركات الإصلاحية التعليمية في القرن العشرين والواحد والعشرين، وتضاعف نمو المعرفة، وتزايد متسارعا، وبدأ الاهتمام بأشكال المعرفة، وبطرائق الحصول عليها. وعلى إثر هذه التحوّلات المستمرة؛ تطوّرت مفاهيم جديدة داخل المنظومة التعليمية تبلورت منها مصطلحات جديدة تحاول استيعاب هذه المفاهيم.

ولعلّ "مقاربة"؛ من أهمّ المصطلحات^(*) المتولّدة من الرّحم المفاهيمي المعاصر داخل المنظومة التعليمية، الذي قد يلبس مفهومها -أحيانا- مع بعض المصطلحات التي تستعمل في الأدبيات التربوية؛ ولذا وجب كشف النقاب عن مفهوم "المقاربة التعليمية"، وتقصّي الغموض القائم بينها وبين "الطريقة".

فما هو مفهوم "مقاربة"؟ وما هي أبعادها الدلالية في المنظومة التعليمية؟

ثانيا؛ تعريف المقاربة:

هي مصطلح حديث الاستعمال، يصعب تقصّي معناها بالمعجم اللغوي العربي القديمة. وتعرّف كما يلي:

1- التّعرّف اللّغويّ:

يعرّف المعجم الوسيط ومعجم البستان مادة مقربة؛ بالمختصر من الطّريق، أو القصير منه يوصل إلى طريق طويل⁽¹⁾ وقارب في الأمر أي ترك الغلّو، وقصد السّداد.⁽²⁾ و بالرجوع إلى المقابل الأجنبي Approche؛ نجد أنّه يحمل معنى الدنو والاقتراب نحو شيء أو إنسان.⁽³⁾ وهي " الكيفيّة التي يتناول بها موضوع معرّيّ معيّن، وطريقة استعمالها مثل: المقاربة الاجتماعيّة لدراسة الأدب"⁽⁴⁾، و بإسقاطها على التّصوّر التّعليميّ/ التّعلّميّ؛ يمكن استنتاج المعالم التّالية:

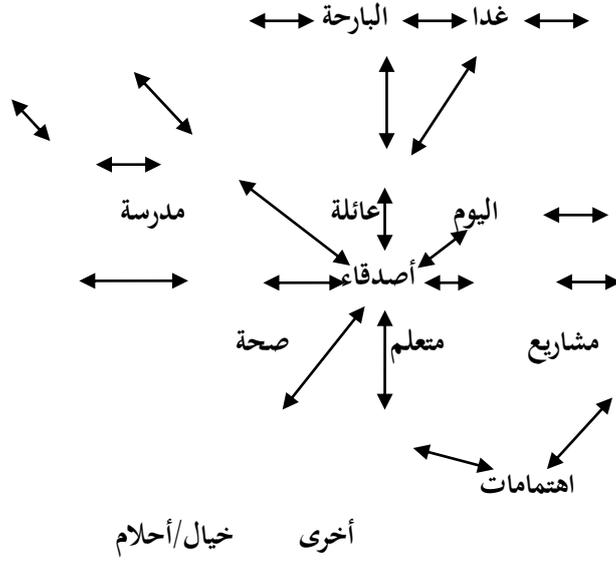


- ← ترك الغلّو، وقصد السّداد
- ← مواقف واقعيّة، وأهداف حقيقيّة.
- ← الاقتراب من الأمر وليس الوصول إليه
- ← تقرب العلوم للمتعلم/ احتماليّة الوقوع في الخطأ
- ← الكيفيّة التي يتناول بها موضوع معيّن
- ← استراتيجيّة تعليميّة تعلّميّة.

كما يستعمل مصطلح "مقاربة" كثيرا في اللّسانيّات، وفي تعليميّة اللّغات، ذلك أنّ اللّغة وسيلة للتّواصل والتّليغ، فاهتمّ بها علماء التّربية، وسعوا إلى جعلها طيّعة لدى المتعلّمين وسليقة فيهم حتّى تصبح أساس تفكيرهم ووسيلة تعبيرهم، فهي ليست مادّة تعليميّة فقط؛ ولكنها أيضا وسيلة لدراسة مواد تعليميّة أخرى. ومن هذا المنطلق؛ فتمكين المتعلّمين من اللّغة لا يقتصر على تعلّمها من أجل معرفتها، بل تمكينهم من لغة معاصرة، بتدريبهم على التّعبير، والتّواصل بها في وضعيّات واقعيّة، ومواقف حقيقيّة. فما هي المقاربة التّعليميّة اصطلاحا؟

2- التّعرّف الاصطلاحيّ:

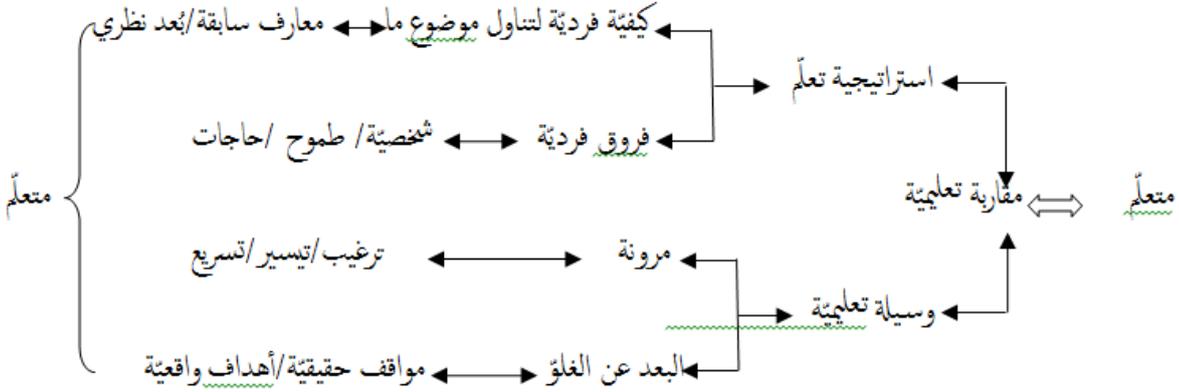
للمقاربة علاقة بأيّ مادّة تعليميّة قد تدرّس؛ وأوّل المقاربات التّعليميّة اعتمدت في أساسها لتعليميّة اللّغات⁽⁵⁾، لأنّ التّعليميّة في بداياتها مع كومنيوس⁽⁶⁾ "تهدف أن تجعل من تعلّم اللّغات سريعا وفعّالا وممتعا"⁽⁶⁾. ويعرّف مصطلح "مقاربة" في تعليميّة اللّغات بـ " الكيفيّة الإجماليّة الممكنة لتعليم وتعلّم اللّغات، وفقا لتصورات اللّغة ووظائفها، وكذا الشّروط البيداغوجيّة، والاجتماعيّة للتّعليم"⁽⁷⁾. كما يفضّل Jean-Pierre و Isabelle Gruca استعمال مصطلح "المقاربة التّواصلية"؛ للتّعبير عن المرونة التي تميّزها، إضافة إلى مفهوم الحاجة الذي يطرح ضرورة استعمال "الوسائل التّعليميّة الأصيلة التي من شأنها أن تضيق الفجوة بين جوّ القسم، والعالم الخارجيّ"⁽⁸⁾، ومنه؛ اعتبر استعمال الوسيلة التّعليميّة الأصيلة الميسّرة لعمليّة التّعلّم؛ ضرورة لتأكيد قيم جوهريّة في التّعليميّة قديمها وحديثها. و قد صمّم Trocmé-FabreHélène⁽⁹⁾ العناصر الفاعلة في المقاربة التّعليميّة وفق المخطّط التّالي:



ينطلق المخطط من المتعلم محور العملية التعليمية (***) فالعنصر الأكثر أهمية في المسار التعليمي الحديث ليس المعلم وإنما المتعلم. وبناءً عليه، وعلى حاجاته، وطموحاته، وشخصيته يتأسس الدرس، ووضعيتي المعلم⁽¹⁰⁾. لتتحول الوضعية التعليمية إلى وضعيات تعليمية، ومن استراتيجيات واحدة للتعليم إلى استراتيجيات⁽¹¹⁾ تعليمية، لنصل بالمخطط إلى العلائق المتشابكة والمتماسكة⁽¹²⁾ بين العناصر المشكلة للمقاربة، فهي متغيرات زبقيّة تتحدد وفق خصوصية المتعلم، والتفاعل وفق هذه المتغيرات جوهر المشاركة⁽¹³⁾ الذي يضمن نجاح العملية التعليمية التعليمية، فهي بذلك نظام مفتوح يتمحور على المتعلم وينسج ارتباطاته بالعناصر ذات العلاقة به من ذلك: خصائص المتعلم (معارف، وطموحات، واهتمامات، وشخصية، وحاجات، صحة مشاريع، البيت والأصدقاء، والزمان، والمكان، والأهداف الخ).

ومصطلح "نظام مفتوح"⁽¹⁴⁾ الذي استعمله T.F.Hélène لمقابلته بـ "مقاربة"؛ هو نظام يتفاعل مع محيطه، ويسمح بتحويل المعارف التي يكتسبها المتعلم إلى إنجازات. وبالنظر إلى المعلم أحد أطراف المقاربة التعليمية؛ فالمقاربة هي الاستراتيجيات التي يتم من خلالها المعلم تصوّر منهاج دراسي، وتخطيطه، وتقويمه، وفق ما ينعكس إيجاباً مع وضعيات المتعلمين المتغيرة، والمتحددة بكيفية سلسلة ولينة، مع استثمار وسيلة تعليمية أصيلة مفعلة لعملية التعلم.

وبما أنّ التقدم التكنولوجي فرض توجهات معاصرة في التعليم؛ فالمقاربة التعليمية تتأكد دعائمها باستثمار الوسائل التعليمية الأصيلة التي ترتبط أواصرها بالحاسوب التعليمي، والسبورة الإلكترونية والبراق⁽¹⁵⁾ (الانترنت)، وغيرها من الوسائل التعليمية الأخرى التي يأخذ استعمالها أبعاداً تعليمية أصلية من مبادئ التعليمية قديمها وحديثها. وبناءً على التعريفين اللغوي، والاصطلاحي نخلص إلى ضبط الأبعاد الدلالية للمقاربة التعليمية مجتمعة في المخطط الموالي:



فالمقاربة التعلّميّة ذات بعدين؛ أحدهما نظريّ، والآخر تطبيقيّ. البعد النظريّ يتأسّس على مجموع التّصوّرات والمبادئ، والخطوات التي يتمّ من خلالها تصوّر الكيفيّة التي يتمّ وفقها معالجة موضوع معيّن وفق ما تفرضه الفروق الفردية للمتعلّمين، أمّا البعد التطبيقيّ؛ فهو موقف تعلّميّ قوامه ثلاث عناصر هي: متعلّم، واستراتيجية تعلّميّة، ووسيلة تعليميّة أصيلة.

مقاربة تعليميّة = استراتيجية تعلّم + متعلّم + وسيلة تعليميّة أصيلة

بعد تحديد مفهوم "المقاربة التعلّميّة"، نأتي للحديث عن "الطريقة التعلّميّة" على اعتبار أنّهما مصطلحين من روافد مفاهيم التعلّميّة الحديثة، التي كثيرا ما يقع الخلط بينهما بأن يستعملان بكيفيّة عشوائية. هذا وإن دلّ على شيء؛ فإنّما يدلّ على الغموض القائم في مفهوميهما، وعدم وجود حدود مفهوميّة واضحة. وعليه؛ تعرّف الطريقة كما يلي:

ثالثا؛ تعريف الطريقة:

1- التعريف اللغوي:

يقابل المعجم الوسيط الطريقة بالسيرة والمذهب، وجمعها طرائق، وهي الطبقات بعضها فوق بعض⁽¹⁶⁾، وجاء في لسان العرب المحيط؛ تطارق الشيء يعني التتابع، وأطرقت الإبل إطراقا، وتطارقت أي: تبع بعضها بعضا، وجاءت على خفّ واحد، وجاءت معا⁽¹⁷⁾. كما أنّها أطول ما يكون من التخل بلغة الإمامة⁽¹⁸⁾ والطريق طويلة بين المشروع والشيء، حسب ما جاء بمعجم الكلمات الجامعة⁽¹⁹⁾

أمّا بالمعجم الفرنسيّة؛ فنجد أنّ Larousse de la langue française؛ يعرف الطريقة على أنّها الكيفيّة التي تُعرض بها فكرة ما، أو تُكتشف بها الحقيقة وفق مبادئ محدّدة ونظام معيّن يميّز سيرورة منظّمة للفكر، أي؛ ما يجب أن يتّبعه الفرد للوصول إلى الحقيقة (أو الهدف)⁽²⁰⁾.

2- اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً؛ فيعرّف عبد الكريم غريب⁽²¹⁾ الطريقة على أنّها: مجموع قواعد يقينية وسهلة، تتيح لكلّ الذين يلتزمون بها التزاماً دقيقاً؛ أن لا يعتبروا صحيحاً ما هو خاطئ. و⁽²²⁾ J.P.Cuq يعرّف الطريقة في ميدان تعليميّة اللغات على أنّها؛ مجموع الخطوات المتّبعة وفق مبدأ منهجيّ واحد، أما R.Galisson و D.Coste فيعرّفان الطريقة على أنّها جملة الخطوات المدروسة، والمؤسّسة على مجموعة متماسكة من المبادئ أو الفرضيات اللسانية، والبيداغوجيّة لتحقيق هدف محدّد⁽²³⁾.

وبناء على التعريفين اللغويّ، والاصطلاحيّ للطريقة؛ يمكن استنتاج تقاطعات نراها على درجة من الأهمية في إرساء أسس معرفيّة للطريقة، تشكّل استثناءات تميّز بها عن المقاربة، وهي أنّ الطريقة:

- معيارها الكمّ المعرفيّ المكتسب في وضعيّة تعليميّة معيّنة.
- التّقويم المعياريّ المرحليّ؛ تقويم تحصيليّ.
- ضرورة تدكّر المعارف المكتسبة، ولا مكان لتوظيف المعارف الشّخصيّة للمتعلّمين.
- اعتماد منهجيّة بيداغوجيّة واحدة مع كافّة المتعلّمين. (المتعلّمون سواسية لا فروق بينهم).
- الاعتماد على الوضعيّات التعليميّة الطويلة.
- لا مجال فيها للخطأ، فالخطأ عيب يترتّب عنه جزاء.

رابعاً؛ بين المقاربة والطريقة:

لتوضيح الفرق بين المقاربة، والطريقة إليك الجدول التالي:

مقاربة	طريقة
- منطق التّكوين والتعلّم.	- مبدأ الاكتساب والتّعليم.
- أهميّة المسار تسبق أهميّة التّيجة.	- الاهتمام بالتّيجة، مهما تكن فاعليّة المسار.
- الخطأ مؤشّر لتعديل المسار التعلّميّ.	- لا مجال للخطأ؛ الخطأ عيب يترتّب عنه جزاء.
- الانطلاق من وضعيّات خاصّة بكلّ متعلّم.	- الاعتماد على وضعيّة تعليميّة واحدة لكلّ التّلاميذ.
- الاعتماد على وضعيّات ذات دلالة (نصوص أصيلة، وأمثلة يأتي بها المتعلّمون من الواقع).	- الاعتماد على وضعيّات بعيدة عن الواقع (نصوص قديمة، وأمثلة غير واقعيّة).
- ضرورة استعمال وسيلة تعليميّة أصيلة.	- لا ضرورة للوسيلة التعليميّة.

تحليل معطيات الجدول:

معطيات الجدول تبين الفروق الشاسعة بين المفهومين، وهذا وإن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على تحوّل في مفاهيم التّعليميّة؛ من استراتيجيّة للتّعليم إلى استراتيجيّة للتّعلّم، أي من الطّريقة إلى المقاربة ومن استراتيجيّة تعليميّة واحدة لكلّ المتعلّمين، إلى استراتيجيّات متعدّدة لمختلف المتعلّمين ومن "المعاقبة عن الخطأ إلى استعمال الخطأ"⁽²⁴⁾، كما تتأكّد ضرورة استعمال الوسيلة التّعليميّة الأصيلة.

كما أنّ استعمال التقانات الحديثة في العمليّة التّعليميّة، لم يكن مجرد تسخير آلة والاستفادة منها؛ إذ لا بدّ أن يكون لهذا التّسخير تأثير في صميم المنهجية، وفي كميّة النّظر إلى الموضوع بنظرة شموليّة وموضوعيّة. تتجذّد فيها الطّرائق والمناهج (اصطلاحاً، ومفهوماً، وممارسة) حتّى نجعل منها تلك العمليّة الهادفة إلى تكوين جيل معاصر يأخذ بأسباب الحياة العلميّة، ويؤمن بها إيمانه بوجوده وذاته. ولعلّ انتهاج طرائق مبنية على أسس علميّة وموضوعيّة؛ تحدّ من الانزلاق المشهود على السّاحة التّعليميّة، وتضمن للأجيال سيرورة ناجحة، تتحقّق من خلالها الأهداف المسطرّة بإحكام.

على إثر هذه التّحوّلات؛ غدا الاهتمام منصّب على كميّة تكوين متعلّمين فعّالين، وكميّة تطبيق أحسن المقاربات، والوسائل، وأنجعها من أجل صقل متعلّم فعّال. وكميّة تحقيق الغايات والأهداف، التي يرغب في تجسيدها على المدى القريب والبعيد. وبات الاهتمام موجّه ليس على التّحفيظ وحشو المعلومات في الرّؤوس، وأن نكوّن المتعلّم الموسوعة؛ بل بدأ التّركيز على كميّة تجاوز هذا الجانب الدّسم من التّعليم، نحو تمكين المتعلّم من التّفكير وحلّ المشكلات، بل يتعدّى ذلك نحو التّقد والإبداع، أو كما قال ياسر الجندي "أن نعلّم الطّالب كيف يفكر لا كيف يحفظ، وكيف يبحث ويراجع لا كيف يقرأ"⁽²⁵⁾. من هنا بدأت القفرة التّوعيّة التي عرفها مجال التّعليم وتطوّرت بذلك المفاهيم لتصبح أكثر دقّة وعلميّة، فتغيّرت النّظرة لمراحل التعلّم بدءاً بمرحلة الطّفولة وصولاً إلى الجامعة، آخذين بالحسبان جميع الاتّجاهات الفاعلة في هذه العمليّة الحسّاسة (نفسية، واجتماعيّة إلخ).

خاتمة:

انداحت المصطلحات التّعليميّة، وتغيّرت مياستها المفهوميّة، بتغيّر الوضعيّات التّعليميّة/التّعليميّة، التي فرضها عصر غدت فيه المعلومة تكاد تكون أقرب إلينا من ضغطة زر على لوحة المفاتيح. وما لوحظ من خلط في استعمال مصطلحي (المقاربة-والطّريقة) بعدّهما مصطلحين لمفهوم واحد؛ لأكبر دافع منهجيّ وعلميّ، للقيام بهذه الدّراسة، التي سعينا فيها إلى إبراز الحدود المفهوميّة للمصطلحين (لغويّاً-واصطلاحيّاً)، وإجلاء المصطلح الأصحّ للاستعمال في دراساتنا، وبحوثنا العلميّة، والأكاديميّة، توحياً للدّقة في الوضع والاستعمال العلميّ، والمنهجيّ الصّحيح. وما توصّلت إليه الدّراسة من مفارقات دلاليّة بين مفهومي المصطلحين؛ سبيل لاعتماد المصطلح المناسب في المقام المناسب، وهو ضرب من درء الجهل بالمفاهيم، التي تحمل في طياتها شحنة دلاليّة، تميّز بها عن غيرها من المصطلحات.

وقد أسفرت الدراسة على مجموعة من خصائص تميّز بها كلّ من مفهوم المقاربة والطريقة التعلّيميتين، نوجزها فيما يلي:

خصائص المقاربة التعلّيمية:

- منطق التّكوين والتعلّم.
- أهمية المسار تسبق أهمية النتيجة.
- الخطأ مؤثّر لتعديل المسار التعلّميّ.
- الانطلاق من وضعيات خاصّة بكلّ متعلّم.
- الاعتماد على وضعيات ذات دلالة (نصوص أصيلة، وأمثلة يأتي بها المتعلّمون من الواقع).
- ضرورة استعمال وسيلة تعلّميّة أصيلة.

خصائص الطريقة التعلّيمية:

- معيارها الكّم المعرفي المكتسب في وضعيّة تعلّميّة معيّنة.
 - التّقويم المعياريّ المرحليّ؛ تقويم تحصيليّ.
 - ضرورة تذكّر المعارف المكتسبة، ولا مكان لتوظيف المعارف الشّخصيّة للمتعلّمين.
 - اعتماد منهجيّة بيداغوجيّة واحدة مع كافّة المتعلّمين. (المتعلّمون سواسية لا فروق بينهم).
 - الاعتماد على الوضعيات التعلّميّة الطّويلة.
 - لا مجال فيها للخطأ، فالخطأ عيب يترتّب عنه جزاء.
- وبناءً على هذه المفارقات المفهوميّة بين المصطلحين؛ يُستدعى من الباحثين في الميدان التعلّميّ، حُسن انتقاء المصطلحات بما يتناسب وفحو الموضوع المطروح للدراسة. لأنّ في ضبط المصطلح وحسن انتقاء منظومة مصطلحيّة في مجال بحثيّ معيّن؛ ضبط للموضوع المطروح، لينتهي الباحث إلى نتائج بحثيّة دقيقة ومنهجيّة.

قائمة الهوامش:

* - مع تطوّر مفاهيم التّعليميّة؛ ظهرت على السّاحة التداوئيّة مصطلحات تحاول استيعابها حتّى تقيّد استعمالها (نعني بذلك مجال استعمالها) وتضبط حدودها الدّلالّيّة داخل ميدان تخصّصي بعينه، لكن بالمقابل يواجهنا تداخل كبير بين المفاهيم يظهر من خلال الاستعمال العشوائي للمصطلحات على مستوى الكتابة العربيّة كما الفرنسيّة، والدليل على ذلك؛ عند تصفّح تطوّر تعليم اللّغات: 5000 سنة من التاريخ للكندي كلود جرمان يلاحظ عشوائيّة في استعمال Approche, Méthode وكأَنَّ بهما مفهوم واحد بمصطلحين. ينظر:

- Claude Germain, Evolution de l'enseignement des langues:5000ans d'histoire, CLE, Paris- France,1993,p264.

وكذلك ما ورد عند نايف خرمة وعلي حجّاج، اللّغات الأجنبيّة تعليمها وتعلّمها، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1988، ص، 167،168 وحافظ البريني، علم التّرجمة من التّجريب إلى الممارسة والتّنظير، الدّونكيشوت للنّشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 225، حين يقابلا توجّه وأسلوب ب: Approche, Technique. ومنهج/ طريق بمقابل أجنبي واحد وهو Méthode، ممّا يؤدّي إلى بلبلة مصطلحيّة تعكّر صفو البحث العلمي والمعرفة بالعلم.

¹ - ينظر: - المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطّبعة؛ إبراهيم أنيس/ عبد الحليم منتصر/ عطية الصّوالحي/ محمّد خلف الله أحمد، أشرف على الطّبع: حسن عليّ عطية، ومحمّد شوقي أمين، ج2، دار المعارف، ط2، 1972، ص723، وعبد الله البستاني، معجم لغوي مطوّل، جزآن في مجلّد واحد، مكتبة لبنان، ط1، 1992، ص865.

² - ينظر: مختار القاموس، مرّتب على طريقة مختار الصّحاح والمصباح المنير، الطّاهر أحمد الزّاوي، الدّار العربيّة للكتاب، دط، 1983، ص494.

³ - ينظر: - le petit Larousse illustré, « approche :n.f.Action d'approcher ; mouvement par Larousse,2007,p102 quelqu'un», lequel on approche, on progresse vers quelque chose, ou « Manière d'aborder un sujet »

⁴ - ينظر - le petit Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Nouvelle édition millésime, de Paul Robert, 2011 ; Le robert, p123.

« Manière d'aborder un sujet de connaissance quand au point de vue à la méthode utilisée : l'approche sociologique d'une étude littéraire »

p62 le petit Larousse

للاستزادة:

illustre, Larousse. Edition 2013Paris

⁵ - يعتبر كومنيوس أن "اللغة أولاً وقبل كل شيء؛ وسيلة مساعدة على تحديد الأشياء، والتعبير على الفكر - قبل أن تكون وسيلة للتواصل. ينظر:

Claude Germain, Evolution de l'enseignement des langues : 5000ans d'histoire 86« La langue est donc vue d'abord et avant tout comme un instrument servant à designer les choses et à représenter les pensées (avant d'être considérée comme un instrument de communication) »

ذلك أنّ خاصيّة التّواصل لا تميّز اللّغة البشريّة فحسب، فلغة الحيوان هدفها التّواصل بين أفراد الجماعة الحيوانيّة الواحدة، لكن أن نحدّد باللّغة الأشياء المحيطة بنا، ونعبّر عمّا يختلج في فكرنا؛ فهذا أمر اختصّ به الإنسان. وبناء عليه؛ فتمكين المتعلّم من تسمية الأشياء المحيطة له، وكذا تعبيره عن أفكاره من شأنه أن يطوّر فيه حبّ التّواصل الذي أساسه كلمات. (سيّضح هذا جليّاً في جزء الصّرف، وأهميّة تعلّم كيفيّة بناء الكلمات العربيّة).

** - كومنيوس (Comenius)؛ الاسم اللّاتيني من الأصل التشيكي Jan Amos Kamensky (1592-1570). ينظر : المرجع نفسه. ص:85. هو أبو التّربية الحديثة؛ ولد في 28 آذار 1592، وتوفي عام 1670، تلمّ، ومارس التّعليم، والتّبشير في الكنيسة البروتستانتية وكتب أكثر من 154 كتاباً. كرمه التشيكيون، والسلوفاكيون، وحددوا 28 آذار ذكرى ميلاده موعداً لعيد المعلّم، وطبعت تشيكيا صورته على ورقة العشرين كورونا. ينظر: جان عبد الله توما، التّعلّم والتّعليم - مدارس وطرائق - المؤسّسة الحديثة للكتاب - لبنان ط1، 2011، ص:71.

⁶ - ينظر: Claude Germain، المرجع نفسه، ص:85.

« vise à rendre l'apprentissage des langues ; rapide, efficace et agréable »

Dictionnaire actuel de l'éducation ، Renald ، - ينظر: ⁷

LEGENDRE. Larousse, Paris, 1988.

« La façon globale d'envisager l'enseignement et l'apprentissage des langues selon les conceptions qu'on se fait du langage et de ses fonctions, de

l'apprentissage, de l'enseignement et des conditions pédagogiques et sociales dans lesquelles l'enseignement se donne »

Isabelle Gruca, Jean-Pierre Cuq , Cours de didactique du français ⁸ - ينظر :
langue étrangère et seconde, collection FLE, PUG, 2003, Gémenos, France
p:244-245

Bérard E, L'approche communicative, Clé internationale - للاستزادة:
(coll.DEL), 1991, Paris

Authentique... doit également établir des liens étroits entre le monde de
« L'utilisation du matériel

.extérieure De classe et la réalité ص 25 المرجع نفسه، ص 25

⁹ -Trocmé-Fabre Hélène, J'apprends donc je suis, Les éditions
d'organisation, Paris, 1997, p189.

***- المتعلم من المصطلحات التي استعملتها الاتجاهات البيداغوجية الحديثة، لأنها توجب ضمناً إمكانية الفرد في التعلم
الذاتي، والمبادرة لشخصية بالإضافة إلى ذلك يستوعب المصطلح حمولة مفهومية تتأسس على: الإدراك، والخطأ، والذاكرة،
والإحساس، والتسيان.

¹⁰ - - ينظر:

- Jean-Pierre Robert, (L'essentiel français), Dictionnaire pratique de
didactique du FLE, nouvelle édition revue et augmentée, 2e
édition, 2008, OPHRYS, P10. « L'acteur le plus important du processus
d'apprentissage n'est pas l'enseignant mais l'enseigné, et c'est sur lui, sur
ses besoins, sur ses aspirations, sur sa personnalité, que se fondent le cours
et l'attitude de l'enseignant ».

¹¹ - ارتبط مصطلح استراتيجيات بالحياة العسكرية، ثم شاع استعماله في الميدان التربوي منذ السبعينات؛ نتيجة للاهتمام
بالموقف التعليمي في حد ذاته والتركيز على السلوك التعليمي داخل الفصل، فهي تقدم آلية، وخطوات ومبدأ يساهم في
اكتساب المعرفة وتخزينها واسترجاعها، في الموقف المشابهة وفق آلية تتماشى مع ميول واستعدادات كل متعلم، وتراعي
الفروق الفردية لديه، إيماناً بوجود القدرات والاستعدادات المتفاوتة، وتمايز المواهب، الملكات العقلية والمعرفية داخل الصف

الدراسي. ينظر: خليل عبد الفتاح حمّاد، وإبراهيم سليمان شيخ العيد، وناهض صبحي فورة استراتيجيات تدريس اللغة العربية، ص42، وللاستزادة: محمد محمد شرفاوي، المتعلّم المبدع ومعايير الجودة الشاملة، والاعتماد، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2012، ص141، وعبد الكريم غريب، المنهل التربوي معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية، والديداكتيكية، والسيكولوجية، ج2، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، 2006، ص871-872.

¹² - يعدّ التماسك من بين العناصر المشكّلة لأيّ مقارنة تعليمية؛ واجب تحقيقه على المستويين؛ النظري والتطبيقي. والقول بالتماسك يؤوّل بنا للحديث عن التفاعل، والتكيف بين العناصر بما يحقّق فاعلية الإنجاز -

...»affirme la nécessité, pour toutes approche, de constituer un ensemble cohérent, tant sur le plan théorique que pratique » Claude Germain ,Evolution de l'enseignement des langues:5000ans d'histoire p170.

¹³ - إنّ وجود الأجزاء في إطار الكلّ يتحقّق وجوده في إطار التكامل، والتفاعل بين العناصر، "المشاركة جوهر نجاح أي عملية تنموية". مداخلة ألقاها بوسقيعة سليم-جامعة قسنطينة2- موسومة بـ "الإعلام وتنمية المواطنة المتكاملة للفرد الجزائري" بالملتقى الوطني الخامس حول " التنمية من منظور إعلامي " يومي 10 و 11 ديسمبر 2013، بدار الثقافة محمّد بوضياف، ولاية عنابة، بيّن من خلالها أهمية إشراك جميع العناصر ذات العلاقة بالجزء، والمؤثّرة فيه لنجاح أيّ عملية تنموية، وبالإسقاط على العملية التعليمية والتعلمية؛ فالأخذ بعين الاعتبار العناصر ذات العلاقة بالمتعلّم -جوهر العملية التعليمية- والمؤثّرة فيه، من شأنها أن تؤثّر إيجابا في مخرجات العملية التعليمية التعلمية. للاستزادة:

-Cyr P, Les stratégies d'apprentissages, Clé Internationale (Coll.DLE), 1998,Paris.

¹⁴ - أول ما استعمل مصطلح "النظام المفتوح"؛ في إطار ديناميكا-حرارية(فرع من الفيزياء، يتناول العلاقة بين الحرارة والطاقة الميكانيكية)، ثمّ تطوّر المصطلح واتّسع مع تطوّر نظرية المعلومة، ثمّ مع نظرية الأنظمة، واليوم يستعمل في العلوم الطبيعية والاجتماعية-ونحن بدورنا نستعمله في أهمّ مجال من مجالات العلوم الإنسانية ألا وهو التعليمية-. يقابله "النظام المغلق"؛ وهو نظام لا يتفاعل مع محيطه، ولا يسمح بتحويل الكتلة (سواء أكانت مادّة أو إنجاز، أو معلومة).-ينظر: سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي-عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط39 2009، ص1198. و للاستزادة:

-Karim Sehaba, Gestion de l'ouverture des systèmes multi-agents, Mémoire encadré par: Pascal Estrailier, présenté le 11/07/2002, composition du jury : Michel Augeraud, Marie-Christine Lafaye Remy Mullot ,Bernard Besserer,RonanChampagnat ,KarellBertet,Laboratoire d'informatique image,interaction,Université de la Rochelle P Introduction. (tiris.cnrrs.fr)

– De corte E, Geerligs T, Peters J, Lagerwey N, Vandenberghe R. (1996), Les fondements de l'action didactique, De Boeck Université (Coll Pédagogie en développement) Bruxelles. – Jean-Pierre Cuq, Dictionnaire de didactique du français langue étrangère et seconde, Clé, Paris-France, 2003, p16.

¹⁵ – البراق، أو ما يعرف بشبكة الانترنت، أو الشبكة العنكبوتية العالمية. تحوّلت هذه الشبكة على يد مارك أندرسن من مجرد شبكة محدودة إلى شبكة عالمية هي الأكبر والأكفأ، وأصبح الانترنت المحرك الأول للتحوّل نحو عصر المعرفة التي هي قاطرة تغيير الوسائل، والأساليب التي تعوّدها الناس في التعامل، والبحث، والاتّصال، وفي أمور أخرى ما كانت تخطر على البال. ينظر: صالح عبد الله أبو سليمان، نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربية، مجلّة لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية العدد السادس، السنة الثالثة، 2007، ص51، وصالح بلعيد، الأنترنت ومجتمع المعرفة، المرجع نفسه، ص140.

¹⁶ – ينظر: -المعجم الوسيط، ج2، ص556.

¹⁷ – ينظر: لسان العرب المحيط، لسان العرب، ابن منظور، أعاد بناؤه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت ج2، ص588.

¹⁸ – ينظر: عبد الله البستاني، معجم البستان، ص658.

¹⁹ – ينظر: طرطوف موليير، معجم الكلمات الجامعة، أقوال مأثورة وحكم، سمير شياخي، دار الجيل، بيروت-لبنان- ط1، 2002، ص233.

²⁰ – ينظر: Larousse de la langue française, T2, 1983, p149

المفهوم أقرب إلى المنهج منه إلى الطريقة، على اعتبار أنّ المنهج "فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة؛ إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"، وعليه؛ فالمنهج أشمل من الطريقة والطريقة محتواة فيه، وأفضل السبل للتّنصّل من إشكال المقابلين العربيين بالمصطلح الأجنبي؛ هو إرداف مفردة أخرى تكشف الالتباس القائم، لنشكّل بذلك تعبيراً اصطلاحياً قادراً على تحطّي عقبة الترجمة، بأن نلحق بالطريقة مفردة تعليمية، وبالمنهج مفردة بحث-مثلاً-

²¹ – ينظر: عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية، والديداكتيكية، والسيكولوجية، ج2، ص594-595.

Jean-Pierre Cuq, Dictionnaire de didactique du 164 . ²² - ينظر:

français langue étrangère et seconde p

«Méthode correspond en didactique des langues, à l'ensemble des procédés de mise en œuvre d'un principe méthodologique unique »

Daniel Coste, Dictionnaire de didactique des ²³ - ينظر:

langues,p341 Robert Galisson

«Une méthode, est une somme de démarches raisonnées basées sur un ensemble cohérent de principes ou d'hypothèse linguistiques, psychologiques pédagogiques, et répondant à un objectif déterminé ».

- Robert Galisson, D'hier à aujourd'hui, la didactique des langues ²⁴ - ينظر:

étrangères. Du Structuralisme a fonctionnalisme, Clé, 1980, Paris, France,

p57. « De la pénalisation de la faute à l'utilisation de L'erreur »

²⁵ - فداء ياسر الجندي، العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية، دار الفكر، ط1، 2003. ص19.

قائمة المصادر والمراجع:

- باللغة العربية:

- بوسقيعة سليم-جامعة قسنطينة2- موسومة بـ "الإعلام وتنمية المواطنة المتكاملة للفرد الجزائري" بالملتقى الوطني

الخامس حول " التنمية من منظور إعلامي " يومي 10 و 11 ديسمبر 2013، بدار الثقافة محمد بوضياف، ولاية عنابة.

- جان عبد الله توما، التعلّم والتعليم- مدارس وطرائق- المؤسسة الحديثة للكتاب- لبنان ط1، 2011.

- حافظ البريني، علم الترجمة من التجريب إلى الممارسة والتنظير، الدونكيشوت للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

- سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي-عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط39، سنة 2009.

- صالح عبد الله أبو سليمان، نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها، مجلة المجمع

الجزائري للغة العربية، مجلة لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية العدد السادس، السنة الثالثة، 2007.

- طرطوف مولير، معجم الكلمات الجامعة، أقوال مأثورة وحكم، سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت-لبنان-ط1، 2002.
- عبد الكرم غريب، المنهل التربوي معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية، والديداكتيكية، والسيكولوجية، ج2، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، 2006.
- عبد الله البستاني، معجم لغوي مطول، جزآن في مجلد واحد، مكتبة لبنان، ط1، 1992.
- فداء ياسر الجندي، العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية، دار الفكر، 2003.
- لسان العرب المحيط، لسان العرب، ابن منظور، أعاد بناؤه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت، دط، دت.
- محمد محمد شرقاوي، المتعلم المبدع ومعايير الجودة الشاملة، والاعتماد، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2012.
- مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، دط، 1983.
- المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة؛ إبراهيم أنيس/ عبد الحليم منتصر/ عطية الصوالحي / محمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبعة: حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، ج2، دار المعارف، ط2، 1972.
- نايف خرمه وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1988.

الجملة القرآنية - تركيباً ودلالة - قراءة لسانية في ضوء منهج الدكتور خليل عمايرة * -

Quranic Sentence - Synthesis and Significance - Linguistic Reading in the Light of Dr. Khalil Amayreh's Curriculum

د. محمد لعروسي حامدي (جامعة الجزائر: 02)

ملخص:

* إنَّ القراءة اللغوية للنصّ هدفها: استجلاءُ المعنى، وهو منهجٌ حدائثيٌّ يقوم على تعانق النحو والدلالة تعانقا حميميًّا بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلاليّ الذي يقوم عليه النصّ.

* و بما أنّ القرآن الكريم هو النصّ المعجزُ الذي يمثّل أعلى قَمّة البلاغة العربية، و الأسلوبُ الذي أعجز الفصحاءَ و تحدّى البلغاءَ على أن يأتوا بمثله... فإنّ اختيارنا للجملة القرآنية - تركيباً و دلالة- في ضوء علم اللغة الحديث ما كان ليكون إلاّ للوصول إلى سرِّ هذا الجمالِ الفنيّ، و الكشفِ عن بعض من خصائص البلاغةِ القرآنيّة.

* واللافت للانتباه في الجملة القرآنية هو تعدد أوجه إعرابها، فهي لا تستقر على وجه إعرابي واحد، وهذا التعدد هو في حدّ ذاته ضرب من ضروب الإعجاز البياني في القرآن الكريم ودليل على ثراء نصّه... و هو من جهة أخرى ثراء في تعدد المعاني و أوجهه، استفاد منه الدرس اللغوي المعاصر.

* إنَّ صورة تركيب الجملة القرآنية، هو تركيب معقد و متعدد لا حصر له، استوعب كل عناصر التحويل التي ينظر لها المنهج التوليدي التحويلي الذي ارتضاه الدكتور: خليل عمايرة، وهي: الترتيب، الزيادة، الحذف، الحركة الإعرابية، التنعيم... ذلك أنّ الجملة القرآنية هي أصغر صورة لفظية للكلام المفيد التام المعجز.

الكلمات المفتاحية: الجملة، الجملة القرآنية، المنهج.

The linguistic reading of the text aims to: Statement of meaning, a modern approach based on the combination of the science of grammar and significance, so that the correct understanding of the way is the same understanding of the meaning of the text.

And because the Holy Quran is the miraculous text, which is considered the most talk of the most incompetent, and challenged the Balogha to come up with the same ... Our choice of the Qur'anic verse - a combination and a signification - in the light of modern linguistics aims to reach the disclosure of the secret of this artistic beauty and perception Characteristics of Quranic rhetoric.

The most striking aspect of the Qur'anic verse is the multiplicity of its expressions. This pluralism is itself a facet of the miraculous graphic in the

Holy Qur'an, evidence of the richness of its text, its multiplicity of meanings, and the abundance of its evidences.

The composition of the Qur'anic sentence is a complex, multiple and infinite structure that has absorbed all the elements of conversion that came from the transformational approach: order, increase, deletion, syllabic movement, toning ... The Quranic sentence is smaller A verbal image of the full and miraculou

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلّاة و السّلام على خير الثقلين، سيّد الخلق أجمعين، و على آله و صحبه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و بعد:

إنّ معجزة القرآن الكريم هي في روعة أسلوبه، و صوغ عباراته، و جمال بيانه، و سحر معانيه، و سهولة استيعاب مضامين آياته و جملة، و حفظ سور، و عدم القدرة على الإتيان بمثله.

و إنّ استقصاء المعنى القرآنيّ كان و مازال و سيظلّ مقصد كلّ مؤمن موحّد، و حلّة كلّ عارف متبصر، و بغية كلّ طالب باحث، و حاجة كلّ قاصد منهل، و حجّة كلّ داعية مبلغ، و مسلك كلّ عابد متبتّل....

إنّ نظام الجملة في القرآن الكريم من خلال تراكيبه المتعدّدة هو أساس في فهم معنى الجملة القرآنيّة باعتبارها وحدة النصّ القرآنيّ.

إنّ كلّ دراسة لغويّة لها غاية واحدة هي فهم النصّ و تحليلته و كشف معانيه، و النصّ اللغويّ الحيّ وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة و نظامه النحويّ الذي يحكمه.

و لقد كان "المعنى" مشكلة منذ نشأة هذا الفرع من الدراسة بوصفه علما حديثا، حيث بذلت فيه جهود مكثفة حول دراسته كانت في بادئ الأمر تنطلق من "الكلمة" ثم ما عرف بالوحدة الدلاليّة بعد ذلك و إمكان اتّساع هذه الوحدة الدلالية، بعدها ظهر الاهتمام بـ: "الجملة" باعتبارها أهمّ وحدات المعنى عند بعض الباحثين، و أهمّ من الكلمة نفسها إذ لا يوجد في رأيهم معنى منفصل للكلمة، بل معناها في الجملة التي تقع فيها، فالكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه.

و الإشكال المطروح هو: كيف نتوصّل إلى المعنى القرآني من خلال تعانق النحو و الدلّالة انطلاقا من بناء الجملة في القرآن الكريم - تركيبا و دلالة - في ضوء منهج الدكتور خليل عمارة؟

أما عن دوافع اختيار هذا الموضوع فيمكن حصرها في النقاط الآتية:

01- لكون الجملة عند المحدثين هي أساس المعنى في أيّ نصّ إبداعيّ، و هي أيضا أساس الدراسة اللغويّة التي

تتجه إلى وصف الجملة و تحليلها لإظهار المعنى الذي يعدّ العنصر الرّئيس في دراسة الجملة.

02- إنَّ القراءة اللغوية للنصّ هدفها: استجلاءُ المعنى، و هو منهجٌ "حدثي" يقوم على تعانق النحو و الدلالة تعانقا حميميًا بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقوم عليه النصّ.

03- إنَّ أهميّة "النحو" في تفسير دلالة النصّ كان شغلَ الباحثين اللغويين قديما و حديثا، فهو عندهم الأساسُ في كشفِ خصائصِ الأساليبِ.

04- و بما أنّ القرآن الكريم هو النصّ المعجزُ الذي يمثّل أعلى قَمّة البلاغة العربية، و الأسلوبُ الذي أعجز الفصحاءَ و تحدّى البلغاءَ على أن يأتوا بمثله..فإنَّ اختيارنا للجملة القرآنية ما كان ليكون إلاّ للوصول إلى سرِّ هذا الجمالِ الفنيّ، و الكشفِ عن بعض من خصائص البلاغة القرآنية.

05- إنَّ نظام الجملة القرآنية من حيث تركيبها و طريقةُ صوغها في الطرف الأعلى من البلاغة هو الإعجاز ذاته الذي بلغه النصّ القرآنيّ، و إذا قلنا الإعجازَ لا يعني أنّ كشف أسرارهِ و بيان أغواره أمرًا مستحيلًا.

06- لقد اخترت - منهجَ الدكتور خليل عمارة الذي يزواج بين ماتوصّل إليه الغربيون في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة و ماشاده لغويونا العربُ القدامى و المحدثون، و هذا المنهج هو ملائم للفتنة العربية التي خصّصت و انفردت عن غيرها من لغات شعوب العالم في كونها تمثل الإعجاز البياني و البلاغي و لأدّل على ذلك أن خصها المولى - سبحانه عز في علاه - بنزول القرآن الكريم بما فصاغه بلسان عربيّ مبين، و هو المنزل للعالمين..

و هدفي من ذلك هو:

01- الكشفُ عن المعنى القرآني الذي أودعه الله سبحانه في كوامن تراكيب جملة، و مباني آياته، اعتمادا على البناء التّحوي للجملة القرآنية، و على الدّراسة الدلالية التي تنطلق من إبراز العلاقة بين النحو و الدلالة من خلال عرض المسائل التّحوية و مناقشتها و من خلال عرض آراء النحويين القدامى و المحدثين، مع الاستفادة من الدرس اللغوي المعاصر...

02- إبراز أنّ الدّراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات الصّرفية في الجملة، و تراعي الإعراب و تعييره للتعبير عن المعاني المختلفة...فليس البحث التّحوي جامدا أصمّ خاليا من الدّلالة، بل هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة للوصول إلى المعنى، و منه كما سنرى فعلم الدّلالة فرع من فروع الدرس اللغوي، و الدّلالة هي المعنى، و الجملة هي أهمّ الوحدات الأساسية للمعنى..و يجب أن ينظر إلى العنصر الدّلالي بوصفه نتاجا للعنصر النحوي.

03- إدراك بأنّ الوصول إلى معرفة هذه الدلالة و رقيها، إنّما يكون بمعالجة النصوص اللغوية، و تحليلها و الكشف عن مواطن أسرارها، و كيف إذا كان النصّ اللغوي هو من كتاب الله العزيز الذي هو أعلى صور التعبير و أرقاها و سرّ ديمومتها و علوّ شأنها.

و للوصول إلى هذه الأهداف سلكت الخطة الآتية:

01- تعريف الجملة لغة و اصطلاحاً

الجملة لغةً:

يقول ابن فارس ت 395هـ: " (جمل): الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمّع وعِظْمُ الخلق، والآخر حُسْنٌ، فالأول قولك: أجملتُ الشيء، وهذه جُملة الشيء، وأجملته حصَلتُهُ، وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾¹، ويجوز أن يكون الجمل من هذا لعِظْمِ خَلْقِهِ"².

يتضح مما سبق أن الفعل (جمل) يأتي بمعنى تجميع شيءٍ مع شيءٍ، ويأتي بمعنى تحصيل حسابٍ أو إجماله، وقد يأتي بمعنى الحُسْن والجمال، وما يخص الباحث هنا هو معنى التجميع والضم.

الجملة اصطلاحاً:

يقول الدكتور علي أبو المكارم ت 2015م: "وإن لفظ الجملة لم يُستخدم في النحو إلا في عصر متأخر نسبياً؛ إذ كان أول من استعمله مصطلحاً محدد الدلالة محمد بن يزيد المبرد في كتابه المقتضب"³.

الجملة القرآنية: مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتألفها السمع والصوت، والنطق، ويتكون من اجتماعها على الشكل الذي رتب عليه، نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان ليتمّ إلا بالصورة التي جاءت عليها الآيات، وأيّ وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال والإبداع القرآني⁴.
و على الرغم من أن القرآن لا ينضبط بشيء من أعراب النظم وأوزانه المعروفة، إلا أنك تشعر مع ذلك بتوقيع موزون من تتابع كلماته، بحيث يؤلف اجتماعها إلى بعضها لحناً مطرباً يفرض نفسه على صوت القارئ العربي كيفما قرأ إذا كانت قراءته صحيحة كما تلاحظ لدى قراءتك لهذه الآيات.

إنّ خير ما توصف به الجملة القرآنية، فهي: بناء قد أحكمت لبناته، ونُسِّقَتْ أدقَّ تنسيق، لا تُحسُّ فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها، حتى صار من العسير، بل من المستحيل، أن تغيّر في الجملة كلمة بكلمة، أو أن تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئاً، وصار قُصارى أمرك إذا أردت معارضة جملة في القرآن، أن ترجع بعد طول المطاف إليها، كأنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ، وكأنما ضاقت اللغة فلم تجد فيها وهي بحر خضم ما تؤدي به تلك المعاني مما اختاره القرآن لهذا الأداء⁵.

02- الإعجاز البياني في الجملة القرآنية:

ويتجلى مظهر الإعجاز البياني في الجملة القرآنية فيما يلي:

- أ- التلاؤم والاتساق بين كلماتها وتلاحق حركاتها و سكناتها، بنظم بديع يستريح له السمع والصوت والنطق.
- ب- الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل: دون اختصار محلّ أو ضعف في الدلالة.
- ج- إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحس الملموس، ثم بث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه، بحيث يجد القارئ إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفني بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة

الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير، وهكذا تجد وأنت تقرأ القرآن أن العقل يفهم والخيال يتصور، وذلك خلاف المؤلف والمعروف لدى قراءة أي كلام أو كتاب آخر.

03- مدى اهتمام اللغويين العرب القدامى والمحدثين بالجملة:

لم تنل الجملة حظا وافرا من الاهتمام عند النحويين القدماء، ذلك أنهم لم يفرّدوا لها بابا مستقلا يتحدثون فيه عن الجملة وأقسامها، و وظائفها، وأحكامها، وإنما جاء الحديث عنها في أبواب النحو، ويعزى السبب في ذلك أنّ النحويين القدامى انصب اهتمامهم في فكرة العمل والعامل، ولا يظهر في الجملة أثر لعامل...6.

فالجملة عندهم هي: ما يحسن السكوت عليه، وفيه تمام المعنى...، وربما كان أول ظهور لمصطلح الجملة بصورة واضحة عند المبرّذ (285هـ) في كتابه المقتضب، حيث يقول في باب الفاعل: "وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو و الفعل جملة يحسن عليها السكوت، و تجب بما الفائدة للمخاطب"7، و يستعمل ابن جني (392هـ) لفظ الكلام بمعنى الجملة في قوله: "كلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، هو الذي يسميه النحويون الجملة"8.

و انطلاقا مما سبق في دراسة بنية الجملة العربية كان التركيز فيها على الجانب الإعرابي، لبيان العامل والمعمول، فأصبح مفهوم العمل النحوي في النظرية النحوية عند القدماء يقتضي بالضرورة وجود أطراف ثلاثة فيه، و هي: العامل، و المعمول، و الحركة الإعرابية (رمز تأثير العامل بالمعمول)9، ظاهرة أو مقدّرة.

و إن كان النحاة القدامى انصب اهتمامهم بنظرية العامل، إنّما كان ذلك بدافع إيجاد تبرير منطقي يقبله العقل لدراسة اللغة و تفسير ظواهرها تفسيراً سليماً، إنّ أنّ مغالاة النحاة بهذه النظرية قد حدا بهم إلى الاهتمام بالمعنى النحوي المتمثل في الإعراب أكثر من عنايتهم بالنتائج الدلالي الكلي للتراكيب اللغوية، فكانت المغالاة في تقدير العامل، و محاولة تفكيك مكونات التراكيب اللغوية بصورة قد تخرجها عن دلالتها، و ضرورة إيجاد إعراب لكلّ كلام منطوق، سببا في جملة من التحدّيات أو الملاحظات التي واجهها التحليل النحوي القديم، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولاً: رفض بعض الاستعمالات الفصيحة من قبل النحاة، و التي تتنافى مع الحكم الإعرابي، و معايير النحو التي يحاول أن يفرضها على الاستعمال اللغوي، لضرورة إيجاد إعراب لكل كلام منطوق10.

إنّ أكثر الخلاف بين النحويين و أشد جدالهم هو في العامل، و لو أنّهم وضعوا نظريتهم على أصل صحيح يتلاءم مع طبيعة اللغة و نسقها لقل خلافهم و تقاربت آراؤهم"11.

فقد أصبح ينظر إلى المنهج النحوي السائد قديماً في دراسة الأساليب اللغوية و تدريسها على أنّه منصب على مبنى تراكيبها دون معناها، حيث كان التركيز على الجانب التحليلي دون الجانب المعنوي، سواء في المستوى الوظيفي كالأثبات و النفي و الشرط، أو في مستواه المقامي السياقي، حيث انحصر النحو القديم في كثير من جوانبه بالإعراب دون سواه، بل أصبح الخلط بينهما بيّنا.

ثانياً: لم يلق هذا المنهج النحوي القديم في التحليل اللغوي لبنية الجملة قبولا، لدى بعض الدارسين، و أصبح الرأي سائدا بخدم نظرية العامل من لدن "ابن مضاء" القرطبي إلى يومنا هذا، حيث ألصقت هذه النظرية سمة الشكلية في التحليل النحوي الذي يركز على اللفظ على حساب الدلالة، فالنحو ينبغي أن يكون قانون تأليف الكلام، و بيانا لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، و الجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة و تؤدي معناها، و أنّ قصر النحو على آخر الكلم تضييق من حدوده الواسعة، و ضياع كثير من أحكام نظم الكلام و أسرار تأليف العبارة، و التقليل من شأن العامل و أثره في الكلام.

إنّ إهمال المعنى و التركيز على الجانب التحليلي دون الجانب المعنوي، أفقد النحو محله من الإعراب، و غلبت عليه سمة التعقيد و الصعوبة في كثير من الأحيان، التي سببت إلى حدّ النفور منه، و مثال ذلك إعراب الاسم المرفوع بعد(إذا) في قوله تعالى: " إذا السماء انشقت"، قدّروا فعلا بعد (إذا)، فيصبح التقدير: (إذا انشقت السماء انشقت)، و كان يكتفي بإعراب واحد للاسم في مثل هذا الموضع على أنّه مبتدأ مرفوع قياسا على أي اسم مرفوع تبدأ به الجملة الاسمية، يقول عبد القادر مرعي في هذا التأويل و ما مثله: " و قد أوقع هذا الخلط النحاة في مشكلات كثيرة، فلم يستطيعوا توجيهها إلا بالتقدير و التأويل، و في هذا التأويل شيء من التكلّف"12.

أما عند الدارسين المحدثين فيرجع اهتمامهم بالجملة إلى أنّها الوحدة التي تتمثل فيها أهمّ خصائص نظام اللغة، إذ أنّ تأليف الكلمات في كلّ لغة يجري على نظام خاص بها، لا تكون العبارات مفهومة، و لا مصورة لما يراد بها حتى تجري عليه و لا تزيغ عنه، و القوانين التي تمثّل هذا النظام و تحدّده تستقرّ في نفوس المتكلمين و ملكاتهم، و عنها يصدر الكلام في شكل وحدات أساسية تسمّى جمل13.

يرى د/ تمام حسان أنّ الجملة هي: " المجموعة الكلامية" فبذلك الكلام هو عبارة عن مجموعة من الجمل لذلك فهو أعمّ منها، و يضيف بقوله: " أما الذي يتكوّن من عملية الإسناد فيسمّى الجملة و هي ذات علاقات إسنادية مثل علاقة المبتدأ بالخبر، و الفعل بفاعله و الفعل و نائب فاعله و الوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله"14.

كما يرى عبد السلام المسدي أنّ الجملة المستقلة هي أكبر وحدة نحوية في الكلام و تتميز بشيئين أولهما أنّ أجزائها ترتبط عضويا، و ثانيها: أنّها لا تندرج في بناء نحوي أوسع منها15.

ذهب إبراهيم أنيس إلى تعريفه للجملة بقوله: " إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء ترّكّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"16.

هذا التعريف يجيز أن ترّكّب الجملة من كلمة واحدة، أي إنّ فكرة الإسناد ليست لازمة لتشكيل جملة صحيحة، بالتالي لم يعقد تعريفا للجملة على أساس الإسناد.

يذهب مهدي المخزومي إلى أنّ الجملة هي: " الصّورة اللفظية الصّغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، وهي المركّب الذي يبين المتكلم به أن الصورة الذهنية كانت تألّت أجزاؤها في ذهنه ثم هي الوسيلة التي تنقل ما حال في ذهن

المتكلم إلى ذهن السامع. والجملة التامة التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يصح السكوت عليها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسة هي: المسند إليه أو المتحدث عنه أو المبني عليه، المسند، الذي يبني على المسند إليه"17.

من خلال التعريف نجد يشترط أن يكون الإسناد أحد مقوماتها فالتركيب الذي لا إسناد فيه كالنداء يسميه " المركب اللفظي"؛ إلا أنه عندما اشترط الإسناد أساساً للجملة فإنه لم يتمكن من إحداث فكرة كاملة في أسلوب الشرط، لأن هذا الأخير يتكوّن من جملتين تربط بينهما أداة الشرط، كلّ منهما هي جملة تحقق فيها شرط الإسناد، ومع ذلك لم يكتمل المعنى، لكنه تراجع عن ذلك لأننا في الشرط إذا نطقنا بجملة واحدة فإنه لا يكتمل المعنى بقوله: «ليست جملة الشرط جملتين إلا بالنظر العقلي والتحليل المنطقي، أما النظر اللغوي فحملتا الشرط جملة واحدة، وتعبير لا يقبل الانشطار، لأن الجزأين المعقولين فيها إنما يعبران معا عن فكرة واحدة، لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أحلت بالإفصاح عما يجول في ذهنك وقصرت عما يجول فيه إلى ذهن السامع»18.

وعند عباس حسن الكلام أو الجملة هو ما تتركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل، ويقرّر أنّ الجملة الخبرية إذا وقعت صلة للموصول أو نعتاً أو حالاً أو تابعة لشيء آخر كجملة الشرط لا جوابه فإنها لا تسمى جملة إذ لا يكون فيها كلام مستقل بالسلب أو الإيجاب تنفرد به، ويقتصر عليها وحدها19.

04- الجملة عند علماء اللغة المعاصرين الغربيين:

تدخل الدلالة التركيبية حديثاً تحت ما يطلق عليه "علم دلالة الجملة" أو "علم الدلالة التركيبي" و هو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، و قد بدأ هذا العلم عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي20. و معنى الجملة عندهم يعني: وظيفة معاني أجزائها، أو معنى الوحدات القاموسية، و الصلات الدلالية بين مكونات الجملة... كما بحثوا معنى الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) و المعاني التي تحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات21.

و يتعدد معنى اللفظ بتعدد سياقاته التي يصلح لها، و هذه المعاني المتعددة لها علاقة بالمعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ، و الألفاظ لا تفيد شيئاً غير معناها المعجمي حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، و يعتمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب22

و " المعنى إذن هو محصلة التفاعل الدلالي بين معنى الألفاظ من ناحية، و معاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى... "23.

وقد نشطت الدراسات اللغوية في بداية هذا القرن، وظهر في هذا المجال مناهج ومدارس وعلماء تعددت مناهجهم في النظر إلى الجملة وتحليلها، ومن هذه المناهج: المنهج الوصفي عند " دي سويسير" وهو وصف الظواهر اللغوية في مرحلة زمنية معينة وبقعة جغرافية محددة، والمنهج المعياري، وهو منهج يغلب القاعدة على النص، فيجعلها قانوناً حتمياً يجب احترامه وطاعته؛ كما يقوم على فرض المعايير أو القواعد كي تتخذ أساساً للحكم على صحة النصوص اللغوية... والمنهج

التوليدي التحويلي عند " تشومسكي " وهو منهج يقوم على فكرة " الفطرية اللغوية " في ذهن الإنسان.. فالإنسان يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عما في نفسه، و " الكفاية اللغوية " (COMPETENCE) و الأداء اللغوي (PER FORMANCE) .

وتعني " الكفاية اللغوية عند تشومسكي: " بأنها: المعرفة الضمنية للمتكلم بقواعد لغته، بحيث تتيح له القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها، من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة و تجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل، و القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، و هذا كله يتم في عمليات ذهنية داخلية.

وأما الأداء اللغوي فيتمثل في طريقة استعماله للكفاية اللغوية وهو الكلام و الجمل المنتجة، و هو الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة في اللغة، فالكفاية والأداء بينهما ترابط وثيق... فالكفاية ذهنية، و الأداء صورة لما في الذهن... (24).

و بعد التمييز بين البنية العميقة بوصفها مخرجا لقواعد المكوّن الأساس و البنية السطحية بوصفها مخرجا للقواعد التحويلية، أصبح من اللازم إدخال المكوّن الدلالي الذي أهملته الدراسات اللسانية التوزيعية و الدراسات التوليدية و التحويلية في مرحلة البنى التركيبية (1957م).

إنّ أوّل محاولة جادة في ظلّ التطور الذاتي للنظرية التوليدية و التحويلية كانت تلك التي قام بها كلّ من كاتز (Katz) و فودور (Fodor) (1963م) من أجل إدماج التركيب في الدلالة، و ذلك ما تبناه فيما بعد كل من كاتز و بوسطال (Katz et PosTaL) (1964م) أوضحت هذه المحاولة تعدّد من أبرز التغييرات التي طرأت على النظرية التوليدية و التحويلية، إذ تبناها تشومسكي فيما بعد لإعادة صياغة منواله التنظيري و الإجرائي... و دفعته بإعادة النظر في منواله التركيبي الذي وضعه سنة 1957م (25).

كما تندرج الجملة عند علماء اللغة المعاصرين ضمن ما اصطالحوا عليه بالترابط اللغوي الذي ينطلق من انتقال النظرية اللغوية العربية من النظرة " الإعرابية وعاملها النحوي " التراثيين إلى النظرة " الترابطية " و ذلك بين أجزاء الجملة التركيبية، و منها إلى النص، الذي يشكّل " الوحدة التواصلية " التي لا أدنى فيها، و لا أقصى لربط العقد بين عملية التواصل المشكّلة من العناصر التواصلية الثلاثة: (المرسل، - المرسل إليه، - الرسالة)، و قد توارد مصطلح: " تركيب " بدل: " جملة " في الكثير من الأدبيات اللسانية العربية الحديثة.

فإذا كانت " الجملة " مفردا، أي: وحدة تركيبية داخل النص، فإنّ هذا الأخير أعني به " النص " يشكّل عدد الجمل التي تحدّد وحدته الدلالية و استقلاله الكياني بين نصوص المدونة (CORPUS)،... فالتركيب واحد و النص كلّ، و التركيب لا يكون نصّا إلاّ إذا شمل مضمون معناه شرط الدلالية التواصلية بين شريكي عملية التواصل، و منه فالنصّية في الاعتبار (اللساني) أسبق من التركيبية.

50- منهج النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها: ناووم تشومسكي في دراسة الجملة القرآنية:

و بما أنّ موضوع مبحثنا الأساسي هو " الجملة القرآنية" فإنّ تناولها في الدراسات اللغوية المعاصرة ينصب على " النظرية التوليدية التحويلية" التي تفق دراستها عند حدود الجملة أعني: " التركيب"26، و من حيث ارتباطها بالنص فإننا سنعمد على النظرية التواصلية التي لا ترى التركيب كلاماً إلا ما دلّ على شيء، في عقد تواصلية، و هي الدراسة التي تهتم بالنص وجوبا، و أعني به هنا، دراسة الجملة القرآنية ضمن النص القرآني، و سنجلي هذا المبحث عبر مقارنة بين النظريتين اللغويتين دون إغفال النظرة "الإعرابية وعاملها النحوي" التراثيين مستظلين في ذلك كله على منهج الدكتور خليل عمارة و هو منهج معتدل يجمع بين الشكل و المعنى، و يعتمد على ما جاء في التراث العربي في خطيه الرئيسي النحو و البلاغة، و يصل هذه الدعامة بمعطيات علم اللغة المعاصر، و بخاصة توجيه نظرية تشومسكي لتتسق مع العربية، فمنهج الدكتور خليل هو موفق ووسيط بين التراث العربي، و الإفادة من تطور العلوم و الاستفادة من ما توصل إليه علم اللغة المعاصر من نظريات في مجال الدراسات اللسانية و الدلالية، يمكن أن يضيف إضافة جديدة و يرسى لبنة أخرى للكشف عن بعض من أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم من حيث التركيب و الدلالة...27.

و من ثم، فإنّ الحديث عن الترابط في التركيب، و في النص، هو حديث عن ترابط لغوي، من حيث انتماؤه إلى اللغة، إذ إنّها موجودة فيهما معا، و بما أنّ اللغة شكل و دلالة، فالأحرى أن نعاين تأثير كل واحد منهما على الآخر، و خاصة الثانية على الأولى، على اعتبار أنّ الكلام يولد من معنى في ذهن المتكلم ليصل إلى المعنى نفسه في ذهن السامع، مروراً بمبنى: (الشكل) يتوسطهما و يتمثل في المادة اللغوية التواصلية الصوتية التي تكون نطقية من جهة المتكلم، و سمعية من جهة السامع... و الأعجب أنّنا نتعامل مع ***مدونة*** هي (القران الكريم) كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم علیم، فإذا كان المتكلم هو الله سبحانه عز في علاه من خلال كتابه المسطور و المقروء، و السامع هو نحن البشر الموجه إلينا هذا الخطاب الإلهي الذي لا يقتصر على العرب أو الناطقين بالعربية لغة القرآن بل هو للعالمين رسالة لا تتقيد بزمان و لا يحدها مكان، و لا تخص أمة بعينها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾ 28، و قال عزّ في علاه: ﴿لَئِكَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَلَوْ عَلِمَ الْغُفَّارُ (196)﴾ 29، فالكلام معجم متسلسل نحوي و دلالي عبر جسر رابطي يعلق دلالة ووظيفة كل كلمة بأختها داخل التركيب، مشكلاً وحدة دلالية يحسن السكوت عليها، و كذلك بالنسبة للنص؛ لكن بأليات غير آليات الجملة30. و بما أنّ النص جملة (وحدة) و مجموعة من الجمل (كلّ) في آن واحد، و على أنّ الدلالة هي روابط داخل الجمل، و فيما بينها، و لكي نتوصل إلى دلالة النص لا بد من دراسة وجودية التضافر بين نوعي الترابط داخل النص (الترابط الجملي و الترابط النصي) و مدى علاقته بالخطاب الذي يحمله ذلك النصّ و أعني هنا الترابط بين الجمل القرآنية و بين النص القرآني المشكلة له.

و انطلاقاً من النظرية التحويلية التوليدية و تصحيحاتها المتوالية في ضوء المنهج الذي ارتضاه الدكتور خليل عمارة فإنّ مبحثنا المتعلق ببنية الجملة القرآنية تركيباً و دلالة سينطلق من هذا المنهج الذي أشرنا إلى آليته التي تتمحور حول شكل التركيب (الجملة) و دلالاته (دلالة التركيب) على ملفوظ من القول.

06- منهج التحويل المعتمد في تحليل الجملة القرآنية:

و سننعمد على قواعد إعادة الكتابة و هي إحدى تلك الإجراءات التي عنيت بها دراسة التركيب، و من خلال تطبيقها العملي يمكن تحديد هوية النص اللسانية التي تقوم على الآليات الثلاثة الآتية:

- النحو: (الاسم و الفعل...).

- الترابط: (الارتباط و الربط).

- التحويل.

و يتم ذلك على قاعدة النحو التوليدي التحويلي التشموسكي، فظاهرة التوليد يمكن اسقاطها على كل من: الجملة و النص معاً، و إذا أمكن لظاهرة التحويل اسقاطها على التركيب (الجملة) فإنّ تطبيقها على (النص) نجد فيه صعوبة و مشقة، ذلك أنّ معنى التحويل في النص لا يمكن تصوره إلاّ من خلال التركيب (الجملة) 31.

ذلك أنّ معنى التحويل في النص لا يمكننا تصوره خارج إطار التركيب، و إلاّ فكيف بإمكاننا أن نتصور تحويلاً من فقرة إلى أخرى، أو حتّى من نصّ إلى آخر؟ و هذا التحويل إذا قبله التصور (العقلي)، لا ينشئ نصاً آخر غير النص الذي نكون بصددده، أو يأتي هو من نص غيره، فيكون غير النص الذي جاء من جزاء عملية التحويل، و أصبح بموجبها النصّ الذي بين أيدينا؟.

و من ثم يطرح السؤال عن إمكانية اعتبار: التركيب (الجملة) القاعدة التحويلية الأساس التي، بتربط هذا الأخير مع إخوته الذين تحوّلوا هم الآخرون، تسمّى الإطار التحويلي العام و الشامل للنص، و ذلك بعيداً عن التحويل المذكور الذي ينشأ من وحدة النص ككل، و هي الوحدة التي لها دورها الهام في التأسيس للنحو العالمي (GU) 32.

فالرباط العضوي القائم بين التركيب (الجملة) و بين (النص) ككل، و بين ذلك النحو، يطرح تساؤلاً مهمّاً يخصّ نوعية دلالة الوحدات المؤسسة للتركيب (الكلمات)، فدلالة الكلمات دالتان: دلالة وظيفية نحوية و دلالة مفرداتية معجمية.

فهل الإجراء التوليدي التحويلي يفتح الطريق إلى تحويل على أساس من الدلالة النحوية فقط؟، أم أنّ المعجم يلعب دوره المنوط به بأن يحدّد الصحيح من الخاطئ في العلاقة النحوية/ المعجمية داخل الهيكل الدلالي العام للتركيب، لاغياً التراكيب الصحيحة نحويًا و التي لا تتماشى و الإخراج الدلالي التواصللي للتراكيب، و على أوسع تقدير، لا تتماشى و الإخراج البراغماتي؟ و بعبارة أخرى، هل البراغماتية اختيار تركيبي (نحوي وظيفي)، أم هي إختيار معجمي، أم الإثنان معاً؟ ثم ما نوع و مدى العلاقة بين الدلالة النحوية و الدلالة المعجمية للكلمات و الصيغ التركيبية المتاحة في عملية التحويل الذي

يكون ظاهره استبداليا (Paradigmatique)، لكن يبقى أساسه تركيبيا (Syntagmatique)، فالتركيب لغة و النص

لغة، و التركيب لغة في النص. 33.

07- منهج الدكتور: خليل عمارة المعتمد في دراسة الجملة القرآنية:

و من خلال هذه النظرية اللغوية المعاصرة التي سنسقط مفرداتها و مخرجاتها على الجملة القرآنية و النصّ القرآني علنا نتوصل إلى دلالتها بشكل شمولي بما يقتضيه علم اللغة المعاصر من جهة، و بما يتوافق مع موروثنا النحوي و الدلالي القديم، انطلاقا من المنهج الذي ارتضاه الدكتور خليل عمارة و الذي سنعرض معالم هذا المنهج في الفصل المخصص له.

درس الدكتور: خليل العمارة النظرية التوليدية التحويلية، و استعان بها في تحليل الجملة العربية، لكنه خالف صاحبها " تشومسكي " في استعماله عناصر التحويل، و مفهوم البنية السطحية و البنية العميقة، و يعد عنصر الحدس فرضية بعيدة المنال، يقول: " نأخذ الفكرة التوليدية التحويلية بطريقة مختلفة عن طريقة تشومسكي، و نطبّقها على اللغة العربية، أو على أمثلة أو أبواب من اللغة العربية تمهيدا لدراسة نقوم بوضعها في إطار نهائي نجتمع فيه الأبواب النحوية في أطر كبرى بحسب المعنى "34.

و يرى الدكتور خليل عمارة، أنّ الجملة 35 هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، و يسميها جملة توليدية، و يشترط لها أن تسير على نمط من أنماط البناء الجملي في اللغة العربية، فهي توليدية، و يتفرّع منها: الجملة التوليدية الاسمية و لها أطر أهمّها:

أ- اسم معرفة + اسم نكرة.

ب- شبه جملة (ظرف أو جار و مجرور) + اسم نكرة.

و الجملة التوليدية الفعلية و لها أطر أهمّها:

أ- فعل + اسم (أو ما يسدّ مسدّه ظاهرا أو مستترا كما في فعل الأمر).

ب- فعل + فاعل + مفعول به (أول أو ثان أو ثالث).

ج- فعل + ضمير مفعول به + فاعل.

و يرى أنّ هذه الأطر جميعها و ما يتفرّع منها قد يجري فيها تغيير في مبانيها الصرفية أو فيما فيها من فونيمات ثانوية (النبر و التنغيم)، فيترتب على ذلك تغيير في المعنى و انتقال في تسمية الجملة، فتصبح الجملة جملة تحويلية في معناها اسمية أو فعلية في مبناها 36.

و الدكتور العمارة يتعامل مع التركيب اللغوي المنطوق ذاته، فقد يكون في إحدى صورته توليديا إن كان في أحد الأطر السابقة، و إن تعيّر الإطار أصبح تحويليا، أما إدراك ما يجري في ذهن المتكلم إنّما يؤخذ من التركيب الجملي، فالبنية العميقة تمثلها عنده الحمل التحويلية، أما البنية السطحية فتمثلها الجملة التوليدية أو النواة، و أما الحدس لإدراك ما في ذهن المتكلم فلا يحتاج إليه، لأنّ الحدس فرضية بعيدة المنال. 37.

08- مسوّغات اختيار منهج الدكتور خليل عمارة:

إنّ منهج الدكتور خليل عمارة، هو منهج معتدل يجمع بين الشكل والمعنى، و يعتمد على ما جاء في التراث العربي في خطيه الرئيسين النحو و البلاغة، و يصل هذه الدعامة بمعطيات علم اللغة المعاصرة، و بخاصة توجيه نظرية تشومسكي لتتسق مع العربية، فلم يتعد في منهجه اللغوي عن مناهج التراث العربي، و لم يغفل الإفادة من تطور العلوم و تجدد مناهج تناولها، و لعلّ ما يمكن التنويه به مسوغا لهذا المنهج و الأخذ به ما يلي:

01- أنّه يفتقر عن النظرية التوليدية التحويلية التي طورها تشومسكي³⁸ عن سبقه من علماء الغرب، في البحث في مدلول كل من المصطلحين: بنية عميقة، و بنية سطحية اتصّلا بمصطلحي جملة توليدية و جملة تحويلية، فمعيار كلّ منهما مختلف عن الآخر، فبينما يعتمد تشومسكي في مصطلح الجملة التوليدية الموقع الذي تكون فيه و هو الذهن قبل خروجها إلى حيّز محسوس نطقا و كتابة، و يترتب على ذلك و استنادا إلى الموقع الذي تكون فيه و هو الذهن قبل خروجها إلى حيّز محسوس نطقا أو كتابة، و يترتب على ذلك أنّها تكون بنية عميقة من حيث الموقع أيضا، و يقابل ذلك و استنادا إلى الموقع يسمى الجملة عند ظهورها خارج الذهن جملة تحويلية ذات بنية سطحية بينما يعتمد " تشومسكي " هذا نجد الدكتور عمارة يعتمد المعنى معيارا في دلالة هذه المصطلحات، فالجملة التوليدية عنده هي الجملة التي تكون منطوقة و لكنّها تخضع لإطار من أطر الجملة التوليدية ، و التي يسميها مع ما يتفرع منها الإخبار المحايد، و أمّا التحويلية عنده فتشير إلى تحول المعنى في ذهن المتكلم إلى بعد دلالي آخر ينصرف إليه المتكلم مستعملا عنصرا أو أكثر من عناصر التحويل، الترتيب و الزيادة و الحذف و الحركة الإعرابية و التنعيم، فقد أبرز بذلك عددا من النقاط التي يقوم عليها التراث العربي و تعتمد عليها العربية في استعمالها، فللترتيب دوره في المعنى و للحذف قيمة دلالية لا يؤديها الذكر، و للحركة الإعرابية قيمة دلالية، و كذلك التنعيم، و أمّا الزيادة فدورها يقتضي الحديث عن بؤرة الجملة و تعلق الكلمات في التركيب الجملي بالبؤرة.

02- و مما يبدو واضحا أنّ مسوّغات إقامة هذا المنهج و الأخذ به أنّه قد عمد في تسمية الجملة إلى ضمّ المبنى إلى المعنى، و الشكل إلى المضمون، فالعبرة: " بصدر الأصل " فالجملة عنده تقوم في تسميتها على ركيزتين: إحداها من ركائز المبنى: اسمية أو فعلية، و الثانية من ركائز المعنى: توليدية أو تحويلية، فهي توليدية اسمية أو توليدية فعلية ثم تحويلية اسمية أو تحويلية فعلية، و في هذا يكون قد ضم جهود النحاة إلى جهود البلاغيين.³⁹

03- اعتماده على منهج واضح في حروف الجر و علاقتها بما تتصل به، و بخاصة بما يسمى بحروف الجر الزائدة التي وصفها النحاة القدماء بأنّها "خروجها كدخولها" فهي عنده عنصر توكيد يؤكد الجزء الذي تتصل به، و بهذا فلا وجود للحرف الزائد عنده، فكلّ مبنى في الجملة يقابله معنى أحذا بمذهب عبد القاهر الجرجاني في هذا، و هو كثير الورد في القرآن الكريم، و مثاله في سورة البقرة: ﴿چ چ ي د ت﴾، و في قوله تعالى: ﴿و ما له في ك ب ك﴾، فمحل الشاهد في الآية الأولى: ﴿چ﴾، الباء حرف جر و صلة تفيد توكيد و تقوية المعنى، و (ضارين) خبر (ما) مجرور لفظا، منصوب محلا، و إن اعتبرت، (ما) مهيمة تيمية، فالضمير: (هم) مبتدأ، و (ضارين) خبره مجرور لفظا مرفوع محلا، و محلّ الشاهد في الآية الثانية:

﴿كج﴾، فـ: (من) حرف جر وصلته تفييد توكيد و تقوية المعنى، و (خلاق) مبتدأ مؤخر مرفوع، و علامة رفعه ضمّة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، و في قوله تعالى: ﴿قَجَّجْ جَجَّجْ﴾، و محل الشاهد: ﴿جَجَّجْ﴾، فـ: (من) حرف جر وصلته تفييد توكيد و تقوية المعنى، و (ولي) مبتدأ مؤخر مرفوع، و علامة رفعه ضمّة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

04- و مما يترتب على هذه النقطة عنده الحديثة في ما يسميه ظاهرة التلازم و هي التي يتعامل في ضوءها مع كلمتين أو أكثر من حيث الوظيفة و المعنى كالكلمة الواحدة و إن كانت تركيبا غير ذلك. و هذه الظاهرة قائمة بين كل من الفعل و الفاعل و هما متلازمان يجوز الفصل بينهما خلافا لنبود التلازم الأخر و هي الجار و المجرور، و المضاف و المضاف إليه، و الموصول و الصلة، و التابع و المتبوع.

فبهذا ترتبط كل كلمة في الجملة لتحقق معناها فيها بوظيفتها، بالفعل في الجملة الفعلية، و بالمبتدأ في الاسمية، و ذلك بعد أن تأخذ اللفظة حركتها الإعرابية مثلا صرفيا لباب نحوي، فتحقق الكلمة بذلك قيمة دلالية توصل مع غيرها في التركيب إلى المعنى الدلالي للتركيب بكامله.

05- و لما كان اهتمام د. عمارة في المبني و المعنى معا فإنه قد ذهب إلى دعوة تصنيف النحو العربي على أساس توحيد المبني و المعنى و ليس على أساس العامل و الحركة الإعرابية التي يتركها العامل على أواخر الكلم في الجملة كما فعل نحائنا القدماء حتى أصبح النحو عندهم علم أواخر الكلم، فهو لا يغفل الحركة الإعرابية، و هي عنده عنصر تحويل، بل هي فونيم أساس من فونيمات الكلمة، و الجملة، فلا ينظر في الجملة إن لم تحقق ما يسميه بخط سلامة المبني، سواء أكانت الحركة الإعرابية ذات قيمة دلالية أو لا قيمة لها في الدلالة، و بهذا فلا وجود عنده للحركة التقديرية أو المحلية تحقيقا للمنهج الوصفي في التحليل اللغوي، فهو يدعو إلى دراسة كل باب من أبواب اللغة من حيث معناه، فمثلا باب التوكيد يشمل التوكيد اللفظي و المعنوي بالضمير العائد، و بنعم و بئس و بضمير الفصل و غيرها.

و الواضح أنّ الدكتور عمارة تجاوز معظم مناطق الخلاف بين النحاة الكوفيين و البصريين، و بين نحاة كل مدرسة فيما بينهم حول قضية واحدة، و مثل هذا ظاهر في كيفية معالجة باب المدح و الذم، و باب الضمير العائد و لغة أكلوني البراغيث، و حروف الجر و غيرها، و لكن مما يبدو واضحا أيضا أنّه في منهجه يميل كثيرا للأخذ بمنهج أهل الكوفة و بخاصة في ظاهرة التقديم، و في تحليل كثير من المسائل التي تعتمد أبوابها النحوية على الحركة الإعرابية، و ما يقول فيها النحاة بعامل أو معمول واجب الحذف كما في الإغراء و التحذير و الاختصاص و التعجب و الندبة و الاستغاثة و المفعول معه و المفعول له.... و غيرها.

إنّ مما يدفع إلى الأخذ بهذا المنهج هو مغاييرته لمنهج تشومسكي في النقاط الرئيسة فيه فيما لا ينطبق على العربية في متابعة المعنى، و كذا في ضمّ المعنى إلى المبني مستوعبا بذلك أنماط العربية و أساليبها، و إمكانية تخريج مسائلها في منهج وصفي متكامل.

09- : تطبيقات منهج الدكتور: خليل عمایرة على الجملة القرآنية:

هناك عناصر تدخل على الجملة التوليدية الفعلية، و آخر تدخل على الجملة التوليدية الاسمية، فتؤدي معنى جديدا يضاف إليها، فتحوّل الجملة إلى تحويلية اسمية أو فعلية، و يقتضي هذا العنصر الجديد حركة في المبتدأ أو الخبر أو في الفعل، و لا يكون لهذه الحركة دور في المعنى و إنما هي حركة اقتضاء ليس غير و إنما الدور للعنصر ذاته، و ينسحب هذا على (كان) و أخواتها، و (إنّ) و أخواتها و في قسم من أفعال الشروع و الرجحان و المقاربة(40 ، ففي قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، هي عنصر تحويلي، أصلها التوليدي:

(أ) النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، و إذا ما دخلت عليها(كان) و هي عنصر زمن لا غير، و لذا فإنّها تشير إلى حدث مع ما فيها من إشارة إلى الزمن تنتهي علاقتها بهذا الباب و تصبح مثلا فعلا تاما يحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل التام، فإنّها تصبح مثلا:

(ب) كان..... النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً.

(ج) إنّ..... النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

فكلمة (الناس) في (أ، ب، ج) هي المبتدأ، و لكنّها في (أ) أخذت الضمّة على الأصل في القياس اللغوي، و في (ب) ظلّت على ما هي عليه و أخذ الخبر(أُمَّةً) الفتحة اقتضاء لـ(كان)....، و في (ج) أخذ المبتدأ الفتحة اقتضاء لـ:(إنّ)... و أمّا الخبر فهو على ما هو عليه، و هذا يدكرنا بما تقوله فئة من النحاة في توضيحهم عمل (كان و أخواتها) و عمل (إنّ و أخواتها) بأنّ الأولى تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الخبر و يسمى خبرها و يبقى المبتدأ مرفوعا و يسمى اسمها، و أمّا الثانية فتنصب المبتدأ و يسمى اسمها و يبقى الخبر مرفوعا و يسمى خبرها41، فيكون تحليل الجملة (ب) كما يلي:

كان: عنصر الإشارة إلى الزمن الماضي.

الناس: مبتدأ مرفوع و علامة رفعه....(أو مسند إليه مرفوع....)

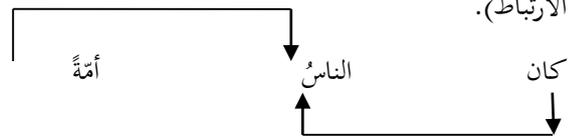
أمة: خبر اخذ الفتحة اقتضاء لـ: (كان)، (أو مسند أخذ الفتحة...)، (قياسا على ما جاء عن العرب) و يكون

تحليلها من حيث المعنى كما يلي:

عنصر زمن ماض (مسند إليه+ مسند)

= جملة تحويلية اسمية تحولت في معناها إلى الزمن....و يكون الترابط بين كلماتها كما يلي(يشير رأس السهم إلى مركز

الارتباط).



أمّا الجملة (ج) فتحليلها كما يلي:

إنّ: عنصر توكيد.

النّاس: مبتدأ أخذ الفتحة اقتضاء لأنّ (مسند إليه أخذ...)

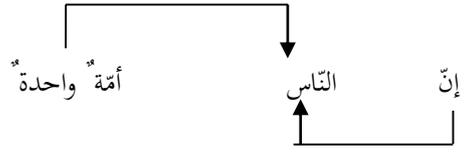
أمة: خبر مرفوع و علامة رفعه... (مسند مرفوع...)

و يكون تحليل معناها كما يلي 42:

عنصر توكيد (و نرّمز له بالرمز: Ne)

Ne (مسند إليه + مسند)

= جملة مؤكدة بكاملها بمؤكد واحد و هي جملة تحويلية اسمية، و يكون الترابط فيها كما يلي:



و قد يضاف إليها عنصر آخر فتصبح (د) إنّ النّاس لأمة واحدة، و يكون إعرابها كالسابقة مع الإشارة إلى أنّ اللام في (لأمة) هي عنصر توكيد تؤكد الجزء الذي تلتصق به، و هذا هو رأي أهل الكوفة الذين يرون أنّ اللام عندما تدخل في خبر (إنّ) كما في قوله تعالى: **جَئِدُواْ وَ وُجِدُواْ** تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده و (إنّ) تؤكد الاسم 44، و الدكتور خليل يرى أنّ (إنّ و أنّ) تؤكدان الجملة التي يرتبط فيها الخبر بالبؤرة التي هي المبتدأ، و تؤكد اللام الخبر وحده، فيكون تحليلها كما يلي:

e (مسند إليه + e (مسند) 45

= جملة تحويلية اسمية مؤكدة بمؤكد واحد و الخبر فيها (المسند) مؤكد بمؤكدين 46.

أما الجملة (ب) فإنّها قد تصبح: **جَاءَ بَ بٍ بٍ بٍ بٍ** 47، فيكون إعرابها كما يلي

ب: عنصر نفي

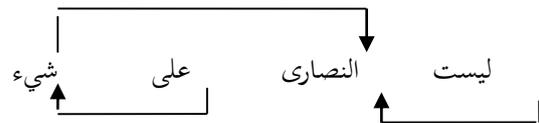
ب: مبتدأ (أو مسند إليه) مرفوع و علامة رفعه...

ب: متعلقان بمحذوف مسند (خبر)، و تحليل معناها كما يلي:

عنصر نفي (مسند إليه + e (مسند))

= جملة تحويلية اسمية منفية، المسند فيها مؤكد في المنفى.

و يكون ارتباط الكلمات فيها كما يلي:



و قد يحصل اجتماع عنصري تحويل أو أكثر في جملة واحدة، يؤدي كل منها دوره في المعنى.

و قد يأتي في صدر الجملة التوليدية الاسمية أداة توكيد بدرجة أقوى مما تفيد (إنّ أو أنّ) حتى عدّها عدد من النحاة المفسرين مفيدة لأرفع درجة من درجات التوكيد48، و هي: (إنّما) و ليست مكونة من كافة و مكفوفة كما ألفنا هذا عند النحاة على حدّ تعبير الدكتور خليل عمارة49، فالعربي كان يتكلم بما في ذهنه سليقة، دون معرفة بالعاملة أو الكافة، و ما كان القول بمذنب المصطلحين إلاّ لتبرير الحركة الإعرابية التي هي الضمّة - هنا - على الاسم بعد (إنّما) في قوله تعالى: **يَجْجُجْ كَكَكَكَ** 50، فقد كتّفت (إنّ) عن العمل بدخول (ما) عليها، و في حقيقة الأمر هي أداة برأسها تفيد معنى بعينه، و لا تقتضي حركة، فتبقي كل من المبتدأ و الخبر على حالهما، و يكون إعرابها:

إنّما: عنصر توكيد، و إعراب الجملة بعدها كما هو في إعراب الجملة التوليدية الأصل، و لكن الجملة بكاملها جملة مؤكّدة و هي تحويلية اسمية، و هكذا الحال فيما يسمّى أخوات (إنّ) عند وجودها أدوات على غير ما هي عليه مقتضية حالة النصب في المبتدأ باستثناء (ليتما) التي جاء الاستقرار لما جاء عن العرب بحركة اقتضاء على المبتدأ و بدونها، فتكون هذه الأدوات في إعرابها محققة معناها، و الإعراب فرع المعنى، فهي أداة تمن أو ترج أو استدراك أو تشبيه.

و من الأدوات التي تضاف في صدر الجملة التوليدية الاسمية و الفعلية، فتتحوّل إلى تحويلية اسمية أو فعلية، و لكنّها تحمل معنى غير الذي كانت تفيد قبل دخول الأداة: (هل و همزة) جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه: **يُحِطُّ بِذُنُوبِكُمْ** 51، فالجملة التوليدية الفعلية هي: عسيتم إن كتب عليكم القتال، (VS) فدخلت عليها: (هل) لتحوّلها إلى جملة تحويلية فعلية تفيد الاستفهام، و لترتبط تركيبيا بما يرتبط به الفاعل .

10- تطبيقات على عناصر التحويل:

الترتيب:

يعدّ الترتيب من أبرز عناصر التحويل، و هو عملية إجراء تغيير على تركيب الجملة، بحيث يعتمد المتكلم إلى مورفيم حقه التأخير فيقدمه، أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره، كتقدم الفاعل على الفعل، أو المفعول على الفعل، أو على الفاعل، أو تقديم الخبر على المبتدأ... إلخ، لإجراء تغيير في المعنى.

و قد تناول القدماء هذا الأسلوب و درسوه بعناية، و عدّوه فنا من فنون البيان، يقول الجرجاني: " و هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، و يفضي لك إلى لطيفه، و لا تزال ترى مشعرا يروقك مسمعه، و يلفظ لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك أن قدم فيه شيء و حول اللفظ عن مكان إلى مكان52، و قال الزركشي: " هو أحد أسباب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، و ملكتهم في الكلام... و يقع في الكلام في فصول من حيث المعنى"53.

الخطاب + (وجه)المبتدأ مؤخر(مضاف) + (الله) مضاف إليه ، وردت هذه الصورة في جملة واحدة جاءت في محل جزم جواب الشرط كما هي في الجدول الآتي:

115	فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ	الفاء واقعة في جواب الشرط+ثم:ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم و قد بني على الفتح لتضمنه معنى الإشارة، و قيل: لتضمنه معنى الخطاب + (وجه)المبتدأ مؤخر(مضاف) + (الله) مضاف إليه.	الجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء	1	تصحيح مفهوم الإيمان
-----	------------------------	---	--	---	---------------------

الزيادة:

و يقصد بالزيادة عنصرا من عناصر التحويل: ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبر عنها النحاة بالفضلات، أو التتمات 59، و هي الكلمات التي لا تدخل على التركيبات النظمية أو على التراكيب الجملي التي لا تدل على معنى في العمق، و إنما تفيد وظيفة تركيبية و قد تعد لونا من ألوان الزخارف 60، و بعبارة أخرى هي عنصر من عناصر التحويل و ما يضاف للجملة النواة (الجملة التوليدية، الأصلية) من الكلمات، يعبر عنها النحاة بـ: "الفضلات أو التتمات أو غيرها، و يعبر عنها البلاغيون بالقييد، يضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى، فكل زيادة في المبنى، تعطي زيادة في المعنى، و مثاله: (حضر محمد) جملة توليدية فعلية، و عند إضافتنا لها كلمة (باسما) تغيرت الجملة من توليدية فعلية إلى تحويلية فعلية، تمثل الأولى بنية سطحية، و تمثل الثانية بنية عميقة، و هكذا تحولت الجملة من معنى إلى معنى آخر، و هو بيان حال محمد عند الحضور، قال الجرجاني: "إنّ من شأن الجملة أن يصير معناها بالبناء عليها شيئا غير الذي كان" 61.

و مثاله في سورة البقرة الجملة الآتية: يقول الله سبحانه: ﴿...﴾ ثم أضاف الله سبحانه: ﴿...﴾ في حين حال قيام المؤمنين لربهم في الصلاة ﴿...﴾ و لا بد لكل كلمة تضاف إلى الجملة أن تسير في خط المبنى قبل أن تعطي معنى، إذ أنّها مثل صرفي لباب نحوي، و بالاستقراء الذي قدمه سلفنا من النحاة و اللغويين القدماء فإننا نعرف لكلّ باب نحوي حالة إعرابية يعبر عنها بحركة، فكلمة ﴿...﴾ في جزمها مثل صرفيا لباب الحال، و يمكن أن يكون غيرها فيه، فيقال: خاشعين أو: خاضعين أو أذلاء... الخ، فإن لم تأخذ الكلمة الحركة الإعرابية المخصصة للباب النحوي فإنّها لم تحقّق البند الأوّل من بنود كونها جملة صحيحة في اللغة العربية، و هو سلامة البنية الشكلية، إذ أنّ سلامة البنية الشكلية في الجملة العربية تقتضي أن تحقّق الحركة الإعرابية قياسا على ما جاء عن العرب و بينه النحاة بوضع حركة إعرابية لكلّ باب يجب أن تأخذه الكلمة التي تأتي ممثلة للباب في الجملة، إلّا أن تكون مبنية فتكتفي بحركتها (حركة البناء) دون أن تكون في محل نصب أو رفع أو جر أو جزم، و قياسا على ما جاء عن العرب من أوجه المطابقة في العدد و الجنس، و نسمي هذا كله القياس اللغوي.

النمط الثاني: [الحال مفردة من واو الجماعة]، ورد هذا النمط في الصور الآتية:

1- (الصورة الأولى): حال من واو الجماعة وردت هذه الصورة في خمس جمل كما هو وارد في الجدول الآتي:

و في قوله تعالى: **كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ** 62، الجملة القرآنية تحويلية، أصلها التوليدي: الله قادر على كل شيء / و هي جملة اسمية تفيد الإخبار المحايد، تتكون من: م+خ+جار و مجرور (مضاف+مضاف إليه).
لكن الله سبحانه من خطابه لا يريد الإخبار فقط، بل لعلمه سبحانه أن بعضا من مرضى القلوب التنكرين لقدرة الله أو الواهين فيها، أراد في إخباره نفي التوهم و إزالة الشك و الريب الذي يتوهمه المتنكرين فجاء خطابه في هذه الجملة القرآنية محولا و ذلك بالزيادة و التقديم و التأخير، فأما الزيادة فبحرف: (إِنّ) و هي حرف مشبه بالفعل للتوكيد، و هذه الزيادة هي عنصر تحويل أضاف معنى جديدا في الجملة و هو تقوية المعنى و إزالة التوهم، و هذا التوكيد و تقوية الحكم لم تتوقف عن زيادة الحرف الناسخ بل أضاف المولى تبارك عنصرا تحويليا آخر و هو: تقديم الجار و المجرور (على كل شيء) على خبر (إِنّ) و هو: ("قدير") و هذا التقديم فائدته هو: للاهتمام به، و زيادة أخرى و هي من عناصر التحويل هي صيغة: (قدير) على وزن: فاعيل، و هي من صيغ المبالغة في تقوية المعنى و توكيده.

فالجملة القرآنية التي جاءت محولة في قوله سبحانه:

"إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" = عنصر تحويل يفيد التوكيد و تقوية المعنى (اسم (إِنّ)+جار ومج+خبر (إِنّ))

e + اسم (إِنّ)+جار و مج+خبر (إِنّ)+صيغة (فاعيل)

قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا 63 الجملة التوليديّة أو النواة: بعث طالوت ملكا لكم = جملة توليدية فعلية

قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا = جملة تحويلية فعلية بعنصر زيادة يفيد التحقيق و التوكيد و هو (قد)، و بتقديم الجار و المجرور (لكم) للاهتمام به ، و بزيادة (م ب) فضلة+(حا) ، و الفضلة تعني أنّها ليست من الأركان الأساسية للجملة، فلو حذفت لا يؤثر ذلك على المعنى الأساسي للجملة.. و لكن وجودها يزيد الجملة توضيحا و بيانا، و في القرآن الكريم كل ما فيه ليس يأتي المعنى مقصود، وأما (طالوت) هو لقب و ليس اسما، فاسمه: شاول، جاء على وزن: فعلوت مثل: جبروت و ملكوت و رهبوت، و منه طاغوت، ورد ذكره في الجملة القرآنية بهذا الوصف مبالغة في طول قامته، و نعت عند قومه بهذه الصفة، و إن كان هو فلاحا من بيت حقير، و هو مثير للجدل و الاستغراب في أن يتخذ "ملكا" عند قومه المستكبرين، و الله سبحانه يدرك بعلمه أنّ بني إسرائيل لا يقرون بملكه و زعامته عليهم و هو ما أشار إليه سبحانه: **كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ** 64، و عدم إقرارهم بملكيتهم هو ما جعل الخطاب القرآني يأتي بجملة محولة بالتحقيق و التوكيد (قد) و هو من عناصر التحويل بالزيادة، و بالمفعول (طالوت) لنفي التوهم عندهم من خلال ذكر الصفة الشائعة عند قومه و هي طول قامته، و بذكر (ملكا) و هي بيان الهيئة التي كان عليها لنفي التعجب و الاستغراب من اتخاذ هذا المنصب الذي هو

في تقدير قومه لا يكون لسفلة القوم ووضعائهم، و في زعمهم أنهم أولى بهذا المنصب منه لأنهم من علية القوم بزعمهم: ج
گن ن ٹ چ.

مراحل التحويل:

1- الجملة النواة: بعث طالوت ملكا لكم. جملة توليدية فعلية

2- " قد بعث لكم طالوت ملكا " = جملة تحويلية فعلية بعنصر زيادة يفيد التحقيق و التوكيد هو (قد)، و بعنصري
الفضلة:(المفعول به)+(الحال) كما أشرنا.

أ- تحليل المبني: قد: عنصر توكيد و تحقيق.

بعث: عنصر ماض...م

ضمير مستتر يعود إلى لفظ الجلالة: فاعل...فا

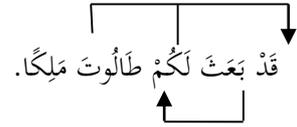
لكم: جار و مجرور قدم للاهتمام به

طالوت: مفعول به....م ب.

ملكاً: حال.....حا

ب- تحليل المعنى: عنصر توكيد أو تحقيق+(م+فا+مب+حا)

ج- مراكز الربط بأجزاء الجملة كالاتي:



الحذف 65:

هو عنصر تحويل، و يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى، و تبقى الجملة تحمل
معنى يحسن السكوت عليه و مثاله في القرآن الكريم:

لقد اهتمَّ النحاة قديماً بظاهرة "الحذف"، وأخصّصوا مواضعه، وأعطوا الأوجه الممكنة فيه، وفسّروا بعض العِلل الكامنة
وراءه، وتحدّثوا عنه في مباحث كثيرة - خصوصاً في باب نائب الفاعل - وإنَّ عبّروا عن هذا الحذف بمصطلحات كثيرة،
مثل: الاستتار والإضمار، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب "البحر المحيط" أثناء تعليقه على قول ابن عطية أثناء إعرابه
لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ 66؛ حيث قال: "فقوله: مضاف إلى الفاعل المضمر، لا يعني أنَّ المصدر أضمر فيه
الفاعل، وإنما سمّاه مضمرًا لِمَا قَدَّرَه من "كحبهم"...، أو يعني بالمضمر المحذوف، وهو موجود في اصطلاح النحويين؛ أعني:
أن يسمّى الحذف إضمارًا"، وذلك لأنَّ اللفظتين كليهما - أقصد الحذف والإضمار - تجتمعان في مادتهما اللغويّة في معنى

الإسقاط، ومن أجل ذلك فسنتطرق لبعض الفروق الموجودة بين هذه المصطلحات الثلاثة: الحذف، والإضمار، والاستتار ."

و قد حذف المبتدأ في سورة البقرة في الأنماط الآتية منها:

النمط الأول: [المبتدأ(محذوف)+ الخبر(اسم مفرد)]، ورد هذا النمط في الصور الآتية:

منها: الصورة الآتية: المبتدأ محذوف(هو)+ الخبر(مضاف)، وردت هذه الصورة في جملتين جاء موقعها الإعرابي كالآتي:

أ- الجملة الاسمية معترضة بين الكلام السابق و اللاحق لا محل لها:

ورد هذا في الصورة الآتية: (بديع) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو)، هذا و قرئ بجر (بديع) على أنه بدل من الضمير في (له) على مذهب الكسائي، و المحققون لا يجيزون إبدال ظاهر من الضمير، و قرئ بنصبه على أنه منصوب على المدح بفعل محذوف و (بديع) مضاف و (السموات) مضاف إليه من اضافة الصفة المشبهة لمفعولها، و فاعلها ضمير مستتر تقديره: هو، أو هو اسم فاعل و هو أولى+(و الأرض) معطوف على سابقه و هو(السموات).، وردت هذه الصورة في جملة واحدة كما هو وارد في الجدول الآتي:

117	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	بديع) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو)، هذا و قرئ بجر (بديع) على أنه بدل من الضمير في (له) على مذهب الكسائي، و المحققون لا يجيزون إبدال ظاهر من الضمير، و قرئ بنصبه على أنه منصوب على المدح بفعل محذوف و (بديع) مضاف و (السموات) مضاف إليه من اضافة الصفة المشبهة لمفعولها، و فاعلها ضمير مستتر تقديره: هو، أو هو اسم فاعل و هو أولى+(و الأرض) معطوف على سابقه و هو(السموات).	و الجملة الاسمية معترضة بين الكلام السابق و اللاحق لا محل لها.	1	قضايا الإيمان و التوحيد:
-----	-----------------------------------	--	--	---	--------------------------

ففي قوله تعالى: ﴿كُوُفٌ وَ ءُكُوفٌ﴾ معنى يحسن السكوت عليه، فهي جملة، حذف ركن من أركانها، و هو الضمير(هو)، و قد حذف المبتدأ هنا لقصد الإيجاز، و هو الغرض من التحويل.

02- مواقع جملة الأمر المحذوف:

ورد هذا في النمط الآتي: [إذ: ظرف متعلق بفعل محذوف في محل نصب]، ورد هذا النمط في الصورة الآتية: إذ: ظرف متعلق بفعل محذوف في محل نصب تقديره: اذكروا، و واو الجماعة ضمير متصل فاعله، وردت هذه الصورة في خمس عشرة جملة جاء موقعها: معطوف على فعل محذوف تقديره: اذكر، منها هذا المثال، كما هو وارد في الجدول الآتي:

01	التذكير بنجاحهم من كيد فرعون	متعلق بمحذوف معطوف على: اذكر	إذ: ظرف متعلق بفعل محذوف في محل نصب تقديره: اذكروا	﴿و إذ أب ب پ پ﴾	49
----	------------------------------	------------------------------	--	-----------------	----

و قد اهتم العرب بالحذف بقصد الإيجاز و إعلام السامع الشيء، أو المعلومة بأقل قدر ممكن من الكلمات، و هو كثير في القرآن الكريم، و أحاديث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقول الجرجاني: " هو باب دقيق المسلك، لطيف

المأخذ، عجيب الأمر، شبيهه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، فالصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، و تحذفك أطف ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تب، و هذه جملة قد تنكرها حتى تجرب، و تدفعها حتى تنظر67، و لذلك قيل: " الصمت أبلغ من الكلام) لمن تكلم كلاما بلا فائدة، فهذا حذف للكلام كله، لكنه جاء عبر موقف معين استدعى هذا الحذف، فدلّ السكوت على ما هو أبلغ.

و عقد ابن جني بابا: (في الشجاعة العربية) قال فيه: " قد حذفت العرب الجملة، و المفردة، و الحرف، و الحركة، و ليس شيء في ذلك إلا عن دليل عليه68.

الحذف في التراث البلاغي:

الحذف عند الجاحظ: لم يذكر تعريفا صريحا ولعل ما يبرز عنده أن الحذف: هو إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية، مع وجود دليل على المحذوف"69.

وأما الشريف الجرجاني فقد عرفه بأنه: " إسقاط سببا خفيف مثل) لن (من مفاعلين لبيقي)مفاعي (فينتقل إلى (فعولن) و يحذف لن (من فعولن لبيقي)فعو (فينتقل إلى)فعل (ويسمى محذوفا)70

ومما يقوله في باب الحذف " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، و تحذفك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، أتم ما تكون بيانا إذا لم تب، و هذه جملة تنكرها حتى تجرب و تدفعها حتى تنظر، وأنا أكتب لك بدينا أمثلة مما عرض في الحذف ثم أنبهك على صحة ما أشرب إليه، وأقيم الحجة من ذلك عليه...71" ، بين الجرجاني من خلال هذا النص أهم جماليات الحذف، و يظهر من خلال وصفه له أن عدم(الذكر)الحذف (قد يكون في مواضع أفصح وأبلغ من النطق والذكر، والصمت عن الإفادة هو زيادة للإفادة، وهو أظهر وأبين من الإفصاح.

حذف المفعول: " للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول، وإن تنوعت جهتهما فارتباطه بالفاعل لإفادة وقوعه عليه"72، والمفعول به يحذف لعدة أغراض منها:

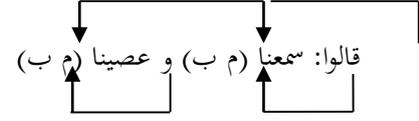
1-إفادة الإيجاز مع الشمول في نحو قوله تعالى: چې ډډ چې 73 قالوا سمعنا وعصينا74"حذف مفعولا الفعلين والتقدير: سمعنا قولك وعصينا أمرك75 ، فـ: (سمعنا) و (أطعنا) جملتان يحسن السكوت عليهما = جملة تحويلية فعلية نواتها:سمعنا قولك وعصينا أمرك، فهما جملتان توليديتان فعليتان، قصد فيهما الإيجاز بالحذف..

مراحل التحويل:1- ي

1- ډډ = جملة تحويلية فعلية أساسها: (سمعنا قولك وعصينا أمرك) .

التحول هو: لحذف المفعولين لعلمهما من المقام

2- مركز الارتباط:



2- تحقيق البيان بعد الإبهام: وذلك لتقرير المعنى في النفس ويكثر ذلك في فعل المشيئة أو الإرادة أو نحوهما 76.....، نحو قوله تعالى: "چك ك ك ك گ چ 77، ولا يكاد يأتي مفعول المشيئة إلا في الأمور الغريبة المتعجب منها كقوله تعالى چڈ ڈ ڈ ڈ ژ چ 78 "لو أردنا أن نتخذ لهوا، لا نتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين" الجملة: لو شاء الله / جملة تحويلية أصلها التوليدي: شاء الله إذهب سمعهم و أبصارهم.

[حرف عطف+ لو (ف+فا+ م به (مضاف+مضاف إليه)+ حرف عطف+معطوف(مضاف+مضاف إليه)]
رابط+عنصر تحويل يفيده امتناع لامتناع شرط غير جازم (ف+فا+ م به (مضاف+مضاف إليه)+ حرف عطف+معطوف(مضاف+مضاف إليه)]
فهي جملة تحويلية بزيادة عنصر التحويل "لو" لإفادة امتناع لامتناع شرط غير جازم، و بالحذف و هو: حذف مفعول الفعل:(شاء) بعد (لو) و هو فعل يكثر حذف مفعوله مثل الفعل:(أراد)، حتى كاد لا ينطق به إلا في الشيء المستغرب.
الحركة الإعرابية:

ليس المقصود من الإعراب المفهوم الضيق الذي يقابل "البناء" و الذي يعرف بالأثر الظاهر أو المقدر الذي تجلبه العوامل في آخر الاسم المتمكن و الفعل المضارع و هو كما قال الأشموني (ت900هـ): "ما جيء به لبيان مقتضى العامل (..) و عزفوه بأنه: تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً..." 79، و إنما المقصود ذلك المدلول الواسع الذي يشمل تخريج الأساليب العربية بما تحويه من أدوات لها وظائف مختلفة و متنوعة على القواعد النحوية أو قل ما يتصل ببيان موضع المفردات من الجملة و مواضع الجمل بعضها من بعض و ما قد يساعد على ذلك و يكون بمثابة الوسائل أو الأدوات أو العلامة الدالة 80.

فالإعراب المقصود إنما هو تحديد نوع الكلمة ووظيفتها أو جميع الكلمات و المركبات في الجملة، كأن نبين ما في الجملة من فعل و فاعل أو مبتدأ أو خبر أو مفعول به و حال. و غيرها ثم بيان العلامة على وظيفة الكلمة و المراد من التحليل في هذا هو تصوير مختلف الأبواب التي يتكلم بواسطتها الفكر و إدراك العلاقات بين عناصر الجملة للوصول إلى المعنى، و ذلك لأن المعاني المعجمية للمفردات لا تؤدي إلى فهم جملة من الجمل بمفردها ما لم تأخذ بعين الاعتبار معطيات عديدة تسهم في التمكين من المعنى المراد كالقرائن المعنوية مثل قرينة الإسناد و التخصيص و التعدية و فيها الغائية و المعية و الظرفية و غيرها 81.

و الأفيدي في الإعراب تناول الأسس العامة للتحليل النحوي لدى العرب القدامى و كذا طرق تحليل الجملة و تختتم بتقديم طرق التحليل عند المحدثين 82.

تناول النحاة الحركة الإعرابية بالبحث و الدرس، و تباينت آراؤهم في تعليلها، قال ابن فارس: " من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، و به يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، و لولاه ما ميز فاعل من مفعول، و لا مضاف من منوع، و لا تعجب من استفهام، و لا صدر من مصدر، و لا نعت من تأكيد"، و قال أيضا: " فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني ألا ترى أنّ القائل إذا قال: " ما أحسن زيدا" لم يفرق بين التعجب و الاستفهام و الذم إلا بالإعراب"، ففي الإعراب تميّز المعاني و يوقف على أغراض المتكلمين، و ذلك أنّ قاتلا لو قال: (ما أحسن زيد) غير معرب، و (ضرب عمرو زيد) غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسن زيدا أو ما أحسن زيد⁸³، أو ما أحسن زيد؟ أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، و للعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يعرفون بالحركات و غيرها بين المعاني.

و قال ابن جني - في باب الإعراب -: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، و شكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما و نصب الآخر الفاعل من المفعول" 83.

و يرى الزجاجي أنّ حركات الإعراب دوال على المعاني، يقول: "... جعلت حركات الإعراب تنبئ عن هذه المعاني" 84.

أما قطرب فقد ذهب مذهبا مخالفا فيه النحاة في النظر إلى الحركات الإعرابية، إذ يرى أن لا قيمة للعامل في الأثر الإعرابي، (الحركات الإعرابية) على أواخر الكلم في التركيب الجملي، و أنّ هذه الحركات كانت بأثر صوتي، و يمكن أن تعلق تعليلا صوتيا، يقول: " إنما أعربت العرب كلامها، لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف و الوصل، و كانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا و أمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام" 85.

و لقد قدم ابن قتيبة مثلا لتحديد المعاني بالإعراب، قال: "... و لو أنّ قاتلا قال: هذا قاتل أخي (بالتنوين) و قال آخر: هذا قاتل أخي (بالإضافة) لدلّ التنوين على أنّه قد قتله 86، " و مهما يكن من أمر فإنّ كثيرا من النحاة يفسرون العلامة الإعرابية بأنّها الإبانة عن المعاني، أو التمييز بين المعاني و الوقوف على أغراض المتكلمين" 87.

فالإعراب إذا يكشف عن المعاني أو يفرق بينها على حدّ تعبير الجرجاني، " قد علم أنّ الألفاظ معلقة على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، و أنّ الأغراض كامنة فيها حتّى يكون الإعراب هو الذي يستخرجها" 88.

أما الحركة الإعرابية في منهج الدكتور عمارة، فتعد عنصرا من عناصر التحويل، يقول: " الحركات الإعرابية موجودة في اللغة العربية فونيمات أصيلة فيها، ينطق بها العربي ليفيد معنى معيناً، ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديدا" 89.

و الحركة الإعرابية التي تعد عنصرا من عناصر التحويل هي الفتحة، تدخل على الجملة فتحول الجملة من معنى إلى آخر وذلك في بعض الأبواب النحوية منها: الإغراء والتحذير، والاختصاص، وكم الاستفهامية... إلخ.

فإذا قال المتكلم، مثلا: الأسد (بالضمة)، فإنّ السّامع يدرك أنّه قد أراد نقل خبر ليس غير، و لكنّه إن قال: الأسدَ (بالفتحة)، فإنّ المعنى يتغيّر إلى معنى التحذير، الذي هو في ذهن المتكلم، و يريد أن يفصح عنه، و لا يستطيع تغيير أيّ فونيم في الكلمة غير هذا الفونيم، فإنّه إن غيّر فونيم آخر في الكلمة تعيّر الصورة الذهنية التي ترتبط بها الكلمة بسبب... فجملة " الأسد" جملة تحويلية، أصلها التوليدي (هذا الأسد^١)، ثمّ جرى عليها تحويل بالحذف، فبقيت كلمة (الأسد^٢) لتشير إلى جملة خبرية ليس غير، و لكنّ المتكلم لا يريد الإخبار المجرد في الجملة التوليديّة (هذا الأسد^١)، أو التحويلية بالحذف (الأسد^٢)، إنّما يريد معنى آخر، فعمد إلى تغيير الحركة الإعرابية من ضمة إلى فتحة التي هي عنصر التحويل الذي نقل الجملة إلى المعنى الذي يريده المتكلم و هو معنى التحذير الذي هو في ذهن المتكلم و يريد أن يفصح عنه، فالتحويل هنا جرى بالفتحة و قد جاء لمعنى التحذير، فهي ركن في الكلمة تشير إلى المعنى و ليست نتيجة لعمل عامل محذوف لا يجوز إظهاره⁹⁰.

التنغيم:

هو مصطلح يدلّ على ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام، و هذا الارتفاع و الانخفاض لا يكون إلّا للمعنى⁹¹، و يكون مجاله في الجمل المنطوقة و لا أثر له في كتب النحو العربي على مستوى التنظير، لأنّ نخاة العرب اعتمدوا اللغة المكتوبة عند التقيد، و لم يعتمدوا النطق، و لما لم يكن له أثر في الحركة الإعرابية فقد أسقطه النحويون، لأنّ النحو علم يبحث في حركات آواخر الكلم، إلّا فيما يتعلّق بالاستفهام محذوف الآداة، يقول د. عمارة: " و إنّ التفاهم - أي النحاة - إلى التنغيم فيه غير منصوص عليه و لا أثر لإشارة مباشرة إليه"⁹².

فالتنغيم طبقا لما جاء في الدراسات اللغوية المعاصرة و بخاصة في الغرب له وظيفة نحوية ودلالية مهمة، و هو لا يكون في الجمل و التراكيب إلّا للمعنى، و من ثمّ يعدّ العنصر الرئيس في التمييز بين الجمل، فالجملة: (حضر خالد) جملة تقريرية خبرية إذا نطقت بتنغيم مستو، و لكنّها جملة استفهامية إذا نطقت بتنغيم صاعد.

و في منهج د. عمارة، التنغيم عنده عنصرا من عناصر التحويل، أي أنّ دخول النغمة الصوتية على الجملة التوليديّة يحوّلها إلى جملة تحويلية، فالجملة التوليديّة (كتب التلميذ الدرس) و نغمتها مستوية يمكن أن تتحوّل إلى: كتب التلميذ الدرس، بنغمة صوتية صاعدة لتفيد الدهش و الإعجاب، فالجملة في وضعها الثاني و الثالث هي جملة تحويلية فعلية، جاء التحويل فيها باستخدام النغمة الصوتية للوصول إلى المعنى بعينه.

أما البعد الثالث للجملة فموقعي يقصد الجملة في موقع الخبر أو النعت أو الحال أو المضاف إليه... إلخ.

و التنغيم يظهر جليا في علم التجويد و أحكام التلاوة التي تنصب على القرآن الكريم، فهو كتاب الله سبحانه جاء في وصفه: " ... هو كلام الله المعجز، المتعبد بتلاوته، ... المقروء في السطور و المحفوظ في الصدور..."

تلك هي عناصر التحويل التي بنى عليها الدكتور خليل عمايرة منهجه، و هي التي تنقل الجملة من توليدية إلى تحويلية و بهذا يكون مفهوم التوليد و التحويل عنده مغايرا لمفهوم تشومسكي كما أشرنا إلى ذلك سلفا.

خاتمة:

إنّ الجملة القرآنية إبداع الباري - عزّ في علاه - وعاء البحث، جاءت قمة في الإعجاز البياني مؤلفة من كلمات و حروف ذات أصوات يستريح لتألفها السمع و الصوت و النطق، و يتكوّن من اجتماعها على الشكل الذي رتبت عليه، نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان ليتمّ إلا بالصورة التي جاءت عليها الآيات الكرّمات، و أيّ وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال و الإبداع القرآني * تركيبا و دلالة*.

و اللافت للانتباه في الجملة القرآنية هو تعدد أوجه إعرابها، فهي لا تستقر على وجه إعرابي واحد، و هذا التعدد هو في حدّ ذاته ضرب من ضروب الإعجاز البياني في القرآن الكريم و دليل على ثراء نصّه و خصوبة عطائه و تعدد إشعاعه... و هو من جهة أخرى ثراء في تعدد المعاني و أوجهه، استفاد منه الدرس اللغوي المعاصر و بوجه أخصّ **النحو التوليدي و التحويلي** الذي جاء على يد العالم اللغوي: **ناعوم تشومسكي**.

إنّ دراسة الجملة القرآنية بشقيها التركيبي و الدلالي و في ضوء علم اللغة الحديث هدفه: استقصاء المعنى القرآني و هو معجزة بيانية لا تزال قائمة إلى يوم الدين، و سرّ من أسرار الله الكامنة... و هو ما سعينا جهدنا، و بذلنا كل المسالك علنا نقف عند ساحله.

بقاء اللغة العربية حيّة الى يومنا هذا مدين دون شك للقرآن الكريم، فلولا لبادت هذه اللغة كما بادت اللغات الأثرية القديمة، و هي من اللغات العالميّة التي ظلّت محافظة على قواعدها اللغويّة القرآن الكريم، حيث دوّنت بها الثقافة الإسلاميّة و العربية و سائر العلوم و مختلف الآداب و الفنون...

إنّ صورة تركيب الجملة القرآنية، هو تركيب معقد و متعدد لا حصر له، استوعب كل عناصر التحويل التي ينظر لها المنهج التوليدي التحويلي و هي: الترتيب، الزيادة، الحذف، الحركة الإعرابية، التنغيم... ذلك أنّ الجملة القرآنية هي أصغر صورة لفظية للكلام المفيد التام المعجز.

و بهذا الزخم الذي بلغته الجملة القرآنية كانت جديرة بالبحث و التحليل و حرية بأن تدرك بنيتها و تعرف أسس تحليلها و تفهم مناهج تحليلها للوصول إلى درك دلالتها و مضامين معناها، و بما أنّ مبحثنا هذا مقيد بشروط البحث العلمي اعتمدت على إعطاء المثال لا الحصر، و في بعض الأحيان الإشارة و التلميح لا التصريح، و الخلاصة لا التفصيل و كان بإمكان كلّ موضوع مثار فيه أن يكون عنوانا لمبحث علمي آخر ..

إنّ بناء الجملة القرآنية - تركيبا و دلالة- فهي تمثل إعجازا في معناها و إعجازا في معناها..، فالشكل الخارجي للآيات لم يأت عبثا، و إنّما وضع لحكمة معينة، و للدلالة على فكرة خاصة، و قد يكون المعنى في الجملة واحدا، و لكن

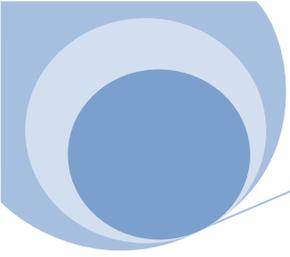
في التفصيل و نوع المخاطب به يختلف، لأنك لو نظرت إلى عجز كل آية مع صدرها لوجدت أن العجز مناسب لذلك الصدر تماما.

كما أن للإعراب دور هام في بيان مدلولات الجملة القرآنية، و كما قيل فإن الإعراب نصف المعنى، فمن خلال إعراب الجملة القرآنية تعرف هوية الآية و دلالاتها و أبعادها، نعم لا يطلب التفصيل إلا بقدر الوفاء بالدلالة و هو ما سعينا إبرازه في هذا المبحث العلمي.

مفتاح الرموز و الكلمات

ترتيب	عنوان موضوع الجملة القرآنية	الموقع الإعرابي الإعراب التفصيلي للجملة.	الجملة القرآنية	رقم الآية
01	تصحيح و الجملة الاسمية في مفهوم الإيمان محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء	في جواب الشرط+ ثم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم و قد بني على الفتح لتضمنه معنى الإشارة، و قيل: لتضمنه معنى الخطاب+ (وجه)المبتدأ مؤخر(مضاف)+ (الله) مضاف إليه	فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ	115

ترتيب	الرمز أو الكلمة	دلالتة
01	(GU)	النحو العالمي: <u>Grammaire Universelle</u>
02	(Paradigmatique)	استبدال
03	(Syntagmatique)	تركيب
04		تلازم
05		ترابط بين الكلمات
06		سهم يشير إلى اتجاه الكلمة
07		متضمن
08	Ne	عنصر توكيد
09	e	عنصر توكيد
10		خطوط رأسية للفصل بين القسمين الأساسيين
11		كلمة محذوفة من الجملة



تتضمّن	[12
البنية السطحية Surface structure	(S.S)	13
البنية العميقة Deep structure	(D.S)	14
مفعول به	(م ب)	15

قائمة الهوامش:

- 1-الفرقان:32.
- 2-أحمد بن ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة؛ تح/ محمد عبد السلام هارون، نوفمبر: 2010م، ج 1، ص 481.
- 3-الدكتور: علي أبو المكارم: مقومات الجملة العربية؛ ص20.
- 4-الدكتور: محمد محمد داود: الإعجاز التركيبي(الجملة القرآنية)
- 5-ندير حمدان: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، 1411هـ/1991م، السعودية، ص:188.
- 6-د/عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن - إربد - طبعة:1، 1425هـ/2004م، ص:17.
- 7- المبرد: أبو العباس: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت،(د ت)، ج1/17.
- 8- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلمية، مصر،(د ت) ج1/17.
- 9- أبو المكارم علي: أصول التفكير النحوي، ص:259-260، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة (2006).
- 10- حسان تمام: اللغة العربية معناها و مبناها، ص:32، ط 3 دار الثقافة المغرب (1985).
- 11-حسين محمد البطاينة: أسلوب التعجب في الدرس النحوي القديم بين المعنى النحوي و المعنى الدلالي، ص:26، الصفحة الإلكترونية للمجلة، مجلة جامعة الخليل للبحوث: المجلد (10) العدد (1)، 2015.
- 12- شتوف نسرين عبد الله: الجملة الوصفية (دراسة نحوية) مركز دراسة الكوفة، جامعة الكوفة 2007.
- 13-إبراهيم مصطفى: "إحياء النحو"، مطبعة لجنة التأليف و النشر، القاهرة، ط2، 1992م، ص:2.
- 14-تمام حسان: " اللغة العربية معناها و مبناها"، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 2001م، ص:194.
- 15-عبد السلام المسدي " اللسانيات و أسسها المعرفية"، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص:6.
- 16-إبراهيم أنيس: " من أسرار اللغة"، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1978م، ص:276-277.
- 17-مهدي المحزومي: " في النحو العربي نقد و توجيه"، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص:31.

18- المرجع السابق، ص: 31.

19- دي سويسر: " محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 28.

20- د/محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: دراسة في الدلالة الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية، دار النشر للجامعات، ط: 2 2011م القاهرة، ص: 123.

21- نفسه ص: 123.

22- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، محمود شاكر، مطبعة المدني 1991م ص: 4.

23- فصول "مجلة النقد الأدبي" عدد الأسلوبية م5 عدد1 سنة1984م م ص: 19 مقال مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية د/ نصر حامد أبوزيد. و الجاحظ: كتاب الحيوان، تح/عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط/1412هـ/1992م ج3/132، و محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، الأنجلو، ص: 39.

24- د/ عاطف فضل: (تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص: 68 و 69.

25- أ/د: أحمد حساني:(البنية التركيبية - في رحاب اللسانيات التوليدية و التحويلية - تجليات الحدائثة: يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها جامعة وهران، العدد الأول السنة الأولى 1992م، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، ص: 73.

26- طالب أمين زهر الدين : آليات الترابط في التركيب اللغوي سورة البقرة - أنموذجا-، مذكرة تخرج لنيل ماجستير في اللسانيات، كلية الآداب و اللغات و الفنون، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران. السنة الجامعية: 1432هـ/2012م.

27- د/ عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، ص: 84 عالم الكتب الحديث اربد الأردن 1435هـ - 2004م.

28- سورة الشعراء: 192 - 195.

29- سورة الفرقان: 1.

30- طالب أمين زهر الدين: (آليات الترابط في التركيب اللغوي) سورة البقرة - أنموذجا- مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات قسم اللغة العربية كلية الآداب و اللغات جامعة وهران تحت إشراف: أ/د صفية مطهري، السنة الجامعية: 1433هـ/2012م.

31- المصدر نفسه: 4.

32- آليات الترابط في التركيب اللغوي، ص: 4.

33- نفسه، ص: 5.

34- د/ خليل عمارة: في نحو اللغة و تراكيبيها، ص: 69، و المدير بالذكر أنّ فكرة الدكتور قد أثمرت و طبّقت على النحو العربي و آتت أكلها، فقد قام عدد من الباحثين و الطلبة بتطبيق نظريته على أبواب من النحو العربي، مستثمرين من خلالها أحدث ما توصل إليه الدرس اللغوي المعاصر في تحليل اللغة و بيان دلالتها...

35- الجملة التوليدية أو النواة أو المنتجة، هي: الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، و أيّ تغيير في الجملة النواة يحوّل الجملة إلى جملة تحويلية... وارتباطها بالمعنى الدلالي يكون بالصورة الذهنية الأولى للمعنى الذي يرمي إليه المتكلم أو يقصده، فيعبر عنها بجملة يمكن أن تدرج في أحد الأطر الرئيسة للجملة التوليدية... وتكون جملة خبرية بسيطة لا تركيز فيها على شيء، هدف المتكلم منها نقل خبر إلى السامع ليس إلا... ولا يقصد بالسطحية التركيب الظاهر أو الوجه المنطوق من الجملة، بل هو تعبير يقصد به قرب المعنى و عدم دخوله في التركيب الجملي الذي يشير إلى معنى محول من المعنى اليسير، أو إلى المعنى المركب....) نقلا من كتاب: في نحو اللغة و تراكيبها - منهج و تطبيق -، ص: 178-179.

36- المرجع السابق، ص: 87-88.

37- السابق، ص: 60.

38- يعدّ " تشومسكي " اشتهر و أحدث لغوي في العالم المعاصر، و هو مؤسس النظرية التوليدية التحويلية، القائمة على دراسة البنى و التراكيب اللغوية، و الكشف عن البنية السطحية (S.S)، و البنية العميقة (D.S)، هذه النظرية التي نشرها تشومسكي في كتابه " التراكيب النحوية "، تعد حاليا من أكثر النظريات اللغوية انتشارا في الجامعات الأمريكية و الأوروبية، جاءت أفكار " تشومسكي " في كتابه ثورة عنيفة على المدرسة السلوكية التي يمثلها " بلو مفيد و سكينر"، هذه المدرسة في أوساط العلماء السابقين في أمريكا و أوروبا. و من الأفكار التي طرحها في كتابه، حيث انصب اهتمامه بالجملة، فقد عدّها أهم وحدة لغوية، و اهتمامه بالمعنى و إعطائه دورا بارزا في استنباط القواعد اللغوية، و تفريقه بين النحو: (Syntax)، و القواعد (Grammar)، و أنّ القواعد اصطلاح شامل يضم النحو والصرف و النظام الصوتي، و مقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي يسمعها من قبل و فهمها و غيرها من الآراء التي جعلته يأخذ مركزا مرموقا بين دارسي علم اللغة المعاصر، و نظريته اللغوية و جدت مفصلة في العديد من كتبه منها: " نظرية النحو " تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، مدخل إلى الألسنية، النحو العربي و الدرس الحديث، نظرية تشومسكي اللغوية، قواعد تحويلية للغة العربية، جوانب من نظرية النحو.

39- تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، دراسة وصفية تحليلية، ص: 86.

40- الدكتور خليل عمارة: في نحو اللغة و تراكيبها منهج و تطبيق عالم المعرفة للنشر و التوزيع، ط/1: 1404هـ/1984م، ص: 101.

41- انظر السيوطي: المجمع: 1/111.

42- انظر: خليل عمارة: رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية الكويت، عدد 8.

43- سورة البقرة: 45.

44- انظر المجمع: 40/1، اللامات: للزجاجي: ص: 60.

45- V تعني عنصر توكيد.

46- في نحو اللغة و تراكيبيها: ص:103.

47-سورة البقرة:113.

48- في نحو اللغة العربية و تراكيبيها، ص:107.

49- نفسه، ص:107.

50-سورة البقرة:11.

51-سورة البقرة:246.

52-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: د/ محمد التنجي، ج:1، الطبعة الأولى/1955م، ص:83.

53-أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، 1376هـ/1957م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي، دار المعرفة بيروت لبنان، ج 233/3. و ما بعدها.

54-سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة:03، ج/1، ص:24.

55-الرضي الاسترأبادي، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تح/أ.د: يوسف حسن عمر، ج 93/1، 1395هـ/1975م، جامعة قار يونس - ليبيا.

56-سورة البقرة:2.

57-ابن الحاجب أبي عمرو محمد عبد الله: الإيضاح في شرح المفصل، تح/ إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، ط:1 ج1/101، 2014م.

58-موقع الدكتور: أحمد كلحي: موسوعة إعراب القرآن (إعراب سورة البقرة).

59- جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المكتبة التوفيقية، مصر، ج: 7/3.

60-د/ عبده علي إبراهيم الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص.:152.

61- دلائل الإعجاز، ص:411. :

62-سورة البقرة:20.

63-سورة البقرة.: 247.

64-سورة البقرة:246.

65-الحذف هو نقيض الزيادة، و هو النقص الذي يلحق الجملة النواة بصنفيها التوليدية الاسمية، أو التوليدية الفعلية على أن تظن الجملة تفيد معنى يحسن السكوت عليه حاملة لاسمها الذي كان لها قبل إجراء التحويل عليها بالحذف (النقص) و عند علماء النحو

التوليدي: هو عنصر من عناصر التحويل الذي يتم لغرض في المعنى بالجملة، و مثاله: من نجح في الامتحان؟ يجاب: [محمد]، فكلمة [محمد]، تحمل تحمل في سياقها معنى يحسن السكوت عليه = جملة تحويلية فعلية نواتها: نجح محمد. فهي جملة توليدية فعلية قصد فيها: الإيجاز بال حذف، و هو كثير في العربية فهو من خصائص البلاغة العربية: فترك الذكر أفصح من الذكر...

66-سورة البقرة:165

67- دلائل الإعجاز، ص:113.

68-أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، الهيئة المصرية للكتاب، ط/4، ج 360/2، نوفمبر:2010م.

69-مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعنى والإعجاز، دار الفكر، عمان، الأردن، ط . 1281، 283، وج278، 281، 276، 211، 2009 م، ص 15، : نقلا عن الجاحظ البيان والتبيين ج 1، ص21 :

70-الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ط.د.تا،ص: 84.

71-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، . د.ط.د.تا،ص: 11.

72-مرتضى على شرارة: مستويات التحليل الأسلوبي، عالم الكتب الحديث، ط1، ص: 111-112.

73-سورة البقرة:93.

74-سورة البقرة: 93.

75-ينظر: مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط.د.تا، ص: 57.

76-عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 112.

77-سورة البقرة :.20

78-سورة الأنبياء :17.

79-شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، ص:47-48.

80-الدكتور السعيد شنوكة: بنية الجملة العربية و أسس تحليلها في ضوء المنهج التوليدي التحويلي، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2010، ص:17.

81-د/ تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص:94، و ما بعدها.

82-المرجع السابق، ص:18.

83- الخصائص:35/1.

84- الإيضاح في علل النحو، ص:69، و ما بعدها.

85- السابق، ص:70.

86- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح/أحمد صقر، ص:41، دار إحياء الكتب العربية.

87- العلامة الإعرابية، ص:218.

88- دلائل الإعجاز، ص:75، تفصيل الحركة الإعرابية في العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص:109-400.

89- في نحو اللغة و تراكيبيها، ص:155.

90- السابق، ص:158.

91- د/تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص:164، ط2 دار الثقافة بيروت 1974.

92- في نحو اللغة و تراكيبيها، ص:34.

فهرس المصادر و المراجع:

أ- المصادر:

* القرآن الكريم.

* ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلمية، مصر،(د ت) ج1/17.

* أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح/أحمد صقر، ص:41، دار إحياء الكتب العربية.

* أحمد بن ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة؛ تح/ محمد عبد السلام هارون، نوفمبر: 2010م، ج1، ص481

* الجاحظ: كتاب الحيوان، تح/عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط/1412هـ/1992م ج3/132، و محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، الأنجلو،.

* رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (686هـ): شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب: تح/أ.د يوسف حسن عمر، 93/1، جامعة قار يونس - 1395هـ/1975م، ليبيا.

* المبرد: أبو العباس: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظمة، عالم الكتب، بيروت،(د ت)، ج1/17.

* عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، . د.ط،د.تا.

* عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، محمود شاكر، مطبعة المدني 1991م .

* شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1.

* سيبويه: الكتاب: تح/ عبد السلام محمد هارون، 24/1، مكتبة الخانجي، ط3، 2014م القاهرة.

* عبد الرحمان بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح الجوامع، ج1/111، المكتبة التوفيقية، عبد الحميد الهنداوي، 2010م مصر.

* عبد الرحمان بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت337هـ): اللامات، تح/ مازن المبارك، ط/2، 1405هـ/1985م، دار الفكر دمشق.

* أبو القاسم الزجاجي (ت337هـ): الإيضاح في علل النحو، تح/ د/ مازن المبارك، دار النفائس، ط/5 بيروت.

* أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط/1، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباجي الحلبي 1376هـ/1957م ج 3/233. بيروت لبنان.

ب- المراجع:

* إبراهيم أنيس: " من أسرار اللغة"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1978م، ص: من276-277.

* إبراهيم مصطفى: "إحياء النحو"، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط2، 1992م، ص:2.

* أبو المكارم علي: أصول التفكير النحوي، ص:259-260، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة (2006).

* تمام حسان: " اللغة العربية معناها و مبناها"، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 2001م، ص:194.

* د/تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص:164، ط2 دار الثقافة بيروت 1974.

* أ/د: أحمد حساني:(البنية التركيبية - في رحاب اللسانيات التوليدية و التحويلية - تجليات الحداثة: يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها جامعة وهران، العدد الأول السنة الأولى 1992م، ديوان المطبوعات الجامعية وهران.

* الدكتور خليل عمارة: في نحو اللغة و تراكيبها منهج و تطبيق عالم المعرفة للنشر و التوزيع، ط/1: 1404هـ/1984م.

* انظر: خليل عمارة: رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية الكويت، عدد8.

* دي سوسير: " محاضرات في الألسنية العامة".

* د/ عاطف فضل: (تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1435هـ/2004م..

* عبد السلام المسدي " اللسانيات و أسسها المعرفية"، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

* الدكتور: علي أبو المكارم: مقومات الجملة العربية، دار غريب للطباعة و النشر، موسوعة الجملة العربية، ط1، مجلد1، القاهرة: 2012م..

* شنوف نسرين عبد الله: الجملة الوصفية (دراسة نحوية) مركز دراسة الكوفة، جامعة الكوفة 2007.

* محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم و الحديث، دار غريب للطباعة و النشر، ط1، 2001م

* الدكتور: محمد محمد داود: الإعجاز التركيبي (الجملة القرآنية)

* د/محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: دراسة في الدلالة الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية، دار النشر للجامعات ط2 2011م القاهرة.

* مهد المخزومي: " في النحو العربي نقد و توجيه"، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.

* ندير حمدان: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، 1411هـ/1991م، السعودية،

* د/ عبده الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1986م بيروت.

* عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م.

* مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعنى والإعجاز، دار الفكر، عمان، الأردن، ط .

1281، 283، 278، 281، 276، 211، 2009 م، نقلا عن الجاحظ البيان والتبيين ج 1 .

* الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ط، د.تا.

* محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطابة المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1. 1991 م.

* ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دار قباء القاهرة ط1421 ، 1هـ 2000 -م

، ج-2192 .

* مرتضى على شرارة: مستويات التحليل الأسلوبي، عالم الكتب الحديث، 2014م، بيروت.

* مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.تا.

* الدكتور السعيد شنوقة: بنية الجملة العربية و أسس تحليلها في ضوء المنهج التوليدي التحليلي، عالم الكتب، ط1،

القاهرة، 2010م.

المجلات و الدوريات:

* فصول "مجلة النقد الأدبي" عدد الأسلوبية م5 عدد1 سنة1984م م ص:19 مقال مفهوم النظم عند عبد القاهر

الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية د/ نصر حامد أبوزيد. و

المواقع الإلكترونية:

* حسين محمد البطانية: أسلوب التعجب في الدرس النحوي القلم بين المعنى النحوي و المعنى الدلالي، ص:26، الصفحة

الإلكترونية للمجلة، مجلة جامعة الخليل للبحوث: المجلد (10) العدد (1)، 2015.

* موقع الدكتور: أحمد كلحي: موسوعة إعراب القرآن (إعراب سورة البقرة).

رسائل جامعية:

* طالب أمين زهر الدين: (آليات الترابط في التركيب اللغوي) سورة البقرة – أمودجا- مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات قسم اللغة العربية كلية الآداب و اللغات جامعة وهران تحت إشراف : أ/د صافية مطهري، السنة الجامعية: 1433هـ/2012م.

الحبيب السايح ناقدا

قراءة في كتابه (هذا المجاز... قراءات أدبية)

Habib Sayeh as a critic

A reading in his book « That metonymy ... Literal readings »

د. فايد محمد (المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر)

ملخص:

الحبيب السايح كاتب جزائري، كتب القصة القصيرة، ولكنه حاز شهرة أكبر بوصفه كاتباً روائياً، صدر له إلى الآن تسعة نصوص روائية. عرّضه نصّه الروائي الأول (زمن النمرود) لمشاكل، فكان صاحب أول نص روائي جزائري مكتوب باللغة العربية تصادفه السلطة في تاريخ الجزائر المستقلة، ومن خلال هذه الورقة البحثية نحاول تقديم السايح لا بوصفه كاتب قصة ورواية، ولكن بوصفه ناقداً، مع العلم أنه صرّح مرارا برفض هذا اللقب. ننطلق في رسم الوصف الجديد للسايح من كتابه (هذا المجاز... قراءات أدبية)، وهو كتاب نُشر سنة 2014 وجمع فيه جملة مقالات كان نشرها في جرائد ومجالات جزائرية وعربية، والحقّ إنّنا هنا لن نقدّم قراءة في كلّ ما تضمّنهُ الكتاب وهو يقع في (357 صفحة)، حيث سنركّز على القسمين الأول والثاني، وقد ضمّنهما السايح قراءات في الرواية والشعر. إنّنا ومن خلال هذا المسعى، نحاول أساساً وصف اشتغال السايح على النصوص التي اختارها، بهدف رصد عمله في القسمين، فالحديث عن الحبيب السايح الناقد هنا يقتصر على نقد الرواية والشعر، على أمل مناقشة صنيعه في القسم الثالث الذي أفردهُ للقصة القصيرة حيث قرأ (17 مجموعة قصصية) في بحث آخر بإذن الله. **الكلمات المفتاحية:** الحبيب السايح، النقد، نقد الرواية، نقد الشعر.

Abstract :

“Habib Sayeh” is an Algerian writer, who has written short stories, however he is known more as a novelist. He has published nine novels until now. His first novel, "The Time of Nimrod" has created him problems, as it was the first Algerian novelist text written in Arabic to be confiscated by the authorities in the Algerian history after the independence.

This paper attempts at presenting Sayeh not as a novelist or a story writer, but as a critic even he refuses this title absolutely. We start in establishing this new description of Sayeh from his book (This metonymy.. Literary readings), which was published in 2014 and in which he has collected a set of articles published previously in different Algerian and Arabic newspapers and magazines, Actually, we will not provide a reading

in the whole book(357 pages) but we focus on the first and the second parts, which Sayeh included readings in novel and poetry.

In this attempt, we mainly try to describe the writer work on the selected texts, in order to study his work in the two parts. Speaking about Habib Sayeh the critic within this framework is limited to the criticism of novel and poetry, hoping to discuss its work in the third part, which is allotted to the short story(he has read 17 stories) in another research,

Key words: Habib Sayeh, Criticism, criticism of the novel, criticism of poetry.

- كتاب (هذا المجاز...قراءات أدبية) بطاقة فنية:

صدر الكتاب سنة 2014، عن الشركة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ويقع في (357صفحة) من القطع المتوسط، صدره صاحبه بوصف عام يحدّد طبيعة الكتاب ومضمونه، يقول: "إنّها مجموعة قراءات في نصوص روائية ومسرحية وشعرية وقصصية ونقدية وفي كتب أخرى ومقالات رسم لوجوه كُتاب، أنجزت في الفترة ما بين 1994-2013، ونُشرت كلّها ورقيا في صحف ومجلاّت جزائرية وعربية، لا يحكمها ترتيب كرونولوجي ولا تخضع لاعتبارات الأولوية"¹، وقد ربّ السايح مادة الكتاب وفق ما ورد في هذا التصدير، مع الإشارة إلى بعض الصفحات التي سبقت أقسام الكتاب خصّصها السايح للحديث عن علاقته بأدرار والشيخ محمد بلكبير.

القسم الأوّل: وعنوانه (في الرّواية والمسرح) ويقع في الصفحات (18-99)

اشتغل فيه السايح على عشرين نصا روائيا، ونص مسرحي واحد، لأكثر من عشرين كاتباً.

القسم الثاني: وعنوانه (في الشعر)، يقع في الصفحات (100-156).

قرأ السايح في هذا القسم (10 مجموعات شعرية) لتسعة شعراء.

القسم الثالث: وعنوانه (في القصة)، يقع في الصفحات (157-235).

قرأ السايح في هذا القسم (17 مجموعة قصصية)، لأكثر من (10 كُتاب).

القسم الرابع: وعنوانه (وجوه)، يقع في الصفحات (236-308)

تحدّث فيه السايح عن أكثر من عشرين وجها ثقافيا

القسم الخامس: وعنوانه (قراءات أخرى)، يقع في الصفحات (309-351).

خصّصه السايح لمواضيع ثقافية فكرية.

-صاحب الكتاب... ترجمة مختصرة:

الحبيب السايح قاص وروائي جزائري من مواليد ولاية معسكر سنة 1950، نشأ ويقطن بسعيدة، خريج جامعة

وهران، اضطرته الظروف للاستقرار بأدرار جنوب الجزائر، ومرحلة استقراره تلك أنثرت كثيرا في كتاباته، ترجمت بعض

نصوصه إلى الفرنسية، وترجم هو عن الفرنسية بعض النصوص من بينها نص (شرف القبيلة) لرشيد ميموني، صدر له النصوص الآتية²:

- القرار، مجموعة قصصية، اتحاد، الكتاب العرب-سوريا، 1979. وصدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1985.
- الصعود نحو الأسفل، مجموعة قصصية، مؤسسة enap، الجزائر، ط1 1981، وصدرت الطبعة الثانية عن المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- زمن النمرود، رواية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- ذاك الحنين، رواية، cmm، الجزائر، 1997.
- البهية تتزيّن لجلادها، مجموعة قصصية، اتحاد الكتاب العرب-سوريا، 2000.
- تماسخت .. دم النسيان، رواية، دار القصة-الجزائر، 2002.
- الموت بالتقسيم، قصص، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003.
- تلك المحبة، رواية، منشورات anep، الجزائر، 2002.
- مذبذبون لون دهمهم في كفي، رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2008.
- زهوة، رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2011.
- الموت في وهران، رواية، دار العين للنشر-القاهرة، مصر، 2014.
- هذا المجاز.. قراءات أدبية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار-الجزائر، دط، 2014.
- كولينيل الزبربر، رواية، دار الساقى، 2015.
- أنا وحاييم، رواية، دار ميم-الجزائر ودار مسكلياني-تونس، 2018.

-نقد الرواية لدى الحبيب السايح:

خصّص السايح القسم الأول من كتابه للرواية والمسرح ولكنّه لم يشتغل سوى على نص مسرحي واحد عنوانه (حنظلة ثورة على جناح السلطنة) لصاحبه سعيد حمودي، في حين حازت الرواية مساحة أكبر في القسم الأول حيث قرأ 20 نصاً روائياً جعلها للكتاب الشباب من الجيل الجديد كما يسميهم السايح، نوردتها في الآتي بحسب ترتيبها لديه:

- (شرف القبيلة) لرشيد ميموني.
- التراس (ملحمة الفارس الذي اختفى) لكمال قورور.
- (نورس باشا) لهاجر قويدري.
- (معركة الزقاق) لرشيد بوجدره.
- (أقصى الأشياء) لخليل حشلاف.

- (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم.
- (خطوة في الجسد) لحسين علام.
- (السماء الثامنة) لأمين الزاوي.
- (سرادق الحلم والفجيرة) لعز الدين جلاوجي.
- (نخلة الوجع) لخيري بلخير.
- (أعوذ بالله) للسعيد بوطاجين.
- (قليل من العيب يكفي) لزهرة الديك.
- (أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري.
- (بختة) لسهام دويفي.
- (بلقيس) لعلاوة كوسة.
- (عطر الدهشة) لابن الربيع محمد الأمين.
- (جبال الحناء.. منابع المسك) لعبد القادر برغوث.
- (فصوص التيه) لعبد الوهاب بن منصور.
- (الفجوة) لحفناوي زاغر.
- (رصاصه واحدة لا تكفي) لعبد القادر بوضرية.

ويمكن لأي مهتم بالأدب الجزائري توزيع المادة التي اشتغل عليها السايح شكلا وفق الآتي:

من حيث بيولوجية الناص نلاحظ أنّ السايح قرأ 04 نصوص نسائية من جملة النصوص المشتغل عليها في القسم الأول، ومن حيث الجنس الأدبي فالغلبة للرواية لعشرين نصا مقابل نص مسرحي واحد سبق ذكره، أما من حيث الجيل، فإنّ السايح أفرد مساحة أوسع لنصوص كتّابها من شباب الجيل الجديد واقتصر على نصين من الجيل السابق أحدهما لرشيد بوجدرّة والآخر لحفناوي زاغر، وإذا جئنا إلى اللّغة أمكننا القول إنّ جل النصوص كتبت أصلا بالعربية، واكتفى بنصين كتبا في الأصل بالفرنسية لرشيد بوجدرّة ورشيد ميموني.

قسّمنا جهد السايح النقدي في القسم الأول من كتابه مسارات أربع (التعريف والإشادة، نقد الشكل-التجنيس، نقد اللّغة، التصنيف، وهذا الأخير يتفرّع عنه: تصنيف الناص وتصنيف النص) دون نفي إمكانية وجود مسارات أخرى.

أ- المسار الأول (التعريف والإشادة):

نسبة كبيرة من قراءات السايح الأدبية في كتابه (هذا المحاز) نُشر ضمن الجرائد، ففي القسم الأول مثلا جلّ تلك القراءات يقع في ثلاث صفحات، ما يعني أنّها من حيث الحجم ليست اشتغالا نقديًا مؤسسًا، يُعنى بمجمل محمولات

النص، وعليه فإنّ أبرز نَفَسٍ يستنتجه المطلّع على تلك القراءات أنّها مقالات صحفية تهدف أساسا إلى التعريف بنصوص أدبية جزائرية، وهذا صنيع غاية في الأهمية في ظل قلة الروافد المعرفّة بهذا الأدب، وغالبا ما يختّم السياح قراءاته التعريفية تلك بالإشادة والتنويه، تشجيعا لصاحب النص، خاصة إذا علمنا أنّ جلّ النصوص التي تناولها السياح في القسمين - وفي الكتاب إجمالا - نصوص أصحابها ينتمون إلى الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد على حدّ تعبير السياح.

قدّم السياح قراءات في نصوص هي الباكورة لدى أصحابها، نذكر مثلا (نخلة الوجع) لخيري بلخير، و(أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري، و(بختة) لسهام دويقي، و(عطر الدهشة) لمحمد الأمين بن الربيع، و(جبال الحناء.. منابع المسك) لعبد القادر برغوث، و(أقصى الأشياء) لخليل حشلاف، ورغم ملاحظات عديدة صارمة يوجّهها السياح لأصحاب النصوص، إلاّ أنّه عادة ما يختتم قراءته النص بالتنويه بالجهد المبذول، والإشادة بالموهبة، والدعوة إلى الاستمرار، وهو من خلال اختيار النصوص يبدو مهتمّا بالتعريف بالأسماء والنصوص الجديدة خدمة للأدب الجزائري.

يقول السياح في ختام حديثه عن نص (التّراس.. ملحمة الفارس الذي احتفى) لكمال قورور: "إنّ كمال قورور في (التراس) قد قدّم إضافة للمتن الحكائي الجزائري، من خلال تجربة تبدو متحرّرة من قيد الإنشاء، بمعناه القصصي والروائي، مأسورة باستعارة الخرافة في بُعدها التربويّ والأخلاقي"³، وبالنبذة الإيجابية نفسها يعلّق على نص (نورس باشا) للإعلامية والأكاديمية هاجر قويدري، التي حسب بروايتها تلك "تأخذ لها موقعا في دائرة السرد الجزائري المعاصر"⁴، ويُشيد السياح بصنيع خليل حشلاف صاحب نص (أقصى الأشياء) فيقول: "تحليل حشلاف واحد من الكُتّاب الجزائريين الشباب المهمومين بسؤال الكتابة السردية، همّ لا بد أن يوصله في تجربته القادمة إلى تجاوز مطبات البدايات، لأنّه يكشف عن قدرات إبداعية ستؤكّدها الأيام"⁵، وفي السياق ذاته يشيد السياح بقدرات الكاتب (صاحب النصوص الكثيرة) عز الدين جلاوحي، يقول الحبيب السياح بعد قراءته نصّه (سرادق الحلم والفيجعة): "عز الدين جلاوحي مثل جيله من الكُتّاب الجيّدين والطموحين، يملك الوسيلة التعبيرية باقتدار، وهذا شرط أساس لاختزال الجهد والتردد في الإنشاء، ولتشكيل مستويات السرد بحسب ما تقتضيه المقامات"⁶، ثمّ إنّ السياح في خضم خطاب الإشادة هذا، يتوقّع في ختام قراءة أكثر من نص ميلاد كاتب جديد، مثل خيري بلخير "ثمّ إنّّه لا بد من القول أخيرا إنّ خيري بلخير القادم من مدينة العين الصفراء ولاية النعامة، كتب (نخلة الوجع) بشجاعة أدبية قلّ أن قرأت مثلها لدى أمثاله في عمر التجربة، ذلك يعني تفاعلا مشروعا بميلاد كاتب آخر ينضاف إلى سجل كُتّاب الجزائر الكبيرة بصدرها"⁷، وفي تضاعيف خطاب الإشادة الذي أشرنا إلى بعض نماذجه، يبرز المسعى التعريفي الذي يدعو إليه السياح ويمارسه.

يتلمّس قارئ كتاب (هذا الجاز) للحبيب السياح، وهو كتاب جمع فيه قراءاته الأدبية على مدى عشرين سنة (2014/1993) النزعة التعريفية، بسهولة ويُسر، لأنّه وضمن عديد الصفحات يُعرّف بنصوص الأدب الجزائري، ويدعو إلى الاشتغال عليها، والتعريف بأصحابها، فيخاطب رجال الصحافة وأساتذة الجامعات وطلبة معاهد وكليات الآداب ليطالبهم بالاضطلاع بدورهم في ترقية الاهتمام بالنص الأدبي الجزائري، وهو مثلا يفتتح اشتغاله على نص (عتبات المتاهة)

لأحمد عبد الكريم بقوله: "أتاحت لي قراءة نص (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم أن أعتبر الاطلاع على ما يكتبه الشباب في الرواية خاصة أمراً حيويًا وضروريًا، يضطلع بشأن رصد تراكمه المبعثر الصحافيون المختصون، ومجالس معاهد الآداب العلمية، من خلال توجيه الطلبة الباحثين إلى الميدان"⁸، وهو ما لا مناص من القيام به للتعريف بعشرات الإصدارات غير المعروفة للأسف لدى أهل الاختصاص فما بالنا بالقارئ العادي، خاصة في ظل صعوبات نشر وتوزيع الكتاب الأدبي على وجه الخصوص.

ب- المسار الثاني (نقد الشكل):

يُصدر الحبيب السايح في ثنايا قراءاته بعض الأحكام النقدية، والإشارات المتعلقة أساسًا بالشكل، فهو يستغرب أحيانًا إصرار بعض الكتاب تجنيس كتاباتهم بالمؤثر الشائع (رواية)، كما ينتقد قلة احترافية دور النشر التي لا تُعبر الأمر أهمية، ولا تُعنى حتى بمسألة التدقيق اللغوي للنصوص، الأمر الذي يمكننا من القول إن السايح رغم قصر المساحة المخصصة لكل نص أبدى اهتمامًا بأجناسية النصوص ما ينم عن مقدرة نقدية لا يُنكرها من يعرف السايح بوصفه روائيًا مقتدرًا، وهو إلى ذلك قارئ متابع للحراك الأدبي والثقافي والنقدي في الجزائر والوطن العربي.

ينطلق السايح لحظة الحديث عن أجناسية النصوص لا محالة من فهم جيد لآليات الكتابة السردية، فهو في الساحة الأدبية منذ ما لا يقل عن أربعين سنة، يتتبع السايح أحيانًا التقاطعات الأجناسية في بعض النصوص فيقول لحظة اشتغاله على نص (شرف القبيلة) لرشيد ميموني، إنه "يتقاطع ليس فقط مع بنية ألف ليلة وليلة، ولكن أيضًا مع تقنيات مسرح الحلقة وتوظيف الحكواتي (القول) عند كاكي وعلولة حصرا"⁹، في إشارة إلى علمين لهما ثقلهما في تاريخ المسرح الجزائري (ولد عبد الرحمن كاكي، وعبد القادر علولة).

ولحظة التعليق على نص (التراس) لكمال قرور، يعتبره أقصر نص قرأه يحمل المؤثر الأجناسي (رواية)، "وأنا أقرأ بانتظار متجدد عبر كل صفحة، نصّ كمال قرور الأشدّ قصرًا (68 صفحة) مما قرأته من النصوص المنسوبة إلى جنس الرواية عند الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد"¹⁰، ليقدم إشارة أجناسية أخرى يؤكد من خلالها أن هذا النص جعله يزداد "ولوجا في جوّ الحكاية الخرافية"¹¹، ما أدى به إلى تقرير الآتي عن نص (التراس) فهو لديه "حكاية خرافية استعارت لها اسم رواية"¹²، ولا يخفي هذا النزعة التصنيفية لدى السايح من خلال اهتمامه بالانتساب الأجناسي للنصوص، وهو اهتمام بالشكل الروائي وتفريعاته.

أما عن نص (خطوة في الجسد) لحسين علام، فيرى السايح أن صاحبه جرب الكتابة المسرحية، وأسلوب السيرة الذاتية، واليوميات والتراسل في نصّه¹³، ويصريح السايح أنه أحيانًا يختار في وصف أو تقرير أجناسية نص ما "وللحقيقة فإني بدرجة ما احترت في توصيف نص (سرادق الحلم والفتنة) بمعياري يعيده إلى نوع من أنواع الجنس الروائي، بالرغم من أن ذلك ليس من اختصاصي، بدرجة ما ألححت على نفسي أن أنظر إليه من زاوية التحريب"¹⁴، ويتساءل السايح أحيانًا عن دوافع نسبة النصوص إلى الرواية، وهو يعتقد أنه أمر مشترك لدى الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد، ففي تقديمه نص

أعشاب القلب ليست سوداء) لنعيمة معمري يقول: "وكنت وأنا أنهى النص تساءلت عمّا خالج نعيمة معمري، مثل غيرها من الكتّاب الشباب، لما قرّرت نهائياً أن تنسب نصّها إلى جنس الرواية ثمّ تُقدّمه مخطوطة إلى دار النشر؟"¹⁵، والحق إنّنا في بحث سابق وصلنا إلى نتيجة فحواها أنّ السواد الأعظم من النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالعربية في الفترة بين (2010/1990) تتقاطع في استعمال مؤشّر أجناسي واحد هو (رواية) فالرواية الجزائرية "ظلّت مرتبطة في أغلب نصوصها بالتعيين الأجناسي الرئيس ... هو تسمية الجنس الأدبي (رواية)"¹⁶.

ج-المسار الثالث (نقد اللّغة):

ينقسم تعليق السايح على اللّغة في النصوص التي ناقشها في القسم الأوّل من كتابه إلى شقين، شقّ عامّ يصف فيه بعض الكتل اللّغوية الزائدة بالنهايات السردية التي كان من الأحسن لصاحب النص لو أسقطها كليّة، ويدعو أحيانا على إعادة طبع النصوص بعد التخلّص من تلك الكتل الزائدة، وشقّ يتعلّق بأخطاء النحو والصرف وما شابه، يقول عن نص (رصاصه واحدة لا تكفي) لعبد القادر بوضربة، إنّ طبعة جديدة "بعد إعادة التصنيف والتدقيق اللّغوي، وتركيب الجمل خاصة، وتجنّب شرح الهامش...والانتباه إلى بعض الاختلالات في البنية السردية وبعض المبالغات وتجنّب الظاهرة التكرارية وشذّب عبارات الحشو، والتي كلّها من نهايات السرد المشوّشة على فعل القراءة، سنؤكّد أنّ عبد القادر بوضربة يبين عن موهبة قادمة"¹⁷.

ولحظة اشتغاله على نص (جبال الحناء..منايع المسك)لعبد القادر برغوث يعيب عليه "بعض التراخي في الضبط النحوي"¹⁸، ويتعامل السايح بشدّة عندما تكثر الأخطاء اللّغوية، فنص (بختة) لسهام دويني مثلاً "لا يملك ما يشدّ إليه قارئه للارتباك الكبير الذي يطال لغته: نحو وصرفاً وإملاءً وتركيباً، وهي مطبات لكثرتها إضافة إلى الشروح التعليمية ونهايات أخرى كثيرة، تُحدّث تشويشاً يُبطل القراءة"¹⁹، والحقيقة إنّ لا تشدّد في ذلك فالنص الأدبي جماليّ بالفطرة التي لا تقبل أن تطال النص أخطاء نحوية وصرفية.

د-المسار الرابع (التصنيف):

إنّ قراءة النص الأدبي تؤدّي لا محالة إلى محاولة تصنيفه، وأحيانا تنطلق تلك القراءة من تصنيف قبلي له أو لصاحبه، ويلاحظ متصفح كتاب (هذا المجاز) لصاحبه الحبيب السايح انه يصدوا حيانا عن نزعة تصنيفية تبرز من العناوين التي صدر بها السايح قراءته لكل نص، نذكر مثلاً العناوين الآتية:

- التراس لكمال قرور معوم في نحر الحكاية الخرافية.
 - جنوح الكتابة نحو السيرة الذاتية في معركة الزقاق لرشيد بوجدرّة.
 - روايات قصيرة (بختة، بلقيس، عطر الدهشة).
- وقد لاحظنا بعد تفحص عمل السايح في القسم الأوّل من كتابه أنّه في بعض المحطات يُصنّف الناص، وفي أخرى يصنّف النص.

1- تصنيف الناص:

يُصنّف السايح الكاتب أحيانا بالنظر إلى الجيل الذي ينتمي إليه، يقول عن رشيد ميموني، إنه "أحد أبرز كُتّاب الجيل المفرنس الثاني مثله مثل الطاهر جاووت، من حيث الإضافة النوعية لما أسّسه كاتب ياسين ومحمد ذيب خاصة"²⁰، وأحيانا يعتمد السايح معيار الجهة الجغرافية، فهو يقول بخصيصة معيّنة لمسها في نصوص جلاوجي والخير شوار وعبد الرزاق بوكبة، وكلّهم من الشرق الجزائري²¹.

ويصنّف كمال قورور، وهاجر قويدري، واحمد عبد الكريم، وحسين علام، وعز الدين جلاوجي، ونعيمة معمري، وعبد القادر برغوث، وعبد القادر بوضرية، ضمن الكُتّاب الشباب من الجيل الجديد.

2- تصنيف النص:

يُصنّف السايح النصوص عيّنة كتابه، في ثنايا اشتغاله عليها، ويورد التصنيف في العنوان الذي يُصدّر به التحليل، ومن التصنيفات الواردة في القسم الأول من كتابه:

- يُفضّل السايح استنادا إلى معطيات نصيّة أن يصنّف نصّ (التراس) لكمال قورور في خانة (خرافة) لا (رواية)، فهو يزعم "أنّ كمال قورور إنّما يكون من خلال قصده كتابة رواية، قد أنشأ من غير قصد حكاية خرافية، ببعض المعايير الأساسية لذلك الجنس الأدبي المتفرّع عن الملحمة"²².
- وفي إشارة تصنيفية أخرى، تضمّن العنوان الذي صدّر به قراءته نصّ (معركة الزقاق) لرشيد بوجدرّة، ما دلّته أنّ هذا النصّ يجنح نحو الكتابة السيرداتية²³.
- ويضع السايح نصّ (عتبات المتاهة) لأحمد عبد الكريم ضمن خانة تواتر ذكرها في الدراسات النقدية الجزائرية المهتمّة بالنتاجات الأدبية الصادرة إبان تسعينات القرن الماضي، نقصد الأدب الاستعجالي²⁴.
- ويدرج نصّ (سرادق الحلم والفجعية) لجلاوجي ضمن خانة (رواية التجريب)²⁵.
- أمّا نصّ (نخلة الوجع) لخيري بلخير فصنّفه بأنّه (رواية تسجيلية)²⁶.
- ونجد أن السايح أعمل تصنيفا شكليا عندما وصف نصوص (بختة، وبلقيس، وعطر الدهشة) بأنها روايات قصيرة، ثمّ صرّح أنّه يرفض هذا التصنيف "ما دامت الرواية هي الرواية لا شيء فيها قصير أو طويل"²⁷. وهذا رأيه الشخصي في حين أنّ التصنيف وفق معيار الحجم موجود ومعمول به، تتضمنه الدراسات النقدية، ومعاجم مصطلحات الأدب والنقد²⁸.

- نقد الشعر لدى الحبيب السايح:

خصّص السايح القسم الثاني من كتابه للشعر، واشتغل فيه على مدوّنات أقلّ من تلك التي عاجلها في القسم الأول، ولكنها مثل نماذج القسم الأول، متنوّعة من حيث الجيل الذي ينتسب إليه صاحب كلّ مدوّنة، ومن حيث

العمر الإبداعي، ومن حيث الجغرافية واللغة والنمط الشعري أيضا، ونورد في الآتي تلك النماذج مرتبة كما وردت لديه:

- (كيف الحال) لربيعة جلطي.
- (مقام البوح) لعبد الله العشي.
- (رياحوليا) لعبد القادر اعبيد.
- (إكراما للتائه) لمحمد سحابة.
- (أغرق فيك) لسعيد حمودي.
- (توشيح الذاكرة) لمخدوب العيد.
- (رقصة الحمأ المسنون) لعبد الكريم بنينة.
- (فاعل الخبر) لرمزي نايلي.
- (أنا يا أنت) لمحمد الأمين سعدي.
- (ماء لهذا القلق الرملي) لمحمد الأمين سعدي.

قسمنا نقد الشعر لدى الحبيب السايح ثلاثة مسارات تتداخل أحيانا، ويتفرع عنها ما يشبهها، وتلك المسارات هي (التعريف والإشادة والإطراء)، و(النقد والتوجيه)، و(إيراد النماذج والتعليق عليها).

أ- المسار الأول (التعريف والإشادة والإطراء):

من الملاحظات العامة التي يستطيع قارئ كتاب السايح استنتاجها بسهولة، النزعة التعريفية لأنه يعلن في كل محطة نيته التعريف بالأدب الجزائري كتابا وكتابات، غير أن ما يلفت الانتباه أن السايح يتناول كتابات الأسماء المكرسة وجلهم من أصدقائه بالكثير من الاحتفاء والإطراء والتوسّع في التحليل مثل نتاجات (جلطي، وبوطاجين، وينينة، والعشي) في الرواية والشعر والقصة القصيرة على السواء.

يخضّر التعريف (الترجمة الشخصية للشاعر وتقديم عمله) في افتتاحيات اشتغاله على المجموعات الشعرية كلّها في شكل إشارات، وجدير بالذكر أن تلك الإشارات رغم قصرها مهمة جدا، لأنّ المعلومات الخاصة بالأدباء والشعراء في الجزائر ونتاجاتهم جدّ قليلة، على أنّ خطاب الإشادة يكاد يقتصر هنا على الشعراء الجدد (عبد القادر اعبيد) و(مخدوب العيد)، و(رمزي نايلي)، و(محمد الأمين سعدي)، وغالبا ما يتضمن هذا الخطاب توجيهات وتصويبات نشير إلى بعضها في المسار الثاني، أمّا الإطراء فخصّ به السايح الشعراء الأصدقاء، وهم في هذا الكتاب من الأسماء المكرسة، خاصة ربيعة جلطي وعبد الله العشي، دون فهم أنّ ذلك مهادنة من السايح أو انخياز لهم، وقد حاز نتاج عبد الكريم بنينة وهو صديق السايح (سنوات أدرار وما بعدها) إشادة وإطراء.

ب-المسار الثاني (النقد والتوجيه):

يوجّه السايح بعض الملاحظات النقدية أثناء اشتغاله على المدونات الإبداعية للكتاب الشباب من الجيل الجديد على حدّ تعبيره، وغالبا ما يُذيل تلك الملاحظات بتوجيهات يدعوهم من خلالها إلى تجنّب بعض الأمور في تجاربهم اللاحقة، ورد مثلا في الصفحات التي خصّصها للمجموعة الشعرية (أنا يا أنت) للشاعر محمد الأمين سعدي، قوله: "غير أنّه لا بدّ لي من أن أتنبأ أنّ محمد الأمين سعدي سيُحارب في نصوصه القادمة غواية نصوصه السابقة، بأن يطرد منها صورها ومُجملها وتكرارات قوافيها وحروف رويّها، لتكون جديدة مختلفة، ذلك يعني قراءة كثيرة وتأمّلا كبيرا في مشهد الشعر"²⁹. ثمّ إنّّه يوجّه الشاعر إلى توظيف السرد في الشعر "وللطاقة الكامنة، التي أتصوّر محمد الأمين سعدي يتوافر عليها، فإنّي أرى أنّه قد يتوصّل في خلال تجاربه اللاحقة إلى قناعة أنّ النصّ الشعري العمودي منه والحر، يُحقّق المتعة واللذة معا حين ينسج على حكاية، على قصة، على سرد، لأنّي أعتبر ذلك محدّدا أساسيا لموضوع النص"³⁰، وعن مجموعة (فاعل الحبر) لرمزي نايلي يقول إنّ لغتها سليمة جدا في حدودها المعجمية والتركيبية والبنائية "لولا بعض ما كان لا بدّ أن يخضع للتدقيق في الحدّ الإملائي"³¹.

ج-المسار الثالث (إيراد النماذج والتعليق عليها):

هذا النمط من العمل لا يتعلّق فقط بالقسم الثّاني من كتاب السايح، بل يحضّر في القسمين الأوّل الذي أفردّه للرواية والمسرح والثّالث وقد عُني فيه بالقصة القصيرة أيضا، ولكنّ النماذج الشعرية موظفة بكثرة في القسم الخاص بالشعر وتُظهر الطابع التعريفي للعمل النقدي لدى السايح كما تبرز خطاب الإشادة والإطراء لأنّه يتخيّر مقاطع تُعجبه³².

خاتمة:

تبيّن لنا بعد قراءة كتاب السايح (هذا المجاز)، أهمية العمل الذي قام به صاحبه، خاص في الشق المتعلّق بالتعريف بالنتاجات الأدبية الجزائرية، فهو اشتغل في القسمين الأوّل والثّاني على:

- 20 نصا روائيا.

- نص مسرحي واحد.

- 10 مجموعات شعرية.

عرّف بها، ومن خلالها عرّف بأكثر 25 مبدعا جزائريا، لا يعرفهم إلا قليل، باستثناء بعض الأسماء القليلة المكرسة، مثل ربيعة جلطي ورشيد بوجدرّة والسعيد بوطاجين...، ما يرفع من القيمة المعرفية والتاريخية لمنجز السايح.

مكّننا اشتغالنا هذا من الوقوف على مسارات سلكها العمل النقدي للحبيب السايح (التعريف، النقد والتوجيه، التصنيف...)، والملاحظات التي تضمّنها الكتاب عيّنة هذه الورقة البحثية جديرة بالقراءة والاهتمام والأخذ بما فهي صادرة عن قارئ محترف يتذوّق الإبداع ويتابع النتاجات من حيث تراكمها الكمي والنوعي.

ولا بد من القول في نهاية هذا البحث إنّ السايح ليس ناقدا متخصصا - وهو أصلا يرفض أن يحمل هذه الصفة- وبالتالي معظم آرائه النقدية لا تعدو أن تكون مجرد انطباعات نقدية شخصية لغوية ومضمونية تفتقد إلى الرؤية المنهجية المؤسسة والموجهة للعمل الإبداعي فأغلب ما أشرنا إليه نُشر في أعمدة أفردتها بعض الجرائد للحبيب السايح، فهي بحكم ذلك مختصرة. ولا حظنا أيضا أن السايح تسيطر عليه الانتقائية من خلال النصوص التي تخيرها.

إحالات البحث:

- 1- الحبيب السايح، هذا المجاز.. قراءات أدبية، الشركة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار-الجزائر، دط، 2014، الصفحة الثالثة بعد الغلاف الرئيس.
- 2- ينظر: كتابه ذاك الحنين، دار الحكمة-الجزائر، دت، ص151. وكتابه تلك المحبة، دار الريحانة للكتاب-الجزائر، 2007، ص 307، والنصوص التي لم يرد ذكرها في الكتابين نملكها.
- 3- الحبيب السايح، هذا المجاز.. قراءات أدبية، ص23.
- 4- نفسه، ص27.
- 5- ن، ص 37.
- 6- ن، ص 55.
- 7- ن، ص 59.
- 8- ن، ص 39.
- 9- ن، ص 19.
- 10- ن، ص 21.
- 11- ن، ص ن.
- 12- ن، ص 22.
- 13- ينظر نفسه، ص 45.
- 14- ن، ص 55.
- 15- ن، ص 69.
- 16- فايد محمد، الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة البلاغة والنقد الأدبي-المغرب، العدد 12، خريف 2018، ص 61/60.
- 17- الحبيب السايح، المصدر نفسه، ص 95.
- 18- ن، ص 79.
- 19- ن، ص 74.

20- ن، ص 19.

21- ينظر: ن، ص 53.

22- ن، ص 21.

23- ينظر: ن، ص 29.

24- ينظر: ن، ص 40.

25- ينظر: ن، ص 55.

26- ينظر: ن، ص 57.

27- ن، ص 73.

28- يراجع تمثيلا لا حصرا: إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، د ط، 1986، ص ص 186/176. ومجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي-تونس، ط1، 2010، ص ص 229/207.

29- الحبيب السايح، المصدر السابق، ص 151.

30- ن، ص ن.

31- ن، ص 145.

32- ينظر: ن، ص ص 156/103.

بين اللسانيات المعرفية ولسانيات التوليدية التحويلية

دراسة مقارنة

Between cognitive linguistics and transformational generative Linguistics study in the fundamentals and concepts

د. دقي جللول (جامعة المسيلة-الجزائر)

ملخص:

شهد المسار المعرفي للفكر اللساني الحديث ثورات فكرية عديدة، بعد تلك التي أحدثها دي سوسير لعل أبرزها تلك التي جاء بها تشومسكي، والمتمثلة في النظرية التوليدية التحويلية، والتي أحدثت بها ثورة في خريطة الفكر اللغوي، بداية من النصف الثاني من القرن الماضي، وهذا بعد تقويضها لعدد من الدعائم التي قام عليها علم اللغة الحديث، وأقامت صرح جديد يختلف كلية في أصوله ومبادئه بداية من طبيعة اللغة.

لكن ومع مطلع ثمانينات القرن الماضي، ظهر تيار يهتم بمختلف المعارف التي تؤطر الذهن البشري، والتي يمكن إدراكها عن طريق الجهاز اللغوي، جاء كمقابل للنحو التوليدي التحويلي الذي وضعه تشومسكي.
الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعرفية، التوليدية التحويلية، النحو الإدراكي، بنية اللغة.

The cognitive path testified to the modern intellectual revolutions of tongue thought, after those created by de Saussure perhaps those that Chomsky, generative theory, that the latest revolution in linguistique thought map, starting from the second half of the last century, and this after undermine number Of the pillars of modern Linguistics, and established a new architecture differs completely in its origins and its beginning from the nature of language

But with the early 1980s, a stream framed by knowledge different cares the human mind, which can be recognized byLinguistic device, as opposed to as transfer developed by obstetric Chomsky.

Keywords: cognitive linguistics, manufacturing obstetric, cognitive grammar, language structure.

- موضوع البحث -

شهد المسار المعرفي للفكر اللساني الحديث ثورات فكرية عديدة ، بعد تلك التي أحدثها دي سوسير لعل أبرزها تلك التي جاء بها تشومسكي ، والمتمثلة في النظرية التوليدية التحويلية ، والتي أحدثت بها ثورة في خريطة الفكر اللغوي، بداية

من النصف الثاني من القرن الماضي، وهذا بعد تقويضها لعدد من الدعائم التي قام عليها علم اللغة الحديث، وأقامت صرح جديد يختلف كلية في أصوله ومبادئه بداية من طبيعة اللغة.

لكن ومع مطلع ثمانينات القرن الماضي ظهر تيار يهتم بمختلف المعارف التي تُوَظَرُ الذهن البشري، والتي يمكن إدراكها عن طريق الجهاز اللغوي، جاء كمقابل للنحو التوليدي التحويلي الذي وضعه تشومسكي.

من هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة الموسومة: ب : بين اللسانيات المعرفية ولسانيات التوليدية التحويلية - دراسة مقارنة - أن نقدم مقارنة جديدة لكل منهما، واستخلاص الحدود الفاصلة بين لسانيات النظرية التوليدية التحويلية ولسانيات المعرفية، ومناقشة المرتكزات والأسس التي قامت عليها كل نظرية، وتقييم موازنة بينهما لمعرفة حدود كل منها.

وبغية توضيح الأمور جاء اختيارنا لهذا الموضوع بغرض الحديث عن ماضي اللسانيات المعرفية وتاريخها. والتركيز من جهة على الرواد الذين يُعترف بريادتهم لهذا الاتجاه، من خلال الوقوف على الجذور التاريخية البعيدة لهذا الحقل المعرفي الجديد، والأعمال والأفكار الرائدة التي شكّلت تاريخ حقل اللسانيات المعرفية وكذا سياقات ظهورها، وأشهر التوجهات المنضوية تحت لوائها.

يشير المقال أيضا عن أهم الأفكار المحورية والتي تكتسي أهمية خاصة بالنسبة إلى اللسانيات المعرفية كما هو الحال في قضية: المشترك الدلالي، والاستعارة، وكشف عن أهم التحليلات التي وقف عليها أشهر اللسانيين.

لعل من أهم الإشكالات الكبرى التي تناقشها اللسانيات المعرفية، تلك التي تتعلق بالهندسة البنوية، والوظيفية للمعارف اللسانية المكونة للملكة اللغوية. وهي إشكالات تحيل على انشغالات الذكاء الإنساني اللامحدود، وتبرهن على ارتباط اللسانيات بالأنماط المعرفية الأخرى، التي تشتغل على اللغة مثل علم النفس، وعلم الأعصاب، والذكاء الاصطناعي. وتبرهن على طبيعة النموذج الأبيستمولوجي الذي تشترك فيه مع باقي العلوم.

كل هذا نحاول الوقوف عليه وفق مناهج متعددة، تجمع بين المنهج التاريخي حينما نُؤرِّخ لبعض الظواهر والقضايا اللسانية، وبين منهج وصفي تحليلي يستعين بعدد من الآليات والإجراءات المنهجية، كالاستقراء، والاستنباط، والاستدلال، فضلا عن بعض الأدوات المنهجية العامة كالوصف والمقارنة، وغيرها من إجراءات مختلفة من شأنها اختبار فرضية البحث الرئيسية، معتمدين على بعض المراجع اللسانية جمعت بين المراجع العربية والمراجع الأجنبية.

أولا: اللسانيات المعرفية الماهية والنشأة

تعد اللسانيات المعرفية من المصطلحات الجديدة في الدرس اللغوي الحديث، جاءت ضمن موجة الجيل الرابع من اللسانيات، الذي شهد بدايته الرسمية في ثمانينات القرن الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية، تهتم بمختلف المعارف التي تُوَظَرُ الذهن البشري، والتي يمكن إدراكها عن طريق الجهاز اللغوي، تسمى باللسانيات الإدراكية عند البعض وعند البعض الآخر يسمى هذا الاتجاه الجديد "بالنحو المعرفي" (Grammaire Cognitive) كمقابل للنحو التوليدي التحويلي الذي وضعه تشومسكي.

يعرفها المهتمون بهذا المجال: بأنها الدراسة العلمية المنتظمة للألسن البشري، من خلال الوحدات، والتبويبات المسؤولة عن تنظيم الوحدات الإدراكية، وبصفة خاصة التبويب، التشكيل، التمثيل و المنطق. فهي تيار أو حركة تجمع عدد من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات، لكنها تختلف في البناء والتوجه ومجالات العناية بها¹ تعتبر من المباحث المتطورة في بلد المنشأ الولايات المتحدة الأمريكية، وهي ليست نظرية منغلقة على نفسها، بل هي نظرية متفتحة، اكتسبت قوتها وتماسكها نتيجة انفتاحها على كثير من العلوم ، منها علم النفس، الأنتروبولوجيا، اللسانيات الحاسوبية .

يتفق رواد الدرس اللساني الحديث على أن البداية الفعلية لحد الحقل المعرفي الجديد بدأ سنة 1956 و قد تجلّى ذلك خلال المؤتمر العالمي المنعقد في جامعة كامبريدج في اجتماع شهير بين نعوم تشومسكي، وعالم النفس هيرت سيمون Herbet Simon، ومارفين منسكي(المختص في الذكاء الاصطناعي)، فقد حاول هؤلاء أن يصلوا الى نظرية عامة في معرفة كيفية اشتغال الدماغ البشري، حيثما يعالج المعلومات اللغوية، من خلال الملكات التي يطورها وبالخصوص ملكة اللغة² ذلك أن هذه الأخيرة تتطلب جهازا صوتيا تريد أن تبحث ما يحدث في الدماغ عندما يتلقى المعلومات اللغوية ويتعامل معها بتقنية فهو ينتج كلاما اعتمادا على ما خزنه من معلومات دماغية .

أعلام اللسانيات المعرفية:

لقد حضى التيار اللساني المعرفي بانتشار دولي واسع واكبته حركة لسانية معرفية ضخمة، خاصة مع ظهور كتابات أشهر مؤسسيه الأربعة هم : وجورج لاكوف G. Lakoff ورونالد لانقاكير R. Langacker وجيل فوكونيه G. Fauconier وشارل فيلمور Ch. Fillmore . اكتسب هذا التيار شرعيته مع إنشاء "الرابطة الدولية لللسانيات المعرفية" (cognitive linguistics association).

شكل هؤلاء اللسانيون العرفانيون إتجاها معرفيا جديدا، سمي باللسانيات المعرفية أو اللسانيات العرفانية فقد وضعوا تصورات جديدة كانت بمثابة التأسيس الفعلي لهذا العلم من خلال مجموعة من الرؤى والتصورات الجديدة والأفكار التي أطلقوها. نذكر منها الفكرة التي نادى جاكندوف بها والتي تشير إلى أن البنية الدلالية هي البنية التصورية. و ضرورة التحلي بصفة نهائية عن مركزية الإعراب، نظراً لتأخره في مواكبة سلسلة التطور اللغوي. وتركيزه على مصطلحات جديدة كالتصافح، وتوآزي المكونات في النحو، ولا مركزية الإعراب، ولا اتجاهية المعالجة من خلال مكونات الفرد ووضعه وعلاقته باللغة وبالعلم ضمن ما هو كائن فيه وكما يؤوله الذهن. ومن الإضافات التي جاء بها جاكندوف وفريقه تأكيدهم على أنّ اللغة تعد بمثابة المحور الجوهرية في الدراسة الألسنية، وأنّ جميع البنى اللسانية جاءت لتخدم المعنى والدلالة والتي غدت المحور الرئيس في مقاربتهم العرفانية .

- الأصول المعرفية:

يشير كثير من الدارسين في المجال الألسني أن اللسانيات المعرفية جزء لا يتجزأ من مجموعة المباحث اللسانية، المسماة المباحث الإدراكية ، والتي تشتمل على مجموعة الجهود البحثية التي تعد اللغة ملكة ذهنية وإدراكية. تعود أصولها المعرفية إلى تلك التيارات المتصارعة التي ظهرت في الولايات المتحدة (تيار اللسانيات الحديثة/ تيار علم النفس المعرفي) رغبة في كل منهما في احتواء الآخر ثار واللذان كان يستندان في فكرهما إلى اللسانيات المعرفية والتي تعتمد في أساسها على أن :

أولاً: النحو العام يدخل في إطار النموذج الكلاسيكي للنزعة المعرفية *cognitivisme*

ثانياً : النحو المعرفي الذي يستند إلى نموذج آخر يوصف أحياناً بالبنائي، وهي النزعة البنائية *constructivisme*

يمثل هذا التيار النهج المعرفي في اللغة، والذي تم تطويره من قبل (لانقكار) في كتابه المصنف في مجلدين :

الأول : أسس النحو المعرفي الذي أصبح نقطة الانطلاق الحقيقية لنشوء مجال اللسانيات المعرفية³ والثاني : البناء

النحوي (تصورات تشارلز فيلمور و تم تطويرها من قبل طالبة لانجكاير أديل غولدبرغ) .

وفيه يعتبر أن الوحدات الأساسية في اللغة هي رموز، أو تزاوج تقليدي مكون من تركيب معاني (علم المعاني) مع تبويب صوتي. فنظريات النحو المعرفية عنده تقدم مفاهيم رمزية لوحدة اللغة وقواعدها. فهو يفترض أن التراكيب اللغوية مدفوعة من عمليات معرفية عامة وعند صياغته لهذه المفاهيم النظرية استخدم بشكل مكثف العديد من مبادئ علم النفس العشتالتي وشبه العديد من البنى اللغوية بجوانب من الإدراك البصري.

لقد أدى هذا المنعرج النظري في حالة النحو المعرفي، إلى إعادة النظر في الفرضيات النحوية، باستثناء التيار ما بعد الوظيفي الذي يشكل حالة خاصة تستحق تطوراً خاصاً من قبل عدد الباحثين الأوروبيين.

إن أية لسانيات معرفية إذا أرادت أن تكون معرفية، فإنها ستواجه بالضرورة بعض الصعوبات، إما أن تعود إلى التصور التقليدي للغة باعتبارها نظاماً من العلامات بحثاً في علاقة الشكل بالمعنى وفي هذه الحالة لن يتعلق الأمر إلا باللسانيات (بالمفهوم التقليدي للمصطلح)

يقول *lazard* : في هذا الشأن إن الصفة كبيرة: اللسانيات المعرفية هي اللسانيات العامة فقط⁴ فهو يعتبر أن تسمية اللسانيات المعرفية عبارة مصطنعة لا تحتفظ بمعناها خارج الولايات المتحدة ، وفي كل الأحوال عند كل من لم يتعرض لسلطة النزعة التوليدية التحويلية والذي يمس شروط وجود اللسانيات المعرفية.

أو أنها تخرج عن ميدان تخصصها محاولة إيجاد معييلات خارجية للظواهر اللسانية الموصوفة ، أو استنتاج خصوصيات عامة للذهن البشري انطلاقاً من الملاحظات ، وفي هذه الحالة لن يتعلق الأمر باللسانيات ، لأن هذا النمط يحتمل خطراً وهو الخلال اللسانيات في الجانب المعرفي وبطريقة أخرى هو تجاهل خصوصياتها⁵

ترتبط اللسانيات المعرفية ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النفسية، التي تهتم بعمل الدماغ، ومتابعة العمليات العقلية، المختلفة فقد اهتم أصحاب هذا الاتجاه في دراستهم للغة رغم اختلاف منطلقاتهم ، بعد تقبل استقلالية النظام اللغوي عندهم ؛ فهم يرون أن لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام⁶ فهم يعارضون ما يذهب إليه تشومسكي في نظريته التوليدية وأتباعه من أن تطور اللغة عند الطفل يأتي كلياً من نموذج نحوي مستقل في الدماغ يبني بالكامل بتعليمات خاصة به⁷

إن المعرفة اللغوية كما يرى هؤلاء جزء من الإدراك العقلي، الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية ، والمعلومات غير اللغوية، والذي يتأثر وبقوة، بمحيط الإنسان وتجاربه اليومية المختلفة، فالعمليات العقلية التي تتحكم في التفكير الإنسان وفي تكوين المعرفة بشكل عام . هي نفسها التي تتحكم في المعرفة اللغوية وفي تشكيل البنية اللغوية العامة بمستوياتها المختلفة. فهناك " مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي"⁸ وهو المستوى الذي يطلق عليه مستوى البنية التصورية⁹ "conceptual structure .

واللغة لا تنفصل عندهم عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة، والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي يتأثر بلا شك بكيفية إدراكها. فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة. والسؤال الذي تتمحور حوله الدراسات في هذا الحقل الجديد هو:

أيهما أولى بالبحث: أهو الظاهرة المدروسة (اللغة مثلاً) أم كيف يفهم العقل البشري هذه الظاهرة ؟ وهل يمكن لأي ظاهرة أن تنفصل عن آليات إدراكها؟ وهل تؤثر طبيعة الشيء المدرك (لغوي ، سمعي ، بصري ، لمسي ...) في تشكيل آليات إدراك خاصة به في الدماغ البشري أم أنها آليات واحدة يطبقها الدماغ على الأشياء المدركة على اختلاف طبيعتها؟ وبعبارة أخرى هل الاختلاف في الإدراك اختلاف نوعي تفرضه طبيعة الشيء المدرك أم هي آليات لا يؤثر فيها تغيير الظواهر المدركة؛ لأنها تنطلق من بنية معرفية واحدة؟

تنظر اللسانيات المعرفية إلى اللغات الطبيعية على أنها تتألف من وحدات دلالية، ووحدات فونولوجية ووحدات رمزية (وهي تجميع للوحدات الفونولوجية مع الوحدات الدلالية). والنحو الإدراكي، مثله مثل النحو البنائي (Construction Grammar)، وعلى عكس العديد من النظريات اللسانية الرئيسية، فإن النحو الإدراكي يُسقط مفهوم الوحدات الرمزية على النحو في اللغات الطبيعية.

يفترض Langacker كذلك أن البنيات اللسانية تتأثر بدوافع من العمليات الإدراكية العامة، وأثناء صياغته لهذه النظرية، فقد استعان بمبادئ علم النفس الشكلي (الجشطات) ورسم مقارنات بين البنية اللغوية وجوانب الإدراك البصري.

- ميدان اللسانيات المعرفية وأهم خصائصها:

يبحث ميدان اللسانيات المعرفية في عديد القضايا المتصلة بها وبقية العلوم نذكر منها:

أولاً: البحث عن نماذج تمثيلية للقواعد المعرفية و الفضاءات الذهنية.

ثانياً: البحث في نماذج الاكتساب اللغوي.

ثالثاً: البحث في الأسس العصبية للغة البشرية.

وأما عن أهم خصائص هذا التيار المعرفي فيمكن إجماله في النقاط التالية:

- 1- البنية الدلالية هي البنية التصورية والتخلي عن مركزية الإعراب.
- 2- تقديمها لمصطلحات جديدة كالتصافح وتوازي المكونات في النحو.
- 3- تهدف إلى البحث عن علاقة اللغة بالذهن وهي محور الدراسة .
- 4 - التركيز على علاقة بنية اللغة بالأشياء الخارجية عنها .

ثانياً: اللسانيات التوليدية التحويلية:

ظهرت اللسانيات التوليدية التحويلية كرد فعل لسيطرة اللسانيات الوصفية، التي كان يتزعمها بلومفيلد والذي كان يعتمد في دراسته للغة على مختلف المستويات اللسانية إلى جانب تحليله للكلام على الموقع وقف الفئات المؤلفة ، ولم تكن لسانياته تهتم بمتكلم اللغة ، ولا بدوره في إنجاز الكلام وتكوينه ، بل كانت تكتفي بوصف الكلام وصفا موضوعيا تجريبيا. ¹⁰

وفي ظل هذه الظروف، ظهرت اللسانيات التوليدية التحويلية التي تزعمها تشومسكي (avram noam chomsky¹¹ في تلك الحقبة الزمنية في كتابه الشهير " مظاهر البنى التركيبية syntactic structure ، (1957)، فكان بمثابة الثورة العلمية الجديدة على علم اللغة الوصفي، ووجه البحث اللساني في اتجاه عقلائي .وبالتالي إحداث تغيير جذري في الاتجاه اللساني الوصفي¹²

يقصد بالنظرية التوليدية بأنها مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل .

وأما النظرية التحويلية فتُعنى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف والاستبدال والإضافة وتغيير الموقعية على الجمل النواة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة .

وقد قدم تشومسكي هذه النظرية من خلال الدرس اللساني وفق منهجية جديدة تعتمد على الموضوعية والتجريد العلمي، وحسن صياغة الفرضيات فكان سببا رئيسيا في تحليل معطياته اللغوية و العلمية تحليلا موضوعيا وواضحا، وهو ما تجسد على أرض الواقع من خلال نظريته الجديدة ، ومخالفا في نفس الوقت للهدف الذي كانت تتوخاه اللسانيات البلومفيلية

لقد تجاوز تشومسكي وصف اللغة من التحليل السطحي إلى التفسير العلمي الدقيق ، وتحليل تركيب البنية اللغوية ، وتحويلها من بنية إلى أخرى مستندا إلى حدس المتكلم ، ومعرفة الضمنية بقواعد لغته وتلك المعرفة هي التي كان يصبوا إليها في دراسته .

إن متكلم اللغة برأيه، هو موضوع الدراسة اللسانية فهو قادر على إنتاج عدد لا متناه من الجمل ، فكان قد حدد هدف لسانياته في تحليل مقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى أن يفهمها، وحدد عمل اللساني في صياغة القواعد التي بمقدورها إنتاج اللغة مادة البحث¹³، مستفيدا من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي ، والوصفي على حد سواء ،. فانتقاده للنحو التقليدي ينحصر في شكله العام ، وتعريفاته وقواعده الغامضة ، ومع ذلك فقد " اعترف تشومسكي ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي¹⁴ فقد اعترف بكون النحو التقليدي يعطي تطورا أكثر عمقا ، وملاءمة لطبيعة اللغة¹⁵.

ففي كتابه السابق خرج تشومسكي متأثرا بنظرية جاكبسون، الذي كان يرى أن الفونيمات هي ملامح مميزة. وهو ما ظهر من خلال كتابه " النظام الصوتي للغة الإنجليزية the sound pattern of english " الذي لم يقتصر على اللغة الإنجليزية فقط بل سعى إلى جعل تلك القواعد كلية ، وهو تجل في نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، فهو يرى أن العلم الفونولوجي التوليدي ، يتناول الفونيمات كوحدات متميزة في المعنى ، والنظرية التوليدية التحويلية ؛ لا تتناول هي الأخرى طرق تدريس الأصوات اللغوية¹⁶

ثار تشومسكي على النظرية السلوكية ، وانتقدها انتقادا شديدا ،. فإذا كانت البنيوية تركز على وصف التراكيب اللغوية، وتحليلها ، فإنها بالمقابل همشت الدور الذي يقوم به المتكلم مثلا في الكفاية اللغوية ، والقواعد الفطرية ، كما همشت الدور الذي يقوم به المعنى في اللغة: "إن النظرية الديكارتية في اللغة ، تتعارض تماما مع النزعة البنيوية المعاصرة ، بوصفها نزعة صورية (شكلية) تحتم بتحليل اللغة المكتوبة أو المنطوقة ، ليؤكد لنا أن الإنسان يبتكر في كل لحظة، وأن المهم في اللغة دائما هو (الإنسان متكلم اللغة)"¹⁷.

إذا كان تشومسكي قد نهل من الفكر الديكارتية الذي كان يؤكد دائما على القدرة الإبداعية في العقل البشري، مشيرا إلى أن العقل مشترك بين جميع أبناء البشر ، مما يؤكد على أن آلية التفكير تبقى واحدة ومتكافئة بين جميع الناس.¹⁸ وفي هذا تمهيد لما سماه تشومسكي ؛ بـ " النحو الكلي " . ومادامت اللغة خاصية من خصائص الإنسان دون غيره من الحيوان

– لأنه يتميز عليه بالعقل – فمعنى هذا أن اللغة مرتبطة بالتفكير ، والتفكير من نتاج العقل المشترك بين جميع الناس كما رأينا سابقاً، مما يؤكد على وجود قواعد لغوية مشتركة بين جميع الناس ، هي المختزلة في القدرة أو الملكة اللغوية .

هذه الأفكار جعلت تشومسكي يكتشف أن للإنسان تميز لغوي مقارنة بجميع الكائنات الأخرى ، وهو المتجلي في قدراته على الإبداع اللغوي (ولو تعلق الأمر بألفاظ وتراكيب لم يسبق له أن سمعها) مما يوضح أن المتكلم هو هدف الدراسة اللسانية عند تشومسكي ، وهو هدف أكثر إفادة، كونه لا يقتصر على وصف القدرة فقط، بل تجاوز ذلك إلى توفير نحو قادر على " تقييم كفاءة الأوصاف المختلفة للقرة *differeet accounts of compétence* ، والتوغل فيما وراء دراسة اللغات الفردية، إلى طبيعة اللغة البشرية ككل ، وذلك عن طريق "الجوامع اللسانية *linguistic universals* . وبهذه الوسيلة ينعقد الأمل على اللسانيات كي تساهم في فهم طبيعة العقل البشري.

– قواعد استعمال النحو التوليدي بالمنظور التشومسكي:

تتفق كل الدراسات انه لا يمكن للنحو التقليدي*¹⁹ بمعناه العام والخاص أن يحدد ذلك العدد اللامتناهي من تلك التركيبات المختلفة للجمل التي يمكن للغة أن تولدها.

ولكن بالمقابل و على العكس من ذلك يمكن أن يقوم النحو التوليدي وعلى أساس التوليد الرياضي علي احتواء اللامتناهي اللغوي، حيث يصاغ النحو التوليدي**²⁰ في هيئة صيغ رياضية يمكن من خلالها توليد جميع تركيبات الجمل السليمة للغة ما. أي أن امتلاك المتكلم لهذه القواعد قمين بجعله قادراً على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل بواسطة تطبيق هذه القواعد المحدودة. إذ من المتناهي نحصل على اللامتناهي.

وعليه يمكن القول إن النحو التوليدي كان سبباً في حل مجموعة من المشاكل طالبت التراث اللساني؛ فقد انبثق في سياق ما نعت بالثورة المعرفية الإدراكية لسنوات الخمسينيات، وساهم في تطوير هذه المعرفة التي أخذت تهتم بالآليات الداخلية للفكر والنشاط الإنسانيين، واعتبر اللغة – التي هي تعبير عن فكر الإنسان – خاصية بشرية تميزه عن باقي الكائنات الأخرى ، والتي تستلزم استعمالاً لا متناهيًا لمجموعة متناهية من الوسائل . وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار النحو التوليدي أده فعالة لتفسير الظواهر اللغوية كحالات التقديم والتأخير و الحذف والإضمار. إضافة إلى ذلك يفترض النحو التوليدي التحويلي ثنائية البنية اللغوية (*di-strata*) بمعنى أن هناك بنية ذهنية عميقة (*deep structure*) .

تشمل العناصر الكاملة للمقولة اللغوية تتحول إلى بنية سطحية منطوقة (*surface structure*) لذا فالنموذج يتكون من مكونين أساسيين هما :

المكون التركيبي: الذي تنظم داخله عناصر البنية العميقة.أضافه تشومسكي إلى نظريته بعدما كان في نموذجه الأول، عبارة عن نحو تركيبي صرف لا يعبر لجانب الدلالة أي اهتمام.

والمكون التحويلي21:** الذي يحدد البدائل الممكنة لبنيتها السطحية فإذا أردنا على سبيل المثال تمثيل الحدث اللغوي لهجوم مجموعة من اللصوص على بنك في الليل وفقاً لمبدأ ثنائية البنية ستشمل البنية العميقة، الممثلة للصورة الذهنية العناصر المكونة للحدث: الفعل والفاعل والمفعول به وزمن الحدث، بناء على هذه البنية العميقة يمكن إخراجها على صورة أحد بدائل البنى السطحية التالية:

- هاجم المتظاهرين الشرطة أثناء النهار .

- هوجمت الشرطة من قبل المتظاهرين نهاراً .

- الشرطة هاجمها المتظاهرون في النهار .

نستشف أن تشومسكي يحاول ربط بين هذه المفاهيم الثلاثة (النحو ، التوليد ، التحويل) ليسم نظريته اللسانية، التي القصد منها « وصف قدرة المتكلم السامع المثالي المنتمي إلى عشيرة لغوية متجانسة وصفا بنيويًا وتفسيرها »²²

- مراحل تطور النحو التوليدي :

مما لاشك فيه أن اللسانيات التوليدية لم تظهر دفعة واحدة، بل عرفت تطورات مختلفة منذ بداية النقاش حول هذه المسألة فقد احتدم الجدل وعقدت المؤتمرات والمناظرات التي لم تتوقف منذ صدور النموذج التأسيسي بداية من (سنة 1957)، ولا يزال النقاش مستمرا إلى يومنا هذا كما يظهر من خلال مراحل تطور هذه اللسانيات " و التي يمكن حصرها في كثير من المستويات نختصر منها خمس مستويات²³:

المستوى الأول : يتجلى الأول في مؤلف "البنى التركيبية 1957" حيث حصر تشومسكي مجال دراسته في التركيب (Syntax). لأنه يبحث عن نظرية في شكل آلة تحليلية تدرس الأنحاء الخاصة بطريقة تجريدية دون الرجوع إلى لغات خاصة وباستقلال عن المعنى (ما يهم هو التركيب فقط) .

المستوى الثاني : فيتجلى في النموذج المعيار (سنة 1965)، الذي أعاد تشومسكي في سياقه تأكيد الأصناف الأولية للنحو التوليدي بطريقة واضحة تتمثل في اقتراح صياغة واضحة للسيوروات "الإبداعية" للغة. وهنا نتحدث عن ثنائية: القدرة/ الإنجاز، ومفهوم البنية العميقة، والمكون الدلالي التأويلي.

ويتمثل **المستوى الثالث:** من مستويات تطور النحو التوليدي في الأعمال التي قام بها بعض الباحثين في مجال الدلالة، وخاصة متبني الدلالة التوليدية من أمثال: لاكوف Lakoff، وماكولي Makawley، وفيلمور Fillmore... ويعني ذلك أن التمثيل الدلالي يحدد بواسطة البنية العميقة والبنية السطحية.

والمستوى الرابع : فيتمثل في الأعمال التي قام بها تشومسكي في السبعينات (1977) من أجل ضبط التحويلات عن المبادئ والوسائط الذي اقترحه تشومسكي (سنة 1981)، في إطار نظرية الربط العاملي التي امتازت بالطابع القالي Modular، الذي حد من ظاهرة تعدد النماذج اللغوية وتشتت وسائل صياغة النتائج اللسانية وإبلاغها، بالإضافة إلى تسهيل المقارنة بين النظريات. طريق ضبطها بمجموعة من الشروط نظرا لقوتها التفسيرية ثم لتبسيط المكون التحويلي،

– المنطلقات الفكرية والمرتكزات الإستمولوجية للنحو التوليدي التحويلي:

ترتكز وتتأسس النظرية التوليدية على منطلقات الفكر الفلسفي العقلاني لكل من "ديكارت" و"هامبولت"، يقول تشومسكي: « إن النظرية اللغوية نظرية عقلانية حيث إنها تعنى باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة تحت السلوك الفعلي »²⁴. ويتجلى تأثير تشومسكي بالاتجاه العقلاني في كتابه "اللسانيات الديكارتية" (1966). في حين يشهد كتابه "اللغة والمسؤولية" 1979 على تأثيره الواضح بأفكار "هامبولت".

ولم يقتصر تأثير تشومسكي على الآراء العقلانية فقط، بل تعداه ليشمل الإفادة من آراء جماعة "البال الملكي" في اللغة والنحو، فتشومسكي نفسه يقول؛ إن نحوه مماثل لنحو جماعة الباب الملكي، وذلك في كتابه: "النحو العام والتفكير

" Grammaire générale et raisonne

مفاهيم الاتجاه التوليدي:

تسعى كل نظرية جديدة إلى إثبات مكانتها ضمن الساحة المعرفية التي تشتغل فيها وذلك باجتراح جملة من المفاهيم الجديدة التي تمنحها الفرادة والتميز من جهة، وتشكيل سند نظري تقوم عليه ويكسبها مقبولية علمية من جهة أخرى. وهذا ما فعلته النظرية التوليدية التي استطاع مؤسسها وضع جهاز مفهومي ضخم ومائز، يعد حصيلة تشرب لكل ما كان سائدا في مجال الدرس اللساني من اتجاهات ومدارس؛ ومن هذه المفاهيم نجد:

1- مفهوم القدرة / الكفاية: Compétence:

حدد العالم اللغوي "نيكولارويت" الكفاءة قائلا: "كل إنسان بالغ يتكلم لغة ما، قادر في كل لحظة أن يصدر بشكل تلقائي، أو أن يتلقى ويفهم عددا لا متناهيا من الجمل التركيبية لم يسبق له فقط أن نطق بمعظمها أو سمع بعضها. كل إنسان يتكلم يملك إذن بعض القدرات الخاصة جدا التي يمكن أن نسميها كفاءة"²⁵.

من خلال هذا القول، يتبدى جليا أن الكفاية / القدرة هي معرفة المتكلم – المستمع المثالي الضمنية بلغته منذ الطفولة، والتي تسمح له بتوليد جمل جديدة لم يسبق له أن سمع بها، فتشومسكي ينعته بأنها مفهوم مجرد، قائم في الذهن، إذ تعد بمثابة نظام مجرد – مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناه من الجمل الممكنة".

ويتجلى الهدف الرئيس من دراسة القدرة اللغوية في وضع منظومة من العناصر المترابطة (نسق) من القواعد تساعد على توليد واستنباط كل العبارات أو الجمل في اللغة. وهذا النسق من القواعد يقوم على ثلاث ركائز: المستوى التركيبي، المستوى الفونولوجي، ثم المستوى الدلالي.

2- الإنجاز اللغوي / الأداء الكلامي Performance:

يقصد بالأداء / الإنجاز: " مدى أمانة الترجمة الفعلية لتعليمات القواعد أثناء إنتاج الكلام المحقق أو فهم المسموع من الكلام"²⁶

إن الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي للقدرة اللغوية، أي تحقيق الكفاءة اللغوية في جمل وأقوال يمكن ملاحظتها بكيفية مباشرة ملموسة، غير أن هذا الإنجاز يبقى نسبيا لاختلافه من شخص لآخر حسب اختلاف موضوع الكلام ومكانه، وثقافة الفرد، ومحيطه الاجتماعي والنفسي، كما يتأثر بعوامل خارجة عن نطاق اللغة؛ كالانتباه، التعب، الانفعال، والذاكرة وبالإضافة إلى هذه المفاهيم، هناك مفاهيم أخرى تشكل مع ما سبق ذكره العمود الفقري الذي يركز عليه الاتجاه التوليدي وهي:

1- البنية العميقة: يقصد بالبنية العميقة بأنها التفسير الدلالي للجملة²⁷، بمعنى القواعد والبنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جملة اللغة، وبالتالي فهي مجموع القواعد المخزنة في ذهن المتكلم، والتي تتمظهر على شكل بنى سطحية متعددة؛ فهي إفراز للمعنى، ما دام دور النحو التوليدي، التحرك داخليا من العمق إلى السطح اعتمادا على القوانين المحققة لهذا التحولات لأنها تعكس مستوى العمق الذي تتكوّن فيه الدلالة وما يتّصل بها من مفاهيم وأفكار، وعلى العموم تتضمن البنية العميقة النظام الأساس الذي تتولد منه قوانين البنية اللغوية أي قوانين بناء الجملة.

وتتميز البنية العميقة بجملة خصائص هي كالتالي:

- تمثل البنى الأولية المولدة في قواعد النحو عن طريق المستوى التركيبي والمستوى المعجمي.

- إنها المجال الوحيد لإفراغ الملء المعجمي.

- هي كل البنى الخاضعة للتأويل الدلالي.

- تلك البنى القابلة للتحويل إلى بنى سطحية سليمة²⁸

- موحدة ومشاركة بين جميع اللغات يقول تشومسكي « إن البنية العميقة التي تحدد المعنى (...) مشتركة بين كل اللغات

وذلك لأنها ليست سوى انعكاس لأشكال الفكر"²⁹

2- البنية السطحية: يقصد بها ذلك النظام المكون من مقولات Catégories ومكونات تركيبية تكون برمتها مرتبطة

مباشرة بالإشارة الفيزيقية إلى البنية العميقة التي تكون بدورها عبارة عن نظام من المقولات والمكونات التركيبية³⁰

وتعرف البنية السطحية بأنها ذلك التمثيل الصوتي للجملة³¹ أي أنها البنية الظاهرة للعيان عبر توالي الكلمات وانتظامها في

سلك الجملة من حيث النطق. فهي التركيب اللفظي المشاهد الخاضع لتسلسل نحوي معين، يقول د. التهامي الراجي: "هي

في اصطلاح التوليديين بنية الجملة كما هي منجزة فعلا، هي إذن البنية المرئية، البنية الملاحظة التي يمكن أن توصف مثلا

بالفاظ "المكونات الأولية"³² وهي تعكس الشكل الفيزيائي للجملة أي أصواتها المفلوطة فالبنية العميقة تعبر عن المعنى في كل

اللغات، و تتحول هذه البنية إلى بناء على المستوى السطحي.

وعليه يمكننا أن نستشف مما سبق أن البنية السطحية تمثل الحالة النهائية والأخيرة في التاريخ التحويلي للتوليد.

3- متكلم / مستمع مثالي: يقصد تشومسكي بالمتكلم / ذلك المستمع المثالي أي الشخص الذي تطابق كفايته اللغوية إنجازه الكلامي، بمعنى إنه متكلم / مستمع لا يخطئ، لا يسهى، لا ينسى،...إخ وهو الممثل للعشيرة اللغوية ومحتزلها، وهو شخص غير متحقق واقعيًا، بل مفترض.

4- الكليات اللغوية: يعد هذا المفهوم، المرتكز الذي تستند عليه النظرية التوليدية، ذلك أن الهدف من الاتجاه التوليدي عامة - حسب تشومسكي - معرفة الآليات والعلاقات الجامعة والموحدة بين الأنحاء الخاصة والرابطة فيما بينها في إطار ما يسمى بـ "النحو الكلي" الذي يفيد وجود علاقة أو علاقات وثوابت مشتركة بين جميع الأنحاء المختلفة، وقد قسم تشومسكي الكليات لـ³³: كليات مادية ديدنها معرفة السمات المشكلة المادة لوصف اللغات. وكليات شكلية تتعلق بأنماط وظواهر القواعد النحوية، وإمكانات ربطها حتى تتمكن من الوصول إلى الجملة النووية الحاوية للقاعدة النحوية المشتركة بين جميع الأنحاء.

قفل القول: إذا كان هدف تشومسكي في البداية قد تركز مسعاه على توليد أكبر قدر من الجمل، من عدد محدد من القواعد عن طريق التحويل فإنه في الآونة الأخيرة ابتكر برنامجاً جديداً أطلق عليه اسم "البرنامج الأدنوي" القصد منه الابتعاد والنأي عن تلك التحويلات المعقدة، والاهتمام بتشكيل جمل بسيطة مشتركة بين جميع الأنحاء، وهذا إن دل فإنما يدل على العمق الرؤيوي للتوليديين وعلى أن هذا الاتجاه دائم التطور لا يريم.

أهم أسس النظرية التوليدية التحويلية:

تعتمد النظرية التوليدية التحويلية على مجموعة من الأسس والضوابط التي يمكن اعتبارها الحجر الأساس في تثبيت دعائم هذه النظرية نجملها في النقاط الآتية:

أولاً: القواعد التحويلية ينجم عند اتباعها جمل أصولية لا غير، كما تحدد كل الجمل المحتملة في اللغة³⁴.

ثانياً: التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية³⁵.

ثالثاً: اعتبار الجملة الواحدة اللغوية الأساسية.

رابعاً: التفريق بين الكفاية والأداء: فالكفاية: قدرة ابن اللغة على فهم تراكيب لغته وقواعدها وقدرته من الناحية النظرية، على أن يركب ويفهم عددًا غير محدود من الجمل، ويدرك الصواب منها أو الخطأ، وأما الأداء: فهو الأداء اللغوي الفعلي لفظاً أو كتابة.

خامساً: الإدراك اللغوي والقدرة اللغوية: وهي صفات إنسانية تكمن في النوع البشري وليست مكتسبة. وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: اختيارية، وإجبارية.

- اللغة في منظور اللسانيات المعرفية والتوليدية التحويلية:

تقدم اللسانيات الإدراكية ثلاثة فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني الإدراكي في التعامل مع اللغة وهي:

أ . اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة.

ب . النحو هو عملية خلق للمفاهيم مما يعني أن اللغة رمزية بتطبيقها.

ج . المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وهذه الفرضيات الثلاث تمثل رد اللسانيات الإدراكية على النحو التوليدي، الذي يفصل بين الملكة الإدراكية، والقدرات الإدراكية غير اللغوية، وكذلك هي رد على علم الدلالة المشروط بالصدق، والذي يقيم الميتالغة الدلالية استناداً إلى صدقها أو كذبها بالنسبة للعالم.

يمكن القول أن اللسانيات الإدراكية تركز على التمثيلات الذهنية، والصورات الإدراكية، وإنما بدأت مؤخراً في النظر إلى الخطاب والفرضية الثالثة توفر فرصة كبيرة لللسانيات الإدراكية كي تدرس الطبيعة الاجتماعية التفاعلية للغة، وذلك لان الاستعمال هو تفاعل اجتماعي، ويستعمل المتكلمون خبراتهم من أجل توصيل تلك الخبرات إلى الآخرين³⁶.

تمتلك اللسانيات الإدراكية إمكانية كبرى لتساهم في نظرية اللغة التي تتجاوز اللغة الرمزية لأنها تستند على الارتباط بين التمثيل الدلالي والتمثيل الصوتي وهذا الارتباط بين هذين القطبين المختلفين يشير إلى مفهوم العلاقة اللغوية عند دي سوسير مع فارق جوهري وهو اعتبارية العلاقة.

بمنظور اللسانيات التوليدية تمثل اللغة أفضل مرآة تعكس بصورة دقيقة وأمينة آليات التفكير في عقل الإنسان، وبناء عليها ذهب بعض اللغويين إلى أن علم اللغة أهم مجال علمي يكشف عن إنسانية الإنسان.

- الفرق بين اللسانيات المعرفية واللسانيات التوليدية:

أولاً : مثلت اللسانيات المعرفية الاتجاه المعارض للمدرسة التي أسسها تشومسكي فيما يتصل بالنحو التوليدي التحويلي والفرضيات حول الكليات اللغوية كما أشرنا سابقاً فقد كانت بمثابة ثورة حقيقية على هذا التيار .
ثانياً : جميع البنى اللسانية جاءت لتعدم المعنى والدلالة التي غدت المحور الرئيس في مقاربتهم العرفانية .
ثالثاً : اللسانيات التوليدية تعتمد على التجريد العلمي في صياغة الفرضية الفعالة التي بإمكانها تحليل المعطيات اللغوية تحليلاً موضوعياً واضحاً .

أهم نقاط التقاطع والاختلاف:

مواطن الاتفاق:

إن المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى ويمثل هذا الأمر تغيراً جوهرياً في المجرى العام للدرس اللساني الذي ساد في القرن العشرين إذ كان ثمة اتجاه عام لغرض التمييز التركيبي للغة ومستوى الاستعمال وهو التمييز الذي مثلته ثنائية دي سوسير (اللغة والخطاب) وأستمر الاهتمام باللغة بوصفها نظاماً تركيبياً تجريدياً وأهملت دراسة الخطاب في الإرث اللساني التوليدي.

مواطن الاختلاف:

أولاً: على مستوى اللغة:

تمثل اللغة وسيلة هامة لتنظيم ومعالجة ونقل المعلومة فهي تشكل أداة من أدوات المعرفة ترتبط بالتفكير ارتباطاً وثيقاً؛ بأفكار الإنسان تصاغ دوماً في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني. ومن خلال اللغة تحصل الفكرة فقط على وجودها الواقعي. والأساس الذي يهمننا هو الدلالة.

وفي المقابل نجد أن التوليدية التحويلية يذهب بالاتجاه الآخر إذ يعد اللغة و إضافة إلى كونها مجموعة لامتناهية من الجمل شكلاً فهي كذلك تمثل مجموعة القواعد الشكلية والبنية النحوية التي لها دلالات.

بيد أن ذلك لا يعني أن النحو التوليدي ليس مبحثاً إدراكياً. المهم هنا هو النظر إلى اللغة ليس بوصفها معرفة باللغة بل إنها بذاتها شكلاً من أشكال المعرفة، ولا بد من تحليلها طبقاً لهذا الفهم مع التركيز على المعنى.

الأساس الثاني: على مستوى المعنى

مفهوم المعنى في اللسانيات المعرفية ديناميكي ومرن وذلك لأنه يتغير لارتباطه بل وتشكيله عالمنا، والتغيرات في محيطنا تتطلب أن نكيف الأصناف الدلالية مع التحولات التي تحصل في هذا المحيط مما يترك هامشاً أو مكاناً لظلال المعاني، لذا لا يمكن أن ننظر إلى اللغة بوصفها بنية ثابتة كما كان الأمر في لسانيات القرن العشرين، وننظر إلى المعنى بوصفه متأصلاً في التجربة مما يعني إن المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى.

وفي المقابل نجد أن المعنى في التوليدية التحويلية له من الأهمية بعدما حاول إبعاده تشومسكي في بداية الأمر لكن سرعان ما تدارك الأمر وتم إدراجه في الدرس اللغوي.

خاتمة:

وخلاصة القول وبعد أن طافت رحلة بحثنا حول بعض الجوانب الفكرية لبعض التيارات اللسانية الحديثة ونعني بها اللسانيات المعرفية واللسانيات التوليدية والتي مازال البحث فيها مستمراً أمكننا الولوج في ثناهما من استخلاص النقاط التالية :

أولاً: واللسانيات المعرفية جزء لا يتجزأ من مجموعة المباحث اللسانية المسماة المباحث الإدراكية والتي تشتمل على مجموعة الجهود البحثية التي تعد اللغة ملكة ذهنية وإدراكية. ولا بد لنا هنا من أن نميز بين اللسانيات المعرفية من جهة وبين النحو التوليدي من جهة أخرى، إذ أن النحو التوليدي يعد مبحثاً إدراكياً كذلك.

ثانياً: إن طبيعة العلاقة بين اللسانيات المعرفية والنحو العام هي أن مميزات الوحدات اللسانية تفسر بالخصائص المنطقية لعوامل هذا الفكر الذي يمثلها رمزيا والدلالات اللسانية لا تلعب أي دور معرفي مميز و اللغة بالنسبة لأصحاب النحو المعرفي تفتح شرحاً على المعرفة.

ثالثاً: قدمت النظرية التوليدية التحويلية تصورات معرفية جديدة من خلال نقدها للمنهج اللساني التوزيعي الذي تأسس على الاقتراض الخارجي والسطحي للغة واعتبار العقل الإطار المرجعي لذلك وأن اكتساب اللغة لا يتأتى إلا وفق مبدئين اثنين هما الكفاءة اللغوية والأداء.

هوامش البحث:

- 1-الأزهر زناد ، نظريات لسانية عرفنية ،الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت ط1 ،ص27
- 2-جورج يول، التداولية ، ترجمة : قصي العتاي، دار الأمان ، الرباط ، 2010 م، ص 66 .
- 3-لأنجاكير مفهوم، صورة، الرمز: الأساس المعرفي النحوي. ، (اللغويات المعرفية). ، ط1، ، برلين/نيويورك: موتون، 1991م.
- 4 - ، Bouversse. Jpsychologie et linguistique , 2001, p 32.
- 5-ينظر : جورج يول، التداولية ،ترجمة قصي العتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، 2010 م.لبنان .
- 6-John I. Saeed, Semantics, (UK: Blackwell Publishers Ltd , 1997), P 299
- 7-Mark Turner , The Literary Mind ,(Oxford, Oxford University Press, 1996), p 141
- 8-محمد غاليم ، المعنى والتوافق تأصيل البحث الدلالي العربي ، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010 م، مصر، ص66.
- 9-ينظر : (The MIT Press,Cambridge,Mass. 1985) , pp. 16-22 Ray Jackendoff, Semantics and Cognition ,
- 10-ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط: 1، ص123 .
- 11-إبراهيم كونغ الجو: رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية ، دار الطباعة ، ط1 1998 م، مصر، ص.1
- 12-أحمد مومن، اللسانيات ، النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الثانية 2005م ،الجزائر. ص 203.
- 13-ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، ص 12.
- 14-أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور ، ص 202 .
- 15-المرجع نفسه ص204.
- 16-إبراهيم كونغ الجو: رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية ، ص.1
- 17-إبراهيم ، زكرياء ، مشكلة البنية ، دار مصر للطباعة ، د.ط. القاهرة ، 1991م ، ص 68.

18-وفاء محمد كامل ، مقال ، البنيوية في اللسانيات ، مجلة عالم الفكر ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 169 ، 2016م . ص:263.

*19- النحو: استعمل هذا المفهوم في اللسانيات التوليدية للدلالة على معنيين اثنين: أ- المعنى العام: يقصد به مجموع قواعد اللغة التي يمتلكها ضمنيًا كل فرد متكلم؛ بطريقة لا شعورية؛ ومعنى خاص: يصبح فيه النحو عبارة عن نظرية (Théorie) يقوم الدارس ببنائها؛ أي وصف ومعالجة القواعد التي يتوفر عليها المتكلم. وبناء على هذين المعنيين يمكن القول؛ إن النحو كما حدده تشومسكي هو آلية تصف وتفسر في آن واحد؛ يصف حينما يبين طبيعة القواعد الضمنية في ملكة المتكلم - المستمع المثالي، ويفسر عندما يقف على طبيعة النوايس، المتحركة في لغة معينة. (ينظر :حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ: قضايا إستيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009، ص 96.

**20- التوليد: Génération يتحدد هذا المفهوم بكونه استنباطا لمستوى لغوي من مستوى لغوي أعلى منه، وفق ما يسميه

تشومسكي « قواعد إعادة الكتابة »، إلى أن نصل إلى المستوى الأدنى الذي يؤدي الربط بين عناصره إلى الحصول على جملة قاعدية

صحيحة التركيب، أي أن امتلاك المتكلم لهذه القواعد قمين بجعله قادرا على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل بواسطة تطبيق هذه القواعد المحدودة. إذ من المتناهي نحصل على اللامتناهي.

***21- التحويل: Transformation نقصد بالتحويل عملية نقل المستوى العميق لجملة ما إلى مستواها الظاهر، أو نقل خيط في الجملة إلى خيط آخر للكشف عن المعاني الضمنية لهذه الجملة، أو هو إمطة اللثام على البنى العميقة حتى تتكشف البنى السطحية.

22-من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الفكر، ع 1، م 31، يوليو- سبتمبر 2008، ص: 152.

23- المرجع نفسه، ص 146.

24-مصطفى غلفان: "في طبيعة اللسانيات العامة: أوليات منهجية"، مجلة فكر ونقد، (المغرب)، العدد 96، (2008)، ص 55.

25- 7. 17, 18 . Nicolas-Ruwet : introduction gramatica generativa, p. نقلا عن د.التهامي الراجحي الهاشمي: الثنائيات اللسانية، ص145

26- محمد المدلاوي: "اللسانيات العربية المعاصرة ما بين البحث العلمي وتحافت التهافت"، مجلة دراسات أدبية ولسانية، (فاس)، العدد 3، (1986)، ص 73.

- 27- انظر بريجيتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان بول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، د ت، ص 278. 73.
- 28- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2000، ص68
- 29- ينظر: تشومسكي ، مازن الواعر ، مقال مجلة الموقف الأدبي، العدد-212 ، كانون الأول، 1988، ص.63
- 30- نعوم تشومسكي: اللغة والعقل تر: ابراهيم مشروح ، ومصطفى خلال ، دار تينمل ، ط1، مراكش ، ص.42
- 31- المرجع السابق، ص. 278.
- 32- المرجع السابق، ص156.
- 33- مصطفى غلفان: في طبيعة اللسانيات العامة: أوليات منهجية" ، مجلة فكر ونقد، (المغرب)، ع 96، (2008)، ص 55.
- 34- ينظر: تشومسكي ،مازن الواعر ، مقال مجلةالموقف الأدبي، العدد-212 ، كانون الأول، 1988، ص63
- 35- ينظر: المرجع نفسه ص.64
- 36- ينظر: أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ط1، القاهرة، عالم الكتب المصرية، 1995م (ص163، 164)

- قائمة المصادر والمراجع -

أولا : المراجع باللغة العربية :

- إبراهيم ، زكرياء ، مشكلة البنية ، دار مصر للطباعة ، د.ط. القاهرة ، 1991 م .
- إبراهيم كونغ الجو: رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية ، دار الطباعة ، ط1، 1998 م.
- أحمد مومن، اللسانيات ، النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الثانية 2005م ،الجزائر.
- بريجيتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان بول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، د ت، 73.
- جورج يول، التداولية ، ترجمة قصي العتاي، دار العربية للعلوم ناشرون ، ط 1 ، 2010 م.لبنان .
- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2000م.
- لانجاكير، مفهوم، صورة، الرمز: الأساس المعرفي النحوي. (اللغويات المعرفية البحث 1). برلين/نيويورك 1991 م .
- محمد غاليم ، المعنى والتوافق تأصيل البحث الدلالي العربي ، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010 م، مصر،
- محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار النشر والتوزيع ، بيروت، ط 1 ، 2004 م .
- مصطفى غلفان ، في طبيعة اللسانيات العامة: أوليات منهجية" ، مجلة فكر ونقد، (المغرب)، العدد 96، 2008م.

- ميشال زكرياء ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1991م.

- نعوم تشومسكي: اللغة والعقل تر: ابراهيم مشروح ، ومصطفى خلال ، دار تينمل ، ط1،مراكش، 1991 م .
ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية :

-Bouverse. Jpsychologie et luinguistique , 2001

-John I. Saeed, Semantics, (UK: Blackwell Publishers Ltd , 1997)

-Mark Turner , The Literary Mind ,(Oxford, Oxford University Press, 1996),

-Ray Jackendoff, Semantics and Cognition , (The MIT Press,Cambridge,Mass. 1985

ثالثا: الدوريات والمجلات:

- حافظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية، عالم الفكر، ع 1، م 31، يوليو- سبتمبر 2008

- مازن الواعر، تشومسكي، مقال مجلةالموقف الأدبي، العدد-212، كانون الأول، 1988.

- محمد عبد الرزاق قدورة، علما الطبيعة واللسان: صنوان عند تشومسكي، ت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج 3، 1991.

- المدلاوي: "اللسانيات العربية المعاصرة ما بين البحث العلمي وثقافت التهافت"، مجلة دراسات أدبية ولسانية، (فاس)، العدد 3، (1986م) .

- وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 169، 2016م.

تعليم اللغة العربية في الصين

Teaching the Arabic language in China

د. آمنة شنتوف (مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية)

ملخص:

يتزايد الإقبال على تعلم اللغة العربية من قبل الشعوب؛ فالجامعات العربية تزخر بكثير من الجنسيات الأوروبية والآسيوية والإفريقية والأمريكية التي تريد تعلم اللغة العربية من أجل الدراسة أو العمل، زيادة على هذا، بعض الدول سعت إلى تعليم العربية في موطنها الأصل، ومنها تجربة الصين في تعليم اللغة العربية، وهي من أهم التجارب التي دعمتها بعض الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

تهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على واقع اللغة العربية وانتشارها في الصين، مع ذكر الاستراتيجيات المعتمدة في تعليمها، وأهم المشاكل التي تعترض متعلميها.

الكلمات المفاتيح: اللغة العربية، الصين، التعليم، الاستراتيجيات، المتعلمين.

Abstract:

Demand is growing to learn Arabic by peoples, Arab universities are replete with much of the European, Asian, African and American nationalities who want to learn Arabic in order to study or work, Moreover, some countries have sought to teach Arabic in their native countries, Including the experience of China in the teaching of the Arabic language, which is one of the most important experiences supported by some Arab countries, especially Saudi Arabia.

In this paper, we aim to shed light on the reality of the Arabic language and its spread in China, mentioning the strategies adopted in its education, and the most important problems facing its learners.

Key words: Arabic language, China, Education, Strategies, Learners.

مقدمة:

تفرض القراءة العلمية الواعية توسيع الأفق في قراءة اللغة وقضاياها، وفي إطار العلاقة بين اللغة والمجتمع يمكن التمييز بين علاقة موجهة وعلاقة عفوية، فالعلاقة العفوية تفرضها عوامل عدة توجه السياق اللغوي تبعاً لمثيرات غير مقصودة عنوة، بينما العلاقة الموجهة يمكن أن تظهر في النظرة الواعية للقضايا اللغوية الآنية ومحاولة التنبؤ بمستقبلها، والتأثير في ذلك المستقبل عن طريق تخطيط علمي ينطلق من استراتيجيات مدروسة وذلك ما يسعى له التخطيط اللغوي وتظهر الأمثلة الواقعية من السياقات المختلفة أن اللغة ليست بمنأى عن التخطيط، ففي كثير من البيئات شهدت القضايا اللغوية عدّة

محاولات للتخطيط اللغوي، نجح بعضها وأخفق الآخر وتفاوت بعضها بين هذا وذاك، ومن التجارب المشهود لها بالنجاح التجربة الصينية في تعليم اللغة العربية والتي اخترتها عنواناً لبحثي، والإشكالية المطروحة هي: كيف خططت الصين لتعليم اللغة العربية؟ وماهي المشكلات التي واجهتها؟

وحتى أجب عن هذه الإشكالية سأحاول تدعيم مداخلتني بالعديد من العناصر المتمثلة في:

الجهود العربية والصينية في تعليم اللغة العربية للصينيين.

المناهج المعتمدة في تعليم اللغة العربية .

التخطيط لتطوير تعليم اللغة العربية .

مشكلات تعليم اللغة العربية في الصين.

الطموحات المستقبلية لتعليم اللغة العربية في الصين.

التحليل الاستراتيجي لتعليم اللغة العربية في الصين.

1. بدايات تعليم اللغة العربية في الصين:

أ- تعليم اللغة العربية في المساجد:

تشكل تعليم اللغة العربية في المساجد مع انتشار الإسلام وزيادة عدد المسلمين في الصين، فبدأ هذا النوع من التعليم في زمن جيا جينغ لأسرة مينغ (1522 - 1566 م)، على يد السيد خو دنغ تشو (1522 - 1597 م) العالم والمعلم المسلم من قومية هوي في مقاطعة شانشي. فكان يقبل الطلبة في بيته ويعلمهم مجاناً اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ثم انتقل إلى المسجد. فبدأ هذا النوع من التعليم في مقاطعة شانشي وامتد تدريجياً إلى مقاطعات خنان و شاندونغ ويوننان وقانسو وبكين وغيرها. و كان التعليم في المساجد بازدهاره يشمل النظم الابتدائية والإعدادية والعالية، وكانت حالتها مثل حالة الدول العربية، حيث المساجد في الدول العربية تقوم بدور المدارس¹.

ب- تعليم اللغة العربية في المدارس

بعد ثورة عام 1911، ونتيجة لتأثير الحركة الثقافية الجديدة المتمثلة في مقاومة الإمبريالية والإقطاع عرف المسلمون الصينيون تدريجياً الجوانب السلبية للتعليم في المساجد وبدأوا بإنشاء مدارس حديثة، وهي المدارس التي تدرس فيها اللغتان الصينية والعربية وهي تقبل أولاد المسلمين رئيسياً وتدرس المواد الثقافية الصينية والعربية في وقت واحد. وبعض هذه المدارس ابتدائية منها المدرسة الابتدائية الإسلامية الأولى من الدرجة الثانية في العاصمة (1908)، ومدرسة سيهجين في

شاويانغ (1906)، ومدرسة مويلان في تشين جيانغ (1906)، والمدرسة الابتدائية الإسلامية للدرجة الثانية في تشيت شيهيا؛ وبعضها متوسطة منها المدرسة العامة في شمال غربي الصين (كانت المدرسة الإسلامية عام 1928)، ومدرسة داتشنغ للمعلمين في جينان (انتقلت إلى بكين عام 1925)، والمدرسة الإسلامية للمعلمين في شانغهاي (1928)، ومدرسة مي نغده المتوسطة في كون مينغ بمقاطعة يونيان (1930). وقد تخرج في مثل هذا النوع من المدارس معظم العلماء المسلمين أمثال الأستاذ محمد ما كين والأستاذ عبد الرحمن نان تشانغ وغيرها من المثقفين المسلمين الذين كانوا الدفعة الأولى من الطلبة الصينيين الموفدين إلى جامعة الأزهر بمصر².

ت- تعليم اللغة العربية في الجامعات:

بدأ تعليم اللغة العربية في الصين عام 1943م عندما عين الأستاذ عبد الرحمن ناجون بعد تخرجه من جامعة الأزهر حاملا شهادة العالمية وهو أستاذ في الجامعة المركزية نان كينغ اليوم.

وفي عام 1946م أنشئ تخصص اللغة العربية لأول مرة في الجامعة الصينية، وأقبل الشباب الصينيون مسلمين وغير مسلمين لدراسة اللغة العربية كتخصص وصار هؤلاء الطلبة بعد تخرجهم كواحد أو علماء أو أساتذة ساهموا مساهمة كبيرة في إقامة علاقات بين الصين الجديدة والدول العربية. أنشئت الحكومة تخصص اللغة العربية في الجامعات ومعاهد متعددة، منها الشؤون الدبلوماسية وجامعة الاقتصاد والتجارة وجامعة الدراسات الأجنبية وغيرها من الجامعات.

ومنذ تسعينيات القرن 20م ومع تطور الاقتصاد الصيني وزيادة الانفتاح على العالم الخارجي كثر التبادل الاقتصادي والتجاري بين المناطق الصينية المختلفة وبين الدول العربية فبدأت بعض المقاطعات تفتح بإعداد مترجمين للغة العربية. ونتيجة ذلك تم إنشاء تخصص اللغة العربية في خمس جامعات اقليمية وبهذا تكون اللغة العربية تدرس في 13 جامعة ومعهدا عاليا في الصين اليوم، وإجمالي أعضاء هيئة التدريس نحو 120 فردا وإجمالي عدد الطلاب المنتسبين نحو ألف طالب معظمهم ليسانس وقليل منهم طلاب الماجستير والدكتوراه³.

وهذا ما يؤكد الدكتور محمد الصاري خبير اللغة العربية في كلية اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية حيث بين أن أعداد الطلبة تتضاعف، ولم تعد مقتصرة على موظفي الدولة الصينية الحكومية وصار تخصص اللغة العربية شائعا جدا مقارنة بالفترات السابقة إضافة إلى ذلك تم افتتاح أقسام لتدريس اللغة العربية في كثير من الجامعات الصينية الحكومية ليصل عددها إلى نحو 20 جامعة، هذا إلى جانب عشرات المعاهد والمراكز الخاصة ومن الجدير بالذكر أن أعداد الطلبة في بعض المعاهد تضاعف إلى 200٪⁴.

خلال السنوات الأخيرة، ازدادت التبادلات الثنائية بين الصين والدول العربية في شتى المجالات، وتماشيا مع ذلك تظهر العديد من المؤسسات الخاصة التي تعمل على تقديم منصة معلومات للجانبين، بما فيها شركة تجارية محدودة تحمل اسم

النافذة الصينية العربية، يشرف عليها تشين يونغ وتختص هذه الشركة بتقديم الخدمات التجارية للمؤسسات الصينية والعربية، وتمتلك مركزا لتعليم اللغة العربية. في بكين منذ أغسطس 2006م.

2. مساعدات عربية

يؤكد الدكتور والباحث شوي تشينغ قوه الذي يعمل في كلية اللغة العربية في جامعة الدراسات الأجنبية في بكين أن قضية اللغة في الصين ، حظيت بمساعدات عربية كبيرة . منذ تأسيس الصين الجديدة ، أوفدت الدول العربية خبراء وأساتذة ، ومدرسين إلى الصين لإلقاء الدروس العربية ، أو مشاركة الزملاء الصينيين في تأليف القواميس ، والكتب المنهجية ، أو إجراء التنقيح اللغوي على أعمال المترجمين الصينيين . وكان من بين هؤلاء أسماء أدبية لامعة كالروائي السوري الشهير حنا مينه .

ويلقى تعليم اللغة العربية في الصين اهتماما متزايدا من دول و حكومات عربية ، كما أوردت صحيفة الشعب اليومية الصينية ، فقد تبرعت دول الإمارات العربية المتحدة ، بمنحة لبناء "مركز الإمارات لتدريس اللغة العربية والدراسات العربية الإسلامية " في جامعة الدراسات الأجنبية في بكين، وهو عبارة عن بناء خمس طوابق بكامل تجهيزاته اللازمة ، إضافة إلى مكتبة عربية . فيما أهدت المملكة العربية السعودية معهدا لغويا إلى جامعة بكين . كما ساعدت في إنشاء "صندوق محمد مكين للدراسات الإسلامية" وتبرعت غرفة التجارة والصناعة في دبي ، لإنشاء "صندوق دبي - شانغهاي لتعليم اللغة العربية، وفي عام 1990م أهدت المملكة العربية السعودية معملا لغويا كما تبرعت إليها في عام 1995م لإنشاء أكاديمية مكين للدراسات الإسلامية في جامعة بكين وفي عام 1995 وبفضل تبرع صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الأجنبية ببكين ، وبدأ استخدامه رسميا وفي عام 1997م ، أهدى المكتب الإعلامي التابع لسفارة جمهورية مصر العربية لدى بكين إلى عدد من أقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية أنظمة لاستقبال القنوات الفضائية وإلى جانب ذلك وغيرها من الدول العربية إلى أقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية كتب و مطبوعات و مواد صوتية وبصرية كما ترسل إليها بعثة جامعة الدول العربية لدى بكين دورياتها ومنشوراتها مجانا كما يبادر كثير من السفراء العرب والمستشارين في السفارات العربية في الصين إلى إلغاء المحاضرات أو الكلمات في الجامعات الصينية وإضافة إلى ذلك لقي مجمع اللغة العربية بالصين للتدريس والدراسات تأييدا ومساعدة من قبل البعثات الدبلوماسية العربية في الصين في كثير من نشاطاته. 5

3. مشكلات وتحديات تعليم اللغة العربية في الصين:

إن تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية هي عملية ذهنية واعية لاكتساب السيطرة على الأنماط الصوتية والنحوية والمعجمية عبر دراسة هذه الأنماط وتحليلها، ومن المشكلات التي يعاني منها الطالب الصيني مشكلة تعلم نطق الأحرف العربية فثمة بعض المشكلات اللهجية والنطقية والجسمية ومردها إلى الأسباب الآتية

1. تأثير اللهجات المحلية الصينية:

يتكلم أهالي المناطق المختلفة باللهجات المتباينة ذات الخلافات الشاسعة، مما يجعل الطلبة المتقدمين من أنحاء البلاد يحيطون بالمشكلات المختلفة في دراسة نطق الأحرف العربية فتجلب هذه الصفة مشاكل كبيرة في تعلم اللغة العربية والخلط بين الأحرف المتشابهة النطق وغالبا ما ينظر المرء اللغات الصينية المختلفة على أنها لهجات على الرغم من أن متحدثي اللغات الصينية المختلفة والتي تنتشر كل واحدة منها في منطقة معينة، ويضاف إلى ذلك هذه اللغات تنقسم أيضا إلى لهجات وتعدّ اللهجة "بافنجهوا" هي الأكثر انتشارا ويتحدث بها ما لا يقل عن 850 مليون نسمة وتقوم على أساسها اللغة الصينية الفصحى ومن أهم اللهجات الأخرى.

لغة gam ويتحدث بها مليون 20 نسمة.

لغة hakaa ويتحدث بها 30 مليون نسمة

لغة minan ويتحدث 40 مليون نسمة ومن بينها اللغة التايوانية taiwanish ويتحدث بها 15 مليون نسمة

لغة wu ويتحدث بها 77 مليون

لغة yue ويتحدث بها 80 مليون نسمة.

تكتب الصينية بنظام كتابة فكرية تسمى "هاندرز" التي اخترعت قبل 4000 عام والتلميذ يحتاج إلى 6000 حلفة ليقرأ جريدة وأكثر من ذلك ليقرأ الكتب القديمة في الصين يستعملون الحروف المبسطة التي لها أشكال مبسطة .

اللغة الصينية لا تحتوي على أبجدية وإنما تحتوي على كلمات فالرمز من اليسار اليمين ومن أعلى لأسفل وما يخالف ذلك يعتبر خطأ.

القواميس والمعاجم الصينية إنما تعتمد على نظام عدد الخطوط في الرمز الواحد فتجرد الكلمة من الخطوط الزائدة وما تبقى بعدئذ تعد خطوطه ويأخذ مكانه في القاموس 6.

المفردة لا تعرف التصريف ولها فقط لواحق قليلة جدا، ويمكننا القول باختصار إن شكل المفردة الصينية لا يجعلنا نعرف من خلاله إن كان اسما أو فعلا أو صفة أو جمادا أو إنسانا.

ومن خواص اللهجات الصينية أن نجد أن نفس الكلمة يمكن استخدامها في وظائف عديدة. ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن تقسيم مفردات اللغة الصينية إلى فصائل (كالاسم والفعل والصفة والضمير إلخ.) كما في اللغات الأوروبية مثلاً لا معنى له. فكلمة SHANG الصينية تعني الأعلى أو السيد، وهي بالتالي هنا لها وظيفة الاسم. وإذا ما جاءت في

السياق التالي SHANG PIEN بمعنى الناحية العليا فإنها تؤدي وظيفة الصفة. وفي المثال التالي SHANG

MA بمعنى يمتطي الحصان فإنها تلعب دور الفعل. أما في العبارة MA SHANG فإنها تؤدي وظيفة حرف الجر.

على أنه يمكننا القول إن السياق والكلمات المحيطة بالكلمة وترتيبها هو الذي يجعلنا نقرر إن كانت الكلمة اسمًا أو فعلاً أو صفة أو حرف جر كما في المثالين SHANG MA و MA SHANG. وهذا الكلام ينطبق فقط على لغة الكتابة. أما لغة التحدث فلها لواحق مختلفة، تجعل من الكلمة اسمًا بكل وضوح. فمن الممكن أن تدخل اللاحقة TZU، وهي كلمة تأتي في السياق الأدبي بمعنى ابن أو صبي كـمقطع اشتقائي بلا نبر (وينطق ds) وبذلك تنشأ كلمات تشير بوضوح على أنها أسماء كما في الأمثلة التالية (I-TZU: بمعنى كرسي فوئية) و (TU-TZU بمعنى بطن). وهناك مقطع آخر في لهجة بكين وهو ERH والذي يعني إن جاء مستقلاً «صبي»، أما إذا جاء كلاحقة بدون نبر فإنه يدل على التصغير.

وفي اللغة الصينية لا نجد أي أثر للتذكير والتأنيث، فالضمير T'A يشير بشكله هذا ودون تغيير للمذكر والمؤنث. كما أن شكل الكلمة وحده لا يبيّن إن كانت الكلمة مفردة أو جمعاً، وبالتالي يمكن أن يكون معنى الكلمة الآتية «HO نحر» أو «أنهار» وفقاً للسياق. وللإشارة على الكلية يلجأ الصيني للطريق القديمة المنتشرة وهي التكرار، وأحياناً تضاف اللاحقة MEN للدلالة على الجمع في الضمائر، كما في الأمثلة التالية:

▪ WO-أنا، في WO-MEN نحن، نا

▪ NI-أنت، ك NI-MEN أنتم، كم

▪ T'A-هو، ه، هي، ها T'A-MEN هم، هن

وكما في الاسم فإننا لا نجد أثراً للعلامات الإعرابية في الضمائر.

كما أنه ليس من العجب ألا نجد أشكالاً مختلفة للفعل للتعبير عن المفرد والجمع والزمن والمبني للمعلوم والمبني للمجهول. ومن الطبيعي أن نؤكد هنا على القول إن ترتيب الكلمات في اللغة الصينية له قواعد صارمة نظراً لغياب التصريف فيها⁷.

2. مشكلات في تعلم بعض الحروف الصعبة في النطق:

عندما يسمع الصينيون بعض الأحرف مثل الراء والقاف والغين يشعرون بأن ألفاظ هذه الأحرف غريبة وأنهم لا يستطيعون نطقها مما يترك حاجزاً في دراسة نطق اللغة العربية ويؤثر على التعليم والدراسة وهناك مشكل يتعلق بالجانب الجسمي لأن بعض هذه الحروف الصعبة لا توجد في لغتهم فينقص الطلبة الخبرة والإحساس بلفظها مما يجعلهم عاجزين عن تدريب أعضاء النطق لفظها.

3. التأثيرات السلبية للألفاظ الصينية في تعلم نطق الأحرف العربية:

ويتمثل هذا التأثير في التشابه بين بعض الحروف الصينية والحروف العربية في النطق فلا يستطيع الطلبة التخلص من هذه التأثيرات ونفس الأمر مع اللغة الإنجليزية كذلك.

4. أوجه الخلاف بين اللغتين:

ويتمثل في وجهين هما

أ- اختلاف النطق بين اللغتين العربية والصينية وسبق الحديث عنه

ب- تركيب الجملة بين اللغة العربية واللغة الصينية الأم

فاللغة العربية تميل إلى المبادرة إلى التعبير عن المركز المقصود في ترتيب الكلمات فيتقدم المضاف على المضاف إليه والموصوف على الصفة وغيرها لكن نجد اللغة الأم عكس ذلك فعلى سبيل المثال في اللغة العربية تقول ذهب إلى ميدان الجامعة، لكن أصبحت ترجمة هذه الجملة إلى الصينية ما يتبادل إلى ذهنه هو أن هذا الرجل ذهب إلى الجامعة ومن هنا يتضح الاختلاف في تركيب الجملة في اللغتين. 8

وهناك اضطرابات أخرى يقع فيه الطالب الصيني والمتعلقة بمستويين هما مستوى التركيب ومستوى الأفراد.

*مستوى التركيب:

وهذا النوع من اللغة يدخله اضطرابات شتى جراء ما يقع فيه الممتحن من ملاحظته وجهها تركيبيا وإعرايبا عن وجه آخر أكثر لا يمكن الحكم عليه بالخطأ بحال من الأحوال، ويفسر هذا الاضطراب ذلك التعقيد في أساليب تحليل التركيب ومعادلاته الذي وصفه الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة بالتضليل حيث يحدث خلال هذه العمليات التحليلية أساليب التعبير عن العنصر الواحد في موقع معين ووظيفة مخصصة⁹.

وهذه المشكلة تواجه واقع الدرس العربي بين الطلاب الصينيين قبل ثلاثة عقود ولما تجد طريقها للحل حتى اليوم ومن خلال النماذج التالية سيتضح حجم المشكلة وهي من اختبار المستوى الرابع

النوع الأول: تختيار الطالب بين خيارات فيها تركيبان صحيحان جائزان محتملان وإن اختلفا وظيفة.

مثال: تختيار الطالب بين الحال المفردة والتمييز

لما سمع حسن هذا الخبر كاد يطير

أ- فَرِحَ ب - فَرِحَ ج- فَرِحًا د- فَرِحًا

يختلف الحال عن التمييز بأن الأول مشتق غالباً والثاني جامد غالباً، فمعنى كاد يطير فَرِحًا أي من الفرح تمييز وهو جامد ، ومعنى يطير فَرِحًا أي في فرح وهو حال فعلا م يأتي الممتحن بهما في مجموعة اختبارات وكلاهما جائز ممكن ولم يستفد شيئاً سوى إلحاق الاضطراب بذهن الطالب.

النوع الثاني: تختيار الطالب بين خيارات فيها تركيبان صحيحان أو أكثر متحدان وظيفية وإن اختلفا رتبة .

مثال: تختيار الطالب بين تراكيب متماثلة في المعنى

لم يتكلم شيئاً.....يعرف حقيقة الأمر.

أ- برغم أنه ب- رغم على أنه ج- مع أنه د- إلا أنه

في ذلك المثال حشد نظائر دون أدنى نظر فيما بينها من تماثل وتقارب، فمع أنه وإلا أنه كلاهما ممكن سائغ صحيح اختياره في هذا المثال ومع ذلك لم ينتبه الممتحن لمثل ذلك.

مثال: تختيار الطالب بين وجهين سائغين نحويًا

تمّ بيع من مجموع الوحدات السكنية في المشروع.

أ/ ثلاثة أخماس ب/ ثلاث أخماس ج/ ثلاثة الأخماس د/ ثلاث الأخماس

فهنا يختيار الطالب بين وجهين سائغين من أوجه مجيء العدد المضاف في الجملة وهما التنكير والتعريف ، فإنه من المقرر في القاعدة أن العدد إن أريد تعريفه فإن كان مضافاً فالطريق فيه أن تعرف المضاف إليه بأن تدخل فيه الألف واللام ثم تضيف إليه العدد وبناء عليه فكل من الاختيارين المدرجين في الاختيارات الإجابة صحيح ثلاثة أخماس باعتبار التنكير ، وثلاثة الأخماس صحيح باعتبار التعريف10.

مستوى الأفراد:

يجد الطلاب بهذا المستوى اضطرابات متكررة يسببها أحد ثلاثة أنواع من الأسئلة:

يجد الطلاب بهذا المستوى اضطرابات متكررة يسببها أحد ثلاثة أنواع من الأسئلة:

النوع الأول: أن يضع واضع الاختبار أربعة اختبارات تتكون من كلمات متقاربة المعنى ويطلب منهم أن يختاروا واحدا لإكمال الجملة.

النوع الثاني: أن يأتي بمفردة في السؤال تحتها خط ويطلب منه أن يختار مفردة مترادفها في المعنى من اختيارات أربعة.

النوع الثالث: أن يأتي بالمفردة ويطلب منه اختيار ضدّ مناسب لها من بين اختيارات أربعة.

والقاسم المشترك بين الأنواع الثلاثة هو أنه لا فرق يذكر بين بعضها أو بينها جميعا وهذا ما يتضح من الامتحان.

الجدول الأول: عينة من أسئلة اختيارية المطلوب فيها إكمال الجمل بكلمة مناسبة

التسلسل	نص السؤال الاختياري
1	إن عميد الكلية....مسابقة القراءة ويوزع الجوائز على الطلبة الفائزين.
2	يحقّ لكل مناّ....رأيه
3	تموّ الصين السريع يخلق فرصا، لا...تهديدا
4	كانت يدا الإنسان...للعيش

فالملاحظ في الاختيارات الأربعة في كل سؤال بمعزل عن الواقع الدلالي المعجمي الحقيقي والجازي للمفردات التي حددها. فتراه يحشد مفردات متقاربة متمثلة ظنا انه يضع الطالب في مضيق لا ينفذ منه إلا الطالب الواعي ولا يدري بذلك أنه أوقع الطالب الواعي وغير الواعي في اضطراب لا يحله إلا أن يضع الطالب إجابته غير مقتنع بها من أجل الحصول على الدرجة لا غير.

الجدول الثاني: عينة أسئلة اختيارية المطلوب فيها اختيار مضاد مناسب

التسلسل	نص السؤال الاختياري
1	بعدها تم شراء مبلغ كبير الدولارات <u>انخفض</u> سعر الدولار
2	أصبحت شوارع المدينة <u>خالية</u> من السيارات بعد أوقات الدوام.
3	منظمة "تيار المستقبل اللبناني" تنفي <u>أتهام</u> سوريا بتورطها في تفجير دمشق.
4	أطرح عليكم موضوعا قد يكون البعض غير متبته له أو <u>يستهيّن</u> به وإنه موضوع الفلسفة الدينية.

هنا يطلب من الطالب أن يختار كلمة مضادة للكلمة المحددة في صلب النص، فيخيره بين اختيارات لا فارق بين جميعها كما في المثال رقم 2، أو بين معظمها كما في المثالين 1 و3 أو بين اثنين منها كما في المثال رقم 4، وليس ذلك إلا لانحصار تلك المفردات في قالب استعمالي معين مما يعرض الطالب للاضطراب. 11

5. عدم كفاءة الخبراء العرب :

ويتمثل هذا في بعض الجوانب منها أنهم يعتمدون طرق التدريس الحديثة ولا سيما كيفية تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها والاختبارات المقدمة سابقا خير دليل على ذلك.

6. نقص المعامل اللغوية:

نظرا لمحدودية المخصصات لأقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية، فلا تتوفر الموارد المالية لإنشاء المعامل اللغوية الكافية لغرض تمارين الطلاب اللغوية مما أفضى إلى تديي مستوى الطلاب اللغوي والمتجسد في ضعف الاستماع والحوار.

7. نقص المساعدات المادية والمعنوية من قبل الحكومات العربية:

هناك برامج تعاون ثنائية بين الحكومتين الصينية والعربية في إطار تبادل الطلاب الوافدين ونُقد بعضها بشكل منتظم وأتى بالنتائج المرجوة لكن بعضها الآخر يبقى حبر على ورق ولم يترجم إلى فعل.

فهناك وزارة خليجية على سبيل المثال وضعت شروطا صارمة في عملية اختيار الطلاب الوافدين مثل شرط الحصول على درجة في اختبار TOFELHG الانجليزي.

فالمساعدات العربية موجودة كما سبق الذكر ولكنها ضئيلة جدا.

إضافة إلى نقص الترتيبات بين مختلف أقسام اللغة العربية في الصين في تأليف الكتب المدرسية فهي غير موجودة بين جامعة بكين وجامعة الدراسات الدولية بكين وبشانغهاي وبالتالي لن تأتي النتائج المرجوة مما يزيد من صعوبة تنظيم الاختبار اللغوي. 12

4. واقع مناهج اللغة العربية في الصين:

وتتمثل هذه المناهج في منهجين المنهج القديم والمنهج الجديد.

أ/ المنهج القديم:

هو أول منهج علمي موحد لتعليم اللغة العربية في الصين، وهو منهج يتكون من ثلاثة أقسام القسم الأول النصوص التي تتناول جهة التعليم والامتحان، القسم الثاني: الملاحق التي تتناول خمس ملاحق وهي جدول النطق والنحو وأساليب التعبير المختلفة والمهارات اللغوية وجدول الامتحانات وقائمة المفردات الأساسية. أما القسم الثالث فهو توضيح للمنهج كما حدّد المنهج كلّ قسم بالتفصيل في المستويات الثلاث.

ب/ المنهج الجديد:

بدأت مدّة الدراسة في كليات اللغة العربية تتغير حيث تحولت من خمس سنوات إلى أربع سنوات تساهرا مع كليات اللغات الأخرى في الجامعات الصينية ومن ثمّ بدأ مشروع المنهج الجديد من عام 1993م حتى عام 1997م، ثم رفع إلى إدارة التعليم للجنة التربية والتعليم العالية الصينية.

و هو وضع بناء على أساس المنهج القديم يقع في مجلّد واحد يتناول قسمين:

القسم الأول للمرحلة الأساسية : يحمل اسم منهج تعليم اللغة العربية للمبتدئين في الجامعات الصينية مدتها المقررة سنتين في أربع مستويات بيد متطلبات التعليم من المنهج الجديد للمبتدئين ، يقع هذا في مجلد واحد يتناول قسمين : القسم الأول للمرحلة الأساسية يحمل اسم (منهج تعليم اللغة العربية للمبتدئين في الجامعات الصينية) مدتها المقررة سنتين في أربع مستويات . أي كل فصل يعتبر مستوى ، أما **القسم الثاني** فهو للمرحلة العالية يحمل اسم (منهج تعليم اللغة العربية للصفوف المتقدمة في الجامعات الصينية) ، مدتها المقررة سنتين أيضا على أربع مستويات بيد متطلبات التعليم من المنهج الجديد للمبتدئين تناول المستويين أيضا وهما المستوى السادس والمستوى الثامن.

ومما سبق يتضح أنّ هذين المنهجين يعتبران منهجا واحدا على المستوى الجامعي في الجامعات الصينية ، إذ لا يوجد هناك حد فاصل بين المرحلتين في الجامعة من حيث أن كلية اللغة العربية في أي جامعة بالصين لم تفرق بين المرحلتين فرقا واضحا وإنما تتقدم المستويات مع التقدم السنوي حسب الفصول الدراسية كسلم يتعالى كل فصل وكل سنة ومن ثم فلا داعي لتسمية المنهجين للمرحلتين.

7. رسم السياسة اللغوية لتعليم العربية في الصين:

1. إرساء المفاهيم الإيجابية لتعلم الأصوات العربية:

وتتمثل هذه المفاهيم في اللغة صوتا واللغة تقليدا واللغة قابلة للتصحيح .

أي زيادة اهتمام الطلبة بدراسة الأصوات باعتبارها أساس تعلم اللغة ، وأيضا اعتماد التمرينات التي تقوم على الأصوات وتقليدها لأنهم يتخذونه أسلوبا ضروريا في المسار الدراسي ، وكذلك يساعد في تصحيح النطق وتحسين الأداء النطقي وخاصة الطلبة القادمين من مناطق اللهجات الصينية التي تمتاز بعدم التمييز بين نطق الحروف مثل السين والشين.

2. استخدام نظريات علم الأصوات الحديث في تعليم اللغة العربية:

تدريس المعلومات الصوتية باستخدام علم اللسانيات للطلبة المبتدئين من أجل التمييز بين الصوتين المختلفين في اللغة العربية.

3. تفعيل السياسة اللغوية لتعليم العربية في النظام التربوي :

الالتزام السياسي بنشر اللغة العربية لتعليم العربية كلغة ثانية وإحدى المكونات الرئيسية لدعم العلاقات الثقافية بين الصين والعرب.

4. تسجيل الأصوات وتحليلها :

من خلال طرق كثيرة منها التقليد للطلاب بعد الاستماع إلى نطق المعلم وتكرار التقليد للطلاب بعد الاستماع إلى نطق المعلم وتكرار التقليد للطلاب بعد الاستماع إلى صوت التسجيل وتقديم عرض بأخطاء الطالب للمعلم والتسجيل يمر بمرحتين اثنتين "التسجيل من الطالب" و"التحليل من المعلم" أما التحليل فهو من أهم المهام التعليمية ، لأنه مدخل إلى معرفة عوامل قيام الطالب بأخطاء صوتية وكيفية اكتشاف الأخطاء لذا فمن الضروري الاستعانة بالبرامج العلمية خلال القيام بتحليل الأصوات.

5. اختبار الأصوات الشامل:

إن اختبار الأصوات هو نتائج تجربة تعليم المرحلة الصوتية ومدخل إلى مرحلة القواعد النحوية والأساليب اللغوية ، ويجب الاهتمام به بعد تعليم الأصوات لعلاج مشكلة النطق يمكن رعاية الأمور الآتية في عملية تدريس التحدث وذلك من خلال:

1- تزويد الطلاب ببعض المعلومات حول أجهزة النطق التي يوظفها الإنسان في عملية إخراج النطق.

2- تزويد الطلاب بخطة وطريقة صحيحة يتم العمل على أساسها خلال التمرن على النطق والاستماع إلى نطق الأستاذ بانتباه وغيرها من الأمور.

3- اتباع خطة تقديم الحروف العربية في عملية التدريس حسب مخارج أصواتها أي أن يكون ترتيب الحروف في البرامج التدريسية.

4- إن نطق بعض الحروف العربية تكتنفه صعوبات معينة تقابل الطلاب الصينيين. 13

8. عوائق تعليم اللغة العربية الفصحى في الصين:

- ضعف التنسيق والتكامل بين المؤسسات التربوية الصينية في تعليم اللغة العربية.
- قلة توافر المعلمين الكفاء وضعف تأهيلهم.
- ندرة مسايرة المناهج الدراسية للعصر الحديث وحياة الدارسين وتلبية رغباتهم واحتياجاتهم.
- قصور نظام التقويم وافتقاده لاختبار قياسي معياري.
- صعوبة تعلم الأصوات العربية للصينيين ومنها الضاد والدال..
- ندرة برامج تعلم مهارة التحدث للصينيين والتدريب على النطق الصحيح والسليم.
- نقص البحوث والدراسات العلمية في مجال التقابل اللغوي بين العربية والصينية.

خاتمة:

من خلال ما قدمناه في هذا البحث ما يمكن الإشادة به أن ما يدل على نجاح الصين في التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية ورغم ما ذكرناه من بعض المشاكل والصعوبات ما يلي:

*زيادة عدد أقسام اللغة العربية ومؤسساتها بالصين.

*زيادة إقبال الطلاب الصينيين الملتحقين ببرامج تعليم اللغة العربية بالمؤسسات التربوية.

*منح الجامعات الصينية درجة الدكتوراه في اللغة العربية

*الاتفاقيات بين الدول العربية والصين في مجال تعلم اللغة العربية في الصين.

*تنوع مؤسسات تعليم اللغة العربية في الصين والمتمثلة في الجامعات والمعاهد العالية والمدارس الإعدادية والثانوية وفي المساجد وكذلك دورات متخصصة قصد الزيارة أو العمل في بلد عربي.

*توافر المناهج الدراسية بالمؤسسات التربوية الصينية.

التوصيات:

- إيجاد مصادر بديلة لتمويل مشروعات تعليم اللغة العربية للصينيين وذلك من خلال تعاون الدول العربية عن طريق التمويل أو إرساء أكفاء متخصصين لتنفيذ هذه الاستراتيجية.
- إجراء بحوث في مشكلات تعلم الصينيين اللغة العربية وذلك من خلال اهتمام الباحثين على طرائق التعليم من حيث هيكل علم اللسانيات والمهارات اللغوية.
- تصميم برامج في مهارات اللغة العربية للصينيين والمتمثلة في الاستماع والمحادثة والقراءة والترجمة الكتابية أو الشفهية مع وضع برامج الكترونية لتعليم المهارات بطريقة تفاعلية باستخدام المنهج التواصلي.
- إرسال معلمين إلى الجامعات العربية للتعلم في دراسة اللغة العربية وآدابها و ثقافتهم وذلك بصفتهم باحثين زائرين وتعایشهم مع مجتمع العربي.

قائمة الهوامش:

- 1- China radio international Arabic.cri.cn/81/2007/10/30/181/8587chtm
- 2- اللغة العربية في الصين chin.org.ch/Arabic/188103hitem
- 3- شوي تشينغ قوه، اللغة العربية في الصين الحديثة، بكين، صحيفة الشعب اليومية أونلاين، 2014/09/19
- 4- نجاح أحمد الظهار، اللغة العربية في الصين واليابان، جريدة المدينة، 2014/11/14، ص2
- 5- chin.org.ch/Arabic/188103hitem اللغة العربية في الصين، مقال من الانترنت، شبكة الصين
- 6- اللغة الصينية - المعرفة - https://www.marefa.org
- 7- نفس الرابط والمقال
- 8- إيداد عبد الله و باشا أبو بكر وأحمد باغدوان، تعليم وتعلم اللغة العربية في ماليزيا بين التحديات والطموح، المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات، ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين الصين، ص74 وما بعدها

9- ينظر: خالد بن مسعود العصيمي ، القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة -جمعا ودراسة وتقيوما -إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام 1415م/1995م، ط1، دار التدميرية ،ابن حزم ، 2003م

10-مصطفى محمود حسين شعبان ، اضطرابات تطبيق القواعد على الأساليب المعاصرة لدى غير الناطقين بالعربية - اختبار المستوى الرابع للغة العربية بالجامعات والمعاهد الصينية نموذجاً- دليل العربية ، كلية اللغات الأجنبية جامعة القوميات، الصين ، ص 5 و6

11- المرجع نفسه ،ص7

12- لي شينغهاو ، تاريخ الاسلام في الصين، دار النشر الاجتماعية ،د.ط،1998م ص 720 و 725

13- ينظر: محمد محمود عبد القادر علي، جهود العرب في تعليم اللغة العربية في الصين رؤية استراتيجية، مؤتمر الدولي الثالث دبي الإمارات الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها في الوطني العربي والدولي ،6 أكتوبر 2014م، ص 26 و27 و28 بتصرف

قائمة المصادر والمراجع:

1- خالد بن مسعود العصيمي ، القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة -جمعا ودراسة وتقيوما -إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام 1415م/1995م، ط1، دار التدميرية ،ابن حزم، 2003 م

2-مصطفى محمود حسين شعبان ، اضطرابات تطبيق القواعد على الأساليب المعاصرة لدى غير الناطقين بالعربية - اختبار المستوى الرابع للغة العربية بالجامعات والمعاهد الصينية نموذجاً- دليل العربية ، كلية اللغات الأجنبية جامعة القوميات ،الصين .

3- لي شينغهاو ، تاريخ الاسلام في الصين، د.ط، دار النشر الاجتماعية،1998م

المقالات والروابط الالكترونية:

1- إياد عبد الله و باشا أبو بكر وأحمد باغدوان، تعليم وتعلم اللغة العربية في ماليزيا بين التحديات والطموح، المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات، ماليزيا والصين ،كلية اللغة العربية ،جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين الصين.

2- محمد محمود عبد القادر علي، جهود العرب في تعليم اللغة العربية في الصين رؤية استراتيجية، مؤتمر الدولي الثالث دبي الإمارات الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها في الوطني العربي والدولي ،6 أكتوبر 2014

3- شوي تشينغ فوه، اللغة العربية في الصين الحديثة ، بكين ، صحيفة الشعب اليومية أونلاين ، 2014/09/19م،

4- نجاح أحمد الظهار، اللغة العربية في الصين واليابان ، جريدة المدينة ، 2014/11/14،

6-chin.org.ch/Arabic/18 China radio international اللغة العربية في الصين

7- اللغة العربية في الصين China radio international

Arabic.cri.cn/81/2007/10/30/181/8587chtm chin.org.ch/Arabic/188103htem

8- اللغة الصينية - المعرفة- <https://www.marefa.org>

"الوشام": ذاكرة جسد بين المصرّح نقائش والمسكوت عنه رسائل

« The Amazigh tattoo : a Body memory in between declared shapes and unspoken messges »

د. زينب قندوز غربال (جامعة القيروان تونس)

ملخص:

يُعدّ الوشم ممارسة ضالعة في التاريخ، وهو شكل من أشكال الاشتغال على الجسد، عبّر به ومن خلاله الأمازيغ -مثلا- عن وعيهم بأهمية الجسد، باعتباره صورة الفرد، كجزء من الجماعة. فعلامات الوشام مستوحاة بشدة من الرمزية التقليدية وإشارات ذات قصد تجميلية، وقائية، سحرية وحتى دينية: من ذلك الحفاظ على الذات والأنواع، خصوبة الأرض والنساء، عبادة الموتى والسحر الوقائي. فكيف كان لحضور هذا الوشم عند الأمازيغ؟ تجلياته؟ وإلى أي مدى يبقى لهاذا "الوشام" أثره جسدا وذاكرة؟

الكلمات المفتاحية: الوشام، الجسد، الذاكرة، الرسائل.

Tattooing is a deep practice in history and it is a form of work on the body. It is exploited by the mazigh for instance to express Their awareness of the the body importance to the individual image as a part of the group. The tattoo signs are deeply inspired from Traditional symbolism and signals of aesthetic Preventive, magical and even religious Intentions. To mention but a few ;Self-preservation and species ,Fertility of land and women , worship of the dead And preventive magic.

How was the presence of tattoo to the Amazigh ? its manifestations? To what extent does this tattoo have its effect on body and memory?

تقديم:

غريب أمر هذا الجسد كيف يتداخل في مختلف مجالات التفاعل المحيطة بالإنسان من كلّ جهة واتجاه-يتداخل في عالم الدين والايمان، في عالم الاجتماع والتجمع، في عالم الرموز والوضيعات العلائقية اليومية بين البشر. وضع الجسد مرآة صاحبه وعنوانه أينما كان في حلّه وترحاله، يصحبه ويصاحبه، يتصرّف فيه لكن بحدود. ولعلّ وشم الجسد من الحريات المشروطة.

يُعدّ الوشم ضربا من الرسم على الجسد لوسوم وتعليمات تحمل دلالات طقوسية واجتماعية وهو في مناطقنا في شمال إفريقيا ضارب في القدم وكان يقصد به استرضاء الآلهة وطلب الخصب، وربما دلالة الخصب لها أيضا معاني إيجابية جنسية لذا ارتبط عند سلفنا من البربر الامازيغ بمعاني الأنوثة والخصب.1 غير أن الوشم الأمازيغي يتمييز عن غيره من رسوم الوشم

بكونه ظاهرة "حياتية"؛ اجتماعية ونفسية وأنتروبولوجية وحضارية وثقافية وهويته. فالوشم عبارة عن مدونة حيّة عن مسار الإنسان الأمازيغي وهويته في منطقة شمال أفريقيا. لكن بعد أن عدّ الوشم الأمازيغي علامة مميّزة وفارقة في حياة المجموعة، ما مدى محافظته على موقعه في الوقت الراهن؟ وفي صورة حفظ الشكل، هل مازال متمسكا بالمعنى؟ وكيف يُنظر إليه الآن؟ إرث وتركه حيّة ام نقائش للزينة لا غير؟

I. الوشم: حفريات في نصوص التاريخ:

تفننت الشعوب منذ القدم في فن الرسم على الجسد بتعبيرات مختلفة ولغايات متنوعة. ويعتبر الوشم من أقدم تلك الممارسات، إذ ظهر في مختلف الحضارات على مرّ التاريخ. عُرف الوشم كفن ورمز لكثير من المفاهيم، فقد استخدم للعديد من الدلالات ذات المعاني عند الشعوب، وعلى الرغم من أنه ليس حكرا على بلد أو حضارة دون غيرها إلا أنه يبقى مرتبطا بشكل أو بآخر بثقافة المجتمع الخاصة به. هذا وقد ارتبط الوشم في البدء بالديانات القديمة التي اعتبرته رمزاً لديانتها وألهتها كما عرف كوسيلة لمحاربة الشيطان والقضاء على السحر الأسود إلى غير ذلك من الدلالات.

عرفت مجموعة من الشعوب الإنسانية ظاهرة الوشم الجسدي، قبل أن ينتقل إلى شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد ارتبطت بمجموعة من العقائد والعبادات والديانات القديمة. وكان الوشم معروفا لدى الصينيين، واليابانيين، والهنود، والأفارقة، والفرس، والفراعنة المصريين، واليونانيين، والرومان وغيرهم من الحضارات والمجتمعات التي تعاقبت على وجه البسيطة... ويعني هذا أن الوشم ظاهرة قديمة في المجتمعات البشرية، فعلى سبيل المثال؛ فقد عرف منذ قدم الزمان في مصر، حيث وجد على بعض الموميات المصرية. كما استخدمه المصريون القدماء كعلاج ظنا منهم أنه يبعد الجسد. فيما اتخذته بعض الشعوب كقران لفاء النفس أمام الآلهة. كما كان الوشم تعويذة ضد الأرواح الشريرة، ووقاية من أضرار السحر؛ فقد عثر على جثث تعود إلى العصر الحجري الحديث، والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم. كما استخدم الوشم لتحديد الانتماء القبلي، وتمييز مجموعة بشرية معينة من غيرها. أضف إلى ذلك، فقد "كان الوشم في فجر التاريخ ذا طابع بدائي قبلي، حيث كانت القبائل تتخذ من بعض الحيوانات حاميا وصديقا وأمانا لها، فتجعل من رأسه طوطما تحتفل به، وتصنعه شارة على بيوتها أو سيوفها أو وثما على صدور رجالها. ويظل هذا الحيوان رمزا محترما لدى هذه الشعوب وأجيالها." 2 3

وكان الوشم عند القبائل الأفريقية الطريقة الوحيدة للتمييز بين قبائلها، في حين كانوا في غينيا يلجؤون الى تلوين اجسادهم كتعبير عن حالة معينة أو ايصال رسالة تعبر عن شيء ما، ولا نستطيع أن نتجاهل دور البحارة في نشر هذا التقليد، كما قد يرمز الوشم إلى القوة التي تساعدهم على تحطيم المصاعب ومخاطر الإبحار فقد يعتقد مثلا أن رسم "الديك" على القدمين يحمي البحار من الغرق وكتابة عبارة "تمسك جيدا" تعطيه الدافع لمواجهة العواصف والتغلب عليها.

وقد عرف المجتمع الأمازيغي هذا الوشم كذلك، فقد استمدّ البربر العناصر الزخرفية للمصنوعات الفخارية والجلدية والفضية من الوشم نفسه، ولاتزال قبائل البربر تستخدم بعض الكتابات والرموز الزخرفية في تزيين بيوتها القديمة. ولهذا، نرى أن المرأة البربرية لاتزال تحمل في بعض المناطق الظاهرة من جسدها وشما يمثل أحد حروف اللغة البربرية. كما أن ظاهرة الوشم انتشرت في شمال أفريقيا إبان الديانة المسيحية. أي: قبل دخول الإسلام نظرا للتأثير المباشر الذي كانت تمارسه الإمبراطورية الرومانية آنذاك، كما أن الوشم عرف في جميع الثقافات الآدمية، وارتبط بها كتعبير جسدي، له مدلولات تختلف من ثقافة إلى أخرى.⁴



جسد مُلوّن وآخر موشم... محملٌ وقسرات

قبيلة جنوب افريقيا...

وربما قد يكون هذا الوشم نتاجا للتأثر بالديانة المسيحية، فقد ظهر الوشم قديما في دول شمال أفريقيا، فحتى القرن السابع الميلادي، كانت تسكن المغرب العربي قبائل أمازيغية تدين لبعضها بالديانة المسيحية نظرا للتأثير المباشر الذي كانت تمارسه الإمبراطورية الرومانية. ويظهر نقش الصليب موشوما على جباه النساء، وإن كنا نرجح الدلالة الرمزية لهذا الوشم تعود أساسا لحرف التاء باللغة الأمازيغية.⁵



غدامس الليبية... رسوم وشيفرات

وربما كان ذلك نتاجا للتأثر بالديانة اليهودية، فقد كان اليهود يشمون أطفالهم ويسمونهم بعلامة الصليب، وقد كانت هذه العادة معروفة عند المسلمين في جنوب وهران بالجزائر⁶. ومع أن الإسلام حارب الوشم مع تحريمه للرسم إلا أن عودته ظلت ملحوظة في العهد العثماني مع تشتت القبائل العربية في الصحراء ربما إعلانا للخروج عن القانون الاجتماعي وضربا من الثورة ضد القيم الرسمية أو تأثرا بالثقافة الامازيغية البربرية.

II. ما الوشم؟⁷:

يعرف الوشم -في اللغة- بالعلامة أو الرسم أو الوشم فوق طرف من أطراف جسم الإنسان، كأن يكون كتفا أو ذراعا أو يدا أو ذقنا أو جبهة، باعتماد آلة حادة، أو إبرة واخزة، أو حناء ملونة. أما جمع كلمة وشم، فوشوم ووشام. وغالبا، ما يكون الوشم للتزيين والتنميق والتجوير والتجميل. وفي هذا، يقول ابن منظور في معجمه (لسان العرب): "وشم: ابن شميل: الوسوم والوشوم العلامات. ابن سيده: الوشم ما يجعله المرأة على ذراعها بالإبرة ثم تحشوه بالنثور، وهو دخان الشحم، والجمع وشوم ووشام... والبرشم البرقع. ووشم اليد وشما: غرزها بإبرة ثم ذر عليها النثور، وهو النيلج. والأشم أيضا: الوشم. واستوشمه: سأله أن يشمه. واستوشمت المرأة: أزدت الوشم أو طلبته. وفي الحديث: لعنت الواشمة والمستوشمة، وبعضهم يرويه: الموتشمة، قال أبو عبيد: الوشم في اليد وذلك أن المرأة كانت تغرز ظهر كفها ومعصمها بإبرة أو بمسلة حتى تؤثر فيه ثم تحشوه بالكحل أو النيل أو بالنثور، والنثور دخان الشحم، فيزرق أثره أو يخضر. وفي حديث أبي بكر لما استخلف عمر -رضي الله عنهما: أشرف من كنيف، وأسماء بنت عميس موشومة اليد ممسكتة أي منقوشة اليد بالحناء. ابن شميل: يقال فلان أعظم في نفسه من المتشمة، وهذا مثل، والمتشمة: امرأة وشممت استنها ليكون أحسن لها. وقال الباهلي: في أمثالهم لهو أخيل في نفسه من الواشمة. قال أبو منصور: والمتشمة في الأصل موتشمة، وهو مثل المتصل، أصله متوصل. ووشوم الطيبة والمهارة: خطوط في الذراعين... وفي الحديث: أن داود -عليه السلام- وشم خطيئته في كفه فما

رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا حتى بشره بدموعه؛ معناه نقشها في كفه نقش الوشم. والوشم: الشيء تراه من النبات في أول ما ينبت. وأوشمت الأرض إذا رأيت فيها شيئا من النبات. وأوشمت السماء: بدا منها برق... ومنه قيل: أوشم النبات إذا أبصرت أوله. وأوشم البرق: لمع لمعا خفيفا؛ قال أبو زيد: هو أول البرق حين يبرق... وقال الليث: أوشمت الأرض إذا ظهر شيء من نباتها، وأوشم فلان في ذلك الأمر إيشاما إذا نظر فيه... وأوشمت المرأة: بدأ ثديها ينتأ كما يوشم البرق. وأوشم فيه الشيب: كثر وانتشر؛ عن ابن الأعرابي. وأوشم الكرم: ابتداء يلون عن أبي حنيفة. وقال مرة: أوشم تم نضجه. وأوشمت الأعناب إذا لانت وطابت... 8.

ويفهم، مما سبق، بأن الوشم عبارة عن علامة سيميوطيقية أو أيقونية يضعها الإنسان على أطراف جسمه، كأن يكون فوق شعره لإزالة الشيب، أو في وجهه لإخفاء تجاعيد الزمان وندوبه، أو فوق كتفه، أو في ذراعه، أو في يده كفا ومعصما، أو في أطرافه السفلى، مثل: الفخذ، والرجلين... وينقش ذلك كله بالإبرة أو بألة حادة، ثم يملأ الوشم بالحناء أو الكحل أو النيل أو الثور أو ما يسمى كذلك بدخان الشحم. وبعد ذلك، يتخذ أثر الوشم في الجسم لونا أزرق أو أخضر. ومن هنا، فالوشم عملية دقيقة جدا، تتميز بقواعدها وشروطها وطقوسها الخاصة. ومن ثم، فالوشم عبارة عن فصد 9 واختراق للجلد شقا وكيا واحتراقا وتشطيبا وتطهيرا وخذشا. وعليه، فالوشم عبارة عن رسم تزييني أو رمزي، يكون الهدف منه هو تحبير الجسد وتنميق جلده. ومن قبل، كان ينقش بالخبز الصيني أو بمواد فحمية أو شحمية، أو بمادة الحناء. وتطلق كلمة (Tatouage) على الوشم، وهو اسم بولينييزي مشتق من (tatou) أو (tatahou) و (Ta) معناها الرسم. وقد دونه الملاح كوك 10 للمرة الأولى على شكل (Tatow)، وتحولت، في اللغة الإنجليزية، إلى (Tattoo)، وهي فعل 11. في حين، يسمى الوشم في اللغة الأمازيغية بـ Thigaaz، ولاسيما اللهجة الريفية منها.

III. الوشم الأمازيغي؛ ذاكرة جسد / ذاكرة شعب:

يتميز الإنسان الأمازيغي عن باقي الأجناس الأخرى بظاهرة الوشم، وهي ظاهرة اجتماعية ونفسية وأنتروبولوجية وحضارية وثقافية ووجودية وهويته. إذ يعتبر الوشم ميسما سيميوطيقيا وأيقونيا يميز الإنسان الأمازيغي عن باقي الشعوب الأخرى. فالوشم عبارة عن وثيقة مكتوبة ومدونة وشهادة حقيقية وصادقة عن مسار الإنسان الأمازيغي وهويته وكيونته وإنسيته ووجوده الحضاري، في منطقة شمال أفريقيا.

في تونس، ظهر الوشم مع الأمازيغ، السكان الأصليين للبلاد، إذ يعتبر تراثاً عريقاً وموغلاً في الثقافة الأمازيغية وجزئا من هويتها. يسمى الوشم باللغة الأمازيغية "نكاز"، واقتن أساساً بالمرأة وبدرجة أقل بالرجال، فلدى غالبية النساء الأمازيغيات وشوم.

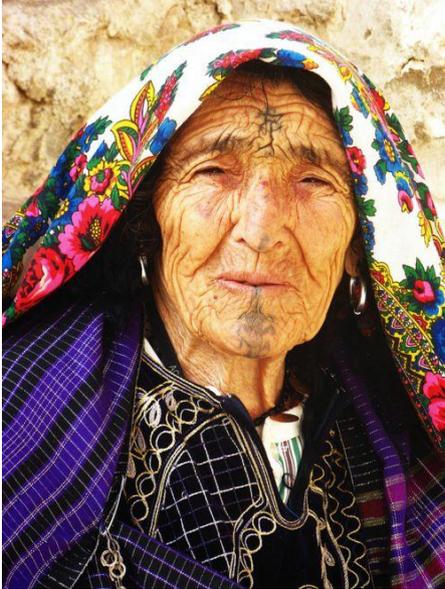
ويتضح، مما سبق ذكره، بأن الإنسان الأمازيغي قد عرف الوشم، كما عرفته الشعوب السابقة، بل إن "الوشم سبق الملابس إلى الوجود. فالإنسان الأول أو الإنسان في أولى مدارج حياته وهو ما نطلق عليه "اسم البدائي" قد عني بزخرفة جسمه بطرق مختلفة، هذه الطرق يبدو أنها مازالت جميعها استخدمت من طرف المجتمع الأمازيغي، ومنها تخصيص المرأة الأمازيغية

جلدها بالصبغات والألوان من خلال وخزات الإبر، وهو ما يسمى بالوشم الذي مازال يمارس حتى الآن في بعض المناطق

الريفية. "12

وعليه، يمكن القول بأن الوشم علامة سيميائية أمازيغية بامتياز، وظاهرة أنثروبولوجية ثقافية وحضارية ووجودية ارتبطت بالإنسان الأمازيغي القديم. يتخذ الوشم بعداً جمالياً لدى الأمازيغ ويعتبر من أهم وسائل زينة المرأة طوال حياتها، فهي التي توشم عند سن البلوغ لتعلن عبر الأشكال والرموز والرسوم دخولها مرحلة النضج. وتضع الوشم في مختلف مناطق جسمها، كالوجه والذراع واليد والصدر والتهدين والرجلين ومناطق أخرى من جسدها، ليتحول إلى لوحة فنية تخاطب الآخر بتشكيلات مدروسة. فيصبح للوشم دلالة جمالية إغرائية سريلية تفقهها المرأة الأمازيغية جيداً، كيف لا وهي الحمل والخطاطة في آن. أما الرجال فيكتفون ببعض الوشوم في اليد والذراع والأرجل.

يكتب عبد النور إدريس عن "الجسد الأنثوي وفننة الكتابة" يقول: "إن المرأة الواشم مبدعة تكتب لتضع لذة النص أو الرمز المكتوب بيد المتلقي ذكراً أو أنثى لاكتشاف نهايات الجسد الأنثوي الاشتهاية، ينتقل عبرها الجسم من نظام الأيقونة إلى الجسم اللاهوتي". لذا فكتابة الجسد لا تكون عشية فهي عادة ما تحمل أيقونات مثل "خمسة" على الجبهة أو "صليب" على الذقن أو "نجمة" عند أمهاتنا خاصة ونقوش أو شامات شبيهة بالوشم الذي نجده في السجاد التقليدي "المرقوم" ولعله يحدد الانتماء والهوية أيضاً أو يعيد الجسد، فما اعلمه عن أمهاتنا أنهن يضعن شامات فقط على الجبهة أو الذقن وفي الخد أحياناً.



تنفرد المرأة الأمازيغية في المنطقة المغاربية بالوشم، الذي يبرز أحياناً جبينها ورقبتها وحتى قدميها. هو أول ما يلفت انتباهك حين تتحدث لأي امرأة كبيرة في السن من أصل أمازيغي.



"الجيل الأخير من النساء مع وشم بالوجه في شمال إفريقيا"

يذهب الباحثون في موضوع الوشم إلى الاعتقاد بأن الوشم على جسد المرأة هو دليل على الاكتمال والنضج الجنسي لديها وعلاقة العافية والخصوبة، "فلا تُوشم إلا الفتاة المؤهلة للزواج، كما يعتبر دلالة على اكتمالها جمالا،... ويُصبح الوشم بوابة عبور لسنّ الرشد ومعه بوادر

الزواج. وهو في هذه الحالة يُصبح مظهرا جماليا تودّ من خلاله المرأة الشابة إبراز مفاتها، وعلان نضج أنوثتها".¹³ يُعدّ الوشم في عدة مجتمعات، طقس من طقوس التحوّل من مرحلة لمرحلة أخرى- مثل الختان بالنسبة للذكور- يكون الوشم طقس تحوّل بالنسبة لإناث من الطفولة لسن المراهقة. فهو ترميز لنوع من التقوى دينية أو هي روحية، وعند بعض المجتمعات تفاضلية كتعريف لمراتب اجتماعية أو منزلة من على سلم السلطة أو تعبير على الشجاعة والقوة والبطش في المنافسات أو حماية كحجاب أو حرز يحمي من الشر والعين أو علاجية وغيرها من الوظائف والاستخدامات.

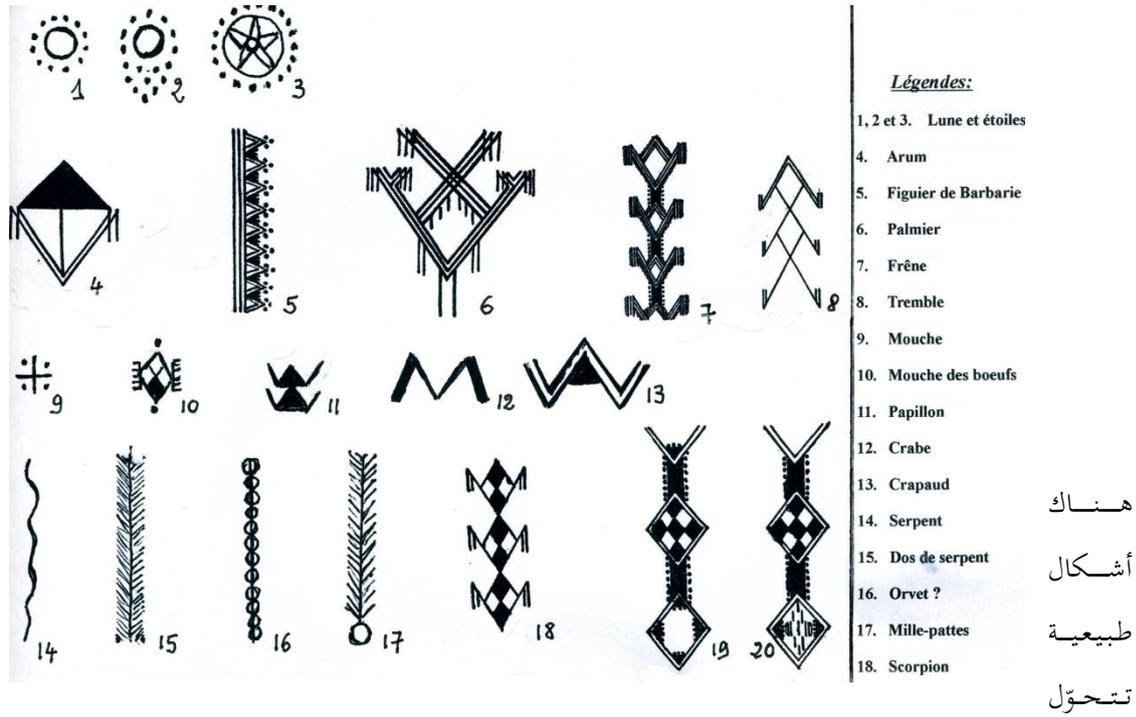
IV. رسوم وتعاليم/ آيات ودلالات:

تنشأ الرموز عادة من الطوطم¹⁴ والتابو¹⁵ (totem-tabou) هما معتقدين سحريين، يحتفهم قانون التبجيل والتحریم لغاية المحافظة على بناء المجتمع التقليدي. وكلّ عشيرة يقابلها طوطم يكون محطّ تحریم وتقديس ومعتقد سحري، وتكون التمثيلات الرمزية كقيلة بطرد الأرواح الشريرة ومصدر إسعاده وتحقيق رغباته مثلا. فالرمز لم يخلق للتزيين فقط بقدر ما كان سلاحا هجوميا ودفاعيا ضدّ شرّ ما.

لعلّ الأشكال الهندسية والزخرفية تمثل السجّل الطاغي على رسومات الوشم حيث تتكون من عناصر المثلث والمعينات والمربع وخطوط منحنية ومنكسرة ونقاط متعامدة أو متقاطعة ونجوم خماسية أو سداسية ذات خطوط مستقيمة. وقد رسمت الأشكال الهندسية (المثلث والمربع والدائرة) متداخلة ومتفرّعة للتعبير عن دلالات رمزية.



وقد اتخذ الوشم عدة أشكال هندسية وعلامات سيميوطيقية ورموز دالة. فهناك: النقطة أو سلسلة من النقط، والخط المستقيم، وما يتفرع عنه من زخارف بسيطة ومركبة ومعقدة، والزخارف الصليبية الشكل، والزخارف النجمية الشكل، وزخارف على شكل (V) ، والأشكال الدائرية، والمنحنيات المتماثلة وغير المتماثلة، والخطوط المتوازية، والخطوط المتتوية، والخطوط المائلة والمنحنية والمنحرفة، والخطوط المتشابكة، والخطوط المتداخلة والمقاطعة، والمثلثات، والمربعات، والمستطيلات، والمعينات، والدوائر ، وحروف تيفيناغ، وعلامات زائد، والأشكال المنغلقة والمنفتحة، و الشارات العسكرية، و الزوايا المتعارضة أو القائمة أو المتوازية، والأشكال النباتية والحيوانية والطبيعية، والمشبكات، والأشكال الخماسية، والتيجان...



إلى أشكال مجردة، ويزداد تجريدتها إلى الحد الذي يتعذر معه على المرء أن يدرك أصل تلك الرموز. فرمز العين الواقية مثلاً اتخذ شكل الخطوط المنكسرة واستخدم في النسيج والمصاغ والمشغولات الخشبية. واتخذ شكل المربعين المتقاطعين، وشكل المثلث أحياناً.

توحي الخطوط الرأسية بالثبات، وبتجاه من أعلى إلى أسفل، وسبب ذلك أن العين تتبع اتجاه الثقل في قراءة الخط حيث تبذل مجهوداً أقل من ذلك المجهود اللازم لقراءة خط بمحكة صاعدة وبنفس الطول. إن ظاهرة الجاذبية الأرضية هي إذن - بالنسبة لإحساسنا- الحركة الطبيعية، وكل حركة مضادة تتطلب مجهوداً أكبر حتى نتحقق، فصعود مستوى مائل أكثر مشقة من نزوله.

رموز ورسوم وزخارف تتناقلها الأجيال عبر الذاكرة الجماعية. هذه الذاكرة هي حافظة التراث وقد وصفها بول روبرت "بأنها الملكة التي تجمع وتحفظ المدركات الماضية وما يرتبط بها. وهي في الواقع الفكر الذي يخزن ذاكرة الماضي" 16. فالرمز هو الإشارة الصادقة التي توضح تاريخية التراث الشعبي ومعانيه. لنستنتج من عرضنا لعدد من الرموز المتناقلة على محمل الجسد أن المجتمع هو الذي يحدد قيمة الرمز وهو الذي يضفي على الأشياء المادية معنى معيناً فتصبح رموزاً.



من أبرز الرسوم المنتشرة عند غالبية الأمازيغيين علامة زائد (+)، ترسم على الخد وتعني حرف تاء في الحروف الأمازيغية، وهو اختصار لكلمة "تامطوت"، التي تعني الأنثى الجميلة. كما تختلف معاني الرموز حسب موضعها في الجسد، فالتى ترسم على النهدين مثلاً تحمل دلالات الخصوبة.



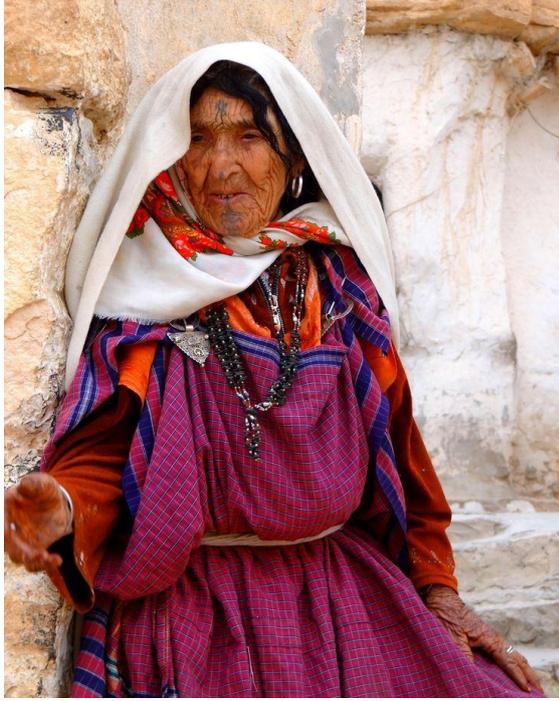
علامة زائد (+) وتعني حرف تاء في الحروف الأمازيغية

كذلك مارس الأمازيغ الوشم لغايات طبية، إذ كانوا يعتقدون أنه يشفي من الأمراض ويطلب الخصوبة للعاقرة، ويدفع الحسد والعين ويحمي من الأوبئة. فكانوا يوشمون نقطة بجانب الأنف للحماية من أمراض الأسنان، أو بجانب العين للوقاية من الأمراض التي تصيب العيون. كما أن للوشم وظائف غيبية، وكان يعتقد أنه يبعد الأرواح الشريرة ويبطل السحر، ويبعد الفقر والبؤس، عن طريق الرسوم والرموز التي توضع بدقة متناهية.



حوّل الوشم جسد المرأة الأمازيغية إلى لوحة فنية مقروءة غنية بالرموز والرسوم، تروي للأجيال اللاحقة سجايا هذه الحضارة، وتعكس النظام القيمي والثقافي لتلك المجتمعات. 17

ومن بين أكثر الرموز استعمالاً النحلة، الحلزون، الثعبان، سنابل القمح، الشمس، العقرب، النجوم، غصن الزيتون، ورموز أخرى تحمل معاني كثيرة، وبعضها يرمز لمكان كل قبيلة أمازيغية¹⁸.



خالتي مريم... الوشم، خطوط لا يمحوها الزمن...

V. الوشم: اللباس الثالث:

للوشم، في الثقافة الأمازيغية، وظائف عدة، "حيث ربط الأمازيغ الوشم بطقوسهم العقائدية، فلم يكن الوشم وصمة عار مشينة، بل كان يسعى لتحقيق أغراض جمالية وأعمال سحرية أو طبية أو حتى جغرافية"¹⁹.

يتخذ الوشم، في الغالب، بعد جماليا وإستيتيقيا، إذ يضيفي الوشم على المرأة سمة الحسن والبهاء والجمال. لذلك، تضعه الأنثى في مختلف أطراف جسمها، وخاصة جهة الوجه، وبالضبط حينما تنقشه في الذقن، والجبهة، والأنف، والخذ. والغرض من ذلك هو جذب الآخرين، وإثارة إعجابهم، كما

هو حال كثير من الأمازيغيات أينما وجدن بمعنى أن الوشم "نوع من الماكياج يستعمل عموما عند النساء من أجل التجميل، وإثارة الإعجاب، فيستحيل الجسد كصفحة للقراءة، أو كنص يصبح الوشم فيه كخطاب²⁰.

كما يحتل الوشم منزلة وسطى بين اللباس والعري. أي: إن الوشم هو اللباس الثالث للجسم المكسو باللباس والجسم العاري معا²¹. وأكثر من هذا يتحول الجسم، عبر فعل الوشم، إلى لوحة تشكيلية جميلة، حاملة لأشكال لخطوط مثيرة. وفي هذا الصدد، يقول الرسام الدنماركي (هاين فريكل) قائلاً: "أحيانا كثيرة تجدهن [الأمازيغيات] في الحقول أو المسالك الوعرة بالجبال يرددن صيحات غنائية لا يضاهاها من الحدة والجمال سوى مرآى تلك الأشكال المرسومة بعناية فائقة على حدودهن أو ذقونهن أو جباههن وأحيانا أعناقهن وأيديهن، نساء تتوحد فيهن أسطورية الرمز والرسومات المفعمة خضرة وزرقة، مع أسطورية الوجوه ومكان من جمال يصير على تحدي قسوة الطبيعة وصعوبة ظروف العيش ومشاق التحملات اليومية .. جمال تتوحد فيه الحقيقة بالخيال.. الطبيعة بالإنسان.. والألوان بالملامح.. الصور بالأصوات.. الغناء بالرسم على الجسد...".²² ويعني هذا أن الوشم كان المظهر الحقيقي لجمال المرأة الأمازيغية، وتعبيرا حقيقيا عن مدى حسنها الأخاذ الذي كان يثير إعجاب الآخرين افتنانا وشهوة ولذة.

كما اقترن الوشم عند الأمازيغ بالوظيفة السحرية، بحيث كان يقى الأطفال من الأعين، ويحمي المجتمع من الأعداء المرتقبين، ويحصنهم من الأرواح الشريرة. كأن الوشم بمثابة تواصل سيميائي بين الجسد والأرواح الخفية. ومن ثم، فقد تحولت الوشوم إلى أشكال هندسية وعلامات سحرية تقى الإنسان من شر الطبيعة، وتحميه من حسد الإنسان، وتجعله في منأى

عن الفقر وصفعات القدر وتقلباته الخطيرة. وتقيه من عين الآخر، وتحرسه من نظرة الرقيب ولفنته الحاقدة أو المنتقمة أو القتالة. كما كان الوشم أيضا رمزا للنجاح والنجاة، ويعد كذلك سبيلا لتحقيق الثروة والغنى والرفاهية. وهكذا يتبين لنا بأن، " بعض القبائل الأمازيغية [تستخدم] الوشم لإبطال الأعمال السحرية أو ضد أعمال الشر أو تيممة واقية من الحسد والعين. ولا تزال هذه الممارسات سارية حتى الآن في بعض المناطق المغربية خاصة الجبلية، حيث تقوم بعض القبائل في منطقة الريف بممارسة الوشم باللون الأخضر للتعبير عن السلام والسعادة والأمن، واللون الأسود ضد العين والحسد، ويظهر دوره السحري عند بعض الأمازيغيين الذين يعتقدون أن الوشم فوق العين من شأنه تقوية البصر، وعلى جانبي الجبهة لإبعاد آلام الرأس" 23.

ومن ثم، فالوظيفة السحرية هي الوظيفة الأكثر ارتباطا بالوشم، كما عند كثير من الشعوب البدائية، والشعوب الأفريقية، والشعوب الأمازيغية، إذ يتحول الوشم إلى أداة سحرية لمواجهة القوى الغامضة والخفية، مع التحصين ضد الشرور الميتافيزيقية.

يعبر الوشم عن ثقافة طوطمية وطقوسية تنم عن دلالات الخصوبة والعطاء والرغبة في الزواج، والارتقاء من عالم الجسد نحو عالم الروح. وفي هذا، تقول الباحثة المغربية فاطمة فائز: " كان إنجاز الوشم جزءا من طقوس الكهانة، تقوم به امرأة كاهنة، تكون قد خضعت لطقوس التكريس عند ضريح ولي متخصص، حيث ترى في منامها هناك بأنها تستلم إبرة الوشم. شأنها شأن الشاعر الذي يبدأ رحلة إبداعه بالنوم إلى جوار ضريح أحد الأولياء، كما أنها قد تستلهمه من إحدى الممارسات العريقات اللواتي يحول سنهن المتقدم في الغالب، دون الاستمرار بممارستها، فيبحثن عنم يكمل مسيرتهن. ومن هنا، فقد كان الوشم أيضا ينجز في أجواء طقوسية مفحمة بالرموز والدلالات التي تكفل الاتصال بعالم الما وراء، وكان يقصد منها استجلاب نعم الآلهة ورضاها واتقاء نقمها وغضبها. ومن ثمة، كانت ممارسات الوشم الطقوسية تبغني طلب الزواج للعازبة، وطلب الخصوبة للعاقرة، كما أنه عموما يرجى منه التحصن من العين الشريرة، ودرء كل الأضرار الواقعة منها والمتوقعة" 24.

وهكذا، يتبين لنا بأن الوشم عبارة عن طقس طوطمي غني بالدلالات، الغاية منه جلب الخصوبة والعطف الإلهي، والتخلص من فترة العزوبة بغية الانتقال إلى فترة الزواج وبناء الأسرة، والانصهار في المجتمع القبلي.

خاتمة:

يعدّ الوشم ظاهرة ثقافية أمازيغية بامتياز، ارتبطت بالإنسان الأمازيغي منذ القدم، ومازالت هذه الظاهرة مستمرة إلى يومنا هذا على الرغم من موقف الإسلام الراض للوشم. هذا، ويعبر الوشم عن فلسفة الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، أو الانتقال من الشفهي إلى المكتوب، أو الانتقال من المركز إلى المهمش والمختلف... ومن ثم، فالوشم تعبير عن هوية الإنسان الأمازيغي وكيونته وحضارته وإنسيته. وغالبا، ما كان الوشم مقترنا بالمرأة التي كانت تستعمل الوشم للترزين

والتجميل والاحتفال بجسدها شعوريا ولا شعوريا. ومن هنا، فقد اكتسب الوشم، في الثقافة الأمازيغية، عدة وظائف: جمالية، وسحرية، وعلاجية، وجنسية، وأنتروبولوجية، واجتماعية، ونفسية، ووجودية، وفلكية، وتمييزية، وأيقونية..

قائمة الهوامش:

- 1- جميل حمداوي ظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية، مقال نشر في الاتحاد الاشتراكي يوم 25 - 10 - 2014.
- 2- نقلا عن حسين عباسي، "الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى: الذات والموضوع"، الصفحة 84.
- 3- موقع مرصد الذاكرة الشعبية
<http://marsad.blogspot.com/2010/07/blog-post.html>
- 4- ليث الخفاف، مقال "الوشم ووحدة الفلكلور العربي"، مجلة التراث الشعبي، العراق، العدد: 10، السنة 11، 1980م، الصفحة 182.
- 5- بلقاسم الجطاري، مقال "الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية"، سؤال الثقافة الأمازيغية: البناء والنظرية، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 2000م، الصفحة 72.
- 6- عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، الصفحة 89.
- 7- جميل حمداوي، ظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية (ظاهرة سيميو-سوسولوجية)، نشر في الاتحاد الاشتراكي، الطبعة الأولى 2016.
- 8- ابن منظور: لسان العرب، مادة وشم، حرف الميم، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 2003م.
- 9- بما معناه: دميّ - نرف.
- 10- جيمس كوك أو القبطان كوك James Cook (الإنجليزية) (27 أكتوبر 14 - 17 فبراير 1779) كان بحارا ومستكشفا إنكليزيا، يعد أحد أهم المستكشفين الأوروبيين في عصر التوسع الاستعماري.
- 11- عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، ترجمة: محمد بنيس، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2000م، الصفحة: 67.
- 12- بلقاسم الجطاري، "الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية"، سؤال الثقافة الأمازيغية: البناء والنظرية، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 2000م، الصفحة 67.
- 13- جريدة العرب، السنة 38، العدد 10083، الصفحة 20.
- 14- الطوظم: "هو أي كيان يمثل دور الرمز للقبيلة، وأحيانا يقدر باعتباره المؤسس أو الحامي".
- 15- التابو: "ج. تابوهات: كلمة بولينيزية تطلق على (المحظور في نظر المجتمع)، أي ما تعتبره أعراف المجتمع (أو السياسة أو جهة أخرى) من المحرمات (وليس حتما وفق الشريعة التي يدين بها ذلك المجتمع) وإن كانت في بعض الأحيان تقرر لدى

البعض بمفهوم "الحلال" و"الحرام". فالتابو أي خط أحمر لا يقبل المجتمع تجاوزه بغض النظر عن مدى كون (التابو) مبرراً أو حتى متناسفاً مع القوانين والشرائع".

16- Paul Robert, le robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, Paris 1920, page 351.

17- تصوير يعنى الأراشي، مصورة الفوتوغرافية من أصل مصري يعني، والتي تتخذ من لندن مقراً لها، أرادت أن توثق ما تبقى من هذه الممارسة (التوشيم)، وتستكشف السبب من وراء تراجع شعبيتها. قضت الأراشي الجزء الأخير من العام 2017 في طريقها عبر المناطق المغربية والجزائرية والتونسية، إذ جمعت صوراً لـ100 امرأة فوق سن السبعين غالبيةن يعملن بالزراعة والصيد.

18- مراجع عن الوشم للاطلاع: ومن بين تلك الدراسات نجد كتاب "الجمال والهوية الأنثوية، الأوشام البربرية لمنطقتي بسكرة وتقرت" للباحثة الفرنسية لوسيان بروس، والصادر عن "دار خطاب"، الكتاب كان نتاج بحث عميق لفك طلاسم الرموز والأوشام، وكان منطلقه صور التقطتها "إيليان أوكر" في عديد مناطق الجزائر أثناء مزاولتها لعملها كمرمضة، صور لנסاء يحملن رموزاً خضراء وزرقاء على أجسادهن، حالة خاصة تنفرد بها الثقافة الأمازيغية العريقة. وحمل الكتاب شهادات حية لנסاء من منطقتي القبائل والأوراس، أكبر منطقتين ينتشر فيهما الوشم في الجزائر، وقامت "إيليان بروس" بمزج الصور بالشهادات وما سمعته من القصص الشعبية، لنتج أحد أجمل البحوث عن موضوع الوشم، وقدمت عملاً سيساهم في الحفاظ على جزء بدا يتلاشى من هوية وموروث الجزائريين.

19- بلقاسم الخطاري، "الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية"، سؤال الثقافة الأمازيغية: البناء والنظرية، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 2000م، الصفحة 72.

20- مرجع سابق، الصفحة 73.

21- عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، ترجمة: محمد بنيس، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2000م، الصفحة 80.

22- نقلا عن محمد جنوبي، الوشم بين الرموز والأشكال بالمغرب، جريدة بيان اليوم، المغرب، عدد 23 ديسمبر 1998م.

23- بلقاسم الخطاري، "الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية"، سؤال الثقافة الأمازيغية: البناء والنظرية، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 2000م، الصفحة 72.

24- نقلا عن فاطمة الزهراء زعيم: (الوشم تميز هوياتي ونضج جنسي)، موقع هسبريس، المغرب، موقع رقمي، بتاريخ: 2009/06/08م.

سوسيولوجيا التنظيمات والعمل في الجزائر

"البحث عن الذات"

Sociology of organizations and work in Algeria” search of self

د. بن هامل جميلة (جامعة تلمسان /الجزائر)

ملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن سياق سوسيو ابيستيمي، فقد مر علم اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر بمراحل عديدة انعكست على طبيعة البحث والتدريس، أهمها مرحلة السبعينات والتي سميت بالمرحلة الذهبية، ومن هنا كان لمختلف الظروف التي عاشتها الجزائر تأثيرا على المنظومة الجامعية بصفة عامة، وعلى علم الاجتماع بصفة خاصة، الذي اعتبر آنذاك علما تنمويا، ومن هنا هدفت الدراسة إلى معرفة أهمية هذا الحقل وأين يتموقع، كيف تتشكل المعرفة العلمية في هذا الحقل، ومدى مساهمته في العملية التراكمية، ما طبيعة الممارسة بحث/تدريس.

الكلمات المفتاحية: علم اجتماع التنظيمات والعمل، البحث، التدريس، الممارسة السوسيولوجية، التراكم المعرفي.

Abstract:

This study falls within the context of Socio-Epistemi. The sociology of organization and work in Algeria has undergone many stages, which have been reflected in the nature of research and teaching. The most important of these was the seventies, which was called the golden phase. Hence, the various conditions experienced by Algeria influenced the university system in general, In particular, which was then considered a developmental science, and hence the study aimed to know the importance of this field and where to be located, how scientific knowledge is formed in this field, and the extent of its contribution to the cumulative process, what the nature of the practice Research/teaching.

Key words: Sociology of organization and work, search, Teaching, sociological practice, cognitive accumulation.

مقدمة:

من خلال إنجازنا لأطروحة دكتوراه والموسومة ب "علم الاجتماع التنظيمات والعمل والتغير الاجتماعي في الجزائر حالنا جمعنا تلمسان ووهران(1) تبين لنا أن أعمال وأبحاث وإنجازات الباحثين الجزائريين اعتمد أصحابها على مراجع وأسماء معينة

والتي اعتبرناها بمثابة مراجع مؤسسية في هذا الحقل، نذكر منها على سبيل المثال: الدراسة الأولى التي أنجزت من طرف الثلاثي "علي الكنز، غريد جمال، سعيد شيخي"، وقد اعتمد هؤلاء على هذه المراجع فيما بينهم كما قال الباحث "محمد بشير" إما بالتبني أو المناقشة أو النقد البناء(2).

نتكلم هنا عن مرحلة مهمة من عمر السوسولوجيا، مرحلة وصفت بالأزمة وتشعبت ارتباطاتها، فمنهم من أرجعها إلى أزمة علم الاجتماع ذاته، ومنهم من ربطها بالمؤسسة الحاضنة، التبعية للغرب، علماء الاجتماع...، ارتباطات أصبحت متكررة ومتداولة، ويصعب على الباحثين إيجاد حلول لها، مرحلة اتسمت بضعف التنظير القائم على جدلية التنظير بين المحلي والكوني وأسلمة هذا الحقل.

إن من بين المفارقات التي توصلنا إليها في الدراسة السالفة الذكر إضافة إلى ما سبق هو أن:

* نسبة محتشمة جدا من الأساتذة تعتمد على أعمال جزائريين من حيث البحث والتدريس، وبالمقابل نسبة ضئيلة جدا من الطلبة تعتمد على أعمال باحثين جزائريين من حيث المطالعة.

* كما أن بعض الحالات صرحت بلا أعرف باحث اجتماعي جزائري متخصص في مجال التنظيمات والعمل، مقابل تمركز هذا التخصص في المرتبة الأولى من بين التخصصات الموجودة في علم الاجتماع بالجزائر، وذلك حسب الاحصائيات الأخيرة من طرف اللجان البيداغوجية الوطنية (3).

* نسبة البيبليوغرافية المقترحة للطلبة من طرف الأساتذة ضئيلة جدا هي الأخرى فيما يخص الأعمال البحثية الجزائرية.

* تداول أسماء في السوسولوجيا العامة من طرف الطلبة فيما يخص التساؤل الخاص بأهم علماء اجتماع التنظيمات والعمل.

مفارقات عديدة يصعب تدوينها جميعا، والتي ستجد فحواها ضمن هذه الدراسة، انطلاقا من التساؤل التالي:

كيف يمكن تفسير أهمية ووزن وثقل هذا التخصص مقارنة بضعف وتجاهل لما هو محلي سواء من حيث بحث/تدريس أو الباحثين؟

فرضيات البحث:

التجاهل لكل ما هو محلي مرتبط بطبيعة البحث والتدريس في الجامعة الجزائرية.

1/ تجاهل الطلبة لأسماء وأعمال باحثين جزائريين مرتبط بقصور معرفي لطبيعة البحث والتدريس.

1/ تجاهل الأساتذة لأسماء وأعمال بحثية محلية مرتبط باللاتراكم المعرفي هذا المجال.

3/ تجاهل الأساتذة لأسماء وأعمال بحثية محلية مرتبط بانقسامية النخب الثقافية والعلمية وضعف العلاقات بينها.

تحديد المفاهيم:

القصور المعرفي: يعرف القصور المعرفي لغة على أنه لا يكون عند المرء المعرفة اللازمة لإقرار شيء أو التحدث عنه. **البحث العلمي:** هو عملية اكتشاف وتنقيب عن المعرفة، عن طريق استخدام أساليب علمية دقيقة ومنظمة، من أجل تطوير معرفة أو اكتشاف علاقات جديدة.

التدريس: يعتبر التدريس من بين أهم الوظائف الرئيسية للجامعة، إذ بموجبه يتم إعداد كوادر بشرية مؤهلة، وتكوين مواهب وشخصيات، ويعتقد البعض أن التدريس فن أكثر منه علم، لما يتطلبه من خبرات ومؤهلات ومقومات تسمح بأداء العملية التدريسية بنجاح، ويرتبط التدريس الجامعي بطبيعة ونوعية البحث العلمي.

التراكم المعرفي: يعتبر التراكم المعرفي من أهم خصائص البحث العلمي، ويقصد بالتراكم المعرفي إضافة جديد في مجال معين بناءً على ما سبق من طرف باحثين آخرين، أي الانطلاق من أبحاث سابقة في مجال معين وعدم الانطلاق من العدم.

النخب: "يجمع مفكرو النخبة على أن المفهوم يشير إلى الفئة القليلة من البشر الذين يتحقق لهم قدر من السيطرة والتحكم في الفئات الأخرى، ولكنهم يختلفون اختلافا كبيرا حول الأسس التي تنهض عليها هذه السيطرة"⁽⁴⁾. كما يشير مفهوم النخبة إلى "مجموع الأشخاص الذين يمتلكون مستويات عليا من رؤوس الأموال على اختلاف أنواعها سواء على الصعيد السياسي أو الأسري أو الاقتصادي أو في مجال اختصاصهم أو ما إلى ذلك، وهم في أغلب الأحيان من الأعضاء غير العاديين في الجماعات المختلفة"⁽⁵⁾.

التجاهل: يتخذ معنى التجاهل لغة معاني عديدة، أغضى، تجاوز، تغابي، أهمل، لامبالاة... أما المقصود به هنا في بحثنا هو الاغفال وقلة الاهتمام وعدم الاكتراث.

المحلي: لغة: داخلي متعلق بموضع معين، أو خاص بمنطقة. والمقصود به في بحثنا كل الأعمال والأبحاث المنجزة من طرف الباحثين الجزائريين وحول الجزائر بالضبط.

الانقسامية: تعني الانقسامية الانشطار إلى نصفين، ويعود تاريخها إلى ابن خلدون "العصبية"، ودوركايم "تقسيم العمل الاجتماعي" وغيرهم، وتمس الانقسامية الأفراد والمجتمعات.

منهج الدراسة:

تمثل المناهج الخلفية النظرية لتحليل وتفسير مختلف مواضيع العلوم الاجتماعية، إذ هناك علاقة بين المنهج والموضوع، حيث أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج المستخدم، فالمناهج العلمية تختلف باختلاف مواضيع وإشكاليات البحث، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع المعطيات أولا ثم تحليلها وتفسيرها، "جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة"⁽⁶⁾. وهذا ما ينطبق على جميع الدراسات دون استثناء، وعلم الاجتماع خاصة، فالتحليل خاصة علم الاجتماع، أي تقديم المعرفة على شكل وصف، ثم تحليل مضمونها وتفسيره.

العينة والمجال المكاني والزمني للدراسة:

1/العينة: شملت العينة أعضاء هيئة التدريس، والطلبة، ففيما يخص أعضاء هيئة التدريس كان اختيارنا بالدرجة الأولى لذوي التخصص، وبسبب قلتهم أضفنا من لهم أبحاث وأعمال في هذا التخصص، وقد ضم حجم العينة ثلاثين مفردة، أما فيما يخص العينة الخاصة بالطلبة فقد مست كل طلبة ماستر 01 وماستر 02 تخصص علم الاجتماع التنظيمات والعمل تلمسان ووهران، وبلغ حجم العينة 43 مفردة.

2/حدود الدراسة:

ارتبط المجال المكاني للدراسة بجامعة تلمسان ووهران بالغرب الجزائري، وقد كان اختيارنا لهاتين الجامعتين باعتبارهما الوحيدتين اللتين يوجد بهما هذا التخصص، أما فيما يخص المجال الزمني فقد امتدت الدراسة ما بين 2015 و 2017، بين الاستطلاع وجمع المادة العلمية، وبناء الموضوع، وغيرها من مراحل البحث العلمي.

3/أساليب جمع البيانات والاحصائيات المستخدمة:

استخدمنا في هذا الدراسة تقنية الاستمارة، وقمنا بعرضها على بعض الأساتذة لأجل التحكيم. أما في ما يخص تقنيات التحليل فقد استعنا في معالجة البيانات بالبرنامج الإحصائية SPSS Statistical Package for the Social Sciences من خلال جداول بسيطة ومركبة، ويستخدم هذا البرنامج لتحليل المعلومات الإحصائية في علم الاجتماع.

تحليل النتائج:

لقد أوضحت بعض الدراسات في هذا المجال والتي تكاد تكون منعدمة، باستثناء مداخلة ل أمينة ساعدي بعنوان "تدريس سوسولوجيا العمل في البحث عن المعنى"، في الملتقى الوطني الذي انعقد بوهران في ألفين واثنين (2002)، والذي خلصت فيها إلى:

أن مدرسي علم الاجتماع التنظيم والعمل لم يكونوا ملتزمين علميا في النقاش النسبي للتغير في المجتمع، ضعف أو تراجع المستوى العلمي والثقافي للتدريس أدى تدريجيا إلى الافتقار على المستوى النوعي والكيفي.

*الأساتذة كانوا غير مهتمين بالمعرفة التي يحملونها للطلبة، هناك مشكل الانسجام بين الأساتذة فيما بينهم وبين الطلبة، علم الاجتماع التنظيمات والعمل أخذ كمرجعية الإطار النظري والمفاهيمي المنتج من طرف المجتمعات الغربية، لا توجد روابط بين الأساتذة فيما بينهم، ولا يشكلون جماعة علمية وإنما مجموعة أفراد، الاتصال كوظيفة بيداغوجية لا يوجد في إطار جامعاتنا. (7).

من خلال بعض المؤشرات المهمة التي حاولنا الاعتماد عليها في هذه الدراسة سوف نتطرق للجدول التالية:

الجدول رقم: (01) المصادر المعتمدة حسب لغة تكوين الأساتذة.

المجموع	لغة التكوين			
	اللغتان معا	الفرنسية	العربية	
10,0%	12,5%	00	00	مصادر في العلوم الاجتماعية الغربية
10,0%	8,3%	33,3%	00	أعمال جزائريين
80,0%	79,2%	66,7%	100,0%	مصادر مختلفة
100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	المجموع

يتبين إذن من خلال هذه المعطيات أن أعلى النسب تمثلت في استخدام مصادر مختلفة إلا أنها مصادر ومراجع لأغلب أمهات الكتب في السوسولوجيا الغربية على وجه الخصوص دوركلم، كارل ماركس، ميشال كروزييه، فيليب بيرنو، فريديريك هزبرغ، أنطوني غيدنز، غيرتر... وبعض الدراسات الجزائرية والعربية مغاربية ومشرقية، وتختلف هذه المصادر باختلاف المقاييس المدرسة، وهذا ما يعكس طبيعة البحث والتدريس الذي يعتمد في غالبيته على مصادر في العلوم الاجتماعية الغربية، إذا ما أضفنا إليه الفئة الثانية التي تعتمد على هذه الأخيرة بنسبة 12.50%. وبالمقابل فإن نسبة 8.30% فقط تعتمد على أعمال جزائريين.

والتساؤل الذي يطرح نفسه هو لماذا هذا الاعتماد القوي للمراجع الأجنبية؟ هل بسبب قلة المراجع المحلية أم ماذا؟ ما هي المرجعية التي يستند إليها الباحثون في توظيفهم لهذه المراجع؟

إن الاعتماد على المراجع المحلية دليل على تقديم معرفة مرتبطة بواقعنا وخصوصياتنا، في حين أن قلة أو عدم استعمالها يثبت العكس، وبالتالي الاعتماد على مؤلفات أجنبية تخص واقعا مغايرا لواقعنا، ومن جهة أخرى قد يفسر هذا (ضعف الاعتماد على المراجع المحلية) من جهة بضعف الدراسات السوسولوجية الميدانية الحقيقية، ومن جهة ثانية بغياب علاقات عضوية بين الباحثين، ف"غياب التواصل بين الباحثين وتقاسم المعرفة بينهم من جهة وعدم وضوح الرؤية للأعمال والمنتجات في هذا الميدان من جهة أخرى" (8). يشكل عائقا، فالباحثون لا يشكلون جماعة علمية، ولا يتواصلون فيما بينهم، ولا يعرفون إنجازات بعضهم البعض ولا يطلعون عليها. ف"غياب الاعتراف والتقدير المتبادل بين المفكرين والباحثين، الشيء الذي يمنع تشكيل مجموعة تضامنية في نهاية الامر" (9) كما قد تكون اللغة هي الأخرى إحدى العوائق، سواء بالنسبة للطالب أمام الاطلاع على هذا التراكم المعرفي، والذي يكتب عادة باللغة الأجنبية، ذلك ما أثبتته لنا العديد من الطلبة خلال مقابلتهم، إذ يجدون صعوبة في الاطلاع على ما يُكتب بلغة الأخر، أو بالنسبة للأساتذة، فعادة ما

تشكل لغة البحث أو الكتابة أو التدريس انقساما ما بين الباحثين أنفسهم، وهو ما أبرزه "عبد الناصر جابي" ضعف علاقات النخب الثقافية والعلمية في المجتمع أو ما أسماه بالانقسامية بين النخب، وضعف دورها في علاقتها بالمجتمع(10).

لقد أكد العديد من الباحثين على تجاهل وإنكار كل ما هو محلي "...بحيث أنه ينطلق في الغالب الأعم ليس من إنكار الآخر فحسب، بل من جهله و/أو تجاهل وجوده تماما" (11)، وإلا كيف لنا أن نفسر هذا الرجوع المحتشم للإنتاج المحلي، أو بالأحرى لبعض الباحثين الجزائريين الذين يعتبرون كأقطاب. "فالسمة الغالبة لهذا الإنتاج على ندرته هو النزوع نحو التوقع على الذات والتحجر في قوالب دغمائية ترفض التعارض والتناقض والتغاير" (12) وهذا ما يجعل من الإنتاج المحلي حبيس الأدراج المكتبية والمحيط الجامعي دون أن يعرف صدق خارج هذا الأخير.

كما قد تكون طبيعة ونوعية بعض الأبحاث المحلية سببا في الابتعاد عن كل ما هو محلي "لذا تبقى الأبحاث المحلية باستثناء بعضها القليل عقيمة إذ تؤدي في أحسن الأحوال إلى تجميع طائفة من المعلومات التحزيبية يعاد تركيبها في إشكاليات مصطنعة لا تتلاءم والواقع" (13).

إن الاستفادة من التجارب الغربية والاطلاع المكثف للمراجع الخاصة بها ليس عيبا أو تفريطا لإنتاجنا، ولكن القصور في كيفية استخدامها والاستفادة منها وتوظيفها في مجتمع يختلف تماما عن نظيره، فما الفائدة من استعمال مراجع أجنبية تخص مجتمعات لا مجتمعاتنا المتميزة بخصوصياتها وبلغاتها الخاصة لا لغتنا التي تختلف عنها، والابتعاد عن التراكم العلمي المعرفي المحلي، فحتى وإن لم تؤدي السوسيولوجيا دورها على أكمل وجه في مرحلة الأزمة، "فمع ذلك أُنجزت دراسات جادة ومؤسسة وتكونت أقطاب للتفكير في ذلك حتى وإن كانت هذه الأعمال الدراسات لم تُعرف بشكل لائق، ولم تُنشر بشكل كاف، وحتى وإن قوبلت باحتقار من الخارج، مثلما تجاهلتها وسائل الإعلام، التي كان بإمكانها أن تضمن نشرها، فإن الحوصلة ليست منعدمة، مثلما يريد أن يوهنا بذلك الاتجاه الجزائري الذي يريد تجريد هذه الأعمال من أية قيمة" (14). إن هذا الرجوع القوي للمراجع الأجنبية "يوقعنا في عدد من العوائق المعرفية حيث أننا بدل أن نتج معرفتنا من بلدنا فإننا نترجم إلى العربية رؤية خارجية متحيزة وجزئية" (15). وهذا ما يتطلب دراسات وكتابات ميدانية، أي سوسيولوجيا ميدانية خاصة بالواقع الجزائري.

أهم علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر حسب رأي الأساتذة.

لقد أجمعت أغلبية العينة أن الثلاثي غريد جمال، سعيد شيخي وعلي الكنز هم أهم من يطلق عليهم بعلماء الاجتماع في ميدان التنظيمات والعمل، وهم من يطلق عليهم المؤسسون بكل تأكيد، وبدأوا بنفس القضايا البحثية بناءً على الدراسة الأولى التي أجريت في هذا المجال، إضافة إلى أحمد هني، جيلالي اليابس، (كلودين شولي، جغلول عبد القادر، نور الدين طوالي...) من نفس الجيل، ومن الجيل الثاني، نذكر بششير محمد، مولاي الحاج، زمر زين الدين، لقعج عبد القادر،

العياشي عنصر وغيرهم ممن ساهموا في تقديم أعمال في هذا الميدان، والذين لا نستطيع حصرهم. فرجل العلم يعرف إما من خلال التكوين الذي مارسه، ومن خلال طلبته الذين يذكرونه كمرجعية، أو من خلال الساحة الأكاديمية أي الملتقيات والندوات وغيرها، إلا أنه بالرغم من اعترافهم هذه نجد أن نسبة الاعتماد على هذه الأسماء من جهة، والمراجع المطالعة والمقترحة على الطلبة من جهة أخرى وهو ما سيبينه الجداول الموالية معاكسة لهذه الاعترافات.

في حين أجابت بعض الحالات ب: لا أعرف باحث اجتماعي جزائري متخصص في مجال التنظيمات والعمل، وإنما هناك باحثين قدموا إسهامات بحثية ترتبط بهذا المجال.

الجدول رقم: (02) المراجع المطالعة من طرف الطلبة

التكرارات	%	
3	6,8	مراجع جزائرية
6	13,6	مراجع عربية
19	43,2	مراجع غربية
8	18,2	مراجع مختلفة
8	18,2	عدم المطالعة
44	100,0	المجموع

يبين الجدول أن أعلى نسبة ب 43.20% اعتمدت في مطالعتها على مراجع غربية متمثلة بالدرجة الأولى في كل من: كارل ماركس، ماكس فيبر، ميشال كروزيه، بيار بورديو، فريدريك تايلور، إلتون مايو، إفيدبارغ، جورج فريدمان، أنتوني غيدنز، بيار نافيل، فليب زاريفيان، ألان توران، في حين بلغت نسبة من اطلعوا على مراجع مختلفة 18.20% مع نفس النسبة لمن لم يطلعوا أي كتاب.

بينما بلغت أقل نسبة 6.80% لمن اطلعوا على مراجع جزائرية متمثلة في كل من غريد جمال، نور الدين طوالي، سليمان مظهر، أحمد هني، بشير محمد.

إن طبيعة المراجع المطالعة تتماشى مع القوائم البيبليوغرافية المقترحة على الطلبة من طرف الأساتذة ذلك ما سيبينه الجدول الموالي.

يمكن القول من جهة أن طريقة التدريس هي التي تصنع الفرق، إذ نجد أن بعض الأساتذة يعطون للطلبة بطاقات قراءة تخص مؤلفين جزائريين بالدرجة الأولى، وهذه الطريقة تحتم على الطالب على الأقل قراءة كتاب لباحث جزائري حتى وإن كان الإنتاج قليلا، كما بين ذلك فوزي العربي إذ نجده يقول "لا نجد العدد الكافي من الإنتاج العربي في كثير من الموضوعات وهناك عدد متزايد من علماء الاجتماع العرب، إلا أن المكتبة العربية تعاني حاليا من فقر للكتاب الاجتماعي العربي لأن ذلك تنعكس آثاره على طلابنا ونجدهم يعرفون الكثير من علماء الغرب، وما يعرفونه عن علماء العرب قليل جدا" (16). ومن جهة أخرى فقد بين الجدول رقم (01) قلة الاعتماد على المراجع المحلية من قبل الأساتذة، وبالتالي كيف للطلبة في هذه الحالة أن يتوجهوا للمراجع المحلية الجزائرية، في الوقت الذي يعتبر فيه الأستاذ مدرّسا ومشرفا وموجهًا ومرشداً.

الجدول رقم: (03) البيبليوغرافية المقترحة من طرف الاساتذة.

التكرارات	%	
16	36,4	باحثين أجنب
4	9,1	باحثين جزائريين
7	15,9	معا
17	38,6	لا توجد اقتراحات
44	100,0	المجموع

ما يلاحظ من خلال هذا الجدول تقارب النسب بين "لا توجد اقتراحات"، و"باحثين أجنب"، حيث أجابت نسبة 38.60% بعدم وجود اقتراحات من طرف الأساتذة فيما يخص البيبليوغرافية، في حين أجابت نسبة 36.40% بأن الباحثين الأجنب هم من يُقترح عليهم، متمثلة في الأسماء السابقة الذكر (الجدول رقم 02)، تليها نسبة 15.90% "باحثين أجنب وجزائريين"، لتبلغ أقل نسبة 9.10% "باحثين جزائريين" متمثلة هي الأخرى في الأسماء السالفة الذكر.

إذن يعتبر هذا الجدول تنمة للجدول السابق، فإذا ما ربطنا بين الجدولين نجد ارتفاع نسبة ما يُقترح على الطلبة من باحثين أجنب، مقابل ارتفاع نسبة اطلاعهم على هذه الكتب، وهذا ما يدل على أن الطلبة يقرؤون تبعاً لما يُقترح عليهم. في حين نجد أن نسبة من لا تُقترح عليهم مراجع معينة تنعجه هي الأخرى نحو مصادر غريبة إذا ما قارنا ذلك بالجدول السابق، وقد يفسر ذلك بطبيعة التدريس المعتمدة هي الأخرى على ما هو أجنبي كما أوضحنا ذلك سابقاً.

أهم أسماء السوسولوجيين البارزين في التنظيمات والعمل حسب الطلبة.

يعتبر هذا التساؤل تنمة للجدولين السابقين، ففيما يخص أسماء السوسولوجيين الأجانب فقد تمثلت إجابات جميع أفراد العينة في كل من جورج فريدمان، فريدريك تايلور، إميل دوركايم، ماكس فيبر، إلتون مايو، ميشال كروزيه، كارل ماركس، ريمون بودون، فيليب زاريفيان، هنري فايول، بيار نافيل، فقد تكررت هذه الأسماء بين جميع الحالات، متمثلة في الرواد الكلاسيكيين الأوائل، "إن ما يُعاب على السوسولوجيا في الجزائر عدم قدرتها على التخلص من المرجعية الفلسفية والنظرية والمنهجية لجزائر سنوات الستينات والسبعينات المرتبطة بالتفكير الفلسفي الماركسي والنظريات الاجتماعية الكلاسيكية الدائرة في فلكه" (17). في حين تمثلت أسماء السوسولوجيين المحليين في كل من غريد جمال، نور الدين طوالي، علي الكنز، سليمان مظهر، أحمد هني، مولاي الحاج، جيلالي اليابس، سعيد شيخي، عمر دراس، بشير محمد، ناصر قاسمي، زمر زين الدين، هذه الأسماء تكررت بين أفراد العينة خاصة جمال غريد، باستثناء ثمانية حالات لم تجب للأسف عن هذا التساؤل الخاص بالسوسولوجيين المحليين، الأمر الذي يجعلنا نقف موقف الحائر ومنتنع عن تقديم أي تفسير، أما فيما يخص السوسولوجيون العرب فقد أجابت اثني عشرة حالة فقط بالأسماء التالية: ساري حنفي، سالم الأبيض، معن خليل عمر، أحمد زكي بدوي، سمير أمين، محمود الذوادي، ابن خلدون، مالك بن نبي، قباري محمد اسماعيل، محمد عابد الجابري، وهي الأخرى للأسف الشديد أسماء في السوسولوجيا العامة.

بناءً على هذه المعطيات وإذا ما قارناها بالجدولين السابقين (رقم 02 و 03) يمكننا القول أن الطلبة يعرفون الكثير عن السوسولوجيين الأجبيين وهذا ما يفسر ارتفاع نسبة الاطلاع على هذه المراجع في مقابل ما يقترح عليهم، في حين تقل نسبة معرفتهم للسوسولوجيين المحليين والعرب خاصة، وهذا ما يفسر قلة المراجع المطالعة، والمقترحة عليهم في هذا المجال من جهة، ومن جهة ثانية قلة اعتماد الأساتذة عليها.

خاتمة:

ظلت الممارسة السوسولوجية في هذا الحقل تتميز من جهة بالتبعية للغرب سواءً من حيث البحث أو التدريس أو المرجعية المعتمدة، ومن جهة ثانية بالتجاهل لما هو محلي، فقد اتخذ علم اجتماع التنظيمات والعمل الاطار النظري والمفاهيمي الغربي كمرجعية له في البحث والتدريس، فبالرغم من أن غالبية أفراد العينة أجابت بأسماء لها وزن في هذا التخصص، إلا أنه لم نجد أثراً واضحاً لذلك في المرجعية المعتمدة من طرفهم، مقابل تداول أسماء الرواد الغربيين الكلاسيكيين على حساب الباحثين المحليين، ويعود هذا إلى طبيعة ونوعية التدريس، والبحث الذي يتعد عن العملية التراكمية، وإلى انقسام النخب العلمية والثقافية وضعف الروابط والعلاقات فيما بينها، فما يعاب على البحث السوسولوجي في الجزائر أنه ينطلق دوماً من البداية، وفي هذا الإطار نجد نذير معروف يقول " أن البحث في الجزائر ليس تراكمي ونحن نعود دائماً إلى نقطة البداية" (18).

إن التوجه نحو تطوير السوسيوولوجيا وإثبات هويتها يبدأ من هنا، إذ أنه لا يكفينا فقط استعراض العوائق واقتراح الحلول، وإنما نحن بحاجة إلى تبيين هذا العلم وفق المستجدات، والاعتراف بالآخر، والمساهمة في تكوين روح منفتحة تتعدى الحدود المعرفية والجغرافية، وإقامة روابط علمية ثقافية في شكل جماعات علمية.

يمكن القول بناءً على ما سبق أن علم اجتماع التنظيمات والعمل ينتج معارفه بعيداً عن المجتمع، في ظل العوائق السالفة الذكر، إضافة إلى عوائق أخرى، فعملية إثبات الذات تبدأ بممارسات المشتغلين أولاً، بما ينتجونه ويدرسونه، أي الشروع في ممارسات جديدة.

قائمة الهوامش:

(1) بن هامل جميلة، علم الاجتماع التنظيم والتغير الاجتماعي في الجزائر حالات جامعة تلمسان ووهران، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017.

(2) بشير محمد، الثنائية الثقافية بين المستوى المحلي والمستوى الكلي بالجزائر: قراءة وعرض لكتاب الاستثناء الجزائري، إعداد وتنسيق وتقديم بشير محمد، غريد جمال السوسيوولوجي والأنثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية، دار كنوز للنشر والتوزيع، تلمسان الجزائر، 2017، ص61.

(3) حمزوي سهام، عناوين الماستر تخصص علم الاجتماع وعدد تكراراتها على مستوى الجامعة الجزائرية، تقرير مقدم لأعمال اللجنة البيداغوجية الوطنية للعلوم الانسانية، قسنطينة، 2017.

(4) أحمد، زايد، النخب السياسية والاجتماعية مدخل نظري مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري، تحرير أحمد زايد، النخب الاجتماعية حالنا مصر والجزائر، www.kotobarabia.com، 2004، ص09.

(5) مصطفى حداب. بنية النخب في الجزائر، تحرير أحمد زايد، النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، مركز البحوث العربية والافريقية، www.kotobarabia.com، 2004، ص21.

(6) جدير مانيو، منهجية البحث، دليل الباحث المبتدئ في موضوعات البحث ورسائل الماجستير، تر ملكة أبيض، بدون سنة، ص101.

(7) Kadri Hasna Amina, L'enseignement de la sociologie du travail ; à la recherche d'un sens, sociologie et société en Algérie, coordination Lakjaa.A, sociologie et société en Algérie, éditions casbah, Alger, 2004, p111.

(8) صالح محمد إبراهيم، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر عناصر من أجل حوصلة المعارف، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران، الجزائر)، الجمعية العربية لعلم

الاجتماع(تونس)، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2014، ص131.

(9) العياشي عنصر، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1، منشورات الكراسك، 2001، ص01.

(10) لقيع ع القادر، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر: أية علاقة؟ وهران أيام 4،5 و 6 ماي 2002، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004، ص29.

العياشي عنصر، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1، منشورات الكراسك، 2001، ص01.

(11) العياشي عنصر، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1، منشورات الكراسك، 2001، ص01.

(12) المرجع نفسه، ص01.

(13) EL Kenz Ali, Au fil de la crise, 4 études sur L'Algérie et le monde Arabe, éditions Bouchene, Alger, 1989, p136.

(14) كلودين شولي، أنثروبولوجيا و/أو سوسيولوجيا؟ التفاتة إلى الخلف لدراسة ممارساتنا في هذين الحقلين، علم الاجتماع الأنثروبولوجي، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1. منشورات الكراسك 2001، ص06.

(15) تيرنر بريان، ماركس ونهاية الاستشراق، تر يزيد صايغ، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، ص08.

(16) العربي فوزي، ندوة، نحو علم اجتماع عربي علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي (7)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1989، ص387.

(17) العرابوي عمر، (تعليمية العلوم الاجتماعية في فلسفة الإصلاحات الجديدة، قراءة للعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والطالب، قسم علم الاجتماع نموذجاً، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد08، جامعة معسكر، الجزائر، 2010، ص65.

(18) Bachir Mohammed, Abdellaoui Linda, Regards sur la sociologie en Algérie, Entretien avec Nadir Marouf, L'homme, le sociologue et l'anthropologue. 2015.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1/ أحمد، زايد، النخب السياسية والاجتماعية مدخل نظري مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري، تحرير أحمد زايد، النخب الاجتماعية حالنا مصر والجزائر، www.kotobarabia.com، 2004.
- 2/ بشير محمد، الثنائية الثقافية بين المستوى المحلي والمستوى الكلي بالجزائر: قراءة وعرض لكتاب الاستثناء الجزائري، إعداد وتنسيق وتقديم بشير محمد، غريد جمال السوسيولوجي والأنثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية، دار كنوز للنشر والتوزيع، تلمسان الجزائر، 2017.
- 3/ بن هامل جميلة، علم الاجتماع التنظيم والتغير الاجتماعي في الجزائر حالات جامعة تلمسان وهران، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017.
- 4/ تيرنر بريان، ماركس ونهاية الاشتراق، تر يزيد صايغ، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981.
- 5/ جدير مانيو، منهجية البحث، دليل الباحث المبتدئ في موضوعات البحث ورسائل الماجستير، تر ملكة أبيض، بدون سنة.
- 6/ حمزاوي سهام، عناوين الماستر تخصص علم الاجتماع وعدد تكرارها على مستوى الجامعة الجزائرية، تقرير مقدم لأعمال اللجنة البيداغوجية الوطنية للعلوم الانسانية، قسنطينة، 2017.
- 7/ صالح محمد ابراهيم، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر عناصر من أجل حوصلة المعارف، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران، الجزائر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس)، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2014.
- 8/ عادل فوزي، علم الاجتماع الأنثروبولوجي، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1، دفاتر الكراسك، وهران، 2001.
- 9/ العرابوي عمر، (تعليمية العلوم الاجتماعية في فلسفة الإصلاحات الجديدة، قراءة للعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والطالب، قسم علم الاجتماع نموذجاً، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 08، جامعة معسكر، الجزائر، 2010.
- 10/ العربي فوزي، ندوة، نحو علم اجتماع عربي علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي (7)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1989.

11/كلودين شولي، أنثروبولوجيا و/أو سوسيولوجيا؟ التفاتة إلى الخلف لدراسة ممارساتنا في هذين الحقلين، علم الاجتماع الأنثروبولوجي، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج، دفتر رقم 1. منشورات الكراسك. 2001.

12/لقجع ع القادر، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر: أية علاقة؟ وهران أيام 4،5 و 6 ماي 2002، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

13/مصطفى حداب. بنية النخب في الجزائر، تحرير أحمد زايد، النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، مركز البحوث العربية والافريقية، www.kotobarabia.com. 2004.

المراجع باللغة الفرنسية:

1/Bachir Mohammed, Abdellaoui Linda, Regards sur la sociologie en Algérie, Entretien avec Nadir Marouf, L'homme, le sociologue et l'anthropologue. 2015,

2/EL Kenz Ali, Au fil de la crise, 4 études sur L'Algérie et le monde Arabe, éditions Bouchene, Alger, 1989.

3/Kadri Hasna Amina, L'enseignement de la sociologie du travail ; à la recherche d'un sens, sociologie et société en Algérie, coordination Lakjaa.A, sociologie et société en Algérie, éditions casbah, Alger, 2004.

The diffusion of new technologies and spatial inequalities

د. عادل بن حسين (جامعة تونس - تونس)

Résumé:

Face à une société grande consommatrice de communication et avide d'information, la diffusion des NTIC est un facteur incontournable de la mutation socio-économique dans les années à venir ; une nouvelle hiérarchie va apparaître avec de nouvelles disparités.

Alors quels sont les effets de diffusion des TIC sur la croissance économique? Y a-t-il une fracture numérique? Quel lien pourrait-on établir entre fracture numérique et niveau de développement ?

Les statistiques relatives au secteur des TIC montrent qu'au jour d'aujourd'hui, il existe un écart important, quel que soit l'indice retenu d'ailleurs, entre les trois grands groupes de pays que sont les pays développés, les pays émergents et les pays dits les moins avancés ou encore selon une autre distinction ; les pays de l'OCDE et les autres. A l'échelle internationale, l'indicateur qui revient le plus pour montrer l'existence d'une fracture numérique est le taux d'accès à la téléphonie (fixe et mobile) par centaine d'habitants.

Mots clé : réseaux, télécommunication, Tunisie, espace

Abstract

Faced with a major consumer of communication and hungry for information, dissemination of ICT is a major factor in the socio-economic change in the coming years, a new hierarchy will appear with new disparities. So what are the effects of diffusion of ICT on economic growth? Are there any digital divide? What link could be established between digital divide and level of development? The statistics on the ICT sector show that today there is a significant gap, whatever the index used by the way, between the three major groups of countries that are developed countries, countries emerging countries and so-called least developed or according to another distinction; OECD countries and others. At the international level, the indicator which is most to show the existence of a digital divide is the rate of telephone access (fixed and mobile) per hundred inhabitants.

Keywords: networking, telecommunications, Tunisia, space

ملخص:

يعتبر نشر التقنيات الحديثة عامل أساسي في التغيير الاجتماعي والاقتصادي في السنوات القادمة؛ سيظهر تسلسل هرمي جديد مع وجود تباينات جديدة.

إذن ما هي آثار انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على النمو الاقتصادي؟ هل هناك فجوة رقمية؟ ما هي الصلة التي يمكن أن تنشأ بين الفجوة الرقمية ومستوى التنمية؟

تبين الإحصاءات الخاصة بقطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أنه توجد حتى الآن فجوة كبيرة، بغض النظر عن المؤشر المختار، بين المجموعات الرئيسية الثلاث للبلدان والبلدان المتقدمة، الدول الناشئة وما يسمى أقل البلدان نمواً أو وفقاً لتمييز آخر؛ دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وغيرها. وعلى المستوى الدولي، فإن المؤشر الذي يعود إلى حد كبير لإظهار وجود فجوة.

الكلمات المفاتيح: الشبكات، الاتصالات، تونس، الفضاء.

Le défi que l'humanité est appelée à relever, dans cette transition vers une nouvelle société sans frontière, où l'information devient la source de tout progrès, c'est d'éviter la rupture et la cassure et d'adopter de nouvelles formes de pensées, de nouvelles façons d'agir. L'invasion de l'immatériel doit être perçue comme l'émergence de l'esprit à tout niveau: la finalité est de voir la solidarité s'affirmer en lien solide entre les sociétés de demain et à l'intérieur de chaque société, préservant le droit de tous les peuples au développement, au bien être et à une vie décente, pour que le nouveau siècle marque le début d'une meilleure ère, pour toute l'humanité, sans aucune exclusion ou marginalisation. L'effort doit venir d'abord des forces vives de chaque société, mais la solidarité internationale et la coopération restent des facteurs déterminants pour garantir le succès. C'est dans cette direction qu'a été engagée l'expérience tunisienne pour prévenir les conséquences d'une éventuelle fracture numérique.

La fracture numérique est une expression récente, qui signifie, tendance à l'élargissement de l'écart, entre riches et pauvres, dans le domaine de l'utilisation des nouvelles technologies de l'information. Les étapes parcourues par ce pays et sa démarche de développement intégral, y compris celui de la nouvelle technologie de l'information, méritent d'être analysées comme modèle sud méditerranéen, et retenues comme éventuelles solutions, pour la fracture numérique qui menace la paix sociale, à l'intérieur de chaque pays, et les relations internationales à l'échelle planétaire.

La problématique de ce travail consiste à déterminer si l'insertion des TIC dans l'espace géographique est un facteur de disparité spatiale et par conséquent facteur de marginalisation sociale et quelles sont les caractéristiques de cette fracture numérique ?

I- La fracture numérique ; un constat empirique :

L'expression « fracture numérique »¹ désigne généralement le fossé existant entre des personnes, des ménages, des entreprises, des gouvernements et des zones géographiques situées à divers niveaux socio-économiques en ce qui concerne à la fois les possibilités d'accès aux TIC, comme les ordinateurs et l'Internet, et leur utilisation. Ce fossé peut varier considérablement entre les pays avancés et les pays en voie de développement ainsi qu'au sein d'un même pays.

En 1984, Sir Donald Maitland publiait le rapport « Le chaînon manquant », dans lequel il soulignait que le manque d'infrastructures de télécommunication dans les pays en développement entrave la croissance économique. En 1996, M. Pekka Tarjanne (alors Secrétaire Général de l'UIT) lançait le projet du « droit de communiquer ». L'idée était de contribuer à pallier le manque d'information dont souffrent les pays en développement. On retrouve aujourd'hui cet objectif au centre du projet visant à organiser un sommet mondial de la société de l'information (SMSI), qui aura lieu à Genève en 2003 et à Tunis en 2005.

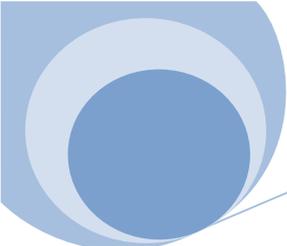
Mesurer la « fracture numérique » est un des soucis majeurs d'un nombre croissant d'institutions internationales comme l'UIT, le PNUD, la CNUCED et l'OCDE. Celle-ci propose une mesure (2001) qui se base sur; « In addition to communications infrastructures, important indicators appear to be computer availability – and potentially the availability of alternative access through TVs or mobile phones – and Internet access. The digital divide among households appears to depend primarily on two variables, income and education.

Other variables, such as household size and type, age, gender, racial and linguistic backgrounds and location also play an important role. The differences in PC and internet access by household income are very large and increasing, but access in lower income groups is rising. Largely through its effects on income, the higher the level of education, the more likely individuals are to have access to ICTs».

Quand nous parlons de fracture numérique, il faut rappeler que celle-ci prend deux formes; une forme quantitative et une autre qualitative. Ce qui signifie qu'il ne suffit pas de combler cet écart quantitativement pour que l'on puisse parler d'effet de rattrapage.

Le concept de « fracture numérique » ne renvoie pas à une définition précise et stabilisée en analyse économique. A l'instar de la « nouvelle économie », ce terme a été fabriqué et popularisé par les médias et les décideurs publics. Il désigne au sens large les inégalités

¹ Rapport sur le développement humain en Tunisie, PNUD, 2001



économiques et sociales générées par les technologies de l'information et de la Communication. Cette notion se décline en fonction de la problématique et du contexte abordé. Tantôt elle désigne la non accession de certaines catégories sociales aux TIC. Ainsi aux Etats-Unis, le débat porte sur la non accession de certaines catégories de la population aux services de base (Téléphone) ou à l'Internet. En Europe, le débat a porté davantage sur la couverture géographique de certains territoires par les opérateurs privés de téléphonie après les vagues de déréglementation. Ainsi, une fracture « économique-géographique » risque de marginaliser certains territoires et certaines populations. En France, le débat a porté sur la couverture géographique du haut débit. Ainsi, bien qu'une grande partie du territoire soit couverte par les opérateurs, le haut débit reste cantonné à certains territoires et marginalise ainsi les autres ! Enfin, les institutions internationales ont abordé le débat sous l'angle de la marginalisation des pays en voie de développement contenu de leur retard en « équipement technologique ». Il existerait ainsi un fossé numérique entre les pays « connectés » et ceux qui n'ont pas encore un usage courant du téléphone !

D'un point de vue conceptuel, peu de définitions précises ont été proposées. Elles renvoient à des conceptions différentes des fractures numériques. Au risque d'une simplification abusive, on peut distinguer quatre types de définitions.

La première définit la fracture numérique comme l'accroissement des écarts de raccordement à l'Internet et plus généralement de diffusion des TIC.

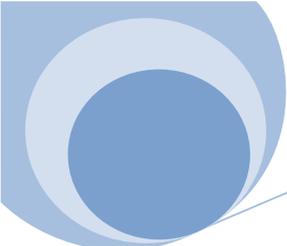
La seconde concerne l'accroissement des inégalités liées aux impacts économiques du secteur TIC sur le reste de l'économie. La troisième concerne les inégalités liées aux usages des TIC.

Enfin, la dernière part du constat que la fracture numérique concerne avant tout les inégalités concernant les modalités d'apprentissage et des connaissances générées par les TIC.

La première définition d'ordre strictement technologique relève des infrastructures.

Au sens strict, la fracture numérique désigne l'écart des taux de croissance des taux d'équipement en Internet. En novembre 2001, 40% des utilisateurs d'Internet résident aux Etats-Unis et au Canada, 30 % en Europe et 25% en Asie Pacifique. Le reste du monde compte pour uniquement 5% des utilisateurs d'Internet. Ici les indicateurs utilisés sont le nombre d'internautes par mille habitant, le taux d'hôtes d'Internet, la capacité de computation globale, etc...

Au sens large, elle consiste à interpréter la fracture numérique comme un écart du stock des TIC dans une économie donnée (Connexions Internet, PC, Téléphone portables, téléphones fixes, etc..). La fracture numérique concerne l'accroissement de l'écart de l'équipement en TIC entre deux zones géographiques données. Elle désigne, en quelque



sorte, une ligne de partage entre les territoires qui utilisent les TIC et ceux qui ne l'utilisent que marginalement. La mesure de la fracture numérique ajoute aux indicateurs précédemment cités ceux relatifs au taux de pénétration des PC, au nombre de téléphones fixes par mille habitant, au nombre de téléphones portables par mille habitants, etc...

La seconde définition, se rattache à la première, et concerne davantage les effets économiques des TIC. Elle mesure leur contribution à la croissance économique, aux exportations, à la productivité et à l'emploi. Il convient de mesurer ici les impacts économiques et les efforts entrepris en matière de TIC par un pays donné. L'idée maîtresse concerne les effets multiplicateurs potentiels des TIC. Ces derniers peuvent être résumés de la manière suivante : les industries des TIC en 1997 ont compté pour 3-4% de l'emploi, 6-9% de la valeur ajoutée,

10-25 % des exportations et 25-40% des dépenses de R&D aux Etats-Unis, au Japon et en Europe. Vraisemblablement des effets similaires sont attendus des pays qui l'utiliseront.

Ainsi, la fracture numérique désigne la divergence des trajectoires des sentiers de croissance provoquée par les impacts économiques des TIC. Certains auteurs définissent un seuil de 5% de la part des TIC dans le revenu national comme seuil critique permettant de séparer les pays dont la croissance pourrait être accélérée et ceux qui demeureraient sur le sentier de croissance faible.

La troisième définition possible de la fracture numérique concerne davantage les usages des TIC que leur stock. Il s'agit d'apprécier la manière dont les TIC sont utilisés par les agents économiques et la manière dont ils permettent de vérifier le triptyque « better, faster, cheaper ». En d'autres termes, comment les TIC permettent aux agents d'abaisser les coûts de production, d'augmenter le volume des transactions et d'améliorer la qualité de leurs prestations. La fracture numérique porterait ainsi sur des pays à taux d'équipement équivalents qui utilisent les TIC de manières différentes. On s'intéresse ici aux volumes des transactions commerciales par Internet, la vente directe, le nombre d'e-entreprises, la baisse des prix (l'effet déflateur)... Cette définition permet ainsi de constater qu'il ne s'agit pas d'investir massivement en TIC et de les produire mais de leur utilisation rationnelle par les agents économiques. Les dimensions culturelles et sociétales sont présents ici.

La dernière définition de la fracture numérique est liée aux modalités d'apprentissages et à la nature de l'acquisition des informations et des connaissances par les TIC. En d'autres termes, si l'on part du postulat que l'équipement en TIC constitue un préalable (infrastructure) et que les usages permettent d'accroître les performances, il s'agit d'examiner comment les agents apprennent à utiliser les TIC. Les inégalités liées aux TIC seraient liées aux inégalités des formes de l'apprentissage.

Récemment l'OCDE (2001) a formulé une définition qui semble tenir compte de l'ensemble de ces dimensions et constitue une référence dans la littérature. La fracture numérique est définie comme:

« The gap between individuals, households, business and geographic areas at different socioeconomic levels, with regard both to their opportunities to access information and communication technologies (ICTs) and to their use of Internet for a wide variety of activities. The digital divide reflects various differences among and within countries. The ability of individuals and businesses to take advantage of the Internet varies significantly across the OECD area as well between OECD and non member countries. Access to basic telecommunications infrastructures is fundamental to any consideration of the issue, as it precedes and is more widely available than access to and use of the Internet.»

1. Y a-t-il une fracture numérique ?

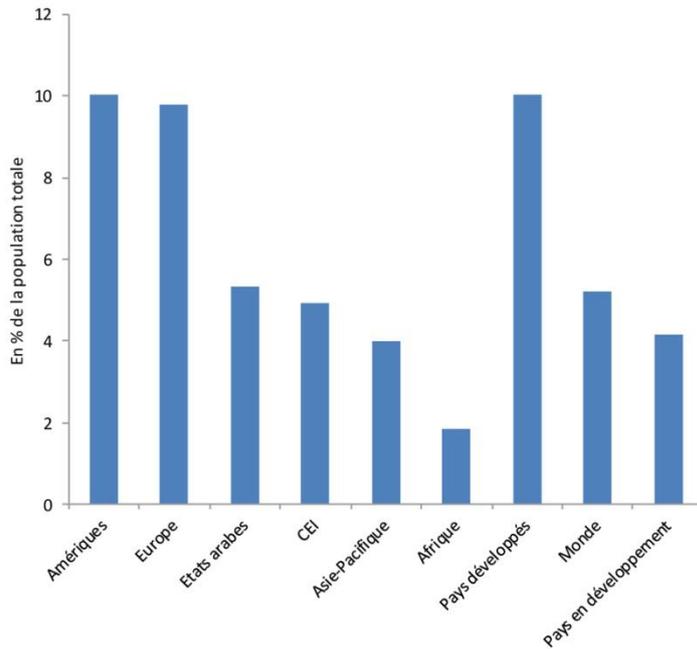
Les statistiques relatives au secteur des TIC montrent qu'au jour d'aujourd'hui, il existe un écart important, quelque soit l'indice retenu d'ailleurs, entre les trois grands groupes de pays que sont les pays développés, les pays émergents et les pays dits les moins avancés ou encore selon une autre distinction ; les pays de l'OCDE et les autres. A l'échelle internationale, l'indicateur qui revient le plus pour montrer l'existence d'une fracture numérique est le taux d'accès à la téléphonie (fixe et mobile) par centaine d'habitants.

Ce taux était, en 1998, de 7.8 pour les pays hors OCDE et de 72.1 pour les pays de l'OCDE. En octobre 2000, sur les 94 millions de hôtes internet dans le monde, 95.6% appartiennent à la zone OCDE et le reste 4.4% au reste du monde. 52% de ce dernier taux revient aux pays suivants ; Taipei, Singapour, Hongkong et Israël et 24% au Brésil, l'Argentine, Malaisie et Afrique du Sud. L'Afrique représente 0.25% et son taux est entrain de décroître. (Source UTI)

L'indice « hôtes internet par millier d'habitants » confirme l'existence de cette fracture numérique. En effet, alors qu'en 1997, ce taux était de un à 267 entre l'Afrique et l'Amérique du nord il est passé de un à 540 en octobre 2000.(source UTI).

Rappelons pour commencer les statistiques publiées dans le rapport sur le développement humain du PNUD « Human Development Report 2001 » sur le Pourcentage de jeunes nés avec le numérique dans la population totale, par région et par niveau de développement, 2012

Tableau 1



Source : UTI, 2012

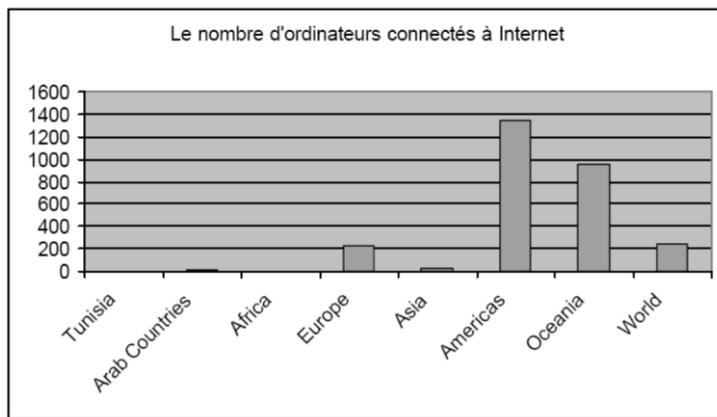
La mise en commun des accès à Internet est une utilisation commune dans de nombreux pays en développement ou à économie intermédiaire. Ceci est le cas de la Tunisie pour laquelle l'accès à Internet à travers des moyens collectifs reste la voie la plus immédiate de généralisation et de démocratisation des accès au réseau.

La Tunisie a été le premiers pays arabe à se connecter à Internet. Puisqu'une première connexion supportant la messagerie électronique a été établie en 1987 avec le réseau EARN/BITNET via Montpellier (1200 bauds). Deux ans plus tard, une connexion X.400 était réalisée avec le CENT à Paris sur un support X.25. Les premières expérimentations relatives au protocole TCP/IP ont eu lieu en 1990 entre l'IRSIT et l'INRIA (Institut National de Recherche en Informatique et Automatique, France) mais l'accès au réseau Internet ne deviendra effectif qu'en 1991 grâce à une ligne X.25 d'une capacité de 9,6 Kb en direction de l'INRIA. Cette même année, la Tunisie est devenue membre des réseaux EUNET et EUROOPEN.

Malgré cela, la position de la Tunisie en terme du nombre d'utilisateurs d'Internet reste au dessous de la moyenne mondiale et arrive à peine au niveau de la moyenne asiatique. Une fracture numérique au vrai sens du terme apparaît lorsqu'on retient l'indice « nombre d'hôtes Internet », c'est-à-dire le nombre d'ordinateurs connectés à Internet. Car dans ce cas, le rang de la Tunisie est encore une fois derrière tout le monde (y compris l'Afrique).

Cette situation trouve sa source dans un certain nombre de raisons dont voici les plus importantes :

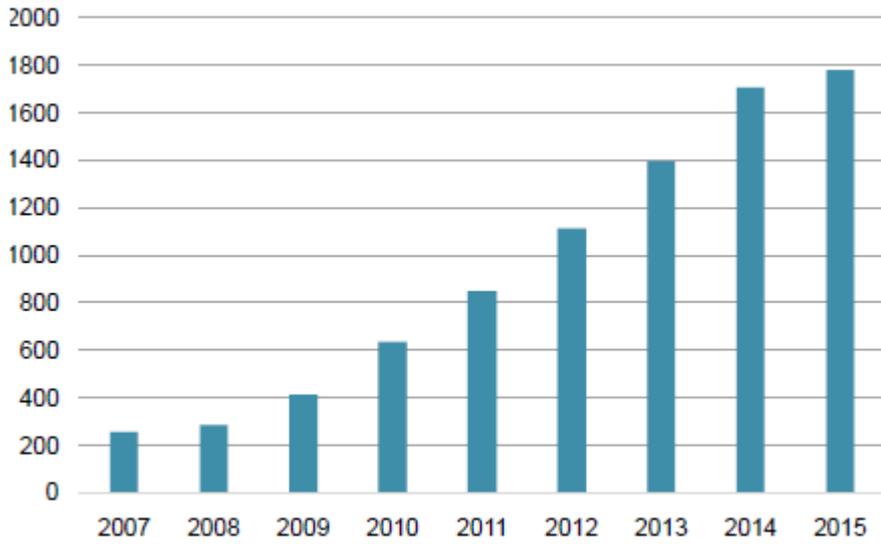
- La connexion à Internet se faisant par l'intermédiaire de lignes téléphoniques fixes, le retard dans celui-ci explique en partie le retard dans l'Internet ;
- Le taux de diffusion de l'ordinateur est faible en Tunisie ;
- Le coût de connexion à Internet est relativement élevé ;
- La densité de la population n'est pas élevée, ce qui rend l'investissement en infrastructure élevé.



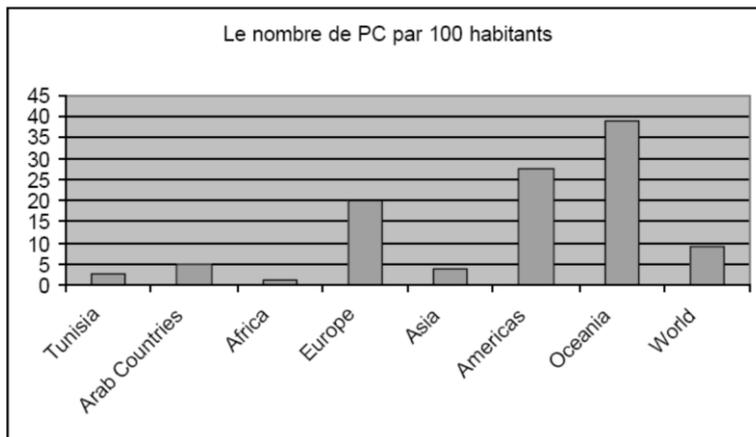
Source : UTI, Décembre 2003

Pour la Tunisie

Abonnés au réseau internet (en millier)

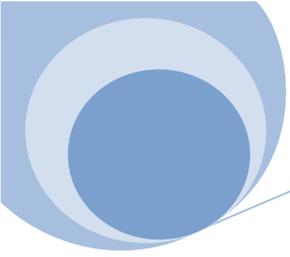


Source : INS



Source : UTI, Décembre 2013

Pour la Tunisie



En ce qui concerne le commerce électronique, le constat est le même. Il apparaît selon des sources statistiques concordantes, dont nous reprenons ici, que la part de l'Afrique et du moyen orient est aujourd'hui négligeable, pire encore, cette part est entrain de décroître

Le développement du e-commerce dans le monde est une réalité indiscutable. Le nombre et le volume des transactions électroniques augmentent exponentiellement d'une année à une autre. Dans cette évolution, un certain nombre de vérités statistiques doivent être soulignées :

- Le commerce électronique s'est développé dans les pays les plus équipés en technologies des communications mais aussi dans ceux où le secteur bancaire est technologiquement très avancé.
- Plus de 80% des transactions se font entre les entreprises (B to B).
- Dans les échanges B to B ce sont les Etats-Unis et la Corée du sud qui se taille la part la plus importante.
- Le commerce B to C est dérisoire. Il ne semble toucher finalement que certains biens dont les caractéristiques se prêtent à ce type d'échange : ordinateurs, logiciels, CD, livres, billets de transport,...
- Tous les pays africains et du moyen orient réunis représentent moins de 1% du volume des échanges électroniques internationaux.
- Les institutions internationales défendent l'idée que c'est en passant par le développement du e-government qu'il est possible d'améliorer les résultats des PVD dans ce domaine.

Si l'on s'intéresse au e-commerce comme usage commercial de l'Internet à la fin 2002 en Tunisie, nous nous apercevons qu'elle n'est pas très éloignée de la situation générale des pays en développement.

- Le nombre de sites Web utilisant les paiements électroniques : 42 sites en 2002 par rapport à 32 en 2001.
- Le volume des échanges électroniques en Tunisie : 692000 dinars dont 627000 en dinars électroniques et 65000 par les cartes.
- Le nombre de transactions électroniques a été de 19141 en 2002 contre 3592 en 2001.
- Une grande partie de ces transactions sont relatives aux paiements de factures de certains services de base comme, l'eau, l'électricité, les télécommunications.....
- En matière de commerce B to C les expériences tentées sont relatives aux domaines suivants: réservations dans le domaine du tourisme, TTN (Tunisian Trade Net), Les Magasins Générales, RAKAN (entreprise d'exportations de produits divers).

Ces informations, qui ne sont pas exhaustives, permettent de donner une idée assez claire sur le caractère dérisoire du volume du e-commerce en Tunisie. Nous y ajoutons que selon des sources contactées pour les besoins de cette étude, il nous a été confirmé que les expériences en termes de e-commerce des Magasins Générales (une enseigne de grande distribution tunisienne) ou de l'Office de l'Artisanat de Tunisie sont une faillite.

On peut citer presque 299 sites transactionnels parmi un total de 5232 sites, mais on remarque qu'il n'existe pas une activité continue sur la plupart de ces sites puisque la majorité sont lancés dans le cadre de projets pilotes ou selon des événements périodiques. Certains sites commerciaux ont échoué faute d'étude de projet approfondie sur les divers plans (technique, marketing, financier, logistique).

Dans le cadre du suivi des réalisations des statistiques du commerce électronique, l'observatoire du commerce extérieur du Ministère du commerce et de l'artisanat a été chargé du suivi des réalisations des transactions commerciales électroniques.

Un projet de mise en oeuvre d'un tableau de bord du commerce électronique est en cours. Parmi les principaux indicateurs retenus, on citera :

■ Indicateurs de l'agence nationale de certification électronique (ANCE) : (Agence nationale de certification électronique - www.certification.tn - 17 Avril 2007.)

Tableau 2: Indicateurs ANCE

Indicateurs	Année 2015	Année 2016					
		Mai	Juin	Juil	Aout	Sept	Oct
Nombre de sites certifiées	54	62	58	64	61	59	62
Nombre de Certificats d'échange électronique	607	952	961	980	998	1032	1052

Indiquant que les certificats de l'Agence nationale de certification électronique sont incorporés dans le navigateur web Internet Explorer de Microsoft, pour cette raison, il n'est pas nécessaire d'utiliser les certificats étrangers comme « Verisign ».

■ Indicateurs des paiements électroniques (SPS-SMT & e-Dinar)

Tableau 3: Indicateurs paiements électroniques

Montant en millions de dinars	SPS-SMT	e-Dinar	Total
National	1280	14889	16169
International	5844.6	98.4	5943
Total	7124.9	14987.2	22112.1

2-Les obstacles au commerce électronique

Malgré ces résultats assez décevants il semble que les décideurs privés (hôtels, agences de voyage, ...) et publics sont décidés à continuer dans la voie de l'expérimentation de toutes les voies susceptibles de faire réussir la composante électronique de leurs échanges. Leurs arguments peuvent être résumés ainsi :

- Aujourd'hui, le commerce électronique ne représente que 5% du total du commerce dans le monde. C'est une part dérisoire qui montre que même dans les pays les plus développés il a beaucoup de mal à décoller.

- Le développement technologique rapide du secteur bancaire tunisien pourrait permettre de mettre à la disposition du consommateur tunisien les outils nécessaires pour faciliter ses échanges électroniques.

- Le comportement des consommateurs tunisiens des produits échangés électroniquement devrait se modifier en faveur d'un usage plus intense grâce à la généralisation, toute relative, des cartes de paiements.

- Les politiques économiques ciblées en faveur de l'augmentation de l'usage des TIC, comme celle relative à « un ordinateur à 1000 dinars » ou de la baisse continue des coûts d'accès devront avoir un effet dans le moyen terme en terme de nombre d'utilisateurs ou de e-acheteurs potentiels.

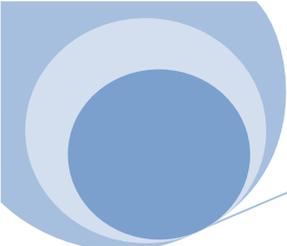
Après avoir qualifié la situation en Tunisie comparativement aux autres pays et avoir souligné l'important retard à la fois en termes d'équipement d'anciennes et de nouvelles technologies, il convient d'examiner les usages et les éventuelles fractures numériques constatées.

D'après les résultats relatifs aux obstacles au développement du commerce électronique cités dans l'enquête, on peut définir deux groupes d'obstacles selon leurs importances :

Le premier groupe : dépend du niveau de la culture numérique du cyberconsommateur Tunisien et peut être traduit par un manque d'informations sur les avantages du commerce électronique et de l'insuffisance des actions de sensibilisation et surtout en ce qui concerne la confiance et la sécurité des activités en ligne (71%).

L'expérience du commerce électronique n'a pas été réalisée par une majorité de personnes. Sans une telle pratique, elles doutent de l'efficacité de cette activité surtout dans l'usage des moyens de paiements en ligne. De plus, certains incidents dans les pays étrangers en rapport au vol de cartes bancaires ou d'usurpation d'identités ont créé une méfiance et une crainte des activités en ligne. Il est donc primordial de développer la confiance sur Internet.

La sécurité est essentielle et assure un environnement fiable pour les transactions électroniques. Cet obstacle est détecté dans tous les entretiens avec les chefs d'entreprises qui affichent un manque de confiance dans le commerce électronique et les paiements en ligne. Ce sont des préjugés évoqués en s'inspirant des expériences des pays développés et les entreprises tunisiennes craignent fortement d'être visées par des attaques pareilles.



Actuellement, le consommateur ne perçoit aucune valeur ajoutée s'il n'existe pas d'incitatifs ou d'encouragement pour faire ces achats en ligne. Sous forme d'incitatifs fiscaux (l'exonération de TVA, des soldes, des promotions), ou bien d'autres incitatifs d'opportunités (le gain de temps, le choix, la qualité, l'exclusivité...) ces encouragements attireraient plus de consommateurs à adopter le commerce électronique.

Le second groupe : concerne l'environnement du commerce électronique spécialement :

a) La non convertibilité du dinar un obstacle aux achats internationaux

Les achats internationaux (achat à partir de sites étrangers) sont nécessaires pour faire décoller le commerce électronique. Cette idée a été fortifiée par la déclaration de 61% des répondants. Et actuellement à cause de la non convertibilité du dinar Tunisien, il est impossible d'acheter depuis les sites marchands étrangers, et vu le développement de cette activité en Europe, et en Amérique du Nord, une gamme importante de produits, qu'on ne pourra pas trouver en Tunisie, est offerte comme les livres, les études et il sera fort intéressant de permettre l'achat de ces biens.

En attendant la convertibilité totale du dinar tunisien et afin de permettre les achats en ligne depuis l'étranger, l'Etat Tunisien à lancer la Carte d'allocation touristique. L'expérience d'utilisation de cette carte est en cours de test et, elle se limite à la réservation en ligne d'hôtels. Des futurs usages comme l'achat de biens depuis l'étranger sera bientôt possible.

b) Infrastructure des télécommunications insuffisante

Le débit d'Internet est l'obstacle le plus revendiqué par les internautes (53%). En effet malgré les efforts fournis par l'Etat pour la modernisation de l'infrastructure des télécommunications, il s'avère que la capacité technique de l'infrastructure actuelle à ne supporte pas la charge actuelle ou en remarque une faiblesse et une instabilité (certaines coupure) du débit d'Internet ainsi que la saturation, dans certaines zones, des lignes ADSL en plus les frais de connexion demeurent encore élevés.

c) Manque d' Incitations

Le consommateur ne perçoit aucune valeur ajoutée s'il n'existe pas d'incitatifs ou d'encouragements pour faire ces achats en ligne. 43% ont déclaré qu'il n'y a pas d'incitations pour faire des achats en ligne (Promotions, Tarifications, Offres spéciales...).

Généralement, ce sont des incitatifs fiscaux comme l'exonération de TVA, les soldes, les promotions ou bien d'autres incitatifs (des opportunités, le gain de temps et éviter la foule de déplacement).

d) l'offre de biens et de services sur le Web est faible

. Le nombre de sites web a suivi une expansion remarquable. Le nombre de sites qui était de 2 en Décembre 1996 a atteint 169 en Juillet 1999 et 6573 sites en 2007. Mais cette expansion est très inégale à travers le territoire et vient se calquer sur les disparités spatiales existantes.

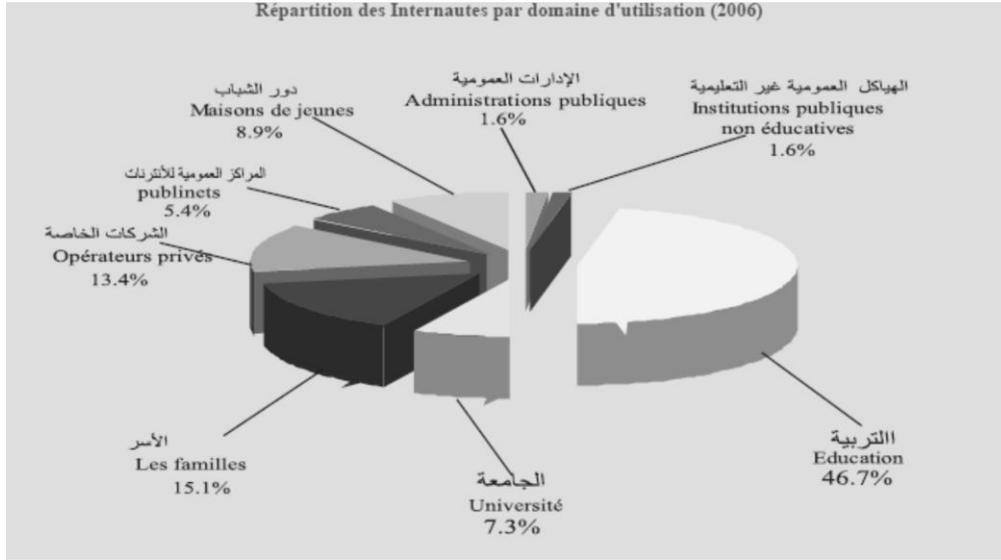
A travers la ventilation des sites on va observer comment le territoire se dessine à travers le web par les spécialisations exprimées.

Les cartes représentées illustrent l'ancrage de l'inégalité spatiale : la domination Tunis quand à la concentration des sites web: ce sont les sites consacrés à l'économie qui sont les plus prisés (30%) viennent ensuite ceux de l'actualité et de presse et c'est seulement en quatrième lieu qu'on trouve les sites de tourisme après ceux des institutions.



source : INS

Cette évolution est marquée par une répartition très inégale avec des implications territoriales, en effet l'étude de la répartition des sites web dans l'espace nous révèle un renforcement de la littoralisation. En Tunisie, le nombre des sites de commerce électronique est 299 sur un ensemble de 5232 sites en ligne.



Source : ATI

L'année dernière, la valeur des transactions pour les dépenses électroniques internes a été de 16.170 MD (Observatoire du Commerce Extérieur-2007- Ministère du Commerce), soit une multiplication par 8 par rapport à 2005. Parmi ces sites transactionnels, 87% sont des sites de services de réservation, de billetterie. Dans ce cadre, 37% des enquêtés ont indiqué il existe un réel manque de biens sur Internet.

Bien qu'on ait préparé une enquête sur le commerce électronique qui visait les entreprises, on n'a pas lancé l'exécution de cette enquête et il s'avère intéressant de mentionner certains obstacles soulevés par les opérateurs économiques, et en se basant sur mon expérience professionnelle en tant que cadre dans la direction du développement du commerce électronique au Ministère du Commerce et de l'Artisanat lors d'un programme qui concerne un certain nombre d'entreprises et qui vise le développement des échanges commerciaux électroniques. Ces obstacles peuvent être énumérés comme suit :

■ Certaines entreprises préfèrent maintenir le modèle d'affaires actuel. Cette attitude peut être expliquée par une vision stratégique limitée surtout en matière d'intégration des affaires électroniques dans les procédures du travail. Si ces entreprises se méfient du commerce électronique c'est par manque de compétences ou par crainte de courir le risque de perte ou d'échec financier ou de rentabilité. Ceci peut être justifié aussi par les obstacles figurant dans ce rapport.

■ Certaines entreprises ne sont pas sûres des avantages qu'elles peuvent avoir par l'adoption du commerce électronique et ceci à mon avis s'explique par le fait que la majorité des chefs d'entreprises sont dépassés par les technologies d'information et de communication, ce qui est dû à un manque d'information et à l'absence de veille stratégique sur les expériences étrangères de concurrents.

■ Les entreprises croient que leurs biens et services ne se prêtent pas aux transactions effectuées sur Internet et ce, en partant de l'hypothèse que le consommateur Tunisien manque encore de culture numérique et que l'achat en ligne ne fait pas partie de ses habitudes.

e) Manque de confiance et lourdeur des moyens de paiements (e-dinar & SPS-SMT)

D'après l'enquête, 27% des personnes enquêtés ont déclaré l'inefficacité des moyes de paiement. Actuellement, en Tunisie il existe deux solutions de paiement électronique.

Celle de la Poste Tunisienne, le e-dinar : ce moyen permet des micro paiements mais il s'avère que la procédure d'obtention est longue : il faut se déplacer vers les bureaux de la Poste pour avoir la carte; ensuite il faut l'activer et la verser dans le porte-monnaie virtuel via le site de la Poste. Cette procédure est ennuyeuse selon le consommateur; certains ont proposé la vente des cartes e-dinar dans d'autres lieux comme les publitel (comme la vente des cartes de recharge du GSM).

La seconde solution de paiement est le serveur de paiement sécurisé de la Société Monétique Tunisie. Cette solution permet d'effectuer les paiements par la carte bancaire. Le problème, c'est que la plupart des cyberconsommateurs ont peur d'introduire les coordonnées de leurs cartes bancaires et se méfient de cette procédure, ce qui montre qu'il y a un manque d'information sur les connexions sécurisées et les certificats électroniques et leur utilité pour la confiance et la sécurité des transactions.

f) Cadre juridique inadéquat (Facture électronique, preuve électronique...)

En ce qui concerne ce volet, 26% des enquêtés ont mentionné que le cadre réglementaire du commerce électronique demeure insuffisant et nécessite un suivi de l'évolution des législations qui encadrent l'économie électronique tant au niveau national qu'international, notamment le commerce électronique et les services de la société de l'information, la signature électronique, les métiers de la confiance dans l'environnement électronique.

Il est primordial de faire la mise à jour des diverses législations touchées par l'émergence de la nouvelle économie numérique dans les divers domaines (Commerce, communications, tourisme, banques, services...). Il faut notamment prendre en considération la reconnaissance fiscale des documents électroniques afin de permettre de dématérialiser les échanges économiques interentreprises.

En ce qui concerne le volet B2B, la législation relative aux marchés publics ne permet pas les entreprises de faire leurs achats et approvisionnements en ligne, puisque les entreprises sont contrôlées par des règles strictes et des commissions de marchés.

Aussi il est temps de former des experts juridiques en technologies modernes comme la signature, la certification, l'archivage électronique afin de se protéger contre toutes les fraudes et les attaques qui existent dans l'environnement de la cyberéconomie.

La sensibilisation et l'information sur la législation relative à l'économie numérique auprès du consommateur et des acteurs économiques se révèlent importantes dans la diffusion de la confiance dans cette nouvelle économie.

II- Une fracture numérique qui n'a pas perdu en intensité

Plus de deux ans et demi après le lancement de l'initiative du G8 sur la fracture numérique, de l'adoption d'une charte sur "la société mondiale de l'information" et la création d'une Dot Force ad hoc, la problématique de la fracture numérique n'a rien perdu de son acuité. Si l'accès aux technologies s'est développé à des degrés et à une vitesse variable dans l'ensemble des régions du monde, y compris les plus pauvres, les écarts ne se sont pas résorbés. On retiendra qu'aujourd'hui encore : 2 Américains sur 3 se connectent à Internet contre 1 sur 160 en Afrique ou 1 sur 20 en Amérique Latine. De même, si le taux de pénétration des ordinateurs est supérieur à 60% aux Etats Unis, cet indicateur est à peine supérieur à 2% pour les pays arabes ou 0,7% en Afrique.(source UTI)

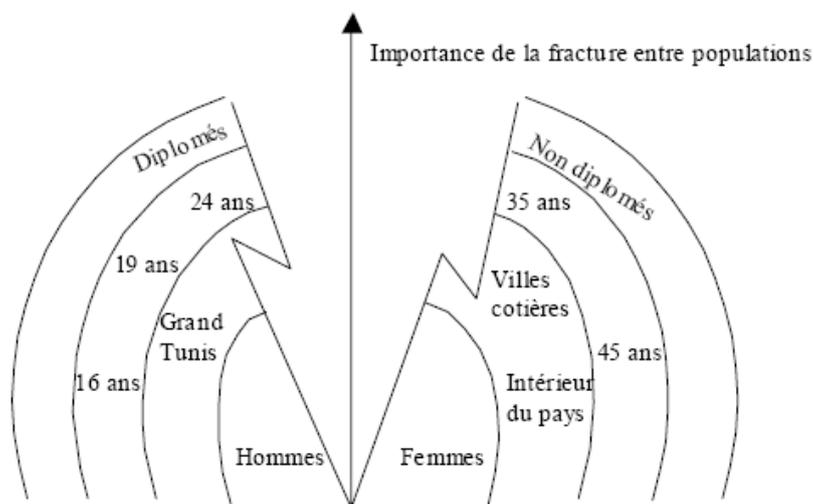
Au-delà des déclarations d'intention, des constats et de la multiplication des rapports sur le sujet, la problématique de la fracture numérique est aujourd'hui insérée dans les réflexions portant sur l'aide au développement et constitue souvent une priorité des gouvernements.(UTI)

L'appréhension du phénomène et la définition de politiques et programmes ad hoc sont, bien évidemment différentes selon qu'on raisonne en termes de retard de la pénétration des TIC (dont les infrastructures de base des télécommunications. Au-delà des déclarations d'intention, des constats et de la multiplication des rapports sur le sujet, la problématique de la fracture numérique est aujourd'hui insérée dans les réflexions portant sur l'aide au développement et constitue souvent une priorité des gouvernements.

L'appréhension du phénomène et la définition de politiques et programmes ad hoc, bien évidemment différentes selon qu'on raisonne en termes de retard de la pénétration des TIC (dont les infrastructures de base des télécommunications) ou de disparités au sein d'un pays ayant atteint une certaine maturité. La multiplicité des facteurs et leur acuité, selon le pays ou la région du monde considéré, induit la mise en place d'actions spécifiques qui ne sauraient se borner à des mesures pratiques liées à l'accès physique aux technologies et à l'information. Un "modèle" général n'est de fait pas transposable et l'approche des différents pays sur le thème apparaît souvent comme différenciée (approche très libérale de retrait de l'Etat aux Etats Unis qui appuient sur le rôle du privé ; approche plus mesurée en Europe) et a parfois évolué.

D'après notre enquête, la fracture numérique est identifiée de la façon suivante. Les utilisateurs de l'Internet sont en majorité localisés dans certaines régions et en zones urbaines, ils sont en majorité les plus éduqués et les plus riches, principalement des jeunes de sexe masculin.

Les résultats de l'enquête et la comparaison du cas de la Tunisie aux pays similaires ainsi qu'à un pays développé comme la France, ne suscitent pas de grande surprise. La fracture numérique accentuée par l'Internet se situe sensiblement aux mêmes frontières que dans tous les pays du monde de niveau économique comparable à celui de la Tunisie. Le graphique ci-après schématise cette fracture au sein de la population tunisienne.



Source : enquête (Voir thèse de doctorat « les télécommunications et l'espace économique et socioculturel : l'enjeu, février 2008)

1- Des politiques volontaristes dont les effets sont toujours attendus:

Si des initiatives régionales ou multilatérales (UIT, UE...) se sont développées au cours des dernières années en Afrique du Nord et au Proche Orient, force est de constater, qu'elle demeure caractérisée par la faiblesse de la pénétration des TIC même si elle connaît une croissance rapide dans la plupart des pays.

La mesure de la fracture numérique reste de prime abord globalement liée à la faiblesse des principaux indicateurs quantitatifs traditionnels (pénétration d'Internet, nombre de PC, volume du commerce électronique...) qui peut s'expliquer, non seulement et dans plusieurs pays, par les carences en infrastructures de communication ou par la faiblesse des revenus, mais aussi par des facteurs plus qualitatifs (analphabétisme, barrière de la langue...).

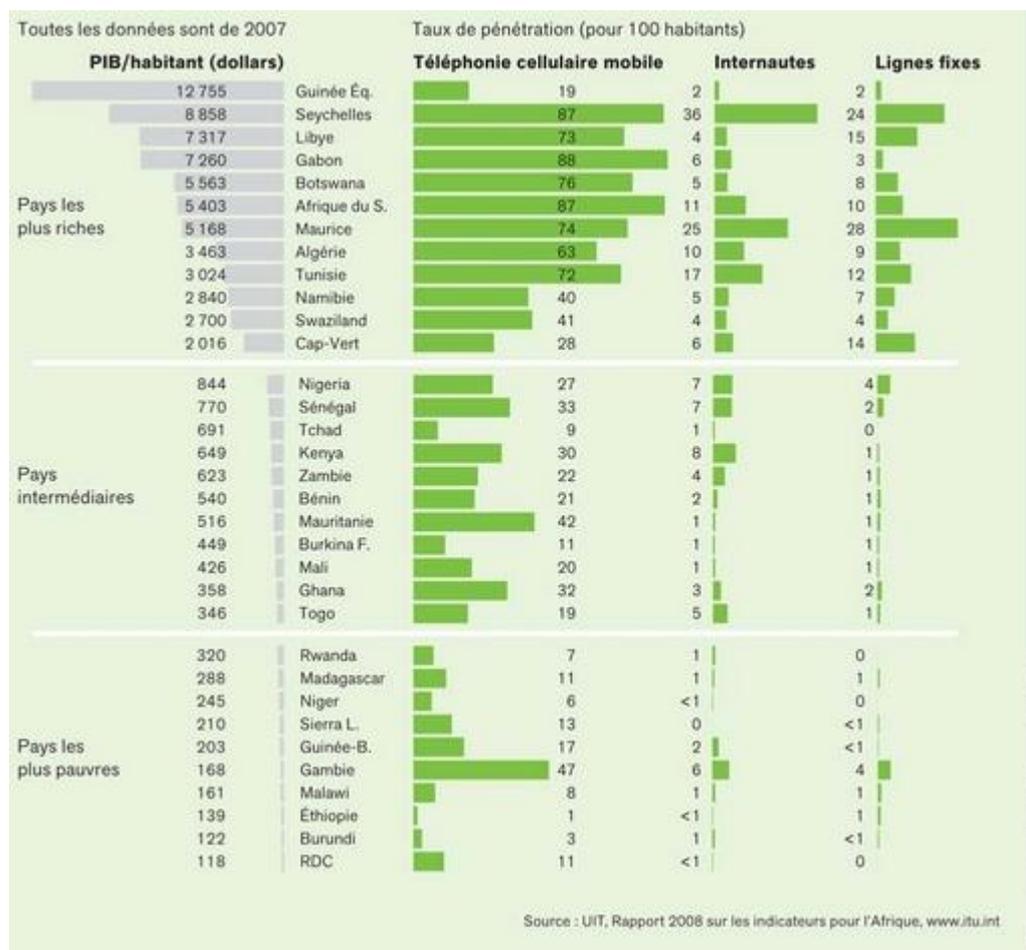
Les gouvernements de la région ont mis en oeuvre des politiques volontaristes qui, au delà du développement des infrastructures (notamment facilitée par la déréglementation

du secteur et des plans ambitieux, comme en Tunisie), des mesures tarifaires et la multiplication des centres d'accès publics ou privés, sont également marquées par des initiatives récentes originales ("Internet gratuit" en Egypte, ordinateurs à crédit à des prix abordables en Syrie et en Egypte...).

TABLEAU4 : Taux de pénétration par pays (télécommunications fixes et mobiles (téléphone),

utilisateurs internet)

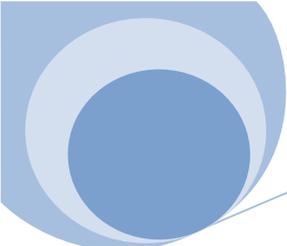
Sources: UTI



2-La stratégie Tunisienne en matière de TICs :

Il existe une grande corrélation entre les technologies de l'information et de la communication, les affaires et le commerce électronique. C'est pourquoi il est primordial de citer les indicateurs généraux en matière de connectivité, qui représentent la base des affaires électroniques.

La stratégie Tunisienne en matière de développement du secteur des technologies de la communication s'inscrit pleinement dans les préoccupations qui ont conduit la Tunisie à



l'organisation d'un Sommet mondial sur la société de l'Information (-
www.smsitunis2005.tn -15 juillet 2005).

Cette stratégie s'articule autour des axes suivants :

■ Le développement, la modernisation et la mise en oeuvre des nouvelles technologies pour une infrastructure des communications en adéquation avec les besoins d'une économie de plus en plus basée sur le savoir, avec notamment le renforcement et l'extension des infrastructures téléphoniques fixes et mobiles et le développement des réseaux de transmission de données en mettant à profit les nouvelles technologies.

■ Le renforcement de la plate-forme organisationnelle et réglementaire aux fins d'asseoir l'ouverture du secteur à la concurrence avec notamment le renforcement de la fonction de régulation et le développement de la présence d'opérateurs privés.

■ Le renforcement des capacités humaines, techniques et technologiques par le développement des capacités de recherche, de formation universitaire de base et continue, et par la large diffusion de la culture numérique contribuant à la mise en place de la société de l'information et du savoir.

■ Le développement d'un tissu d'entreprises privées innovantes et performantes, à fortes valeurs ajoutées, résolument inscrites dans la perspective d'un marché globalisé et international, contribuant à faire de la Tunisie un pôle régional d'excellence et de rayonnement technologique.

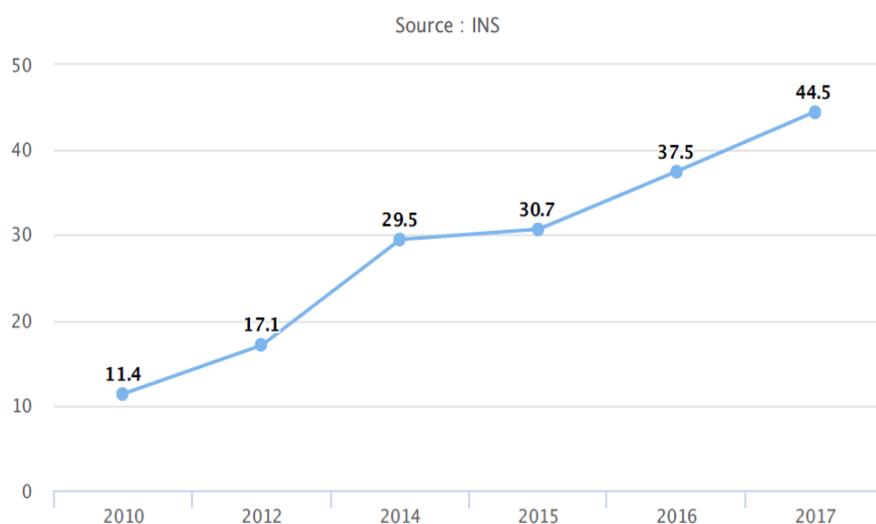
Cette stratégie nationale a déjà permis une meilleure diffusion de la culture numérique et une meilleure connectivité dans le pays. En effet, le nombre d'utilisateurs d'Internet a atteint 1 393 500 en Février 2007⁷(Portail du Ministère des technologies de communications- <http://www.infocom.tn/index.php>), et les indicateurs de connectivité sont encourageants comme le montre le tableau suivant:

Tableau 5 : Indicateurs Tics

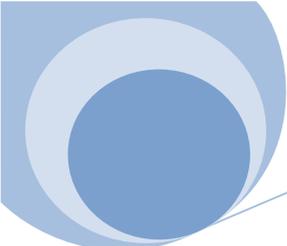
Nombre d'abonnés au réseau Internet	184310
Nombre d'abonnés (connexion à haut débit)	69043
Nombre de Publinets	238
Nombre de comptes emails	179440
Nombre d'Internautes	1294910
Nombre de noms de domaines	6406
Nombre de sites web (informationnel et transactionnels)	5232
Taux d'équipement de PC pour les foyers	7,2%
Étudiants dans les branches des N.T.I.C (10%)	35.000
Nombre de fournisseurs de service internet (FSI)	12 (7 publics+5 privés)
Nombre de Société de services et d'ingénierie en Informatique (SSII)	129

Il faudra mettre l'accent sur le rôle de l'Internet haut débit et la croissance rapide d'Internet qui a un impact indéniable sur de nouvelles approches de l'économie avec le commerce en ligne. Dans ce cadre, il existe une forte volonté politique de moderniser l'infrastructure des télécommunications, ce qui permettrait un accès rapide aux services offerts sur la toile et l'atteinte de l'objectif de 1.4 millions d'abonnés d'ici 2011 avec 5 millions d'utilisateurs de l'Internet mobile.

Proportion des ménages connectés à Internet



Un ensemble de réalisations peuvent être citées dans ce cadre :



L'ADSL (ADSL: Asymmetric Digital Subscriber Line.): ces dernières années, on remarque la généralisation de l'usage de cette technologie de communication. En effet, les fournisseurs d'accès Internet proposent une gamme de produits aux particuliers et aux entreprises.

Le Wimax²⁵ (Wimax: Worldwide Interoperability for Microwave Access.) en tant qu'accélérateur : il a été décidé le déploiement en Tunisie du Wimax à partir de 2007, avec une priorité donnée aux zones non couvertes par Internet et l'ADSL. Pour le Grand Tunis, le Wimax sera déployé dans une logique de renforcement du haut débit et ce, afin d'améliorer la qualité des connexions. Un premier test a été effectué lors du festival de l'Internet Organisé par l'association tunisienne d'Internet et de multimédia (Association tunisienne d'Internet et de multimédia - www.atim.org.tn - 03 Août 2006) et un projet pilote a été démarré en Novembre 2006 dans le Gouvernorat de Sfax par Divona Télécom (Transmission de données par satellite - www.divonatelecom.com - 21 Mars 2007, c'est le Premier Opérateur de Télécommunications par Satellite en Tunisie).

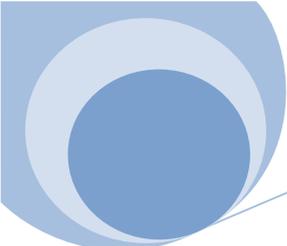
3- Une fracture numérique qui diffère selon les technologies

La fracture numérique est particulièrement aiguë en Tunisie et reflète l'hétérogénéité socio-économique des pays de la région. Néanmoins, dans le domaine de la téléphonie mobile, cette fracture entre pays développés et pays émergents et entre les régions, s'est réduite au cours des deux dernières années grâce aux taux de croissance record enregistrés notamment au développement de l'économie informelle de ce secteur. En revanche, pour les technologies liées à Internet, peu de progrès ont été faits compte tenu de la cherté des équipements informatiques même si le phénomène des cyber-cafés a permis d'accroître considérablement la diffusion d'Internet. Les pays les plus pauvres d'Asie (Birmanie, Cambodge, Laos) restent néanmoins à la traîne et certains d'entre eux ne disposent pas encore de réseau de téléphonie mobile.

L'existence de pays leaders dans le secteur des nouvelles technologies plaide en faveur d'une coopération intra-régionale accrue entre les gouvernements. La multiplication fin 2001 des « e initiatives » au sein des différentes instances régionales (ASEAN, APEC, ASEM) marquait une réelle volonté politique mais celle-ci n'a pas été suivie d'effets tangibles en l'absence d'appui significatif des industriels du secteur des TIC.

L'avènement des technologies de l'information et de la communication n'a fait que creuser l'écart entre ceux qui ont accès à ces technologies et les autres.

Dans ce contexte, l'échange d'information en vue d'améliorer la sécurité alimentaire sera essentiel pour tous les acteurs concernés, à savoir les gouvernements, le secteur privé, les universités, les organisations d'agriculteurs et la société civile dans son ensemble, selon les experts de la FAO.



"L'information a pris une dimension politique. Elle est indispensable aux marchés, aux prix et à la sécurité alimentaire. La Consultation qui se tient à la FAO se concentrera sur la manière dont notre Organisation pourrait mieux aider ses Etats membres à accéder, à analyser et à utiliser les informations pour la sécurité alimentaire et la production agricole durable", souligne Francisco Perez-Trejo, responsable du Centre mondial d'information agricole WAICENT, le cadre stratégique de la FAO pour la gestion de l'information agricole.

"Grâce à l'Internet, l'information est disponible aux quatre coins du monde, mais cela ne signifie pas que tout le monde est nécessairement bien informé. C'est pourquoi la gestion de l'information est si importante", explique Perez-Trejo.

La Consultation passera en revue notamment les moyens et les mécanismes susceptibles de combler la "fracture numérique" entre agriculteurs riches des pays développés et communautés rurales pauvres des pays en développement. A cet effet, la FAO préconise un meilleur échange d'information et des utilisations novatrices des technologies de communication modernes qui peuvent accroître la production vivrière de façon écologiquement rationnelle et durable.

Les ruraux sont particulièrement handicapés par la "fracture numérique" dans le contexte actuel de mondialisation. Ils souffrent notamment du manque d'infrastructures de communication dans leurs zones. Pour empêcher, d'autre part, que l'écart ne se creuse davantage entre les populations urbaines et les populations rurales, des fonds publics seront nécessaires pour compléter les investissements privés afin d'apporter la radio, la télévision et les technologies de l'information jusque dans les zones rurales. On estime qu'il faudrait pour cela quelque 100 millions de dollars par an, selon le Programme de lutte contre la faim présenté en juin dernier par la FAO à ses Etats membres. Parmi les mesures préconisées la mise sur pied de mécanismes opérationnels pour la mise en œuvre du mandat de la FAO lié à la gestion de l'information en matière d'alimentation et d'agriculture, sur l'amélioration de la coordination et sur la création de directives et de normes ainsi que sur d'autres initiatives proposées par la FAO afin d'accroître les flux d'information et de communication portant sur des aspects clés des réseaux d'information et des systèmes spécialisés comme FAOSTAT.

Force est de constater que la diffusion des cybercafés est l'expression de la littoralisation accentuée par l'installation des équipements de télécommunications et aussi l'expression d'une fracture numérique entre le littoral et l'intérieur du pays et entre la capitale et le reste des zones avoisinantes.

Les tableaux suivants présentent la répartition des Publinets (centre public d'Internet) entre zones côtières et intérieur du pays puis entre la capitale et les autres villes. L'exploitation de ces chiffres est basée sur l'hypothèse plausible que le nombre de Publinets dans une ville donnée correspond à la demande potentielle ou exprimée.

L'augmentation du nombre de Publinets dans une ville prouve que les Publinets existants sont rentables (et donc qu'ils y sont fréquentés) et que la demande peut encore justifier de nouveaux Publinets (les promoteurs de Publinets ne s'engageant dans ces démarches lourdes et onéreuses que s'ils ont de solides raisons de penser que le marché potentiel de leur publinet est suffisant pour leur assurer la rentabilité du projet).

Zones côtières (Tunis, Ben Arous, Ariana, Manouba, Bizerte, Nabeul, Sousse, Monastir, Mahdia, Sfax, Gabès, Médenine)		Intérieur du pays (Zaghouan, Kébili, Tataouine, Gafsa, Sidi Bouzid, Tozeur, Kairouan, Kasserine, Béja, Jendouba, Kef, Siliana)		
Nombre de Publinets	Evolution 2010-2012	Nombre de Publinets	Evolution 2010-2012	
232	+ 186 %	27	+ 12,5 %	

Le taux de population habitant dans les zones côtières est d'environ 70 % du total du pays. Le nombre de Publinets y est en revanche de près de 90 %.

Répartition des Publinets entre les gouvernorats du Grand Tunis et les autres gouvernorats .

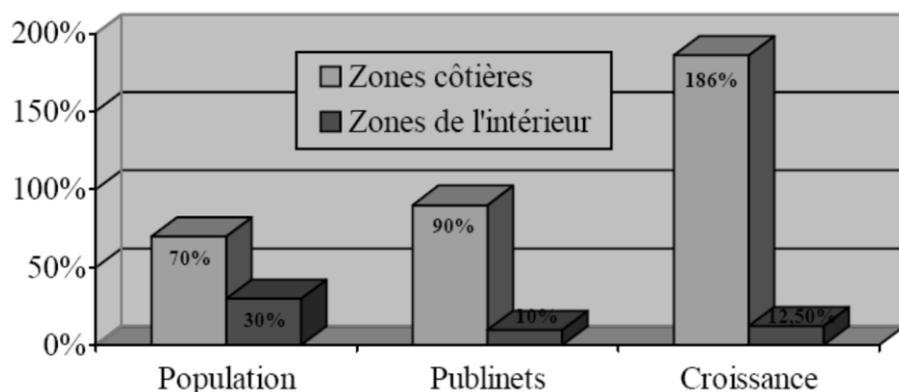
Grand Tunis (Tunis, Ben Arous, Ariana, Manouba)		Reste du pays (Bizerte, Nabeul, Sousse, Monastir, Mahdia, Sfax, Gabès, Médenine, Zaghouan, Kébili, Tataouine, Gafsa, Sidi Bouzid, Tozeur, Kairouan, Kasserine, Béja, Jendouba, Kef, Siliana)		
Nombre de Publinets	Evolution 2010-2012	Nombre de Publinets	Evolution 2010-2012	
140	+ 400 %	119	+ 55 %	

Le nombre d'habitants dans la zone du Grand Tunis représente environ 25 % de la population totale tunisienne. Le nombre de Publinets y est par contre de près de 55 %. Ces chiffres montrent clairement une première inégalité entre d'une part les zones côtières et les zones de l'intérieur du pays, et d'autre part le Grand Tunis et le reste des gouvernorats.

Cette inégalité se manifeste tant au niveau du nombre de Publinets disponibles que de leur évolution, elle-même conditionnée par la demande.

Les Publinets sont implantés uniquement dans les villes importantes et chef-lieux de gouvernorats. Aucun Publinet n'est installé dans un village en zone rurale, même dans les petites villes.

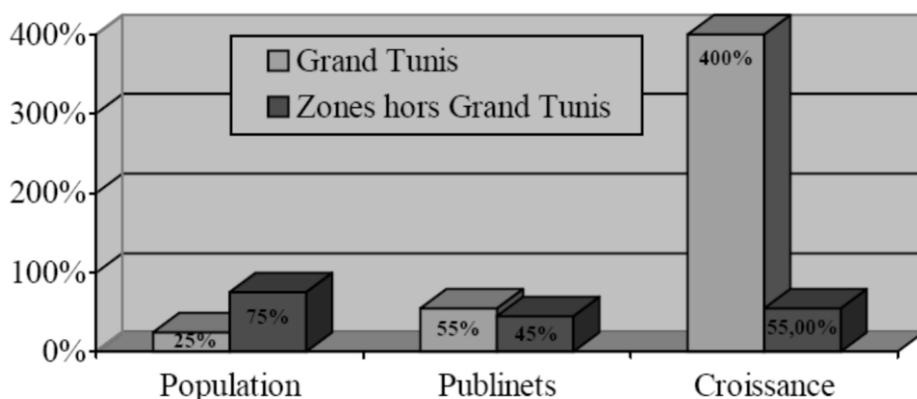
Ces inégalités sont schématisées dans le graphique ci-dessous : La répartition des utilisateurs, reflétée par la densité de Publinets par région, sur le territoire tunisien fait clairement apparaître des inégalités importantes entre les différentes régions



Source : enquête

Il y a donc proportionnellement plus de 3 fois plus de Publinets dans les villes côtières que dans les villes de l'intérieur du pays. La croissance y est par ailleurs plus de 10 fois plus importante.

Une deuxième inégalité peut être identifiée entre le Grand Tunis et le reste du pays. Nous la représentons sur le graphique ci-après.



Source : enquête

Pour le cas du Grand Tunis, le nombre de Publinets dans la capitale et ses environs est 4 fois plus important que dans les autres villes. Ces constatations montrent que ce sont les populations urbaines, et plus particulièrement, celles du Grand Tunis, qui profitent des accès Internet publics.

Conclusion :

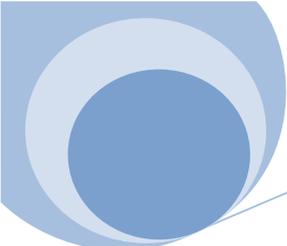
Les perspectives de développement du commerce électronique suscitent une multitude d'études de marketing, par sondage, pour déterminer les caractéristiques et les motivations des utilisateurs. L'utilisateur est alors vu exclusivement comme un consommateur de produits ou services, dont on recherche les caractéristiques particulières - âge moyen, niveau de revenu - et les comportements.

L'analyse des pratiques et usages va bien au delà en recherchant comment un utilisateur va utiliser l'Internet pour répondre à un besoin spécifique : si une "pratique de l'Internet" est définie comme "un enchaînement répétitif d'actions effectuées par un utilisateur ou groupe d'utilisateurs, dont certaines mettent en oeuvre l'Internet, dans le but de réaliser, dans un environnement donné, une fonction déterminée", un usage résulte d'une pratique habituelle de cet enchaînement par un groupe de personnes.

L'étude des usages et pratiques de l'Internet permet une approche directe de l'impact du déploiement de l'Internet sur la société. L'Internet a cette caractéristique spécifique qu'il s'agit, contrairement à la plupart des systèmes technologiques, d'un outil appropriable par l'utilisateur. Face aux applications prescrites par les concepteurs de produits, visant généralement à uniformiser le comportement de l'utilisateur pour accroître la cible du produit, l'Internet donne à l'utilisateur la faculté de concevoir lui-même des applications correspondant exactement à ses propres besoins et aux usages qu'il entend l'impact social peut s'avérer considérable : il faut prendre conscience du rôle accélérateur de l'Internet dans la transformation et la création d'usages

La collecte des usages ouvre différentes possibilités :

- Permettre l'étude des usages eux-mêmes, de leur genèse, de leur évolution et de leur impact sur la société ;
- Organiser une capitalisation et un partage d'expériences de certains de ces usages de façon à constituer une base d'expériences à l'intention des utilisateurs et à réduire leur courbe d'apprentissage de nouvelles utilisations du réseau ;
- Favoriser le croisement inter-domaines des pratiques de l'Internet En France, l'Observatoire des Usages de l'Internet propose explicitement de mettre en place une expérience de collecte et d'échange d'usages et d'expériences d'Internet dans différents domaines, marchands (PME/PMI, commerce électronique...) ou non marchands (associations, formation, santé, développement local...) : les usagers eux-mêmes ou des observateurs proches décrivent leurs propres usages ou ceux qu'ils côtoient selon une



méthode commune, spécifiée. D'autres Organisations (ORAVEP, OTV, VECAM...) ¹ ont déjà une expérience de recueil d'usages et d'expériences des NTIC.

Ainsi pourrait se constituer une base de connaissance sur les usages d'Internet qui permettrait de mieux appréhender l'utilisation d'Internet dans différents domaines, ses impacts sur les organisations et la société, de faire des études de synthèse et de mieux prévoir les différents scénarios d'évolution possibles d'Internet.

Cette base permettrait la "mutualisation" de certains des usages collectés, choisis en fonction de leur caractère novateur et potentiellement utile à d'autres utilisateurs. Une harmonisation des méthodes et des résultats avec des centres homologues dans d'autres pays, permettrait de développer l'échange d'expériences et le dialogue au niveau mondial et de constituer un réseau mondial d'observatoires des usages de l'Internet.

Pratiquer ainsi, face à des besoins analogues, des pratiques différentes peuvent se développer selon l'environnement des utilisateurs et ses composantes sociales, économiques, et culturelles. Par ailleurs, au-delà d'usages individuels, en permettant d'organiser la communication au niveau d'un groupe de personnes géographiquement dispersé, l'Internet autorise des usages et pratiques coopératives dont La connaissance et l'intelligence que nous avons de l'Internet en tant qu'outil stratégique d'une évolution vers une société globale est encore très embryonnaire. Les données disponibles ne sont pas rassemblées et exploitées de façon systématique en dehors de créneaux d'application tel que le commerce électronique où au contraire prolifèrent des sondages et études dont la transparence et la rigueur scientifique sont parfois contestables. Contrairement à d'autres infrastructures telles que les transports, les télécommunications ou les médias, peu de statistiques et d'analyses de ces données sont accessibles au public. Bien souvent celles qui existent sont utilisées hors contexte.

La maîtrise et la disposition de l'outil sont concentrées entre les mains de quelques zones favorisées (et probablement aussi d'une minorité de personnes dites "info-riches). Une "tension technologique" est également maintenue par un renouvellement très rapide des technologies, matériel et logiciel, mises en oeuvre par l'Internet qui favorise l'obsolescence rapide des équipements. Néanmoins, le déploiement de l'Internet profite de la baisse des coûts du matériel et de celle, moindre, des télécommunications. Le risque d'une fracture informationnelle entre info-riches et info-pauvres est bien exprimé.

Dans l'établissement d'un réseau d'observation et de partage d'expériences de l'Internet, les pays en développement devraient être actifs, car ils représentent la majorité des utilisateurs potentiels de l'Internet et ce sont maintenant leurs points de vue et leurs besoins qu'il faudrait davantage prendre en compte, celui des initiateurs du réseau étant

¹ ORAVEP : Observatoire des ressources pour la formation ; OTV : Observatoire des Télécommunications dans la Ville ; VECAM : Veille Européenne et Citoyenne sur les Autoroutes de l'information et le Multimédia.

déjà largement représenté dans le système existant : plus de transparence, une vision multiculturelle du réseau. Ce n'est pas à l'Internet de nous guider vers l'avenir, mais à nous de bien maîtriser l'Internet pour qu'il soit l'outil approprié à la construction de la société future telle que nous voulons l'édifier.

Mais comment cela se reflète de manière concrète au niveau régional ? Est-ce que les infrastructures de télécommunications suffisent en elles seuls pour désenclaver les zones d'ombre ? Une approche d'analyse des flux est un indicateur intéressant pour refléter le dynamisme économique d'une région et de désenclavement des zones d'ombre. Comme Internet le GSM est aussi une autre composante des TIC dont les effets de sa diffusion ont certaines similitudes avec celles de l'Internet car elles sont aussi source de fracture numérique.

Références :

Bernoux P. (2001) « Systèmes de PME en réseaux et innovations », Conférence à l'Institut Arabe des Chefs d'entreprises (IACE), Sfax.

Chandler jr A. D. (1990) Scale and Scope : The Dynamics of Industrial Capitalism, Harvard University Press, Cambridge, MA.

Freeman C. (1987), Technology and Economic Performance : Lessons from Japan , Pinter -London

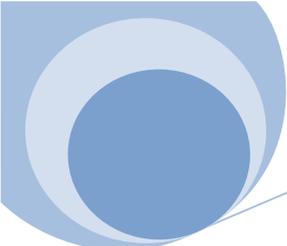
Gallina A. (1999) "Innovation and Diffusion of Knowledge in Micro and Small Enterprises" Frederico Caffé Centre Research Reports, Research Report n.7

Giesecke S. (1999), Determinants of successful S&T Policy in a National System of Innovation, 3rd International Conference on Technology Policy and Innovation : "Assessment, Commercialization and Application of Science and Technology and the Management of Knowledge" - 30 August - 2 September 1999 The University of Texas at Austin, USA

De Jouvenel H. (1991) 'Les mutations structurelles des économies modernes', in Technologies Nouvelles et Enjeux socio-économiques, M. Angels Roque (éd.) Publisud

Kim L. (1980), "Organizational innovation and structure", Journal of Business Research, n° 8

Kimberly J. R. & Evanisco M. J. (1981) "Organizational innovation: the influence of individual, organizational and contextual factors on hospital adoption of technological and administrative innovations", Academy of Management Journal n°24



Lundvall B. (1988) , "Innovation as an interactive process : from user-producer interaction to National systems of innovation" in Dosi & al. (eds) Technical change and economic theory, Pinter -London

Lundvall B. (editor, 1992) National Innovation Systems, Pinter - London, New York

Lundvall B. (1998) "The Learning Economy: challenges to economic theory and policy" in Johnson B. & Nielsen K. (eds) Institutions and Economic Change, Edward Elgar, Cheltenham

McRobie G. (1996), 'Technology for Development- What is Appropriate for Rich and Poor Countries : Global Perspective ', in Technology and Transition, The Maghreb at the Crossroads , edited by G. Zawdie & A. Djeflat, Frank Cass London , Portland Or.

Maillat D. et Perrin J. C. (1992) Entreprises innovatrices et développement territorial, GREMI, IRER, Neuchâtel

Malinowski B. (1958), The Dynamics of Culture Change,

Niosi J., Bellon B., Saviotti P., Crow M. (1992) "Les systèmes nationaux d'innovation : à la recherche d'un concept utilisable" Revue Française d'Economie, Vol. VII n°1

Ndione E. S. ((1992) Le don et le recours, Enda-Editions - Dakar

Parsons T. (1973), Le système des sociétés modernes, trad. fr. - Dunod p. 10

Perrin J. (1988), Comment naissent les techniques. La production sociale des techniques, Publisud

Quadros R., Furtado A., Bernardes R. & Franco E. (1999) "Technological Innovation in Brazilian Industry: An Assessment Based on the São Paulo Innovation Survey" paper presented at the third International Conference on Technology Policy and Innovation, Austin, 30 August - 2 September 1999

Subramanian A. & Nilakanta S. (1996) "Organizational Innovativeness: Exploring the Relationship Between Organizational Determinants of Innovation, Types of Innovations, and Measures of Organizational Performance", Omega, International Journal of Management Science, vol. 24 n°6

Zghal R. (1986), "Pour une stratégie de développement technologique dans les entreprises tunisiennes: l'action sur la structure organisationnelle et le développement du potentiel humain", Travail et Développement, n°7 1er semestre.

Zghal R. (1987) "Les conditions culturelles de la production technologique", Travail et Développement, n°9 1er semestre.

Zghal R. (1994) "Science, technologie et société" in Science, Technologie et Croissance au Maghreb, A. Djaflat & R. Zghal ed. Editions Biruni – Sfax.

Articles et Publications

- Rapport de la commission nationale du commerce électronique - Janvier 2000.
- Stratégie nationale pour le développement du commerce électronique en Tunisie - Mohamed BEN SASSI - expert en TIC au Centre Nationale d'Informatique - 15 Décembre 2001.
- Documents du colloque de haut niveau pour l'Afrique organisé par le CNUCED à Tunis le 15 et 16 juillet 2003 sur la stratégie du Commerce Electronique
- Documents du colloque de haut niveau pour l'Afrique organisé par le CNUCED à Tunis le 15 et 16 juillet 2003 sur la stratégie du Commerce Electronique.
- Note d'orientation de la consultation nationale pour l'export <http://www.cepex.nat.tn/istichara-tasdir/v-arab/note%20d'orientation.doc>-19 septembre 2006
- Note d'orientation du onzième plan du développement et de la décennie (2007 - 2016) - Ministère du Développement et de la Coopération internationale - année 2006
- Documents du colloque de haut niveau pour l'Afrique organisé par le CNUCED à Tunis le 15 et 16 juillet 2003 sur la stratégie du Commerce Electronique.
- Documents de l'Atelier organisé par les Centres spécialisés de l'Organisation de la Conférence Islamique (OCI) à Tunis du 10 au 12 juin 2003 sur l'impact du Commerce Electronique et l'utilisation de la nouvelle technologie de l'information dans le développement du commerce intra - OCI.
- Documents du colloque de haut niveau pour l'Afrique organisé par le CNUCED à Tunis le 15 et 16 juillet 2003 sur la stratégie du Commerce Electronique.

Sigles et abréviations

AFIC Association Forestière d'Intérêt Collectif

AIC Association d'intérêt collectif

ANER Agence Nationale des Energies Renouvelables

ANPE Agence Nationale de Protection de l'Environnement

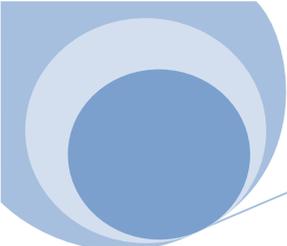
APAL Agence de Protection et d'Aménagement du Littoral

BEI Banque européenne d'investissements

BM Banque Mondiale

CAR/ASP Centre d'Activités Régionales pour les Aires Spécialement Protégées

CDD Commission de Développement Durable des Nations Unies
CES Conservation des eaux et des sols
CGDR Commissariat Général de Développement Régional
CII Code d'Incitations aux Investissements
CITET Centre International des Technologies de l'Environnement
CNDD Commission Nationale du Développement Durable
CNUED Conférence des Nations Unies sur l'Environnement et le Développement
COV Composants organiques volatiles
CRDA Commissariat Régional de Développement Agricole
CSA Coopératives de services agricoles
DBO Demande biologique en oxygène
DCNMR Direction de la Conservation de la Nature et du Milieu Rural
DGEGTH Direction Générale des Etudes et Grands Travaux Hydrauliques
DGF Direction Générale des Forêts
DGRE Direction Générale des Ressources en eau
DPM Domaine Public Maritime
DT Dinar tunisien
EIE Etude d'impact sur l'environnement
FEM (GEF) Fonds pour l'Environnement Mondial (Global Environment Facility)
FODEP Fonds de Dépollution
FSN Fonds de Solidarité Nationale
GTZ Agence de coopération technique allemande
INAT Institut National Agronomique de Tunis
INRAT Institut National de la Recherche Agronomique de Tunis
INRGREF Institut National de Recherches du Génie Rural, des Eaux et des Forêts
INRST Institut National de la Recherche Scientifique et Technique



INSTM Institut National des Sciences et Techniques de la Mer

IRA Institut des Régions Arides

ISTP Institut Sylvo-Pastoral de Tabarka

MD Million de Dinars tunisiens

MEAT Ministère de l'Environnement et de l'Aménagement du Territoire

METAP Programme d'assistance technique pour la protection de l'environnement méditerranéen

ONAS Office National d'Assainissement

ONG Organisation non gouvernementale

OTEDD Observatoire Tunisien de l'Environnement et du Développement Durable

PAM Plan d'Action pour la Méditerranée

PANLCD Plan d'action national de lutte contre la désertification

PDRI Programme de développement rural intégré

PNUD Programme des Nations Unies pour le Développement

PNUE Programme des Nations Unies pour l'Environnement

SNAT Schéma National d'Aménagement du Territoire

SONEDE Société Nationale de Distribution des Eaux

UMA Union du Maghreb Arabe

USAID United States Agency for International Development

استجابة المتلقي الجمالية لطبيعة الصورة المرئية

دراسة تحليلية لفيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد

The recipient's aesthetic response to the nature of the visual image
Analytical study of the film haraga bleus By the director Moussa
Hadade

رعمة بن اكراديجة (جامعة مستغانم / الجزائر)

ملخص:

اختلفت الأنماط التعبيرية بين الأفراد وواكبت العصر و التطور التكنولوجي و أصبحت تؤثر أكثر على المجتمع. أصبح الفرد يتطلع على أحداث العالم كلها عبر هاتفه محمول فقط لما يوفره من وسائل إعلامية و اتصالية كبيرة. السينما من بين الوسائل الجماهيرية التي تركت بصمتها في المجتمع خاصة بعد الحرب العالمية الثانية أين نشأت ثورة اعلامية و سينمائية بين الاتحاد السوفياتي و أمريكا. تواصل هذا التأثير الى يومنا هذا. و أصبحت اللغة السينمائية رسالة عظيمة يحاول المخرج من خلالها إظهار و معالجة كل قضية حساسة تستحق أن ترسم في فيلم سينمائي. هذه اللغة السينمائية لها قواعدها و أصولها اتفق عليها رواد و نقاد السينما لتبرز جمالية القصة في مشاهد مختارة بدقة و ليس عشوائية.

يتحقق جمال هذه الصورة الفيلمية على حساب موضوع الفيلم و أسلوب معالجته و لقطاته المختارة، سنقوم بدراسة تحليلية لفيلم حراقة بلوز و ابراز الطبيعة الجمالية لصورة الفيلم و تأثيرها على المتلقي.

مصطلحات الدراسة: الصورة، علم الجمال، التلقي.

Abstract :

The expression patterns among individuals differed, the age and technological development became more and more influential.

The individual is looking at the events of the whole world via mobile phones only because of the great media and communication.

Cinema is among the collective means that left its mark in society, especially after the Second World War, where a media and cinematic revolution developed between the Soviet Union . This effect continues to this day. The cinematic language has become a great message in which the director tries to show and address every sensitive issue worthy of being painted in a movie ; This cinematic language has its rules and its origins agreed by film critics and critics to highlight the aesthetics of the story in carefully selected scenes, not random. The beauty of this film is achieved at the expense of the subject

of the film and the method of treatment and selected clips , we will study and analys the film of "Harraga Blues" and highlight the aesthetic nature of the film's image and its impact on the recipient.

keywords: image, aesthetics, reception.

مقدمة:

تشكل الصورة السينمائية نافذة حقيقية على العالم و وسيلة جماهيرية تؤثر على لأفراد و المجتمعات , فهي وسيلة من وسائل الخطاب اللساني و غير اللساني بلورت لغتها الخاصة و هي اللغة السينمائية تعتمد على الصورة , الصوت و الحركة تتجانس فيما بينها لترسم صورة فيلمية تعالج موضوعا معيننا تؤثر به على المتلقي .

جاءت أعمال شارل ساندرس بيرس و رولان باخت لدراسة هذه الصورة و مكوناتها و التركيز على البلاغة العامة للصورة لغة السينما لغة مركبة تتكون من لقطات و زوايا تصوير, إضاءة، ألوان، صوت... الخ تتناول موضوعا معيننا ينقلها الفيلم إلى المشاهد من خلال الشفرة الخاصة بالسينما .

الحديث عن الجماليات في مجال السينما قليل مقارنة بالفنون الأخرى فقد ركز الباحثون على المضمون أكثر من الجانب الجمالي و يتحقق الجمال في السينما بتناغم إيقاع لقطات الفيلم و اختيار زوايا التصوير المناسبة، الديقور المناسب، و التجانس بين الزمان و المكان و تناسق الموضوع مع الشخصيات المختارة و مكان التصوير . حاولنا الحديث عن جماليات السينما و تأثيرها على المتلقي في فيلم جزائري يعالج قضية جزائرية حساسة فيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد. فكيف أثرت جمالية صورة فيلم حراقة بلوز على المتلقي؟

من خلال هذه الورقة البحثية تطرقنا إلى معنى الصورة و علم الجمال، تطرقنا الى الطبيعة الجمالية للصورة السينمائية و تأثيرها على المتلقي في فيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد.

تحديد المصطلحات

الصورة:

الصورة هي تلك اللحظة التي نلتقطها للذكرى، هي داك الدليل على وقوع حدث ما .
تعد الصورة متعة و معلومة مرئية نوثق بها مواقع و شخصيات و أحداث و مواقف تحفز المتلقي على مشاهدتها و فهم معانيها¹.
الصورة هي المادة الأولية الفيلمية تحمل لغة خاصة مشحونة بالرموز و الدلالات يستعين بها السينمائيون لإيصال رسائلهم و التوصل الى الهدف المرجو، أهم ما يميز الصورة الفيلمية هو الحركة و الصوت حيث أن حركة الصورة و تنابع اللقطات تؤدي الى الاحساس بالواقع وهذا طبعاً بإضافة الصوت الطبيعي للمكان و الصوت المصاحب له من موسيقى و حوار².

علم الجمال:

كان السؤال ما الجمال؟ مركز النظريات الجمالية منذ العصور الكلاسيكية. فقد آمن الإغريق منذ القديم بأنه لا وجود لجميل بطبعه بل هذا راجع الى أهواء الناس و مستوى ثقافتهم.

و قال الفيثاغوريون* أن الجمال يقوم على النظام و التماثل (السيمترية)و على الانسجام و اعتبر أفلاطون الجميل مستقلا عن مبدأ الشيء الذي يظهر أو يبدو على أنه جميل فالجميل صورة عقلية3. من حيث فقه اللغة فان الجماليات كانت تعني دراسة الادراك الحسي 4 علم الجمال: اشتق مصطلح علم الجمال أو الجماليات من الكلمة الإغريقية و التي تشير الى فعل الادراك أو القابلة للإدراك ومن هنا فان قاموس اكسفورد يعرف الجماليات بأنها المعرفة المستمدة من الحواس . حسب كانط فان علم الجمال هو العلم المتعلق بالشروط الخاصة بالادراك الحسي 5 أي يكمن في انسجام الفهم و المخيلة بفضل حرية تحرك المخيلة .6

أما هيقل يرى أن الفن هو الجمال و هو بروز الفكرة المحسوسة و الفكرة هي مضمون الفن7. تعد السينما فن قائم بداته و لها من الجمال و الابداع ما يبهر الجمهور و يشده الى متابعتها و الادمان عليه, فقد ينبغي النظر الى الصورة السينمائية بعواملها البصرية و الصوتية و الحركية و بكل المؤشرات التي تمثلها في شكل متكامل لندرك مدى جمال كل ما فيها من حركة و صوت و لون...الخ8

التلقي:

عملية التلقي هي عملية مشتركة بين المتلقي و النص الأدبي جاءت هذه النظرية لتقد للمتلقي السلطة في العمل الأدبي بعد أن كان مهمشا لعقود خلعت و أصبح يشارك في صنع المعنى و أصبح للمتلقي مهمتان:

- 1_ مهمة الإدراك المباشر و هي أولى الانطباعات التي يصنعها القارئ على النص
 - 2_ مهمة تفعيل الدهن الذي يستعمل فيها القارئ خياله بهدف فك الرموز و الغموض الذي يكتنف النص .9
- نشأت نظرية التلقي مع نهاية الستينيات من القرن العشرين بألمانيا، على يد كل من الأستاذين "هانز روبرت ياوس (Hans) (Robert Jaus و"فو لفغانغ ايزر (Wolf gang Izer)" من جامعة كونستانس (constance) و من الظروف المحيطة و الفلسفات التي مهدت لظهور نظرية التلقي حيث يعتبر ارسطو أول من أشار الى وجود علاقة بين العرض و الجمهور و هدا من خلال الأثر الذي يحدثه العرض عند التلقي والمسسمى بالتطهير . ركز فيها كل من ياوس و ايزر على دور المتلقي في العملية الابداعية و تركز على المتلقي وعلاقته بالنص الأدبي، والكشف عن جمالياته، وكيفية تلقيه.

الطبيعة الجمالية للصورة المرئية و تأثيرها على المتلقي:

الجماليات مصطلح ارتبط بكل ما هو جميل و جذاب يمكن تطبيق دراسات علم الجمال على كل الفنون والآداب رغم أن الجمال يبقى مسألة شخصية و دوق فردي إلا أن علماء هدا المجال وضعو أسس و قواعد عامة يمكن الإقتداء بها أولهم و أشهرهم أفلاطون و هيجل .

مع توسع الثقافة أصبح الحديث عن التذوق الفني أكثر من الجمال الذي تلجأ إليه نخبة المجتمع للترفيه عن النفس و لكن أصبح مادة استهلاكية من قبل الجميع بما فيه السينما التي تعد وسيلة جماهيرية تجلب الجمهور و تؤثر فيه بكل ما تحمله من معاني بين

لقطاتها, حيث أن الصورة السينمائية لا تخاطب البصر فقط لأن لغة السينما تتميز بخصوصيتها في توجيه القراء على اختلاف شرائحهم و ثقافتهم و تناولاتهم.

لفهم خصوصية الخطاب السينمائي لجأت الباحثون الى دراسة و تحليل الصورة السينمائية و فك شفراتها لفهم مدى تأثيرها على المتلقي.10

الفن السينمائي همة تعبير تشكيلي على القصص صورته الأولى هي السيناريو يترجم إلى لقطات و مشاهد أساسها الصورة المتحركة. هذه الصورة _ الصورة السينمائية _ تخضع لنفس شروط الصورة الفنية في الفنون الأخرى فتستفيد من صورة الدراما في السيناريو و من الصورة التشكيلية في التكوينات ' الضوء , الألوان ... الخ . و من الموسيقى في توزيع الأصوات و المؤثرات و إيقاع أداء الممثل للحوار. 11.

نجاح الفيلم كذلك يعتمد على : المعزى , العواطف , الانفعال , الحركة , و الإيقاع . صورة الفيلم و تتابع أحداثه تستهوي الجمهور و تغريه بالحلي و تثير فيه الغضب أو الخوف و تقودنا إلى الحركة معها كل هذا زيادة إلى صورة الشخصيات و صراعاتها تقدم للجمهور. و حتى تجذبنا الصورة و تشدنا إلى متابعة الفيلم و يجب أن يكون نبض الفيلم متفاوتا و أحادا12.

هذا كله يشكل جانب من جمالية السينما لأن جمالية الصورة الفيلمية تتحقق كذلك بتداخل أبعاد الصورة الثلاثة , المرئي , المسموع و المؤثر.

و كلما تناسقت الأبعاد هذه زاد تأثير الصورة على المتلقي خاصة اذا كان الفيلم يعالج الواقع. في دراستنا هذه قمنا بدراسة تحليلية لفيلم يعالج الواقع الجزائري , فيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد و مدى تأثير جمالية الصورة الفيلمية على المتلقي.

إن جمال العمل الفني لا يكمن في جمال موضوعه بل في جمال أسلوب التعبير عن هذا الموضوع.13 أسلوب التعبير عن موضوع الحراقة في فيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد هو أسلوب غير مباشر و هي بصمة المخرج موسى حداد في معالجة القضايا الحساسة كما شاهدناه سابقا و التمسناه في العديد من افلامه مثلا في فيلم أبناء نوفمبر . لا يتحدث عن الظاهرة لوحدها بل يلم بجوانب الموضوع و يتطرق إلى كل ما يؤدي الى تلك الظاهرة اخترنا مجموعة من المشاهد التي وجدنا أنها أساسية في الفيلم و تلخص أهم الأحداث, قمنا بتحليلها نعرض نتاجه في الجانب التطبيقي من هذه الورقة البحثية.

دراسة تحليلية لفيلم حراقة بلوز للمخرج موسى حداد

البطاقة الفنية للفيلم:

عنوان الفيلم: حراقة بلوز HARRAGA BLUES

المخرج: موسى حداد

النوع: فيلم روائي اجتماعي طويل من جزئين

سيناريو وحوار: أمينة بجاوي حداد وموسى حداد

المدة: الجزء الاول: 01:03:18 الجزء الثاني: 01:12:09

النسخة الاصلية: باللغة العربية

السنة: الجزائر 2015

ملخص الفيلم:

تدور أحداث الفيلم حول ظاهرة الحراقة في الجزائر. قصة شابان جزائريان من اسر ميسورة الحال يحملان بالمجرة الى الضفة الأخرى من المتوسط. يحاولان جمع المال بكل الطرق. و أمام كذب عن الأولياء و خوف من رحلة الموت يغامر أحدهم الى قوارب الموت و يعيش أشبع حادثة في حياته. تتطور احداث القصة في اعماق الجزائر العميقة .

تحليل الفيلم:

لتحليل الفيلم فمننا باختيار مشاهد رأينا أنها تمثل أهم أحداث الفيلم

تحليل تعيبي:

المشهد الاول:

بداية الفيلم: يبدأ المخرج فيلمه بلقطة نصف شاملة لقاعة السينما أين

يعرض يلم و القاعة مملوءة ضوضاء الفيلم و ضوء خافت ناتج عن الفيلم

المعرض

ثم بلقطة كبيرة للشخصية الرئيسية الاولى ريان لقطة كبيرة و هو يشاهد الفيلم ثم ينتقل الى لقطة الشخصية الرئيسية الثانية

زين بنفس زاوية التصوير وحركة الكامرا ثابتة و هنا تعرفنا على اهم شخصيات الفيلم



لينتقل بعدها الى زاوية جانبية لتضهر فتاتان الاخرى متحجبة و الثانية لا لتتكلم الاولى على الهاتف و يكتر الضوضاء عليها في القاعة و الحديث بأن هذا سلوك ليس حضاري.

بعدها يخرج زين و ريان من القاعة



المشهد الثاني:

يظهر زين و ريان في مكان واسع مطل على البحر كاتيدرالية الجزائر اين يتبادلان الحديث

أوله عن أغنية صادرة من سيارة مركونة بالجانب و يقول زين (تعرف شكون راه يغني و لا غير تسمع برك) و هذا ديل على تطلعهم على العالم و ثقافتهم الواسعة

يرى الصديقان باخرة كبيرة فيشير ريان الى أن بهذه الباخرة 9 ساعات تصل الى

ألي كانت ليقول زين أنهم ذاهبون على متن قارب و لكن سيعودون على متن الباخرة الكبيرة هنا إشارة الى موضوع الفيلم نفهم من خلال هه اللقطة من يريد الذهاب أي الحرقة كيف.

المشهد الثالث:

واصل المخرج بسطه لمختلف أحداث الفيلم أين يظهر الصديقين داخل مقهى الانترنت و زين يتحدث عبر سكايب لأخيه الذي يعيش في اسبانيا و هو ساعده للحرقة لأنه بنظره لا يوجد حل آخر للوصول الى الضفة الأخرى من المتوسط.





المشهد الرابع:

تدور أحداث هذا المشهد في عرض البحر أين يتواجد زين مع مجموعة من الشباب على متن قارب يحملون كلهم بتواجدهم بالضفة الأخرى للمتوسط حيث تعطل محرك القارب و بدأ التخاصم و الشتم بين الحراقة و سائق القارب. تظهر صورة الشاب الخائف زاوية عادية, لقطة مقربة

السائق الذي يؤكد لهم أنه لا يوجد حل آخر و أنهم في عرض البحر على أمل أن يلتقطهم أحد المرأة من هناك قبل فوات الأوان.

المشهد 5 :

تطورات الفيلم ظهور الشباب بزي موحد أخضر في زاوية عادية, لقطة عامة . يتواجد الشباب على طاولة الأكل على متن سفينة القوات البحرية التي التقطتهم من عرض البحر يعاود الشباب اتهامهم و شتمهم لسائق القارب

, لينبهم زين بالحمد و الشكر لله لأنهم أحياء يرزقون هذا دليل على عمل القوات البحرية التي تعمل جاهدة لانقاذ آلاف الشباب على متن قوارب الموت.

المشهد 6:

وصول الشباب الى الميناء, ينزل الجميع متجهين الى سيارات الشرطة , ظهور لقطة متوسطة لقوارب مرمية بالجانب , سيارة الحماية المدنية , اضافة الى سماع موسيقى قيثارة و ضوضاء المكان .



المشهد 7:



ريان في طريقه الى منزل خاله في عنابة , تصوير من الأعلى
و إظهار مناظر طبيعية خلابة , يتوقف في مكان جميل
(كورنيش جيغل) ليستريح (ابراز الطبيعة الجميلة للجزائر)

يسمع ريان صوت طفل يطلب النجدة لأنه يغرق في عرض
البحر فيقفز لمساعدته



في تلك الأثناء و بزواية عادية و لقطة متوسطة يظهر شاب على متن دراجة يتوقف عند مشاهدته السيارة لوحدها يتجه نظره الى زاوية قريبة لحداء و ساعة يد على الأرض, لقطة متوسطة لريان في البحر ينقذ الشاب ثم تتواصل الأحداث حتى يصل الى السيارة أين يكتشف ريان أنه تعرض للسرقة . يطمئنه الطفل بعد ركوب السيارة أنه سيحل الموضوع و لا داعي للقلق.



المشهد 8:



حديث زين في الهاتف مع أهله و شوق الأب و الأم لسماع خبر عنه و دموع الأم تسيل فرحا.

المشهد 9:



وصول زين و التقائه مع ريان. الذهاب الى شاطئ البحر أين يحاول زين إقناع ريان بعدم الحرقه فيقع خلاف بينهما



المشهد 10:

مع نهاية الفيلم و بعد نهاية المطبات السيئة التي تعرض لها زين و ريان وقف زين على حافة الجدار مطل على البحر كاتدرالية الجزائر .

يأتي ريان و هو مبتسم يجلسان على المدرجات الخارجية للكاتدرالية أمام جمع غفير من الشباب و الأطفال المتواجدين في الساحة للاستمتاع بالمنظر و الهواء النقي ريان يؤكد لزميله عدم الحرقه و لا التفكير فيها مجددا.

القراءة الدلالية (التضمينية)

في تحليل الفيلم نقوم بدراسة العلامات المستعملة في الفيلم و ترتيب دلالاتها داخل المجتمع و أحداث القصة.

تحديد زمان و مكان الفيلم :

العنصر الزماني:

1- الهندسة المعمارية : معمار الفيلم يبين المدن الكبرى للجزائر و المناطق الجميلة للبلاد في رونقها الحالي نفهم أن القصة تدور أحداثها في الزمن الحاضر

كذلك بعض البنايات الأثرية كاتدرالية الجزائر , العمارات التي تعود الى الحقبة الاستعمارية كدليل على الحفاظ على التراث المعماري و تشجيع السياحة

على غرار مناظر للمطاعم و مقاهي ريفية بالجزائر تدل على المستوى المعيشي للشخصيتين الرئيسيتين في الفيلم مشاهد لقرى الجزائر بطرازها البسيط و حياة أناسها البسطاء و الذين يمتازون بالكرم و الجود

2- الديكور: معظم صور الفيلم في الخارج أذا الديكور طبيعي مع التركيز على المناطق السياحية الجميلة في البلاد بالإضافة إلى الديكور الداخلي للمنازل (منزل زين و ريان) اللذان يثبтан المستوى المعيشي لهما

3- اللباس: الهدام في هذا الفيلم لمختلف شخصيات الفيلم يتميز بالعصرية.

المخرج تعمد عدم ذكر تاريخ القصة و لكن من خلال كل هذا نفهم أن الأحداث تدور في الزمن الحاضر و أن قضية الحرقه لا تنتمي إلى جيل معين و مستوى معيشي معين. و بهذا تتحقق ديمومة الفيلم وصلاحيته لكل الأزمنة و الأوقات .

العنصر المكاني:

فيلم حراقة بلوز هو فيلم جزائري 100 بالمئة، وقد تم تصويره في أحياء و سكنات 5 مدن جزائرية هي وهران وسيدي بلعباس و العاصمة و مستغانم و عنابة . و ضمن بناياتها الحديثة و مناظر طبيعية تشتمل على مناظر الواجهة البحرية للجزائر (بني صاف و الغزوات)

رافقتها صور الكاتيدرالية بالعاصمة وما يشبه المنازل بإسبانيا .

لم يحرص المخرج مدينة واحدة في تصوير أحداث الفيلم دون أن يثر هذا على جمالية السرد الدرامي و تتابع و تتالي اللقطات.

الأماكن التي يقصدها الشبان تدل على المستوى المعيشي لهؤلاء، من هنا نفهم أن المخرج أراد إبراز فكرة أن ظاهرة الحرق لا تقتصر على فئة بعينها بل مست كل المستويات.

العنوان:

أن عملية اختيار عنوان الفيلم دقيقة و تحتاج لمنهجية معينة و دراسة معينة حتى يكون العنوان مطابقا لأحداث الفيلم و يجذب الجمهور أكثر .

التحليل اللغوي للعنوان :

حراقة: كلمة حراقة دخيلة عن اللغة العربية تداول استعمالها للدلالة على التسلسل الغير قانوني و ارتبطت بالمهاجرين الغير شرعيين الذين يعبرون البحر دون تأشيرة (احراق كل الوثائق حيث يصبح المهاجر غير الشرعي بدون وثائق اثبات الهوية) بلوز: هي كلمة مترجمة ترجمة مباشرة للكلمة BLEUS بالانجليزية و هي نوع موسيقي صوتي ينحدر من أغاني في الولايات المتحدة الأمريكية . يتغنى فيه المغنيون بمجزهم و مأسيهم

و قد تم استخدامها استخداما مقصودا للإشارة الى نوع من التحرر و مواجهة الصعاب و التعبير الصادق عن المعاناة و المأسى و هذا هو جوهرها أين تعمد المخرج إستخدام هذا اللفظ لمجموعة أسباب هي :

موسيقى البلوز : تحاكي التحرر و تعبر عن المأسى التي يعيشها من يعزفها أو يستمع لها هي تماما ما توفر عليه الفيلم من خلال قصة الشابين.

بالإضافة الى لفظة بلوز بكتابتها باللغة الانجليزية و هي جمع لكلمة أزرق وكذلك دلالة على البر و هو جوهر الفيلم و كذا السماء في دلالة للمناجاة الربانية للحراقة من هول حوادث الغرق.

مرجعية الفيلم و ثقافته:

موضوع الفيلم من رحم المجتمع يحكي قصته بطريقة مختلفة بعيدة عن الجانب التقليدي .

رسم صورة ملامح الأسرة الجزائرية .

اعتمد المخرج على رمزية البيئة المكانية و كذا الشخصيات المختارة في العمل الدرامي من خلال المزج بين الديكور المنزلي البسيط للعائلتين و المناظر الطبيعية الخلابة للبلاد و كذا التراث المعماري الثري الذي وجب الحفاظ عليه.

الفيلم مستمد بالأساس من المدرسة الواقعية مع تأثره العميق بكل ما هو فرنسي و عدم إظهار هدا علنا, عدم اعتماد الفيلم على فئة معينة فقط و أن هذه الظاهرة تمس مختلف شرائح المجتمع.

طبيعة العلاقة لمتينة داخل الاسرة الجزائرية و بين الاصدقاء

الشهامة و حب المساعدة, و نلمس في الفيلم قيم غير مقبولة و هي الكذب و السرقة التي التمسها المخرج في مشهد سرقة الساعة و الحذاء من طرف شخص مجهول و منبوذ في وسط مجتمعه و الكذب على الوالدين في قضية الحرق التي باءت بالفشل لأنه ليس من السلوك الحسن الكذب. و في الأخير الكادب يخرج من الخاسرين دائما .

استغلال المناظر الطبيعية الخلابة لجذب المتلقي أكثر إلى مشاهدة أحداث الفيلم إلى آخرها.

صور مصورة من الأعلى drone لإبراز جمال البلاد أكثر .

تناسق بين الموسيقى و تتابع اللقطات , خفة اللقطات أي المونتاج .

استعمال موسيقى الشباب عصرية حديثة لجذب أكثر الشباب المتلقي لأن الفيلم بالأساس موجه لهم.

هنا تبرز جمالية اللغة السينمائية في جانب الصوت .

الفيلم ذو إيقاع خفيف مع اختيار اللقطات المتوسطة و الكبيرة لفتح المجال أوسع للمشاهد ليشعر بالانفتاح والارتياح أكثر خاصة و معظم اللقطات بين زرقة البحر و السماء.

تناغم واضح بين الصورة و الصوت المصاحب و إيقاع اللقطات زاد من جمالية المشاهد المختارة في الفيلم.

نتائج عامة

طرح المخرج موسى حداد لظاهرة الهجرة الغير الشرعية عبر قوارب الموت في فيلم جزائري قد أعاد للأذهان بعض تلك المآسي التي يعيشها الجزائري .

الظروف الاقتصادية و الاجتماعية قد تكون سببا مباشرا في سلك طريق الحرق

بالنسبة للشباب زين مثلا العمل الدائم الذي لا طالما بحث عنه , فرغم توفره لعمل بسيط و لكن دخله لا يسمح له بتكوين عائلة فهو يفكر في الحرق للعمل خارج البلاد و الرجوع بالمال الكافي للاستثمار في بلده و الزواج فمن المستحيل

الاستثمار بالقليل في الجزائر لأن كل شيء غالي على شاب بسيط لا يملك دخل كبير .

بالنسبة لريان ظروف معيشتته بين إخوته الصغار و زوجة أبيه التي تقاربه في السن و محاولته تركهم يعيشون في راحتهم على حد قوله.

تعرض ريان للسرقة و هو في طريقه إلى منزل خاله كناية على أنه يمكن لنا حتى في وطننا تواجدنا بدون و وثائق و كأنه حراق في بلده و نلتمس شعور بالخوف و القلق جراء هدا , بينما ترك زين كل وثائقه عمدا و ذهب الى بلد آخر دون أي

وثيقة و رغم ذلك لم يشع لا بالخوف و لا بالقلق جراء ذلك.

الخلافات داخل الاسرة الجزائرية و النزاعات .

غياب الوازع الديني و الوعي الثقافي لدى الشباب .مما أدى إلى سلك طريق الموت دون التفكير في عواقبها عند الله لأنه تعتبر انتحار يحاسب عليه الإنسان.

يقدم الفيلم نوع من الشباب الناجح الذي استثمر في بلده و هذا لتقدم بعض التفاؤل للشباب و انه بإمكان أي فرد الاستثمار و النجاح دون التفكير في الهروب من الوطن .

في مشهد اين التقى ريان و زين بصديق قديم لهما يفسر لهم كيف أصبح صاحب مال و محلات كبرى و كيف بدأ بمبلغ بسيط مدين به من كل شخص و استطاع أن يعمل و يصل إلى درجة الرخاء يجهده و ماله و في وطنه ,هذا دليل على أن معظم الشباب الجزائري لم يجدوا من يوجههم و من يقودهم إلى الطريق الصحيح حتى ينجحوا في بلدهم. و هذه رسالة موجه الي من لديهم القدرة و السلطة على توجيه الشباب و مساعدتهم للتأسيس لمشاريع ناجحة و القيام بأعمال تمكنهم من النجاح في الحياة و العيش في رفاهية كام يتمنى الجميع .

خضوع فئة من الناس لسلطة المال حتى و إن كان الثمن حياة الأشخاص _ السماسرة. و رغم دراية المسؤولين بهذا و معاقبة القانون لهم إلا أن عددهم يتزايد و عملهم يتواصل على حساب أرواح شباب يرون في الضفة الأخرى من المتوسط حياة الرفاهية رغم أنهم يعلمون ما ينتظرهم من معاناة و لكن يتقبلونها و لا يتقبلون المعاناة في بلدهم .

نلتمس في الفيلم تحلي لشخصية الفرد الجزائري حيث يعتبر مزاجي بطبعه عصبي و لكن صفة الوفاء و الحب و الشجاعة تغلب عنه

وفر المخرج موسى حداد من خلال فيلمه مزيجا من الوحدات المشكلة للغة بشقيها اللفظية و السينمائية, حيث أن هذه الأخيرة تضم وحدات مختلفة تماما عن اللفظية .

وجه المخرج من خلال اللغة السينمائية رسالة الى المجتمع الجزائري عن قضية الهجرة الغير الشرعية, وظف عناصر مرئية و مسموعة بإتقان و بإيقاع خفيف زاد من جمال الصورة الفيلمية التي لاقت إعجابا أمام الجمهور المتلقي و الذي مسته الظاهرة بطريقة أو بأخرى.

إلى جانب موضوع الحرقاء عالم المخرج مواضيع أخرى بطريقة غير مباشرة نذكر منها:

طبعة الشاب الجزائري المتفتح و الذي نجده في قاعات السينما مختلط بين ذكور و إناث و لكن صفة العصبية تغطي عليه رغم أنه في مكان هادئ لا يجب الفوضى. ارتفاع الأصوات على البنات التي كانت تتكلم في الهاتف أثناء الفيلم .

مشكل السكن في بداية الفيلم أين يقع خصام بين أب زين و أخوه المتزوج للبحث عن منزل يليق عائلته الصغيرة في حرية بعيدا على الإخوة.

الطبيعة الخلابة للجزائر و هذه رسالة للجانب السياحي للجزائر وإبراز المناظر الخلابة و المناطق المطللة على البحر بجبالها و رمالها و كأنه يذكرنا أن هذا البلد سياحي و جميل يجب أن نحافظ عليه و لا نهمله و نعرف كيف نجلب إليه السياح من كل العالم .

التراث المادي الموجود في الجزائر و الذي نلتمس فيه كذلك الجانب السياحي في تصويره لكاتدرائية العاصمة والساحة المجاورة أين يلتقي الأطفال و الشباب للترفيه عن النفس.

حسن الضيافة و الكرم و هدا ما التمسناه في عائلة الطفل الذي نجى من الغرق بفضل ريان و كيف استقبلته العائلة و رحبت به رغم أنه غريب و لكن أدخلته منزلها بكل ارياحية و هده من صفات و قيم المجتمع الجزائري إضافة إلى حب المساعدة و الأخوة بين الأصدقاء في كل المواقف .

صفة المساعدة و الحب و الشهامة في الفرد الجزائري في موقف ريان الذي قدم المبلغ الكامل الذي ورثه على أمه المتوفية قدمه لزوجة أبيه التي كانت تعاني من مرض يلزمها عملية جراحية بمبلغ باهض فرغم فكرته الراسخة حول الهجرة إلا أنه رأى أن حياة زوجة أبيه و إخوته الصغار لا تساوي ثمننا أمام هدا المبلغ و كذلك لم يسمح لنفسه أن يترك أباه يطلب يد المساعدة من الغير و هده هي شهامة الجزائري

ملاحظة:

بعض المشاهد أضيفت في الفيلم الموجه للتلفزة الجزائرية و لم تكن في الفيلم السينمائي المعرض في قاعات السينما, مثال مجموعة الأطفال الذين تأخروا عن الحافلة و بكاء الطفلة الصغيرة لعدم وصولها باكرا حتى تقوم برفع العلم الجزائري و هي لا تملك حتى النقل للمدرسة هنا دليل على المعاناة التي يعيشها أطفال الجزائر, وصول الأطفال إلى المدرسة على أنغام النشيد الوطني . وكيف لا يفكر الطفل في الهجرة إن وجد الكبار يهربون من هدا البلد و هو لا يملك حتى وسيلة نقل للمدرسة و لكن يسعى جاهدا كل صباح حتى لا يتأخر على تحية العلم و الوقوف مستعدا للنشيد الوطني فهو يجب وطنه ولكن معاناة الصغر يترجمها بالحرق في كبره خاصة ان لم تتحسن أوضاعه

نظرة زين الى العلم بعد نجاته من الموت بطريقة توحى الى حب الوطن و عدم تكرار تجربة الهروب من الوطن مرة أخرى . فرغم محاولته للحرق كرها لطريقة عيشه و رغم ما عاناه و لكن يبقى حب الوطن أعلى من كل الأثمان قبل تحية العلم يردد المدير شباب كن و جواب الأطفال مستعد دليل على أن أبناء الجزائر مستعدون من أجل الوطن في أي وقت.

خاتمة:

من خلال دراستنا هده الموسومة -: استجابة المتلقي الجمالية لطبيعة الصورة المرئية. دراسة تحليلية لفيلم حراقة بلوز لمخرج موسى حداد. تم إبراز الجوانب الخفية لظاهرة الهجرة الغير الشرعية حيث حاولنا تحليل فيلم حراقة بلوز وإبراز أهم النقاط التي تطرق إليها المخرج في توجيه رسالته و تطرقه الى مواضيع عدة جانبية تخللت أحداث الفيلم. وأضافت لمسة فنية جعلت أحداث الفيلم مشوقة.

حملت الصورة الفيلمية للفيلم رسائل مشفرة تم تحليلها فيما سبق إضافة إلى الموضوع الرئيسي عن الحرقه وجه المخرج رسالة للحفاظ على العلاقات داخل الأسرة الجزائرية و بين الأصدقاء.

الحفاظة على الطبيعة و جمال البيئة مظهرها هدا في تلك المناظر الخلاصة المصورة.

المحافظة على التراث المعماري الثري للجزائر الذي يعد مكسب تاريخي و سياحي عظيم.

تشجيع السياحة في البلاد لأنه تتوفر على أماكن سياحية خلابة رغم أن الأماكن اقتصرت على الشمال وواجهة البحر إن كانت في الجزائر العميقة لما انتهى الفيلم من إبراز كل هذا الجمال .

معالجة موضوع الحرقة أو بالأحرى إبراز جوانب خفية لهذه الظاهرة ربما يكون هذا الفيلم سببا في نزع هذه الفكرة من ذهن الكثير من الشباب بإذن الله .

المخرج موسى حداد وفق الى حد ما في توصيل رسالة الحرقة و عواقبها .

إشتمل الفيلم على مادتين للتعبير الفني الجمالي : تعبير صوتي لساني, من خلال الحوار و الموسيقى.

تعبير بالصورة , عن طريق مختلف الصورة و إيقاعها, حيث التمسنا كثرة الصور على الحوار و ترك الصور تعبر عن نفسها مصاحبة بموسيقى عصرية معبرة عن الحدث.

توفر الفيلم على الكثير من قيم المجتمع الجزائري و التركيز على حب الوطن و البقاء و العمل و تطوير وطننا الجميل بمنظره و بطبيعة أناسه.

قائمة الهوامش:

1- عبد الباسط سلمان, سحر التصوير, فن و اعلام , ب ط , القاهرة, الدار الثقافية للنشر, ب س , ص 4.

2- نفس المرجع السابق ص 11

*الفيثاغوريون: أتباع الفيثاغورية و هي مدرسة فلسفية أخوية, دينية, يركز اهتمامهم على تطوير مبادئ العلوم والرياضيات التي وضعها فيثاغور. الموسوعى الحرة ويكيبيديا.

3- شاكرا عبد الحميد. التفضيل الجمالي. دراسة في سيكولوجية التذوق الفني . بط .عالم المعرفة الكويت, مارس 2001. ص 14 .

4- نفس المرجع السابق . ص 16

5- نفس المرجع اسابق. ص 18

6-دني هويمان .تر ظافر الحسن .علم الجمال . ط1 المكتبة العلمية sned , يوليو , 1961, ص 61

7- نفس المرجع السابق , ص 70

8-جان كوكتو, تر تماظر فاتح , فن السينما , ب ط , سوريا , منشورات وزارة الثقافة , 2012 ص 47

9-محمود عباس عبد الواحد , قراءة النص و جمالية التلقي , ط1 , مصر , دار الفكر العربي , 1996 , ص 22

10-جان كوكتو, مرجع سبق ذكره, ص 34

11-عقيل مهدي يوسف, جادبية الصورة السينمائية, دراسة في جماليات السينما , ط1 , لبنان, دار الكتاب الجديدة المتحدة, أفريل 2001, ص 19,20

12-نفس المرجع السابق ص 35

13-شاكر عبد الحميد , مرجع سبق ذكره , ص22

قائمة المراجع:

1. عبد الباسط سلمان, سحر التصوير, فن و اعلام , ب ط, القاهرة, الدار الثقافية للنشر, ب س
2. شاكر عبد الحميد . التفضيل الجمالي .دراسة في سيكولوجية التذوق الفني .بط. عالم المعرفة الكويت ,مارس 2001.
3. دني هويمان .تر ظافر الحسن .علم الجمال .ط1 المكتبة العلمية sned ,يوليو ,1961
4. راوية عبد المنعم عباس , الحس الجمالي و تاريخ الفن, دراسة في القيم الجمالية و الفنية , ط1 , بيروت دار النهضة العربية
5. جان كوكتو تر تماظر فاتح , فن السينما , ب ط , سوريا , منشورات وزارة الثقافة , 2012,
6. عقيل مهدي يوسف, جادبية الصورة السينمائية, دراسة في جماليات السينما , ط1 , لبنان, دار الكتاب الجديدة المتحدة, أفريل 2001.
7. محمود عباس عبد الواحد , قراءة النص و جمالية التلقي , ط1 , مصر , دار الفكر العربي , 1996

التعزيز غير اللساني للخطاب المنطوق

Non-verbal reinforcement of operative speech

حيزية كروش (جامعة الشلف/ الجزائر)

سامية شهبي قمورة (جامعة ستراسبورغ/ فرنسا)

ملخص:

يعتمد الإنسان إلى استعمال عدد من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتعزيز خطاباته، فهو يلجأ إلى تلك الحركات الإشارية الجسمية وجملة المواضيع الخال عليها في الواقع المعاش داخل المجتمع، والمتماركة بين أفرادها، حيث يعمل كل من المرسل والمرسل إليه على استثمار النواتج الالفظية بغية إتمام عملية التواصلية بكامل المقاييس الإفهامية والمعايير التخاطبية، وغالبا ما يولد المتكلم معاني متعددة باستعماله آليات مغايرة قابلة للاستيعاب من قبل المتلقي.

وبالتالي فالمرسل يسد الفراغات التي من شأنها أن تخلق ضمن الخطاب حال إقحامه في السياق المطلوب، إما لتوضيح لبس، أو تعزيز فكرة، أو التدليل عليها.

الكلمات المفتاحية: التعزيز اللغوي، المرسل، المرسل إليه، الإشارات، التواصل، الحوار.

The person uses a number of linguistic and non-linguistic means to reinforce his or her letters. He resorts to these physical gestures and the whole range of subjects referred to in the reality of the pension within the society and the familiarity between its members. Both the sender and the addressee invest the verbal products in order to complete the communication process In all interpretive and rhetorical standards, and the speaker often generates multiple meanings using different mechanisms that can be understood by the recipient.

Thus, the sender fills the gaps that would be created within the discourse when it is implicated in the required context, either to clarify the confusion, or to reinforce the idea or to demonstrate it. On this basis we raise the following

Keywords: language enhancement, sender, addressee, signals, communication, dialogue.

الخطاب اللغوي يخضع لجملة من المعايير اللسانية وغير اللسانية التي تسهم في شد أو اصرر الدورة التواصلية، وتضمن سلامتها وتمامها، من خلال تشكيل الفهم الشامل لدى المتلقي، إذ يستعين المرسل بآليات متنوعة لإنشاء رسالته وفقا للسياق الذي ينتج فيه المنجز الكلامي.

الإشكالية: كيف يمكن أن تسهم النواتج غير اللفظية في تشكيل الحوار بين المخاطب والمخاطب؟ وهل يمكن اعتبار هذا النمط من التواصل غير الكلامي تعزيزا للحوار المباشر بينهما (المخاطب والمخاطب)؟

الفرضيات: لكل إشكالية عدد من الفرضيات التي يقترحها كل باحث، وعلى غرار هذا الأخير حاولت تقديم فرضيتين مهمتين أعمل على تحقيقهما أثناء الخوض في غمار البحث، وهما:

أ- ربما يمكن أن تنوب اللغة غير اللسانية عن اللغة اللسانية في كثير من الأحيان، بل ويمكن أن تكون أكثر بلاغة وتوصيلا من المنطوق.

ب- ربما التعزيز غير اللغوي يكون عفويا أو إراديا، على اعتبار أن الموقف أو السياق هو الذي يتحكم في الملفوظات، والحركات الجسمية وغيرها من الآليات التواصلية.

المنهج المتبع: لا يمكن أن تتضح معالم أي بحث دون الاعتماد على منهج معين يرسم إحداثيات المقاربة، لهذا اعتمدنا المنهج الوصفي المدعم بآليات التحليل والاستنباط والاستقراء.

1. التعزيزات غير اللفظية في الدورة التخاطبية:

تقوم الدورة التخاطبية بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة على جملة من الميكانيزمات اللغوية وغير اللغوية، حيث يتشكل الإطار التواصلية ضمن تبادلات لسانية مضبوطة بأسبقية اجتماعية تحدد نمط اللغة المستعملة بحسب طبيعة لسان كل من المرسل و المرسل إليه، لكي تتم العملية التواصلية وفق مسار الإبلاغ والاستقبال.

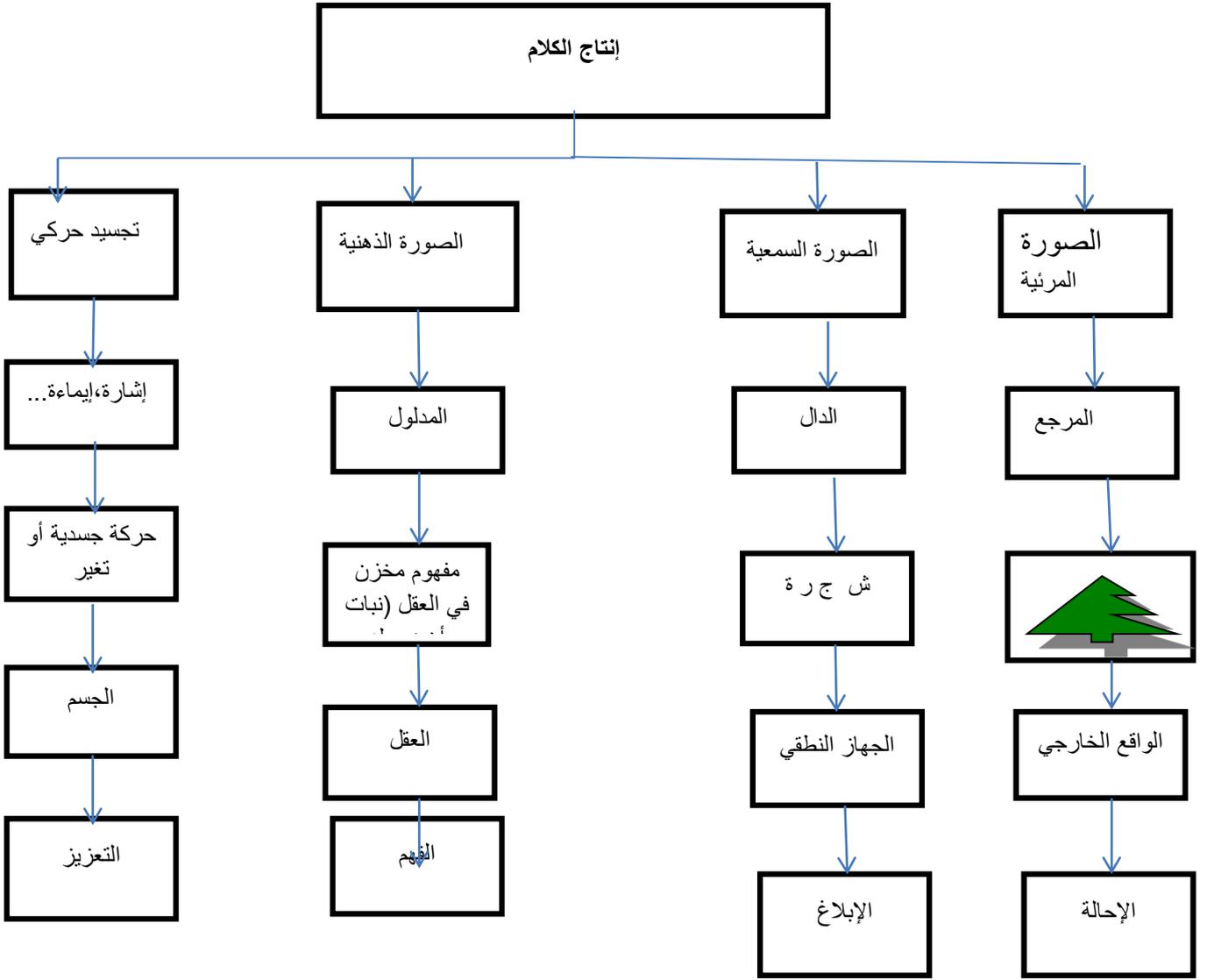
لا يمكن تحقيق التواصل السليم بإنتاج خطاب مشكل من لغة مفهومة لدى المنصت، (فالتواصل لا يصبح ممكنا إلا لأن النص المنصت يفهم قصد المتكلم [1])، وفي كثير من الأحيان يحتاج المتكلم إلى جانب اللغة المنطوقة مجموعة من الإشارات والحركات والملاحح... التي تساهم في تعزيز إنتاجه المفرداتي وتدعم خزانة اللغوي، ليشكل جيولوجية لغوية خاضعة لقوانين بيولوجية وثقافية، وعليه تصبح الدورة التخاطبية معززة بتواصلات غير لسانية، لضمان سلامة الفهم، وبالتالي تكون الرسالة عبارة عن مزيج من الألفاظ والإشارات التي تتطلب استعمال أكثر من مستقبل (الأذن، والعين، واللمس...)، ففي كثير من الأحيان يستطيع الفرد معرفة ما يسره الآخر من خلال إشاراته وملاححه ينشد الشاعر ثعلب:

تُسِرُّ الهوى إِلا إِشارةً هُنَاكَ وَ إِلا تُشِيرُ الأَصابعُ [2]

يقوم التواصل غير اللساني بتعزيز الخطاب اللغوي وإغناء الرسالة عن طريق تدعيمها بالحركات لضمان استمرارية التواصل، كما انه يعبر عن الانفعالات والمنعكسات النفسية، إذ يلجأ المتلقي إلى فك شفرات الجوارح من أجل الوصول إلى بعض المعاني الخفية التي عجزت الألفاظ اللغوية عن إيصالها مثلاً: في حالة الفرح أو الألم الشديد نجد المتكلم يقول: أنا عاجز عن التعبير عن فرحتي الشديدة /ألمي الشديد، وهو يصدر حركات موجهة إلى الصدر نحو منطقة القلب، أو يقبض يديه إضافة إلى تغيير ملامحه وربما حتى لونه (الاحمرار، والاصفرار، وامتلاء العينين بالدموع...)، وذلك بغية التعبير عن تلك الكتلة الكبيرة من المشاعر التي قصرت اللغة المنطوقة عن التعبير عنها.

والإشارة عموماً هي: "عبارة عن علامات وإشارات تصدر عن الشخص بالوجه أو اليد [3]"، والهدف منها الدلالة على المعاني التي يريد المرء من ورائها إيصال المعاني إلى الأذهان والإشارة وحدها قد تغني عن اللفظ في الدلالة على المعنى، وقد تقترن باللفظ فتؤكد دلالاته وتقويها في نفس السامع والرائي فهي ترجمة له. [4]"

من الملاحظ أن الإشارة هي علامة غير لغوية تكون معززا لامنتوقا بالنسبة للشخص الناطق المتكلم (لا الأبكم أو الأصم الأبكم، أي الفاقد لخاصية النطق)، وعليه فإنه في هذه الحالة لا يمكن اعتبارها بديلاً مطلقاً للكلام، وإنما تأتي لغايات توكيدية أو توضيحية بأسلوب انصهاري أو متماهي مع الإنتاج اللفظي في شكل حركي إيمائي متلاحق، ومنتظم اعتبارياً، يقول الغزالي: "الوجود في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة تدل على اللفظ، واللفظ يدل على المعنى الذي في النفس و الذي هو مثال الموجود في الأعيان [5]".



مخطط يوضح أركان الدورة التخاطبية المرفقة بتعزيز غير لغوي

الهدف من هذا المخطط هو إبراز أهمية التعزيزات غير اللغوية المرافقة للكلام، فالتأج اللفظي الإنساني مرفق بجملة من الإشارات و التكوينات المادية الظاهرة للعيان ، و المنعكسات الحركية المؤسلفة على نسق دلالي يوافق الإصدار المفرداتي، إذ توجه كل حركة إلى غاية معينة الغرض منها إقرار واقع خارجي، وإبلاغه للآخرين، فينتقل اللفظ من الهيولة السمعية، إلى هيولة إيمائية، فيحاول المنتج استغلال جميع قدراته موظفا مختلف الوسائط اللغوية، وغير اللغوية (paralinguistique) المصاحبة للتأج المنطوق.

كما يمكن أن تتباين الرسائل غير اللفظية بين الأفراد من حيث موضوعها ودرجة الوعي بها ودرجة السيطرة عليها، وبالمقارنة مع الرسائل اللفظية، فإن المدى الوظيفي لهذه الرسائل محدود، إذ أن الرسائل اللفظية تستخدم لإرسال أي رسالة" فقد تستعمل الرسائل غير اللفظية لدعم أو لنفي الرسائل اللفظية، وإذا ما استعملت لدعم الرسائل اللفظية فإنه يجب أن يكون هنالك اتساق بين نوعية الصوت وعلوه، وحركات وأوضاع الجسم.

كما أن الدعم قد يتباين من حيث نوعه، ومقداره ومن شخص إلى شخص، كما قد يكون في درجة اتساق الحركات مع بعضها، وليس فقط مع السلوك اللفظي وغير اللفظي، والإنسان يكون أحيانا قادرا على التعبير عن نفسه وانفعالاته من خلال الحركات والإيماءات وأوضاع الجسم أكثر من الكلمات.^[6]

يبدو أن الكلام عن التعزيزات غير اللفظية يدفعنا إلى تحليل أنماط سلوكية تجسد البيداغوجيات الكلامية، التي تدفع المتلقي إلى استقراء المنطوق، واستكناه الحركات الواردة في غمرة الخطاب (الدورة التخاطبية)، حيث يفرض على المستقبل إعطاء دلالة أحادية للإشارة الحركية، فقد تكون الحركة مزامنة للنطق، أو قد تأتي بعده مباشرة ولربما تصدر نتيجة طلب المتلقي جراء عدم فهمه لما يقال، إما لعجز لغوي من قبل المرسل أو لقصور في التلقي لدى المرسل إليه، وبذلك تكون الرسالة ناقصة نوعا ما من حيث الشفرات المتبادلة مما يحتاج ترجمانا آخر يحقق الغاية المبتغاة من الكلام بحسب معايير آنية توفى بين المعاني وتخلق تواشحا دلاليا يضمن الفهم المطلق.

فقدرة الإنسان تكمن في ربط واستعمال حقائق مرئية، وفي نفس الوقت إصدار أفعال واعية تتجاوب مع ردود الفعل الناتجة عن الآخر، فهذه الأنساق التواصلية امتدادات للتواصل اللساني المعزز بلغة غير ملفوظة، قوامها كيان متحرك (الجسد) وهذا الأخير " له خطاب إيمائي خاص.^[7]

خلاصة القول إن جملة الحركات الجسمية والتعبيرات الملمحية والمنعكسات السلوكية المقصودة منها والاعتباطية لها فاعليتها في تعزيز الدورة التخاطبية لما تؤديه من فعالية في الإفهام والإيضاح والإفصاح والمصادقية والتأثير.

2. تعريف التواصل غير اللساني:

يمثل التواصل غير اللساني عملية حيوية ذو طبيعة فيزيولوجية، تتحكم فيه ضرورات بيولوجية، وهو إلى حد ما لغة عالمية مشتركة، إذ نجد الكثير من الحركات متداولة في العديد من المجتمعات على اختلاف ثقافتها ودياناتها وطبائعها الحياتية، والتواصل غير اللساني في مفهومه العام هو: "تواصل بدون لغة الألفاظ، أي بدون تحقيق سمعي وصوتي^[8]"، وعليه فإن القوالب اللفظية والأطر الأكوستيكية تهدف إلى تحصيل عملية الإبلاغ، فهينات الجسم وتوجهاته (اللامنطوق) تعكس المعزات السلوكية تفرض الصورة الصادقة في الخطاب اللغوي من زاوية مناقضة بأسلوبية انزاحت عن المنطوق، وبالتالي ربما

يصح أن نقول أنها تعبر عن الميتافيزيقيات التي لا يمكن إدراكها إلا من خلال دلائل ترى بالعين المجردة، فإما ينتج عنها تصديق تام أو تفنيد.

يقول إدوارد هول: "يعتبر السلوك الصامت هو الأصل في حياة الإنسان مادام يشكل نسبة أكبر في عالم التواصل [9]"، ومجموع هذه السلوكيات الأنثروبولوجية والأخلاقية، وحتى العادات والطقوس تمثل وجهاً آخر للغة الإنسانية لا يمكن الاستغناء عنه في أي حال من الأحوال، إذ تمثل العالم المرئي الذي استوطنته التجارب الذاتية المساقاة للسيرورة الاجتماعية، حيث يفرض على المتكلم استخدام جسده ككتلة متكاملة، وموائمة للسان النطاق لتوليد كم هائل من الحركات المعبرة والموافقة لسياق الخطاب.

حدد هاريسون بعض العناصر المتصلة بالتواصل غير اللفظي، وحصرها في:

- التعابير المنحرفة بواسطة الجسد (حركات، ملامح، إشارات...)، وتنتمي إلى شفرة الإنجاز.
- العلامات النظامية كطريقة اللباس، وتتمثل في الشفرة الاصطناعية.
- استعمال المجال وتمثل الشفرة السياقية.
- الآثار التي تحدثها الأصوات والألوان مثل: نظام إشارات المرور الشفرة الوسيطة.

كما حدد الدارسون بعض الأسس المعمدة في تحليل أنظمة التواصل ونذكرها كالآتي:

- العلامة : (le signe) وهي العلاقة بين الدال والمدلول، فكل خطاب منطوق أو مكتوب هو نسق من العلاقات اللغوية، أما العلاقات غير اللغوية هي نظام الإشارات غير الملفوظة نحو: الملصقات وعلامات المرور.
- الأيقونة: (icône) تمثل محسوس لشيء بغية إبراز الخصائص والسمات المميزة لهذا الشيء مثل: الصور الفتوغرافية
- المؤشر: (indice) وهو ما يعبر عن شيء خفي كالدخان فهو مؤشر للنار إذا لم تظهر للعيان.
- الرمز: (symbol) هو كل علامة تشير إلى هوية شيء مثل الحمامة رمز للسلام، الميزان رمز العدالة. [10]

3. العلاقة بين التواصل اللفظي و التواصل غير اللفظي:

تساهم الحركات المولدة عن الجسم الخاضع لضوابط الكلام الميسج بضوابط لغوية في خلق مزيج كلامي وغير كلامي، حيث "يتعين على المتكلم توظيف مختلف وسائل البيان"، مما يجعل المتكلم يسافر نحو الأبعاد اللامتناهية في الجسد والذات لاستقراء كل الأنساق اللغوية، التي بمقدورها توصيل المفهوم أو تعزيره.

الطفل الصغير على سبيل المثال في أولى مراحل اكتسابه للغة نجد يلفظ بمفردات غير مفهومة، فإذا التمس في المتلقي عدم الفهم، أو الفهم النسبي لجأ إلى استعمال معززات إشارية تدفع المستقبل المقصود إلى قراءة تلك الآليات الحركية، ودراسة الملامح البادية على الوجه، بهدف تحقيق الفهم، أو تعزيز المفهوم الأولي - وفي غالب الأحيان تكون تعزيزات مقصودة للتأكيد على الغرض- " ليكون الجسد بلغته الحية الجسر الواصل بين طرفي الدورة التخاطبية، فهو "ينفتح على إشراقات الذات فينعكس عليها، ليغدو الجسد بتشكيلته الظاهرة، أول عتبة نصية للعبور من الجسد البراني إلى الجسد الجواني[11]"، أي أن الجسد هو أحد الأدوات التعبيرية التي يركز فيها المستقبل على القناة البصرية بشكل أساسي، لكن من غير إقصاء لدور الأذن، لأن الدراسة تتعلق بالتعزيز لا البديل.

وعليه يمكن القول أن الجسد يعد الآلية المركزية والسياسية المعتمدة من قبل المتكلم في إطلاق تعزيزاته غير اللفظية في خطاب مولد ضمن سياق محدد، يسمح بإنتاج لغة صامتة تحشو الرسالة اللغوية مع العلم أن التواصل غير اللفظي ليس مخططاً له دائماً، وغالبا ما يأتي من غير نية من كلا طرفي التواصل (المرسل والمرسل إليه)، وهو أكثر فاعلية في عملية الإفهام، ويمكن إجمال العلاقة بين هذين التواصلين في بعض الأمور المتعارف عليها، والموضحة لطبيعة الرابطة التي تجمعهما، نذكرها فيما يأتي:

- الإعادة(التكرار): وتقوم على إعادة المنطوق بأسلوب صامت مرئي مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "من كان له ابتنان أو أختان فأحسن إليهما في الدنيا ما صحبته كنت أنا هو في الجنة كهاتين."
- التناقض: يمكن للسلوك غير اللفظي أن يناقض السلوك اللفظي، مثل: طلب المدير من أحد الموظفين إحضار بعض الأوراق للزبون ثم أشار له بطرف عينه بأن يحضرها، ثم يعود الموظف ليقول بعدم وجود الأوراق المطلوبة، إذا فالموظف تلقى رسالتين في آن واحد، الأولى لفظية والثانية غير لفظية.
- البديل: يمكن للتواصل غير اللفظي أن يكون بديلاً للتواصل اللفظي، فمثلاً ملامح الوجه في كثير من الأحيان تغني عن الكلام، وهذا ما نجده عند الصم البكم.
- التكميل: يمكن للاتصال غير اللفظي أن يكون آلية مكملة للاتصال اللفظي فمثلاً الابتسامة بعد أن تطلب شيئاً.
- التأكيد: ويتم ذلك باستعمال بعض الأساليب الصامتة، لتأكيد الرسالة وتعزيزها، مثل تركيز المستقبل على ملامح الوجه ليتأكد من صحة العبارة المنطوقة.
- التنظيم: يساعد الاتصال غير اللفظي على تنظيم وربط الاتصال بين المشاركين مثل: إعطاء إشارة لشخص ما ليكمل الحديث، أو يتوقف عنه. [12]

وهذه العلاقة تخص طريقي الدورة التخاطبية على حد سواء، إذ أن كلا من المرسل والمرسل عليه يعمل على دراسة الانطباعات الأولى لمعرفة المعاني السيميائية المتوارية خلف المفردات، أو للاقتناع بما يقال، فالاتصال غير اللفظي يسمح بالولوج إلى عالم المشاعر فيدرك ما بداخل الفرد إذا أجاد استقراء تلك الآليات غير المنطوقة، وما قدر يؤكد صحة هذه العلاقة قول حنفي عيسى: "فأنا إذا أتكلم أسمع في نفس الوقت كلامي، وعلى فرض أنني لا أسمع فأنا أستطيع على كل حال أن ألاحظ الأثر الذي أحدثته في السامعين، وهذا ما يجعلني أغير كلامي." [13]

وعلى هذا الأساس فإن وتيرة عمل التواصل غير اللفظي للإنسان الناطق تتركز على بؤرة مرئية، تضمن توافر الحصيللة الدلالية للإنتاج الكلامي المرفق باستراتيجيات حركية تعززه.

4. التعزيز غير اللغوي:

في كثير من الأحيان تعجز اللغة عن التعبير بدقة عما يريد المتكلم إيصاله مما يدفع بالمرسل إلى خلق تقنيات حركية وفيزيولوجية تساق اللغة لتعزز ذلك البعد الفيزيقي، الذي يحتاج إلى تزاوج متميز بين الأصوات المنطوقة واللغة الصامتة التي تكتسح الجسد، في ظل ممارسات فيزيائية متماهية، تفتح أفق الحوار النفسي المرهق بالصورة الخارجية للمتحدث، حيث تستثار حواس المتلقي لأداء وظيفة المعاينة والملاحظة، وهذه الأخير تنطلق من تربية الحواس إلى بلوغ المفاهيم، ومن المفاهيم إلى الأفكار ومن الأفكار إلى النشاط السلوكي، الذي يكسر القوقعية الشعورية المخترنة ضمن ما وراء المسموع، ليستبطن المتلقي الصورة المرئية لتعزز لديه عملية الفهم أو التلقي بصفة عامة.

تعدد المعززات غير اللفظية وتنوع بحسب حاجة المرسل إلى تنشيط الجوارح المؤدية للوظيفة المناسبة لمضمون الخطاب المتداول خلال الدورة التخاطبية، بهدف إكمال العملية التواصلية، فغالبا ما تحتاج الفكرة إلى ارتسامها في ملامح المتكلم وأصابعه وتطبق على زوايا حسده، لكن وفق معايير تضمن تعزيز المفهوم وإثباته والرفع من مستوى الإقناع من مجرد الإمكانية إلى الفعلية المطلقة، التي تُمنهج طبقا مدارج متتابعة ومتناسقة، تزيد من احتمالية تقبل الفكرة، بشرط أن يتميز أسلوبه غير المنطوق بالمرونة فيفرض إعادة التأطير الحركي الذي يتبع حاجة المتلقي، وبذلك تتطور بيداغوجية التواصل، انطلاقا من تضايف الوسائط اللغوية وغير اللغوية محققة اندماجا اعتباطيا، بين الرسائل اللغوية وغير اللغوية.

فالمتلقي لا يكتفي بالمسموع أو المكتوب، بل هو في بحث دائم عن مزيد من الرسائل المختلفة التي من شأنها أن تعزز الاستقبال لديه وتؤكد مشروعية القول الصادق بمحاولة جادة منه في استغلال كل طاقة الاستقبالية مقابل التقاط كل المنبهات الصادرة عن المتكلم والمهارات السيكلوجية سواء المقصودة منها أو غير المقصودة، ويمكن ذكر بعض المعززات غير اللفظية على سبيل المثال لا الحصر فيما يأتي:

- تعابير الوجه: تفصح تعابير الوجه عن العديد من المعاني السيمائية، بل يمكن القول أنها اصدق من القول المنطوق، فهي تخرج عن إرادة المتكلم في كثير من الأحيان، على اعتبار أنها أفعال لا إرادية، تعبر عن انفعالات شعورية عفوية، لا قدرة للمرسل على التحكم فيها فلها أن تعبر عن: الحزن والسعادة والملل والتعب والاستنكار والتأكيد واللامبالاة والتعجب والموافقة والرفض، وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن ملامح الوجه هي التي تحدد صفات الإنسان، كما أنها أسرع الوسائل التي تنقل الحالة النفسية للفرد، كذلك تعطي " تعابير الوجه معلومات عن بلد الفرد وجنسه وعمره ومهنته ومكانته الاجتماعية وغيرها من الخصائص الفردية. [14]"
- الحركة: وتضم حركة اليدين والقدمين والرأس، وباقي الجوارح المتحركة، والتي تعكس مدى راحة والاستقرار بالنسبة للفرد أو اهتمامه، مثلا: ترفع اليد في المحكمة بإظهار الكف للدلالة على السلم، وإشارة الطرد باليد أو النفي وهي إشارة تعني الرفض [15]، كما تمثل القدم علامة أخرى من علامات لغة الجسد، فالإتجاه الذي تتخذه القدم هو الآخر له دلالة، يقول شريف عرفة: " حين يكلم شخص ما شخصا آخر فإن إتجاه إشارة القدم توحى ما إذا كان مقبلا على هذا الشخص أم لا، فلو كانت هذه القدم تسير نحو هذا الشخص فإن هذا يعني بوضوح أنا مهتم جدا بهذا الشخص وما يقوله. [16]"
- اللغة الرمزية: وهي تضم جميع أنواع التعبير، والرسائل الضمنية التي يبعثها الفرد للآخر نحو: التلميح بالحواسب، الإشارة بالقلم، التعليقات....
- حركات الرأس: تدل حركات الرأس على معان مختلفة، وتولد رسائل تواصلية هامة كالخوف، والقبول أو الرفض، فغالبا ما نجد المتكلم يغير من وتيرة كلامه على حسب ردود الفعل التي ينتجها المتلقين فتظهر بمُنعكسات حركية يقوم بها الرأس، مما يزيد من فاعلية المتكلم أو ينقصها.
- اللمس: هو احد الحواس الخمس التي لا يمكن الاستغناء عنها، ويكون بأحد الجوارح (الرأس أو اليد، أو أعضاء الجسم الأخرى)، حيث تعمل على نقل رسائل متنوعة بحسب حاجة المتواصلين، يقول أحمد مختار عمر: " بما أن اللمس يعتمد على الجلد الذي يقوم بوظيفة متميزة في استقبال الرسائل، فهو يعد من بين الوسائل المعتمدة لتحقيق التواصل مع الآخرين [17]"، أي أنه القناة التي تربط الفرد بما يحيط به في العالم الخارجي، لتمكنه من معرفة ما يدور حوله من أحداث، واستقبال الذبذبات الصوتية التي تصدر عن المتكلم، وبذلك يكون عضوا مستقبلا ومكملا لعملية التلقي.
- الصوت: بمميزاته النغمية والإيقاعية المتنوعة بين ارتفاع وانخفاض، وسرعة وبطء، وطلاقة وتعثر، فإنه يعكس جملة من الانفعالات التي توحى بدلالات مختلفة تناسب ذلك السياق الخطابي الذي يكون فيه المتكلم، وتعد ظاهرة التنغيم أحد أبرز الظواهر الصوتية التي تأخذ مكانا واسها من الدورات الحوارية، فغالبا ما يفهم السامع قصد المتكلم (سؤال، تعجب، إخبار...) من خلال نبرة صوته.

- التعابير الحسية والفيزيولوجية: مثل: لون الوجه وتصيب العرق والتشنج والانتعاش الذي يدل على عدة معاني حسب الحالة الانفعالية التي تعترى المتكلم.
- العيون: ترسل العيون وتستقبل العديد من الرسائل غير اللفظية في آن واحد، كالخجل والصدق والحزن والتعب والكره والغيرة، والشك والاحترام والحذر والقلق والحزن.

" تغزلت العرب في العيون، فأجادت وتغزلت عن الإملال في أوصافها فأفادت وتنزلت عن أوج غلظتها إلى حضيض السبب فيها، فأمالت الأعطاف وأمادت وفتحت باب الأوصاف. [18]"

قال بعض الأعراب:

وَجَلْسُ لَدَّةٍ لَمْ تَقَوْ فِيهِ عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدَّ الدُّنُوبِ
بِخَلْنَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَفْظٍ فَتَرَجَمَتِ العُيُونُ عَنِ القُلُوبِ.

وتعد لغة العيون من أهم حركات لغة الجسد، فهي تعبر عما يعجز عنه اللسان، إضافة إلى أن الوصول إلى نتائج حقيقية للخطاب الشفوي أو المكتوب مهما كانت درجة ترميزه، وذلك بواسطة تشريح البنية اللغوية العميقة، فالعين ذاتها تكشف عن ما في نفس صاحبها من المعاني قال الشاعر:

وَعَيْنُ الصَّغِيِّ تُبَدِّي الدِّي فِي ضَمِيرِهِ وَتَعْرِفُ بِالنَّجْوَى الحَدِيثَ المَهْمَسَا.

العين أبلغ من الصوت في التعبير عن الشيء الخفي، وإظهار غير المرئي، يقول هيجل: " حتى الدمعة على الأحزان أعوان، وحتى رموزها فيها للشجي سلوان، ولأن الإنسان إذا كصته الحزن تلمس مظهرها لذلك الألم الباطن"، والنظر من أهم العوامل التي تخترق دواخل الآخر، إذ تمثل " النظرة الدلالة الأكثر عمقا للغة الجسد، إنها تعمل بكل وضوح على نقل الأحاسيس والانفعالات والعواطف والتعابير وتشارك فيها كلها وتبشها وتوحي بها. [19]"

العين مرآة القلب وتعبير عما يكنه الإنسان من مشاعر فهذه الأخيرة باعتبارها جزءا من العضوية الإنسانية فهي تشكل أسلوبا تواصليا يستغله الآخر لتعزيز فهمه، ويستثمره المتكلم لعرض فكرته.

. المظهر العام واللباس: يمكن أن يعبر اللباس البسيط أو المنسجم عن اهتمامات الفرد، فاللباس يمكن أن يعبر بشكل عام عن الفرد في حد ذاته:

- حالته النفسية والعاطفية والانفعالية مثل: الأسود في البلدان الغربية يدل على الحزن، وغالبا تلبس الملابس السوداء في الجنازات.
- سلوكياته الحياتية مثلك شخص يجب لبس الملابس الرياضية، دلالة على النشاط ولكن هذه الدلالة نسبية ل تنطبق على جميع الناس.
- وظيفته مثل: للمحامي لباسه الخاص في المحكمة للدلالة على مهنته فالملابس الرسمية لها دور كبير في اكتمال هوية الفرد.
- وضعه الاجتماعي والاقتصادي: الكل يعلم أن الملابس لها دور فعال في إبراز الوضع الاجتماعي فالغني لا يلبس كالفقير، والفقير لا يلبس كالغني.
- الانتماء الوطني: وتمثل جانبا من العادات والتقاليد جزءا من الهوية الوطنية، وأحد أهم العناصر غير اللغوية لوليد حورا فعال بين الشعوب عامة، وبين أفراد المجتمع الواحد خاصة. [20]

10- المكان والزمان: "القرب والبعد تعبير عن كدى وهن أو قوة الصلات بين الناس [21]"، كذلك الأمر نفسه بالنسبة لتواتر اللقاء أو تباعده زمنيا، فالمسافة تمثل ميكانيزما تحاوريا يحدد العلاقة بين المرسل والمستقبل، وقد قسم الفضاء الفاصل بين المتلقي والمتكلم إلى ثلاثة مناطق:

- منطقة أ: وهي المنطقة الأبعد من المتكلم ومخصصة للأغرب الذين لا نعرفهم كأن يستوقفك شخص لسؤالك عن الوقت، إذ لا يتعدى تلك المسافة.
- منطقة ب: منطقة مخصصة للمعارف كزملاء العمل.
- منطقة ج: منطقة تسمح بالتلامس الجسدي أو الوقوف بالحوار (الوالدين، والأولاد...).

هذا لا يقصد به قطعية التصنيف والزاميته، فهو لا ينطبق على كل الأفراد وإنما يختلف من فرد لآخر، ومن مجتمع لمجتمع، بحسب العادات والأديان والثقافات والانتماءات.

. الألوان: للألوان معان مختلفة " حيث استخدم اللون منذ أقدم العصور شعار أو رمزا لشيء معين، وما يزال يستخدم بين إنسان العصر الحديث، إذ صار تقليدا أو شبه تقليد استخدام اللون المناسب، ومن الألوان ما أخذ صفة الرمزية بصورية اعتباطية، لا يظهر فيها الربط بوضوح فمثلا: في مصر القديمة فرعون يرتدي تاجا أبيض ليرمز إلى سيطرته على مصر السفلى. [22]"

ونجد الألوان آلية حوارية سيميائية تدل على الانتماءات الوطنية، فقد نجدها في الرايات التي ترفع والتي ترمز للدول، فالجزائر مثلا تستخدم اللون الأخضر رمزا للخضرة والخصب والنماء، واللون سر من أسرار الفهم " وإن كان عرضا لا يقوم

بذاته ولا بد له من مكان وزمان [23]"، كما أن كثيرا من الشعراء لجئوا إلى تلوين الأشياء بغير ألوانها الحقيقية (وهذا يعكس استخدام ما يحمل الإيحاء اللوني، ويحمل دلالات تضمنية، إذ أنه يعتمد إلى الدلالات العميقة للون). [24]

مثل:

نَوَّرَ يَوْمًا فَوْقَ الرَّمْلِ الْأَسْمَرَ.

فَمَرُّ أَخْضَرَ.

وَأَطْفَاءُ النَّجُومِ.

وَذَبْحُ الْقَمَرِ الْأَخْضَرَ.

يستعمل الإنسان العديد من الآليات غير اللفظية لتعزيز حواراته اللفظية، بغية تحقيق الفهم والإفهام وفتح قنوات تواصلية بشكل مختلف، تساهم في خلق نوع من الإدراك المباشر، بالاعتماد على تأويلات سيميائية تحتاج إلى الملاحظة الحسية، وهذا له فاعلية كبيرة في إحياء عملية الحوار وإعطائه صبغة حية نشطة، فالحوار المتكامل حاجة ماسة لا بد من توافرها ضمن المجتمع.

خاتمة: تمخضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج المتوصل إليها نذكرها في الآتي:

- التواصل بين البشر لا يكون بواسطة الكلام المنطوق فحسب، وإنما يتعداه ليشمل صورا أخرى، من أهمها لغة الجسد، والتي تتمثل في الحركات الجسدية ذات الدلالات الخاصة كانت مستقلة أو موافقة للغة المنطوقة.
- تعزيز الدورة التخاطبية بآليات لفظية يخلق حوار مفعما بالمعاني والدلالات الحية.
- تسريب رسائل غير لغوية أثناء الحوار بين المرسل والمرسل إليه يضمن عمليتي الفهم والإفهام.
- قد تكون رسالة الاتصال الصامت لحظة قصيرة، ولكن تأثيرها قد يمتد ليغير سلوكيات وعادات الآخرين.
- تضافر أكثر من وسيلة في الموقف الواحد لبيان معنى ما.
- الوجه كنظام متكامل يشمل العينين والأنف والأذنين والشفتين والذقن والفم، له فاعليته في عملية التواصل، حيث يساهم كل عضو في تكوين المظهر الكلي للوجه، والذي بدوره يشكل أداة لإيصال الأفكار.

قائمة الهوامش:

- 1) ينظر: هوسرل، اللغة، تر: محمد سبيلا ، عبد السلام عبد العالي، دار توبقال الدار البيضاء المغرب، ط5، 2010، ص71.
- 2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تعليق: خالد راشد القاضي، خالد راشد القاضي ، دار الريحان، الجزائر، ج6، ط1، مادة شور، 2008، ص282.
- 3) عمر عبد الرحيم نصر الله، تدني مستوى التحصيل و الانجاز المدرسي –أسبابه وعلاجه- ، دار وائل، عمان الأردن، ط1، 2004 ص450
- 4) عبد الله محمد سليمان هندواي ، البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة و الحركة الجسمية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1995، ص1، ص8.
- 5) الغزالي ، معيار العلم في المنطق، المطبعة العربية، مصر، ط1، 1927، ص36، ص30.
- 6) إبراهيم عبد الله فرج الزريقات، اضطرابات الكلام و اللغة و التشخيص و العلاج، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص31.
- 7) جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار الغريب ، القاهرة، مصر، 2000، ص45.
- 8) أحمد عزوز، مجلة اللغة و الاتصال، مخبر اللغة العربية و الاتصال، منشورات دار الأديب، ع1، 2005، ص56.
- 9) إدوارد هول، رقصة الحياة، تر: نظمي لوقا، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1987، ص8.
- 10) ينظر: ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربية الحديث، دار البشائر، 2002، ص102.
- 11) عبد الله محمد الغدامي، المرأة و اللغة، بالمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998، ص70.
- 12) ينظر: أبو أصبع صالح، الاتصال الجماهيري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1988، ص43.
- 13) حنفي عيسى، محاضرات في علم النفس التربوي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2003، ص82.
- 14) أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجتمع، عالم الكتب ، مصر، ط1، 2002، ص129.
- 15) ينظر: نعيم علوية، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص275.
- 16) شريف عرفة، لماذا من حولك أغبياء، دار الأفق، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص237.
- 17) أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجتمع، ص123.

- 18 أبو الصفاء خليل بن أبيك الصفدي، صرف العرين، تح: محمد عبد المجيد لامتين، الآفاق العربية، ج2، ط1، 2005، ص54.
- 19 صوفية السحيتري بن حنيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص92.
- 20 ينظر: العربي عبد القادر أبو شريف، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1989، ص56.
- 21 المرجع نفسه، ص 57.
- 22 أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص165.
- 23 نذير حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم والإعجاز الصوتي، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002، ص29.
- 24 ينظر: طاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص37.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 إبراهيم عبد الله فرج الزريقات، اضطرابات الكلام و اللغة و التشخيص و العلاج، دار الفكر، عمان ، الأردن، 2005.
- 2 أحمد عزوز، مجلة اللغة و الاتصال، مخبر اللغة العربية و الاتصال، منشورات دار الأديب، ع1، 2005.
- 3 أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- 4 أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجتمع، عالم الكتب ،مصر، ط1، 2002.
- 5 إدوارد هول، رقصه الحياة، تر:نظمي لوقا،دار الكتاب، القاهرة،مصر،1987.
- 6 أبو أصيب صالح، الاتصال الجماهيري، دار الشروق، عمان ، الأردن، ط1، 1988.
- 7 جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار الغريب ، القاهرة،مصر،2000.
- 8 حنفي عيسى، محاضرات في علم النفس التربوي، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون،الجزائر، 2003.
- 9 شريف عرفة، لماذا من حولك أغبياء، دار الأفق، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
- 10 أبو الصفاء خليل بن أبيك الصفدي، صرف العرين، تح: محمد عبد المجيد لامتين، الآفاق العربية، ج2، ط1، 2005.
- 11 صوفية السحيتري بن حنيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- 12 طاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2007.
- 13 عبد الله محمد الغدامي، المرأة و اللغة ،. المركز الثقافي العربي، بيروت ،لبنان، ج2، ط1، 1998.

- 14) عبد الله محمد سليمان هندواي ، البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة و الحركة الجسمية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1995.
- 15) العربي عبد القادر أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1989،
- 16) عمر عبد الرحيم نصر الله، تدني مستوى التحصيل و الانجاز المدرسي -أسبابه وعلاجه- ، دار وائل، عمان الأردن، ط1، 2004
- 17) الغزالي ، معيار العلم في المنطق، المطبعة العربية، مصر، ط1، 1927
- 18) ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربية الحديث، دار البشائر، 2002، ص102.
- 19) ابن منظور، لسان العرب، تعليق: خالد راشد القاضي، خالد راشد القاضي ، دار الريحان، الجزائر، ج6، ط1، مادة شور 2008
- 20) نذير حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم والإعجاز الصوتي، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002.
- 21) نعيم علوية، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1984.
- 22) هوسرل، اللغة، تر: محمد سيلا ، عبد السلام عبد العالي، دار تويقال الدار البيضاء ، المغرب، ط5، 2010.

الثابت والمتحول عند أدو نيس _قراءة في التراث العربي وآليات تأويله_

Adonis's variable and invariable –reading in the Arabic heritage and its methods of interpreting_

زيقم عصام (جامعة الجزائر _02_)

ملخص:

يعد المشروع الفكري الأدونيسي "الثابت والمتحول" من المشاريع الفكرية الهامة التي تحتل مكانة ريادية في الساحة النقدية العربية، وذلك لتناوله قضية التراث والحداثة داخل الثقافة العربية، سعياً منه إعادة تجديد التراث العربي وفق رؤية حدائثية غايتها محاورة الآخر/الغرب، كما تنم عن موقف اتجاهاً مظاهر الإلتباع والإبداع في الفكر والأدب. وهو خيار منهجي سجل فيه ريادته في الدراسات العربية الإسلامية الحديثة، كباحث ودارس لتراث العربي الثقافي في كليته مدشناً بجواره هذا، مدرسة في الدرس النقدي العربي وقراءة جادة تقارب التراث بوصفه منظومة شاملة ومتكاملة. لذا يمكن القول إن أدو نيس قدم محاولة جادة في قراءته للتراث من خلال مشروعه النقدي الكبير الذي تمثل في "الثابت والمتحول، داعياً من خلاله إلى بناء نظرية عربية في قراءة التراث.

الكلمات المفتاحية: الثابت والمتحول، التراث والحداثة، الإلتباع والإبداع.

summary:

Adonis's project "the variable and the invariable" is one of the most important

Intellectual project that has a high value in The Arabic Critical part because he dealt with the issue of heritage and modernity in the Arabic culture in order to renew the Arabic culture in the order to renew the Arabic heritage depending on the modern vision that aimed at debating the other.

"westerns ".it also aimed at expressing the attitude towards the manifestation of the tradition and the innovation in thought and literature.

As researcher in the Arabic cultural heritage, his systematic choice was in privileged position in the Islamic Arabic modern Studies which led him to him to the establishment of the Arabic critical school, and to achievement of a meaning full reading which make the heritage as a complete and comprehensive system.

We can say that Adonis tried to give a meaning full reading about the heritage from his big critical project : (the variable and invariable) in establishment of the Arabic theory in reading and heritage.

Keywords: variable and invariable, heritage and modernity, tradion and innovation.

مقدمة:

إن قضية التراث والحداثة التي تم طرحها من قبل النقاد والباحثين والمفكرين العرب المعاصرين ابتداء من القرن التاسع عشر، خاصة بعد حملة نابليون بونابرت على مصر، فتحت معضلة شائكة دعت إلى الاهتمام بالهوية العربية، والاحتفاء بالتراث العربي خوفا من الضياع والزوال هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة تجديد التراث وجعله يساير الركب الحضاري الغربي، والخروج به من دائرة التخلف والتقليد.

وقد عولجت تلك الثنائية عند الباحثين تحت مسميات عدة حسب خلفية كل ناقد نذكر منها: القديم والجديد ، التراث والثورة العقيدة والحداثة ، الإبداع والإتباع ، وغيرها من المصطلحات . وكان الجدل بين تلك الثنائية قائما منذ القديم ، تمثل في الصراع الذي كان موجودا بين النقاد العرب القدامى ، بين من ذهب إلى مسايرة الفكر الأصولي القديم في بناء القصيدة العربية التراثية (عمود الشعر) ، وبين راح يتمسك بالعناصر الأساسية للقصيدة الحداثية ، ويدعو إلى التحرر من رواسب التقليد ، وبناء الشعر وفق آليات نقدية جديدة.

ولعل تشبع الدراسين العرب المحدثين بالفكر الغربي الحديث ، دفعهم إلى مقارنة ودراسة التراث من أجل تقريب وجهات النظر بين الدرس العربي القديم والحديث ، وكذا قراءته قراءة تجديدية تتناسب مع روح العصر، وتستشرف لمستقبل زاهر للواقع العربي .

وعليه ذهب معظم الدار سين والمفكرين العرب خاصة بعد هزيمة 1967 ، إلى محاولة ترميم البيت العربي ، والخروج من الضعف والانكسار الذي أصاب المجتمع العربي ، والانطواء والانغلاق على الذات ، فكان أن ظهرت إلى الوجود مشاريع فكرية كبرى هامة اهتمت بالدرس التراث القديم ، والبحث عن العلاقة الموجودة بين التراث والحداثة في ظل السيل الجارف للدراسات الغربية على المجتمع العربي . ونجد من بينها : مشروع " نقد العقل العربي للجابري " ومشروع " ، ومشروع " من الحداثة إلى روح الحداثة لظه عبد الرحمن " ومشروع " من العقيدة إلى التجديد لحسن حنفي " ومشروع " من التراث إلى الثورة لطيب تيزيني " . ومشروع " الثابت والمتحول " لأدو نيس .

كل هذه المشاريع سعت إلى دراسة وتحليل التراث بالمنهج الذي تراه مناسبا لإعادة قراءته ، قراءة تجديدية ، وهنا اختلف النقاد حول الآليات والوظائف المنهجية الأساسية والمناسبة والتي من شأنها تحليل النص التراثي العربي فهناك من ذهب إلى توظيف الأدوات والوسائل المنهجية المستمدة من الدرس الغربي التداولي وتطبيقه على النص العربي القديم ، كظه عبد الرحمن " ، وهناك من دعا إلى استخدام الأجهزة المعرفية والمناهج الغربية التطبيقية ، وهذا ما جسده الباحث " محمد أركون " ، وبين راح يستخدم الآليات النقدية الغربية ويكيفها مع النص العربي القديم . مثلما فعل الناقد والمفكر السوري أحمد علي سعيد المدعو " أدو نيس "

وكانت غاية من تلك المؤلفات هو دراسة مشكلة التراث والحداثة ، والبحث عن المعنى الحقيقي للمفهومين انطلاقاً من المنظومة العربية التراثية ، قصد تحقيق نهضة عربية بداية من التغيير الواقع العربي، ووصولاً إلى حداثة تسير التطور الحاصل في الغرب .دون التخلي عن الهويات والأصول والقواعد.

حاجة المفكر العربي إلى نقد التراث:

لقد قارب المفكر العربي الحديث التراث بدافع الحاجة التي أملاها الواقع الذي كان يعيشه بين الرجوع إلى ماضي الأجداد وبين قبول الوافد الغربي ، مما جعلت تلك الثنائية المفكر العربي يدخل في هاجس ، ظل يسيطر عليه لمدة طويلة ، بداية من عصر النهضة إلى يومنا هذا .

لكن المحاضر العربي فرض على هذا المفكر العودة إلى التراث ليجد فيه متنفسه ، وهكذا " ظلت قراءة التراث حاجة ملحة لرسم صورة المحاضر والدفاع عن تلك الصورة من خال البحث المستمر عن شرعية مفقودة ما فتىء الدارس الغربي الحديث يبحث عنها 1".

و تكلم الناقد المصري زكي نجيب محمود عن هذه الأزمة التي وقع فيها القارئ العربي في ظل الصراع القائم بين التراث والحداثة الغربية ، هذه الأزمة التي ظلت انفصام في الذات العربية .

و قد طرح ذلك عن طريق عدة إشكالات، لم يتوصل إلى الإجابة عنها ، وظلت عالقة في الأذهان الباحثين، إذ " كيف نوائم بين الفكر الوافد الذي يغيره يفلت منا عصرياً ، أو نفلت منه ، وبين تراثنا الذي يغيره تقلت منا عربتنا أو نفلت منها ؟ إنه لمحال أن يكون الطريق إلى هذه المواءمة هو أن يضع المنقول والأصيل في تجاوره بحيث نشير بأصابعنا إلى رفوفنا فنقول : هذه هو شكسبير قائم إلى جوار أبي العلاء المعري ، فكيف إذن يكون الطريق؟ 2".

وهنا وقف المفكر العربي حائراً أمام هذه الثنائية التراث والحداثة ، فلم يستطيع الخروج منها ، و أصبحت تمثل لديه هاجساً و معضلة في الخطاب العربي المعاصر ، وعليه " فإن تلك التساؤلات نفسها التي مازالت يشتغل عليها الخطاب العربي المعاصر في دراسته للتراث ، والتي اختزلت في ثنائيات منحت الانطباع بأنها تكون ثنائيات ضدية ، من كثرة ما تكررت في الخطاب العربي . ومن تلك الثنائيات : الأصالة _ المعاصرة / القديم / الجديد ، التراث / الحداثة 3".

وبالتالي راح معظم الدارسين يقرون بأن مقارنة التراث تتطلب الوعي بالمناهج الغربية الحديثة ، من أجل الوصول إلى قراءة موضوعية أثناء دراسة التراث واستنطاق الأوجه المضيقية فيه ، كما أن المعرفة بالآخر هو السبيل الوحيد للالتحاق بركبه ومسائره . وهذا ما جعل الباحثين يجمعون على أن السبيل الوحيد للتقدم والسير نحو المستقبل هو المزاجية بين التراث والحداثة وهو موقف لا مفر منه ، لأن هذا التقابل " يعود إلى أن رواد الخطاب النهضوي ، في غمرة اجتهادهم لإلحاق العرب بالركب الحضاري الغربي ، لم يجدوا بدا من الجمع بين المرجعية الغربية ، باعتبارها نموذجاً للنهضة ، والمرجعية التراثية بوصفها هوية ثقافية لا محيد عنها 4".

وإذا كان رواد النهضوي من أمثال محمد عبدة وشكيب أرسلان وصبري الشميل وبطرس البستاني وسلامة موسى وزكي نجيب محمود وغيرهم قد عملوا على تجسيد التمهيد الذي وجدت فيه الثقافة العربية نفسها ، في ضل سياق تاريخي

تميز بتخلف المجتمعات العربية على جميع الأصعدة ، وبالزحف الاستعماري على العالم العربي ، فإن الصيغ التي اقترحوها لرفع التحدي الحضاري لم يكن ليخرج عن نطاق التوفيق بين ما اعتبر من صلب الثقافة العربية وبين الثقافة الغربية . لذلك " كانت الرجعة إلى التراث حركة بدائية رجعية بأسلوبها ، تقدمية بدوافعها كتعبير عن التحفز القومي لمواجهة التحديات الاستعمارية القديمة ، ثم الجديدة "5.

وهنا يتبين لنا أن تحديات تصفية المنطقة من الاستعمار ، دفع بالنقاد والباحثين إلى وجوب العودة إلى ماضي الأجداد والحين إليه لخلق تواصل دائم بين الحاضر والماضي وبين الأجداد وجيل المستقبل ، حتى لا تكون فجوة ولا انقطاع مع هذا التراث ، وبالتالي يصبح المثقف قادرا على مواجهة كل ما يفرضه عليه العصر .

وعليه فالعودة إلى التراث شكل عند الباحثين العرب وسيلة لمقاومة الآخر ، خصوصا بعد الهزة العنيفة التي أحدثتها الثورات العربية الإسرائيلية ، وقوة مقاومة لكل وافد غربي من وراء البحار ، وهنا كان " التراث بالنسبة لهم وسيلة المقاومة والدفاع عن الذات في مواجهة الآخر ، خصوصا بعد النكسة⁶ 1967" كما يعتبرون أن " التراث الغزير قادرا على تنشيط خلايا المقاومة التي يمتلكها وتزويدها بمختلف الأدوات والأسلحة القمينة بالدفاع عن قداسته كلما دعت الضرورة إلى ذلك "7.

لكن الملاحظ على بعض الدراسات العربية الحديثة أنها تميزت بالسطحية والتسرع ، وذلك لعدم الوعي بالمنهج الغربية الوافدة مما زاد من حدة العضلة ، وبقي المثقف العربي يتخبط بين ثنائية التراث/الحداثة ، وعليه " رسم الخطاب العربي لنفسه منذ ذلك الحين، الدائرة التي ما زال يسبح في فلكها إلى يومنا هذه ، فمنطق التوفيق لا يمكن أن يخلق سوى فكر مهادن يجيد عن الحلول الجذرية ، ويكتفي بالمعالجة الآنية ، التي تسم عادة بالتسرع . ولهذا فإن التصور الذي بناه رواد النهضة في نهاية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، كان من أسباب بروز مشكلة التراث بالحداثة التي طرحت بها "8.

وهذا التسرع أدى بالقراء المحدثين إلى زيادة في حدة الأزمة التي وقع فيها ، نتيجة ابتعاده عن السياقات التاريخية والاجتماعية التي نشأ فيها التراث ، وراح يدرسونه بمعطيات خاصة غربية متعلقة بمجتمع له نظمه وقوانينه الخاصة وهنا لابد من الباحث العربي الدراية بالمستعار الغربي من مصطلحات ومفاهيم ومناهج ، حتى يتسنى التعامل مع تلك الآليات والوظائف أثناء قراءته للتراث بعيد عن التسرع والعجلة ، وكذا بعيد عن التهافت على المعطى الأجنبي الجاهز ، ليتمكن بعد ذلك من مقارنة النصوص وتحليلها شكلا ومضمونا وغايته في ذلك هو البحث عن دلالاتها واستنتاج معناها .

لكن من جهة أخرى حينما نقارب التراث لا ننظر إليه على أنه حقيقة مطلقة ونهائية لا يمكنها التغيير والتأويل ، كما أنه صنم يعبد ، بالرغم من وجود سياقات تاريخية واجتماعية خاصة أوجدته ، وإنما هو أداة لتوجيه الفرد وتغيير سلوكه نحو الأفضل وعليه فالجدل القائم حول قراءة الماضي " يستلزم أن ننظر إلى التراث بوصفه نصوصا لا قداسة لها على الإطلاق ، لا بوصفه حقائق مطلقة ونهائية ومقدسة في آن ، وإنما يشكل معيار للحياة يوجه السلوك ويقود الفكر "9.

وعليه فإن إخضاع النصوص للعملية القرائية ليس تحريفا للنص التراثي ، وإنما هي عملية تحرير الذات والنص معا من الحقائق المطلقة والنهائية ، وتهدم الكيانات المقدسة ، ومن ثم تجعلنا القراءة " نتحرر من سلطة النصوص لننتقل إلى سلطة التأويل ، وسلطة التأويل ليست ذات طبيعة استبدادية بالنصوص ، أو ما يمكن أن نطلق عليه عملية الإسقاط في القراءة ، وإنما هي ذات طبيعة جدلية تؤكد على أن التأويل سلطة عاملة تحرر الذات من أوهام الحقائق المطلقة والنهائية وتحررها من عقد النقص والشعور بالدونية "10.

وبذلك يصبح التأويل عملية لتحليل النصوص التراثية والنظر إليها على أنها مادة قابلة للدراسة والتفكيك لا كيان ثابت مقدس .

وهنا يتبين لنا أننا حينما نقارب التراث لا نعطيه أكثر من قيمته ، وإنما ننزع عليه القداسة والسلطة ، وندرسه كأبي نص من النصوص ، صحيح أن هذا التراث له ميزة خاصة كونه تراث أوجد رجال بذلوا قصارى جهدهم من أجل إنتاج هذه الأعمال العظيمة التي أثرت المكتبة العربية القديمة ، وموقعنا من هذا التراث لا نبحث في ما أنجزه هؤلاء وإنما البحث عن الوجوه المسكوت عنها في ذلك التراث ، لعلنا نصلح بما حاضرننا ونصنع مستقبلنا.

كما أنه لا يمكن قراءة التراث ، إلا بالاستفادة من المعطيات والآليات والوظائف التي يطرحها العصر ، سواء كانت عربية أنتجها النقد العربي الحديث ، أو وافدة استعارها من النقد الغربي الحديث ، وهنا تكون المعرفة ذات بعد إنساني فهي ليست ملكا لأحد دون الآخر ، وهذا ما يجعلنا نقرأ الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني مثلما نقرأ "دي سوسور" ودريدا " وندرس نقادنا المعاصرين أمثال "مصطفى ناصف" و" جابر عصفور" و" عبد السلام المسدي" و" وعابد الجابري" و" حسن حنفي" و" علي حرب" مثلما ندرس "ريتشاردز" و" ريكور" و" إيكو" و" فوكو" ، وهكذا يصبح الجدل القائم بين الأنا والآخر غني ومثمر ومعطاء.

ورغم هذا الجدل والسجال بين التراث والحداثة ، فإن البحوث والدراسات ساهمت بقدر فعال في تحريك فكر الباحث العربي عموما ، والفكر النقدي بشكل خاص ، وأفرزت مجموعة هائلة من القراءات النقدية الحداثية ، وتقترح في نفس الوقت مجموعة من البدائل المنهجية والإجرائية والجمالية التي تبشر بلغة نقدية جديدة تتداولها كوكبة من الباحثين مع الانفتاح على رباح الغرب الوافد11.

قراءة التراث العربي وإشكالية المنهج

إن إشكالية المنهج من إشكالات التي طرحتها الدراسات العربية النقدية ، وهي معضلة واجهها معظم النقاد المعاصرين عند مواجهتهم للنصوص الشعرية القديمة،وعليه فعملية اختيار المنهج المناسب للعملية القرائية يتطلب جهدا كبيرا من طرف الدارسين ، حتى يصلوا إلى الأداة الأنجع للتحليل النصوص وتحقيق المعنى المنشود.

وبالتالي " باتت إشكالية المنهج في الدراسات العربية موضوعا عالقاً لم يحسم فيه بعد بالرغم من سيل الدراسات النقدية التي عرفت هذه القضية ، ولا يمكننا الحسم في ذلك بالقول إن هذا المنهج الصالح أو هو وحده القادر على كشف مكنون النصوص بطريقة إطلاقيه كما نرى في دراسة بعض المحدثين12 "

وهنا لا نحكم على أن هذا المنهج صالح لهذه الدراسة أو تلك إلا إذا عرفنا خلفية كل منهج ، لأن لكل منهج خصوصية وميزة يتصف بها عن غيره والحديث عن المنهج في بنية الثقافة العربية موضوع صعب المنال ، لأنه إشكال مازال إلى يومنا هذا لم نجد له أي حل وذلك " يعود بالأساس على بنية الثقافة العربية المعاصرة التعرف حالة عدم الانسجام بين مكونات الذاتية ، وصراع هذه المكونات بحكم اختلاف المذاهب والرؤى والمواقف¹³."

وعليه فجل الدراسات في الثقافة العربية تعيش حالة من الانفصام بين الذات والذوبان في الآخر ، وهذا التناقض والاختلاف جعل النقاد و الدارسين يقعون في عدة مطبات ولا يجدون لها حلول وذلك بحكم تنوع في الخلفيات والرؤى والمواقف.

وإذا بحثنا عن المظهر الأساسي لهذه المعضلة وجدناه " يعود إلى قبول أو رفض ثقافة الآخر الوافدة من بيئات معرفية بعيدة من حيث الخصوصيات التاريخية والحضارية عن تراثنا العام والشعري بوجه خاص ، وهذا ما يدفعنا إلى اعتبار العلاقة التي تربطنا بالآخر الثقافي هي جوهر الاختلاف بين دارسي الشعر العربي القديم... 14."

ولعل المتأمل إلى تاريخ الدراسات العربية والحركة الأدبية يلاحظ أن اللبنة الأولى لهذا السجل يعود بالدرجة

– القراءة الحداثية للتراث عند أدو نيس

الأولى تاريخياً إلى زمن النهضة العربية ، وحنين الشاعر العربي إلى التراث العربي القديم من أجل إمالة اللثام عليه من أجل البحث عن الأوجه المضيئة فيه حتى يقتدي بماضي الأجداد .

الأمر الذي دفع بظهور اتجاهات تدعو إلى الإصلاح في جميع الميادين وخاصة الجانب الفكري وبالتالي " فإن مشروع النهضة بقدر ما هو حلم استشرفته اللحظة العربية الحديثة ، بقدر ما طرح عدة إكراهات وصعوبات استحالت في معظم الأحيان كوابيس تقض مضجع الإنسان العربي وتحيله على الانتظار والعدمية.. 15."

وعليه فقد طرحت النهضة موضوع دراسة ومراجع تراث الأجداد ، لكن هذه المقاربة تطلبت البحث عن المنهج الأنجع لها مع مراعاة الخصوصية العربية هذا من جهة ، وفي نفس الوقت التعايش مع السيل الجارف للدراسات والنظريات الغربية الحديثة التي استطاعت الدخول إلى بيت المثقف العربي

تعتبر النهضة الانطلاقة الأولى للنقاد العرب المعاصرين لقراءة التراث العربي ، وبذلك تعددت الرؤى والمناهج القرائية له من هنا ذهب معظم النقاد إلى دراسة المنظومة التراثية من أجل استنطاقه للبحث عن الجوانب المضيئة فيه والتأسيس له والانطلاق منه لعيش الحاضر الجنوح نحو المستقبل .

ولعل أدونيس واحد من الذين قاربوا التراث العربي القديم ، وبحثوا فيه من خلال ربطه بسياقاته المعرفية والتاريخية له ، وذلك من أجل الخروج بقراءة حديثة حداثية تمكنه من مساندة الفكر العربي الحديث ، والدراسات الغربية المعاصرة .

من هنا يمكن طرح عدة تساؤلات حول منه المفكر أدو نيس في قراءة التراث ومدى إثراته للقراءات التي سبقته كقراءة طه حسين للأدب الجاهلي ، وغيره من الدراسات التي حاولت دراسة وتحليل التراث للبحث عن كوامنه ، وجعله مطية للنهوض بالواقع العربي وتحديثه .

- ما الخلفيات النقدية والمعرفية التي انطلق منها أدونيس في قراءة التراث ؟
- هل انطلق أدونيس في مقارنته للتراث من التراث العربي أم أنه اسقط نظام الحداثة الغربية على التراث ؟
- كيف صاغ أدونيس رؤيته في التأصيل لهذا التراث في كتابه "الثابت والمتحول" ؟ وهل حقاً استطاع بناء نظرية عربية خالصة لدراسة التراث العربي ؟

الخلفيات المعرفية والنقدية لقراءة التراث عند أدونيس

1/ أدونيس والحداثة النقدية الغربية

كانت للحداثة النقدية الغربية بالغ الأثر في منهج أدونيس ورؤيته في تقويم التراث ، فقد اتكأ المفكر على المنهج الغربي ومختلف المنطلقات النقدية والمعرفية الألمانية والفرنسية في دراسة وتحليل النص الشعري التراثي العربي ، وهو بنفسه صرح بذلك في الكثير من موطن وفي العديد من كتبه ، بداية من كتابه الموسوم بالثابت والمتحول إلى كتبه المتأخرة ، وقد جاء في إحدى كتبه النقدية قوله الذي يؤكد ذلك : "حين أقرأ رامبو ومن يجري مجراه ، أقرأ شرقي العربي في صوت غربي: الهرب من نظام العقل ، والارتقاء في حيوية الجسد وتفجر القوى اللامنتطقية ، كالسحر ، والحلم ، والرغبة ، والخيال . وحين أقرأ ريلكه ومن يجري مجراه ، أقرأ التصوف العربي ، غوصاً في ماهية الانسان ووحدة وجوده وهشاشة عالمه . وحين أقرأ السوربالية أقرأ كذلك التصوف العربي ، شطحا وإملاءً وانخطافاً . وحين أقرأ دانتي ، أو غوته أو لوراكا ، أو غونار أيكولف ، أرى أضواء عربية تتلألأ في دروب التي تدرکہا كتاباتهم الغربية : أذكر هذه الأسماء ، تمثيلاً لا حصراً ، لأقول أن تأثرهم هنا بالشعرية العربية هو نوع من لقاء الذات بالآخر..16 "

وجاء ذلك التأثير صريحاً في كتابه " الشعرية العربية " ، بقوله : " أحب أن أعترف بأنني كنت بين من أخذوا من ثقافة الغرب ، غير أنني كنت كذلك بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزوا ذلك ، وقد تسلحوا بوعي ومقومات تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة ، أن يحققوا استقلالهم الثقافي الذاتي . وفي هذا الإطار أحب أن أعترف أيضاً أنني لم أتعرف على الحداثة الشعرية العربية من داخل النظام الثقافي العربي السائد وأجهزته المعرفية ، فقراءة بود لير هي التي غيرت معرفتي بأبي نواس وكشفت لي عن شعريته وحداثته وقراءة ما لارميه هي التي أوضحت لي فأسرار اللغة الشعرية وأبعادها الحديثة عند أبي تمام وقراءة رامبو ونرفال وبيرتون هي التي قادني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بفرادتها وبهاؤها . وقراءة النقد الفرنسي الحديث هي التي دلتني على حداثة النظر النقدي عند الجرجاني ، خصوصاً في كل ما يتعلق بالشعرية وخاصيتها اللغوية التعبيرية¹⁷ . "

ويمثل هذا الاحتكاك عند أدونيس جزءاً من حرية الإبداع التي يمارسها القارئ على نصوص بعيدة عن إطاره الثقافي رغبة منه في الحوار والانبهار ، فيؤكد من خلال قراءته للثقافة الغربية: " أن تاريخ هذه القراءة يشكل خروجاً عن الثقافة الأم لمعرفة نتاج الآخر ، وهو جزء من الحوار الثقافي الذي ...يعتمد على تقديم القارئ قراءة لنتاج غير نتاجه وفق ثنائية

الغرب / العرب 18" ، والتي تمكنه من تكوين وعي ثقافي نقدي يقترب من المنجز الثقافي الغربي ليكون مقوما للنص والمنجز العربي.

ويرى أدو نيس أن حداثة الثقافة العربية منوط بمدى احتكاكها بالغرب، وفي هذا الصدد يقول: " ففي تاريخنا لم تنهض الثقافة العربية، بالمعنى الدقيق لكلمة النهوض إلا باتصالها بالآخر، التصوف اتصال بالآخر، ابن سينا والفارابي وابن رشد قامت ثقافتهم على العلاقة بالآخر، الحركة العلمية قامت على العلاقة بالآخر، صارت للذات العربية هوية بدءا من علاقتها بالآخر 19" . التي تسمح بثناء وغنى الدراسات اللغوية والنقدية .

2/ التراث و التأويل الأدونيسي

إن حالة الترحال الثقافي والعرق الذي تعيشه الحركة الثقافية العربية في المفاهيم القديمة والمناهج المستهلكة تدفعنا إلى إعادة النظر في واتنا وتاريخها وإنقاذ ما تبقى من رصيدنا الحضاري .

لقد بدت لنا مهمة إنقاذ الماضي من خلال إعادة بناءه ضرورة جدا وحاسمة في أن ذاته ، مثلما كانت في نظر أدونيس ذلك الرجل الذي يقف بين الضفتين " ضفة الغرب السعيد بانتصاراته ، وضفة الشرق المحبط بمزائمه وخوفه من القادم ، ...ضفة الماضي المشرق وضفة المستقبل المجهول " 20، وهذا لا يعني انتقاصا من الماضي وتقليل من قيمته ، بل على العكس إنه ترسيخ للإيمان بأن أول خطوة في طريق بناء المستقبل هي الوعي بالماضي .

وبالتالي " فالماضي له وجوده المستقل دون شك ، بمعنى له وجودا تاريخيا في الماضي (وجودا بالمعنى الأنطولوجي)، أما بالمعنى المعرفي (الإبستمولوجي) ، فإنه مستمر يشكل الحاضر ، كما يعيد وعينا الراهن إعادة تشكيله . إن العلاقة بين الماضي والحاضر بهذا الفهم ، علاقة جدلية" 21

ومن هذا المنطلق يكاد يكون أدونيس على المستوى النظري والتطبيقي أكثر النقاد إدراكا لهذه العلاقة التي تقوم على ثنائية الهدم والبناء ، والتي تسعى إلى إعادة قراءة الثقافة العربية ، والبحث عن المواطن المضيفة فيه ، والتي توأكب الحدائث ، ولعل مشروعه " الثابت والمتحول " دليل على ذلك.

لكن لا يعني أن الرؤية الأدونيسية خالية من كل عثرة وبعيدة من كل نقص وبالتالي تبقى محاولة مهمة على درب الوعي والتأويل .وهنا "يصبح الوعي بالتراث كافة وعملية اجتراحه أو هدمه بهدف بنائه ، لا تكون إلا عن طريق استبدال المناهج والطرق القديمة المؤدية إلى الحقيقة ثم البحث عن بدائل جديدة" 22

وعليه يكون التأويل الآلية الوحيدة التي من شأنها الوصول إلى حقيقة هذا التراث باعتباره النافذة التي نطل منها للتطلع للمستقبل وفهم حاضرنا وذواتنا.

3 /قوانين التأويل الأدونيسي

إن القبض على المشروع الأدونيسي تتطلب قارئاً واعياً وحصيفاً ودارساً حاثقاً وذلك نظراً لما يحمله هذا الباحث من فكر يهرب من كل قيد وكل عقاب ، فالمهمة _ إذا _ ستصبح مضاعفة أمام استراتيجيات التأويل الغائمة والمستعصية

أحيانا كثيرة " والجهد الذي يبذله الناقد حيالها هو قوة فائقة على الاستدعاء والاستحضار.... والكر والفرّ في طرق ملتوية ومنعطفات كثيرة "23.

وهنا على المؤول أن يتسلّح بآليات التأويل تجعله يكابد المصاعب من أجل الوصول إلى المعنى والهدف المنشود ، فالطريق شاق والمسافة طويلة " فأدو نيس بمنحك الانخراط في حواراته ، وهو الرجل العابر للثقافات ، وهذه الفرصة ليست مجانية ، ولكنها تدفعك إلى اكتساب ملكة حجاجية تسمح لمرافقة الفيلسوف في شطحاته الفكرية والثقافية الأدبية والأخلاقية ، وكذا الدينية "24. التي تساعد على القراءة والتحليل .

وهنا يمكن أن نستشف مبادئ التأويل عنده أنها تمحورت على عدة قوانين وذلك أثناء مقارنته التراث ويمكن حصرها في :

أ/ مبدأ الاختيار والانتقاء

لقد مارس أدونيس على التراث فرض سلطته ، دون وعي أو بالأحرى دون التقييد بمنهج علمي ينطلق منه فهو بالتالي " لا يترك النصوص حرة _ من دون اختيار _ لأن الاختيار يأسر النصوص في حجم معين مرتبط بدّفتي كتاب ، لم يفكر المبدع صاحب النص الأصلي في إنحازه إذن فالاختيار هو عمل هامش للنص الشعري سرعان ما يحل محل المتن ليصبح هو المتن فارضا سلطته جديدة تنفلت من منشئ النص لتتحول إلى صاحب الاختيار "25.

وعليه فأدو نيس قد أخرج النص التراثي من سياقاته ليدخله في رغباته واستنطاقه ما لا ينطق به وهذا فيه قتل للنص وغموض في المعنى .

وهنا نلاحظ على أدو نيس أنه حول بفضل التأويل المرحلة الشعرية العربية إلى إطارا جديدا بحيث تم تحرره من عالمه القديم ، وذلك باعتبار26:

_ اعتبار الشعر فن يتطلع ويتخطى .

_ يجب أن تنشأ مع كل شاعر طريقته التي تعبر عن تجربته وحياته لا أن يرث طريقة عامة نهائية في الشعر.

_ على القارئ أن يرقى إلى مستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يقدم للقارئ أفكارا بأسلوب يعرفه الجميع .

وقد اعتبرت الأستاذة أمال منصور في كتابها " إستراتيجية التأويل عند أدو نيس " ، أن أدو نيس قد استمرت معه النظرة الانتقائية ، حتى في ما يسميه الحاضر وبدايات التحوّل فقد اختار الشاعر العربي " جبران خليل جبران " في مقدمة للشعر العربي بوصفه نبي عصره فقد أخرج الشعر من التقليد الأعمى إلى الحداثة ، وكذا في كتابه الثابت والمتحول مثلا للنتاج الثوري الأخلاقي الصوفي27 " ففيه يحوّل الشعر إلى فعل حياة وإيمان ، وفيه قشعريرة غنائية مشعبة بلهب التمرد على الواقع ، والتطلع إلى واقع أكثر سمو وأجى "28

وهنا وصفه بأنه صاحب الحداثة العربية الثانية فهو شاعر رؤيويًا يطمح إلى تغيير العالم ، قد يصفه أو يفسره أو يغيّره.

وبالتالي لا يكون لتأريخ الشعر العربي _حسب أدو نيس_ قيمة إلا إذا امتد نحو المستقبل ، فكل مشروع يطمح للتطلع ، لذا" فالشاعر العربي الجديد في مغامراته هذه يتجه نحو المستقبل ، في تهيام غامر، مدرّكاً أن كل جزء من العالم لا يعرفه هو جزء آخر من نفسه لم يكتشفها بعد ، وفي هذا الهيام يدرك أن جديده الحقيقي يعانق القديم الحقيقي".29

وبهذا يصبح الشعر بمذه الرؤيا يكون روح الحياة ونبعها الصّافي ودمها المتحدّد ، ولكن هذه العلاقة التي يقدمها أدونيس بين القديم والجديد هي علاقة جدلية ، على الرغم ممّا فيه من الانتقائية ، فهي تعنى التفاعل الدائم والحركة المستمرة التي تجعل الحديث عن طرف ساكن أمراً مستحيلاً "30

وعليه فالعلاقة الموجودة بين القديم والجديدة هي علاقة تفاعل لاعلاقة إتباع لذلك فهو " ملزم يجعلها يتغيران ويتحركان ويتبادلان المواقع ، بسبب التشابه الحاصل بينهما ، فلا يصبح الحاضر خاضعاً للماضي ، ولا يبقى الماضي أسير عصره "31. وهنا يصبح التراث أداة كفيّلة بحل أزمت العصر التي تخص الجماعة وبالتالي " فالتراث هو المخزون النفسي لدى الجماهير وهو الأساس النظري لأبنية الواقع "32.

وهنا نجد أدونيس ينادي بتجدد التراث ، فالتراث يساعد الجماهير على حل مشاكلهم وكذا أزمت العصر ، باعتباره المخزون النفسي لدى الجماهير والدافع الرئيسي للتطلع نحو المستقبل.

لكن التأويل عند أدو نيس يتحول إلى لعب لا يمت للمنهج العلمي بصلة بل هو خاضع أولاً للأهواء والميولات ودورها في إثبات الذات .

وعليه يصبح " الاختيار يثير معنى الانحياز لنصوص على حساب نصوص أخرى ، فهي تعبر عن فعل الاختزال يمارسه أدونيس على النصوص وعلى الشعراء معا ، ويتمثل هذا الاختزال في عدم معرفة الشاعر الجاهلي بصورة منفردة وإنما يتعرف عليه ضمن أصوات الأخرى"33 وهنا فيه قيد لحرية الشاعر وقتل للنص وفرض عليه سلطة تجعله لن ييوح بكل شيء سوى ما يريده هذا القارئ.

ب/ مبدأ حوار مع الأصل

يتمفصل الحوار مع الأصل عند أدو نيس ، في أنه كان يقاربا التراث العربي وأثناء دراسته قام برصد ثلاث مراحل هي:

_ مرحلة القبول.

_ مرحلة التساؤل .

_ مرحلة التحول.

كانت **مرحلة القبول** أن تربط علاقة الشعر الجاهلي بالواقع والبيئة ، باعتبار الشعر في تلك الحقبة الزمنية كان ذو وظيفة جمالية وفعّية، وهناك أصبح وسيلة اتصال الإنسان بالعالم الذي يعيش فيه ويطلق عليه بمرحلة القبول ، وقد وصفها بأنها مرحلة الإلتباع والألفة لا مرحلة الخلق والإبداع .

وبالتالي فالشعر الجاهلي _ حسب أدونيس _ صورة مطابقة للواقع ونسخة منه ، لذلك فالشاعر يقوم بوصفه وصفا حسياً : " فيصفه ويشهد لوجوده من خلال التأريخ له ، إذ لم تكن غاية الشاعر العربي أن يغيّر العالم أو يتخطاه أو يخلق

عالمًا آخر، وإنما كانت غايته أن يتحدث مع الواقع، ويصفه ويشهد له. يجب الأشياء حوله لذاتها ولما تمثله، ويضع كل شيء حيث يفرح به ويفيد منه. لا يحاول أن يرى في الواقع أكثر مما فيه، وإنما يحاول أن يراه بكل ما فيه "34.

وهنا يصبح الشاعر ابن بيئته يتمثل الواقع الجاهلي الذي يدور حوله، فلا يستطيع الخروج عليه، فهو حين يبدع الشعر انطلق من أفكار جاهزة وتراكمات معرفية سابقة اكتسبها عن طريق نظره الحسي للعالم والأشياء يؤثر فيها ويتأثر بها، ولعل: " ما غيب الحس التأويلي عند الشاعر الجاهل بناء على تحليلات أدونيس، فهو يرى أن هذا الشاعر ما فتى ينظر إلى الأشياء بأفكار مسبقة، نابعة من استعادة مستويات الإدراك المخزنة عن طريق حاسة النظر التي طالما عملت على رصد مجموع الصور الشعرية بجمهورية لا تسمح أن يجيد عنها "35.

وعليه فالشاعر الجاهلي لديه هو مصور فوتوغرافي يعبر عن الحياة الجاهلية كما يراها دون أن يجيد عنها، فهو يصف الأشياء وصفا حسيا بسيطا واضحا، لذا: " فالشاعر الجاهلي ينظر إلى الأشياء بأفكار مسبقة كان يحسها ويراهما كما هي بسيطة واضحة: لا تحبى بالنسبة إليه أية دلالة متعالية أو أي معنى ميتافيزيقي، ثم أن شعوره بالانفصال عنها هو شعور كامل بذاته المستقلة، ففي الجاهلية تعارض جوهري بين الذات والموضوع، غير أن بينهما جدلا يهدف به الشاعر إلى القبض على الأشياء، فهو جدل انفصام يملك ويسيطر، لا جدل اتحاد "36.

وهنا يبين أدونيس أن العلاقة الموجودة بين البيئة الجاهلية والشاعر هي علاقة جدلية هدفها نزوع الشاعر نحو السلطة والحكم وامتلاك للأشياء لذلك تكون خاضعة له، فهو النبي وهو السلطان وهو القائد ورئيس القبيلة. وبالتالي تصبح الطبيعة الجاهلية مكانا وحقلًا لتجارب ذلك الشاعر يحقق فيه تفاعلاته اليومية دون محاولة منه إلى تغيير الواقع المعاش لذلك يقول: " فليست الطبيعة في الجاهلية قيمة، وهي لا تنطوي على أخلاق ما ولا تعلم شيئا، كان الجاهلي على العكس يرى فيها وحدته المرعبة ويتيقن ألا صديق له غير بسالته، وكانت تخلق في نفسه إرادة القوة واليقين وبسيفه وبطولته يقينا كلياً "37.

وأكد أدونيس عند قراءته للشعر الجاهلي، أن القانون الذي يتحكم في البيئة الجاهلية هي قانون الغاب، القوي يأكل الضعيف، وفي هذا يقر أن العلاقات الاجتماعية التي تحكم أفراد المجتمع الجاهلي مبنية على القوة والبقاء للأصلح وان هذه القوة هي أساس تحديد مصير الإنسان وفي هذا الصدد نجده يقول: " وكان وجود الشاعر في عالم كهذا لا قاعدة له غير القوة قائما على البحث والقلق وحرية الحركة والعمل إلى حد الأقصى فيقينه بذاته ومصيره ينبعث من كون هذا العالم دون قاعدة فينفضل ويتراجع ويعلن استقلاله ويمجده حتى في الفشل والسقوط، وفي الجنون والجريمة فالمطهر الحقيقي بالنسبة إلى الشاعر الجاهلي، هو في الحياة لا فيما وراء الحياة "38.

ويتابع أدونيس حديثه عن سلطة الدهر عند الشاعر الجاهلي بتجلي الكتابة عند الشاعر العربي، حيث تكون العلاقة مع هذا الدهر علاقة يحكمها الصراع، من أجل البقاء والوجود، حياة أو موت وفي هذا يقول: " وأعني بالهر القوة الخارقة التي لا يمكن مقاومتها تأخذ كل شيء وتغير كل شيء، أمام هذه القوة يحس الشاعر الجاهلي أنه عاجز ولا حيلة له، إنها ليست قوة الموت، بل قوة الحركة الأفقية التي تدرج في تيارها ظاهرة الغياب (غياب الحبيبة والأهل والقبيلة)، إنه شيء

خفي ، سيأتي من الخلف مفاجئاً ، لا يغلب ، ومجيئه حتمي _ الآن أو غداً أو بعد هنيهة _ هذه القوة ليست ظاهرة عابرة ، وإنما هي نمط الحياة "39. حينها يصبح هذا الشاعر فارساً متمرداً على هذا الدهر ، حاملاً لصيحة الرفض والكفاح من أجل إثبات الوجود والعيش بقوة.

ويمكن تلخيص مرحلة القبول في الشعرية الجاهلية عند أدونيس إلى نقاط أساسية :

لم يكن الشاعر الجاهلي ، ينظر إلى الأشياء برؤيا كشفية وإنما كان يحسها ويراهها كما هي بسيطة واضحة .
الشعر الجاهلي شعر شهادة ، لم تكن غاية الشاعر العربي أن يغير العالم أو يتخطاه أو يخلق عالماً آخر .
العلاقة بين العالم وأشياؤه من جهة ، والشاعر الجاهلي من جهة ثانية ، تسير في غاية الوضوح : وفقاً لصيرورة عصية على إرادة الشاعر والأشياء معا .

الشعر الجاهلي يصدر عن حساسية متمردة بقدر ما هي أليفة الكرم - الاستسلام والخشوع أمام الضيف - هو الوجه الآخر في سبيل التملك.

الشعر الجاهلي هو هذا الجدل المحب المفرح الحزين الفاجع بين الدهر المعتم والبطولة الشفافة بين الحتمية والحرية ، والصلابة والعفوية والضرورة، والانبثاق "40

ما نستنتجه من خلال هذا العرض لهذه المرحلة إنها مرحلة تأثير وتأثر ، فقد عدها أدونيس صورة طبق الأصل عن الشعر الجاهلي والشعر فهذه المرحلة هو شعر ألفة وإتباع لا شعر كشف ورؤيا وتغيير . لذا كان الشاعر الجاهلي تغيب لديه الرؤية التأويلية، المبنية على الرفض والتجاوز والهدم ، بل كانت نظرة حسية مقتصرة على البساطة والوضوح .

_ مرحلة التساؤل

ذهب الناقد أدونيس إلى إعادة قراءة التراث (الشعري والنقدي) في مرحلة التساؤل ، والتي مثلت فنياً مرحلة التحول والخروج من عمود الشعر العربي ، ومثلت اجتماعياً مرحلة الرفض للقيم السائدة وإعادة النظر فيها .

فقد كان هم الشاعر المحدث هو الرغبة الجارحة في خلق أسس إبداعية جديدة سمتها الفرادة ، لا تخضع لسلطة التقعيد المسبقة ولا لإملاءات شكلية وجمالية لا تنبع من الذات الشاعرة نفسها " لأن الانتقال من القبول إلى التساؤل هو الخط الذي ترسمه الحساسيات الشعرية العربية بين امرئ القيس وأبي العلاء المعري في القبول رضي وطمأنينة ويقين ، وفي التساؤل تمرد ورفض وشك ، القبول فرح بالأصل والنبع ، والتساؤل قلق عليهما ، إنه المسار الذي يمتد بين حتمية الابتعاد عنها والرغبة في العودة إليهما والبقاء فيهما . القبول علامة الثبات ، والتساؤل علامة تحول " 41 ، وبالتالي فالتحول _ حسب الباحث _ هو الرفض وعدم التقليد والدعوة إلى الإبداع والخلق وتجنب الإتيان .

كما اعتبر أدونيس مرحلة التساؤل هي مرحلة تقديس الذات الشاعرة والسمو بالأنا ، هذه الأنا التي استطاعت الخروج بالشعر من دائرة الخمول إلى دائرة الثورة على المبتذل والمألوف ، وقد طرح المفكر وتكلم عن العديد من الشعراء الذين ثاروا عن التقليد وعن السلطة باعتبارها المثبط الذي يقف ضد التحول والإبداع والتقدم ومن هؤلاء نجد: أبي نواس ، أبي تمام ، بشار بن برد ، المتنبي ، وابن الرومي وأبي العلاء المعري حيث عملوا على تأسيس طريقة شعرية خاصة غايتها التجاوز

والرفض والثورة وفي هذا الصدد يقول: "أصبح لدى الشاعر بالإضافة إلى هاجس التعبير ، هاجس جديد هو كيفية التعبير . فلم يعد الشاعر يقبل كل ما يناجيه به طبعه، ومنها أن للشعر باعتباره فنا ، خاصية جوهرية هي التجاوز المستمر والتطلع إلى أفاق أكثر توسعا وحدة"42.

وعليه فالتحول عند الناقد هو لا يحمل الشعر موقفا في ذاته وإنما يكون ذو رؤيا وموقفا إتجاه العالم ، فالشعر هو كشف واستبطان وتموجا وتساؤلا نحو التجديد والمستقبل

__مرحلة التحول

تجلت مرحلة التحول في الشعرية العربية _ حسب أدونيس _ في ثلاث صور أساسية ابتداء من النصف الأول من القرن العشرين ، وهي 43:

صورة التقليدية والسلفية

صورة الثورة التجديدية في الشكل والمضمون

صورة الرومانطيسي بشقيها الكئيب والتحميلي.

ففي الوجه الأول من الشعرية العربية (التقليد) لاحظ أدونيس أن الشعر العربي تظهر في أشكال وأنماط اتباعية ، تنم عن محاكاة القصيدة العربية القديمة ، وموروث السلف .

فالشعراء الذين اتبعوا هذا الاتجاه قد ألفوا شعرا يتماشى مع قواعد الشعرية العربية السالفة فلم يبدعوا ولم يخرجوا عن القيود التي وضعتها العقلية السلفية في بناء الشعر . وقد حدد هذه الفترة بشعر النهضة الذي لم يقدم أي جهد يضيف أو يغيّر في كل ما يتصل بالإبداع الشعري ، وكان معظم شعرائه ينظرون الطبيعة حولهم بأعين تاريخية ، كانت الطبيعة في شعرهم من الكلمات و التعابير والأوصاف الجاهزة المتداولة والمتوارثة"44.

وقد أعاب أدونيس أقوال النقاد الذين تكلموا عن شعر النهضة ورائدها الشاعر المصري محمود سامي البارودي ، وأقروا بأن البارودي كان له الفضل في تجديد أسلوب الشعر ، وله السبق في النهوض به بعدما عرف ضعفا في العصر الانحطاط وأيام انهزام الدولة العربية أمام المغول والتتار ، واعتبر شعر البارودي عبارة عن صورة نمطية من الشعرية العربية .

ويمكن أن نخلص أن السبيل الذي جعل أدونيس يبين أن البارودي شاعرا للنهضة يرجع إلى الاعتبارات الآتية45: هو أن شعر البارودي حمل القيم الرئيسية للقومية العربية ، وتذكير العرب بتراثهم الشعري القديم الذي عرف الخمول والضعف في عهود غابرة لذلك جاء شعره لينفض الغبار عن النتاج العربي ، والاعتزاز به ودفعه للاستمرارية .

اعتبار الفصاحة خاصة عربية ، وهذه الخاصية حملها شعر البارودي، وعبر عنها ، فهوجاء ليظهر كيفية استعادة شاعر النهضة للفصاحة العربية السالفة ومحاوله المحافظة عليها.

جعل شعر البارودي صورة للمحاكاة ، فهو نمط من أنماط القصيدة العربية القديمة التي حافظت على قيمها وخصائصها ، ووجب على الشاعر أن يلتزم بها منها (الدياتجة القوية ، العبارة العمودية الخليلية ، مواضيع الحنين إلى الأوطان ، جزالة اللفظ، متانة العبارة) .

تسمية شعر البارودي بأنه شهر البعث والإحياء ، وأن النظرة التقليدية نعتته بأنه باعث للقديم من مرقد ، مزق عنه أكفانه وأزاح عنه ذيول النسيان 46"

والواضح أن مما سبق يتبين لنا أن انطلق من السياقات الاجتماعية و الثقافية التي جسدت تقليدية البارودي على أساس أنه حاكي الماضي المجيد و عبر عن الأجداد العربية و البطولات ، خاصة و أن المجتمع العربي عاش الولايات تحت الحكم العثماني خلال قرون الانكسار و الانحطاط و الضعف ، و سعى بكل مجهوداته إلى التمسك بجبل ينقذه من هذه الظلامية و هن تساءل أدونيس عن إشكالية الإبداع في عصر النهضة بقوله: هل يمكن اعتبار تقدم الحركة الشعرية بفهمها لروح العصر و التعبير عنه أم بعودتها إلى ماضي الأجداد والحفاظ عليه ؟

جاءت إجابة عن هذه الإشكاليات في الصورة الثانية من صور مرحلة التحول في الشعرية العربية " حين أدرك أن مفهوم النهضة لا يمكن أن يختزل في بعث الماضي أو استحضاره أو إحياء أشكاله و أنساقه الإبداعية التي حققت غاياتها في إطار زمني ومكاني لم يعد متوفر لنا ، لهذا أضحت النهضة هي ذلك الارتباط الجذري بمفهوم التغيير "47.

وهنا تخرج اللغة الشعرية من مفهوم النمطية التقليدية التي تحاكيها شعرية البارودي و معظم شعراء النهضة إلى رحب أوسع تلامس فيها الكشف و الاستبطان ووصولاً إلى الرؤية و التأويل ، فهذه اللغة حسب أدونيس هي فعل و نواة حركة ، و خزان طاقات . و الكلمة فيها أكثر من حروفها و موسيقاها و لها وراء حروفها و مقاطعها دم خاص و دورة حياتية خاصة ، فهي كيان يكمن جوهره في دمه لا في جلده ، و طبيعي أن تكون اللغة هنا إجماعاً لا إيضاحاً 48".

و بالتالي اعتبر أدونيس أن شعرية اللغة لا تكتمل بالعودة بالماضي ووصف بطولاته المجيدة بل تكتمل حين تكون لغة رفض و تجاوز و تغيير و كشف و تحول . و من هذا المنطلق قدم لنا أدونيس الشاعر النبي جبران خليل جبران على أساس أنه استطاع أن يمثل لهذه اللغة التي حملت فلسفة التموج والرؤيا والاستبطان فلغته هي لغة صوفية إبداعية لا لغة نمطية متوارثة تحمل موقفاً من الواقع والحياة والوجود والكون " ففي نتاجه مناخ ثوري أخلاقي صوفي يحول الشعر إلى فعل حياة وإيمان . وفيه قشعريرة غنائية مشبعة بلهب التمرد على الواقع والتطلع إلى واقع أكثر سماً وأبهى مع جبران تبدأ في الشعر العربي الحديث الرؤيا التي تطمح إلى تغيير العالم ، مع جبران يبدأ معنى آخر للشعر العربي الحديث ، ففي نتاجه ثورة على المؤلف آنذاك من الحياة والأفكار وطرائق التعبير جميعاً 49".

وقد تحدث أدونيس في جل كتبه ابتداءً من كتابه " الثابت والمتحول جزء (صدمة الحداثة) عن مكانة جبران خليل جبران ، هذا النبي الرؤيوي الذي أخرج من دائرة التقليد إلى فضاء الكشف والاستبطان ، وشعره هو رسالة نبوءة رؤيا " والرؤيا في دلالاتها الجوهرية وسيلة من وسائل الكشف عن الغيب أو هي العلم بالغيب ، وهنا تتداخل جدلية الرؤيا والكشف والإبداع في جملة أدونيس الشهيرة كل رأيي كشاف وكل كشاف مبدع 50 .

أما الصورة الثالثة والأخيرة من صور التحول حسب الموقف الأدونيسي فقد أخذت اتجاهين مختلفين ضمن حيز الرومانطيقية يركز فيها الاتجاه الأول على المضمون والمعنى ، بينما ركز الثاني على الصورة الشعرية أو الشكلية

ونجد من أهم هؤلاء الشعراء الذين مثلوا الموقف الأول ، فوزي معلوف ومحمود طه ، وإبراهيم ناجي علائق جديدة فيما بين الأشياء والكائنات ، ويكون الحلم أرض هذه العلائق ومادة ونسيجها ، الحلم إذن وسيلة كشوف لا يتوصل إليها الشعور في حالة وعيه . فيه تستعيد النفس الوحدة الأولى الضائعة ، وتدخل في تواصل مع الطبيعة والله ، مع أرض البشر وسماء الألوهة فالحلم شكل من الأشكال التي تتيح لنا إعادة التماس مع أسرار الكون ، أي مع قواه الخلاقة 51".

أما الموقف الثاني من الصورة الثالثة نفسها ، فقد مثله الشاعر إلياس أبوة شبكة ، حيث حاول أن يفضح العالم ويعرضه في مناخ يشعرنا بحضور الألم والخطيئة والشر ، حيث يلاحظ أن الإنسان في هذا العالم ضحية الشر ومطية للألم ، الذي يجعله يلجأ إلى الحلم الرومانسي لخلق عالم مواز لعالمه المرفوض ، وتحقيق نشوة فنية يتغلب فيها على أهوال الواقع المعيش 52".

من خلال ما سبق نلاحظ على أدونيس أنه قارب الأصول ليبين للقارئ أنها مطية للتقدم والتغيير لا نمط من التقليد والاجترار ، وكذا جعلها منارة الحاضر وسند المستقبل ، وأن أسس الكتابة الحدائثية هي قبول الأصل ودراسته ومراجعته من أجل البحث عن الأوجه المضيفة فيه ، وهذا ما تتطلبه الحدائث المعاصرة هو مقارنة الأصل لا رفضه كلياً 53".

وهنا يتبين لنا أن أدو نيس انطلق من خلفية معرفية تدعو إلى التجديد انطلاقاً من الماضي لعيش الحاضر واستشراف المستقبل .

ج/مبدأ الانحياز:

لقد قارب أدو نيس التراث العربي في كتابه " الثابت والمتحول " بانتقاء نماذج تدعو إلى تبرير موقفه ورؤيته لذلك " فأدو نيس خلال تأسيسه لمشروعه الثقافي من الثابت والمتحول حتى ، قد عمل على انتقاء نماذج محددة من الخطاب العربي ، هذه النماذج تتكرر في مجموع أعماله فيعطي من شأن واحدة ، ويؤسس لاتباعية أخرى 54".

والملاحظ على أدون يس عند مقارنته للتراث العربي قد بسط يده " لمصافحة مكوناته ، فإنه في الحقيقة يبعثه من مرقده وهكذا تدبّ في أوصاله الحركة بفعل الحوار ، فتغدو هذه المسألة قناة تصريف الحرارة إليه ، ومناسبة تمكن من مده بنسق جديد "55".

من هنا يتبين لنا أن أدو نيس من الجيل التقدمي الذي ذهب إلى قراءة التراث ، وذلك لجعله قناة تواصل مع الماضي العتيق وهذا لعيش الحاضر واستشراف المستقبل ، فمراجعة هويتنا وثقافتنا تتطلب وعياً وعمقاً بالتراث العربي والبحث عن الأوجه المضيفة فيه

لكن المتأمل للقراءة التي جاء بها أدو نيس عند دراسته للتراث ، أنه ربط المنظومة المعرفية للتراث بسياقاتها التاريخية والسياسية وكذا الدينية ، فهو لم يدرسه بمعزل عنها (الأدب و الدين والسلطة والسياسة) ، وقد بنى موقفه وفق مبادئ ومحورين أساسيين هما :

__الثبات والإبداع

__ التحول والخلق والإبداع

ومن خلال هذان الاتجاهان مارس أدونيس سلطته على عدة خطابات جعلها تدعيما لموقفه سواء من ناحية الثبات الإلتباع أو التحول والخلق، ونجد من أهمها 56:

الخطاب العربي الفقهي: "النص في مواجهة النص"، ابن حزم، الطبري، ابن تيمية
الخطاب العربي الفكري: القاضي عبد الجبار، الإمام أبو حامد الغزالي.
الخطاب العربي النقدي: الأصمعي، الجاحظ، الآمدي.

خطاب العربي السياسي: "الحركات الثورية"، الأقليات المهمشة، الزوج والقرامطة والحوارج.

وقد أخضع أدو نيس تلك الخطابات بما يخدم مبدأي الثبات والتحول، مع أنه غيب خطابات أخرى كان لها وقع وميزان في التاريخ العربي، لذا فعملية الانتقاء الذي سار عليها الباحث قد رفعت من قيمة نصوص وأنقصت من قيمة نصوص أخرى وذلك لتجسيد موقفه وتدعيمه بما يؤسس لرؤياه التي تدعو إلى التحديث والتجديد، والتخلص من التقليد ونمطيته.

وبالتالي "فالتصنيف الشعري العربية وفق لثنائية الثابت والمتحول قد دفعت بالبحث أدونيس إلى السير نحو التحيز، والرضوخ للموجهات والمرجعيات الذاتية التي طالما ادعى أدو نيس التنصل منها، وبالتالي أدت به إلى حجب الحقيقة التي تبقى ملاذ كل باحث" 57.

وهنا يظهر لنا أن أدو نيس قد وجه الثقافة العربية وإنتاج العقل العربي لخدمة مرجعيته الذاتية، لكن القراءة النقدية الواعية تتطلب من كل باحث أن يتحرر من ذاتية وان يتحلى بالموضوعية للوصول إلى حقائق علمية واضحة المعالم. ورغم ذلك يبقى مشروع أدو نيس في الثابت والمتحول بالغ الأهمية في قراءة المنظومة المعرفية التراثية فلامسة ماضي الأجداد والبحث عن الوجوه المضيئة فيه، جعلنا نراجع حاضرنا ونستشرف مستقبلنا.

ويعد كتاب "الثابت والمتحول" مشروع نقدي، و"فاتحة النظر في التراث"، وهو أول كتاب أسس لقراءة التراث قراءة حديثة 58 "درس فيه أدو نيس الثقافة العربية كبنية ثقافية جامعة وموحدة تسري علاقاتها الحاكمة في مجمل الإنتاج العربي الإسلامي على تباين قطاعاته وتعددتها وهو الوعي بهذه البنية - ما اختار أن يقارب وجهها واحدا من وجوه التعبير عنها الإنتاج الأدبي والشعري - وإنما حرص على مقارنتها في كليتها ذاهبا للبحث عن الروابط الداخلية التي تحكم التراث العربي، وكذا معرفة النظم المادية الرمزية والفكرية التخيلية والتقريبية والجمالية للنصوص العربية القديمة. وعليه اختار أدو نيس بهذه التركيبة الشاملة لموضوع قراءته لتراث العربي الإسلامي «أن يخوض في تحدي علمي غير مسبوق وقراءة بنية الثقافة العربية برمتها منتبها إلى ما يجمع بين فروعها وأمشاجها من مشتركات معرفية 59». من أجل الوصول إلى قراءة مضيئة للتراث العربي، وسعيا منه إلى بناء نظرية عربية ذات أبعاد معرفية وحضارية عالمية.

قائمة الهوامش:

❖ 1- حسن مخاخي: المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، منشورات افريقيا الشرق، الدار

البيضاء، المغرب، 2016، دط، ص 64.

- ❖ 2- زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ، 1992، ط9، ص 6.
- ❖ 3- حسن مخاني : المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي ، ص 64.
- ❖ 4- المرجع نفسه ، ص 64.
- ❖ 5- حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ، 1988، ج1، ط6، ص8.
- ❖ 6- محمود ميري : أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين (الفضاء الثقافي والبناء المنهجي) ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، (د ط) ، ص 100.
- ❖ 7- المرجع نفسه ، ص 98.
- ❖ 8- حسن مخاني : المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي ، ص 66.
- ❖ 9- مصطفى بيومي عبد السلام : دوائر الاختلاف (قراءة التراث النقدي - دار ميم للنشر ، القاهرة ، 2015 م، ط 2، ص 46.
- ❖ 10- المرجع نفسه ، ص 47.
- ❖ 11- ينظر ، محمود ميري : أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين (الفضاء الثقافي والبناء المنهجي) ، ص 99 .
- ❖ 12- مصطفى شميعة : القراءة التأويلية للنص الشعري القديم - بين افق التعارض وأفق الاندماج - عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، 2013م، ص 99.
- ❖ 13- المرجع نفسه ، ص 99.
- ❖ 14- المرجع نفسه ، ص 99.
- ❖ 15- المرجع نفسه ، ص 100.
- ❖ 16- أدو نيس : سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت -لبنان ، 1985م، ط1، 70 -71.
- ❖ 17- أدو نيس : الشعرية العربية ، ط1، 1985م، ص 86
- ❖ 18- عصام العسل : الخطاب النقدي عند أدو نيس (قراءة الشعر أنموذجا)، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 2007 م ، 1428هـ، ص 149.
- ❖ 19- صقر أبو فخر : حوار مع أدو نيس ، الطفولة ، الشعر ، المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت -لبنان ، 2000م، ط1، ص 75.
- ❖ 20- أمال منصور : استراتيجيه التأويل عند أدو نيس ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1، 2012، ص 156.

- ❖ 21- نصر أبو حامد أبوزيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط8 ، 2008 ، ص 228.
- ❖ 22- أمال منصور : استراتيجية التأويل عند أدونيس ، ص 156.
- ❖ 23- المرجع نفسه ، ص 159.
- ❖ 24- المرجع نفسه ، ص 159.
- ❖ 25- عصام العسل : الخطاب النقدي عند أدونيس ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1، 2007 ، ص 29.
- ❖ 26- أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ط3 ، 1979 ص 43.
- ❖ 27- أمال منصور : استراتيجية التأويل عند أدونيس ، ص 164.
- ❖ 28- أحمد علي سعيد : مقدمة للشعر العربي ، ص 79.
- ❖ 29- المرجع نفسه ، ص 142.
- ❖ 30- نصر حامد أبوزيد : نقد الخطاب الديني ، دار سينا للنشر ، القاهرة - مصر ، ط2 ، 1994 ، ص : 156.
- ❖ 31- أمال منصور : استراتيجية التأويل عند أدونيس ، ص 165.
- ❖ 32- نصر حامد أبوزيد : نقد الخطاب الديني ، ص 157.
- ❖ 33- عصام العسل : الخطاب النقدي عند أدونيس ، ص 39.
- ❖ 34- أدونيس : مقدمة الشعر العربي ، ص 24.
- ❖ 35- حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، عالم الكتب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 1429 هـ ، 2008 ، ص 138.
- ❖ 36- أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، ص 24.
- ❖ 37- المرجع نفسه ، ص 25.
- ❖ 38- المرجع نفسه ، ص 25.
- ❖ 39- المرجع نفسه ، ص 28.
- ❖ 40- المرجع نفسه ، ص 29.
- ❖ 41- المرجع نفسه ، ص 37.
- ❖ 42- المرجع نفسه ، ص 4.
- ❖ 43- حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 149.
- ❖ 44- أدونيس : مقدمة الشعر العربي ، ص 78.

- ❖ 45- ينظر ، حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص. 150.
- ❖ 46- أدونيس : الثابت والمتحول ، صدمة الحداثة ، ط4، دار العودة ، بيروت 1983 ، ص 49_52.
- ❖ 47- المصدر نفسه ، 56.
- ❖ 48- أدونيس : مقدمة الشعر العربي ، ص. 79.
- ❖ 49- المرجع نفسه ، ص 79_80.
- ❖ 50- أدونيس ، صدمة الحداثة ، 212.
- ❖ 51- حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 152.
- ❖ 52- أدونيس ، مقدمة الشعر العربي ، ص. 86.
- ❖ 53- حبيب بوهرر : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، 153.
- ❖ 54- آمال منصور : إستراتيجية التأويل عند أدونيس ، ص 194.
- ❖ 55- محمد بنلحسن : التراث في " الثابت والمتحول " أدونيس (الموجهات والمرجعيات) ، كتاب الأصول
أنموذجا ، نقلا عن مجلة عمان ، العدد 167، عمان ، أيار 2009، ص 82.
- ❖ 56- آمال منصور : إستراتيجية التأويل عند أدونيس ، ص. 177.
- ❖ 57- المرجع نفسه ، ص. 195.
- ❖ 58- صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس - الطفولة ، الشعر ، المنفى - ، ص. 115.
- ❖ 59- عبد الإله بلقزيز : نقد التراث ، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، دط ،
نوفمبر 2014م ، ص192.

الخطاب العلمي في الفيسبوك - خصائصه و مرتكزاته -

"عبد الله عيسى لحيلح" نموذجًا

**The scientific discourse on Facebook - its characteristics
and its foundations -
Abdullah Issa Lahilh" model"**

بسمه زحاف (جامعة- أم البواقي/الجزائر)

ملخص:

تنطلق هذه الورقة من فرضية عدّ أغلب ما يكتبه "عبد الله عيسى لحيلح" على صفحته الفيسبوكية خطابًا علميًا مؤسسًا يفتح فيه على رواد "الفضاء الأزرق" ليطلعهم على رأيه في مجريات الواقع العربي الإسلامي عامةً ومستجداته أو إحدى قضاياها التراثية؛ بناءً على استحضاره رؤاه وأطروحاته الفكرية وفق أنماط خطابية وأدوات لغوية وتقنيات حجائية، يستهدف إيقاع التأثير في المتلقي من خلال خطابٍ رصينٍ لسانيًا يحتزن أيدولوجيةً معينةً ويعتمد على منهج تأويلي تارةً وتحليلي نقدي تارةً أخرى؛ يزاوج بين النظريات اللسانية الغربية والعربية في قراءة المعطيات قراءةً جديدةً. وهذا ما سنقاربه إجمالًا في بعض المقالات التي نشرها "لحيلح" قصد تجلية خصائص هذا الخطاب العلمي وبيان مرتكزاته.

الكلمات المفتاحية: الخطاب العلمي، الفيسبوك، الخصائص، المرتكزات، عبد الله عيسى لحيلح.

Abstract :

This paper based on the hypothesis of considering all what "Abdullah Aissa Lehilah" has written on his face book page as an established scientific discourse. He tries, through his discourses, to make the users of blue space know his point of view, in general, about the Arab Muslim world events, its developments or one of its legacy issues by declaring his opinion and ideas using different discourse styles, linguistic tools and argumentative techniques.

Thus, he aims to make an impact on the reader through a linguistically effective discourse, following a specific ideology and using sometimes an interpretative method and sometimes an analytical-critical one; he mixes the occidental and Arabic theories on a new reading data this what we are going to procedurally compare in some articles that "Lehilah" has published in purpose to make clear all the characteristics of this scientific discourse and its rules.

keywords: scientific discourse, face book , characteristics, Abdullah Aissa Lehilah.

مقدمة:

يكتسي الخطاب العلمي أهمية بالغة في كلِّ الثقافات وعلى المستويين الاستمولوجي و النفعي ورغم ذلك فإنه لم يحظَ باهتمام الباحثين في النسق المعرفي الحضاري العربي؛ الأمر الذي يعكس تباطؤًا في حركة إنتاج المعرفة عربيًا. إنَّ ما يهْمُنَّا ضمن هذا الطرح كلُّه هو؛ تحديد ماهية الخطاب العلمي ومقوماته التي يتأسس عليها مع تبيان خصائصه المميّزة؛ نظرًا لأهميته من حيث قدرته التفسيرية الواصفة في نقل المعارف والعلوم وتحقيق قفزاتٍ سريعةٍ مؤسّسة معرفيًا وذات جدوى تحليلية، كفيلة بإعادة الأمة العربية الإسلامية إلى النسق الحضاري العالمي، ويتأكّد ذلك مع الانفتاح الحاصل في مواقع التواصل الاجتماعي التي سهّلت عمليات المدارسَة و المثاقفة.

إشكالية الدراسة:

بناءً على ما سبق، يروم البحث الإجابة عن إشكالية فكرية جدلية وهي:

- هل يمكن أن نجد في الفيسبوك -عمومًا- وفي مُدَوّنات "الحيلح" -خصوصًا- خطابًا علميًا؟ وتندرج ضمنها هذه الأسئلة الفرعية:
- ماهي خصائص الخطاب العلمي؟ وماهي مقوماته؟
- هل تنطبق خصائص الخطاب العلمي على كتابات "الحيلح" في صفحته الفيسبوكية؟
- وهل لهذه الخطابات مرتكزات ترقى بها إلى درجة "العلمية"؟ وماهي هذه الأسس إن وُجِدَت؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة إلى إثبات وجود خطاب علمي في "الفيسبوك" من خلال: الاستعراض التأصيلي لتحديد مفهوم الخطاب و ماهية الخطاب العلمي مع البحث عن خصائصه ومرتكزاته في مقالات "الحيلح" كأ نموذجٍ للتحقق من صحة الفرضية. اعتمدنا مبدأ تطافر المناهج في مقارنة الموضوع بالمراوحة بين ما يتأسس عليه لسانيًا وتداوليًا وabستمولوجيًا مع إثارة بعض السياقات والمرجعيات الاجتماعية والثقافية تارةً و التوسل بأدوات المنهج التحليلي النقدي تارةً أخرى.

منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الورقة على المزاوجة بين النظري والتطبيقي؛ إذ نطرح في مقارنتنا هذه تصوّرًا نقديًا يُزاوِج بين التنظير والإجراء التحليلي فهو تنظير من جهة وقوفنا عند مجموعة من المقولات النظرية التي تُمثّل الإطار المعرفي العام الذي يضبط إيقاع ممارستنا التحليلية. ومن أهم المقولات مفهومًا الخطاب والخطاب العلمي ثمّ اخترنا بعض مقالات "عبد الله

عيسى لحيلج" لاستخراج خصائص الخطاب العلمي ابتداءً، فمركزاته التأسيسية على مستوى الشكل والمضمون. ونختم البحث بأهم الخلاصات التي كشفت عنها رحلة المعالجة.

1. مفهوم الخطاب وتطوره:

تُعدُّ مفهومة "الخطاب" خيارًا منهجيًا مُهمًّا يتعيَّن تمثُّله قصد الوعي بخصائص "الخطاب العلمي" عند "عبد الله عيسى لحيلج".

1.1. البنية المعجمية للخطاب:

يعود مصطلح الخطاب إلى مادة "خطب" وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد "ابن منظور" يُنصُّ في معجمه على أنَّ أصل "الخطاب" من خَطَبَ، يَخْطُبُ خَطْبَةً فهو خَطِيبٌ. خَطَبَ في القوم: ألقى فيهم خُطْبَةً. خَطَبَ يَخْطِبُ فهو خَاطِبٌ وخطيبٌ. خَطَبَ وَدَّه: طلب صداقته، وَخَطَبَ يَخْطِبُ فهو خطيبٌ: كان بارعًا في الخطابة. خَطَبَ فلانة: طلبها للزواج. خاطبَ شخصًا واجهه بالكلام. الخطاب: الرسالة⁽¹⁾. يتكشف لنا من خلال مقالة "ابن منظور" أنَّ الخطاب أسلوب كلامي يُوظِّفه المتكلِّم لتبليغ رسالة ما إلى المرسل إليه. هذا وقد تكون الرسالة شفهيّة أو كتابيّة. كما أنّها تتضمن "مراجعة الكلام" بمعنى المشاركة و التناوب بين المتخاطبين أثناء الفعل التخاطبي.

2.1. المفهوم الاصطلاحي للخطاب:

يعدُّ "الخطاب" أحد المصطلحات التي أثار مفهومه جدلاً واسعاً بين الدارسين؛ فلم يصلوا إلى مفهوم موحّد له نظرًا لتعدد اتجاهاتهم و زوايا نظرهم إليه؛ ولعلّ من أهمها تعريف "يوسف منتصر" الذي حدّده بقوله: « فعل التحقق الفردي للسان»⁽²⁾ فالخطاب بهذا التوصيف ممارسة كلامية تأخذ شكل الفردانية؛ وهذا ما يرر تباين أشكال الخطاب وتنوع كفاءاته وصور تحقّقه. فنجد "الخطاب الديني" و "الخطاب القانوني" و "الخطاب العلمي" ... وفي التعريف تجاوز لفكرة "الشفهي والكتابي" معيارًا للتمييز بين الخطابات وغيرها في حين أنّ البعض يُعرّفه بناءً على صورته الشفهية وخاصيته التداولية فيقول "الخطاب" هو: « الملفوظ من جهة اشتغاله في التواصل»⁽³⁾ واقعةً تواصليةً و فعلًا اجتماعيً وعمليً حجاجيً تفاعليً.

2. مفهوم الخطاب العلمي:

إذا وصفنا أيّ خطابٍ بالعلمية؛ فإنّ هذا التوصيف ينسحبُ على « كلُّ عملية تواصل لساني مؤطر بالرؤية العلمية، ويهدف بالدرجة الأولى إلى نقل محتوى علمي أو موقف نظري إزاء الإنسان أو الطبيعة»⁽⁴⁾ فالخطاب العلمي كبقية الخطابات الأخرى لا يُدَّ له من بنية لغوية تتشابه فيها المستويات الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية مع مقتضيات المقام التخاطبي لتقدّم فكرةً أو رأيًا مؤسسًا ذا محتوى علمي تطبيقي أو تأصيلي يُعنى بقضايا إنسانية أو ما يتصل بها و أخرى متعلقة بالطبيعة بكلّ عناصرها. وهذا يُحيلنا مباشرةً إلى مقومات يتأسس عليها الخطاب العلمي دون غيره.

3. مرتكزات الخطاب العلمي:

إن الإقرار بالطابع العلمي لأي خطاب، يقضي طردًا بأن هذا الخطاب يقوم على مجموعة من المرتكزات التي توطئه، ويمكن حصرها فيما يلي:

1.3. المرتكز الإستمولوجي:

ويقصد به « تحديد طبيعة المعرفة وأهدافها ومسلماتها وأسسها»⁽⁵⁾ في الغالب لا يخلو أي خطاب علمي من إطار معرفي. ومساءلة هذا النوع من الخطاب إستمولوجيًا؛ تعني البحث في طبيعة هذه المعرفة وأصولها وغاياتها ونقدها عن طريق رصد مظاهر التجديد والطفرة فيها بإعادة النظر في المطلقات⁽⁶⁾ والمسلمات والقطعيات التي يشيع الممدد زمنية طويلة أتمها صحيحة ولا تحتل التخطئة أو الشك.

يُخاطبُ "عبد الله عيسى لحليح" الأكاديمي والناقد والشاعر⁽⁷⁾ عبر صفحته في موقع "فيسبوك" أعدادًا معتبرة من أصدقائه - مختلفي الأعمار والمستويات العلمية- ويناقشهم في عديد القضايا الشائكة والمختلف فيها؛ فيلبس لبوس الطبيب الواعي بمكن الداء، فتراه يُشرح القضية تشريح المتمكن المستوعب لأبعادها؛ وربما حفظه قسطًا من القرآن الكريم واشتغاله في أطروحته لنيل الدكتوراه على "الجدلية التاريخية في القرآن الكريم" هو الذي منح هذا العمق في الطرح المؤصل لقضايا معقدة جدًا؛ كمسألة الولاية مثلاً؛ التي يقول فيها تحت عنوان "ولاية النفاق": «الولاية» مصطلح قرآني صميم وهو محوري في منظومة المفاهيم والتصوّرات القرآنية، لكن الصراع على السلطة بين العلوية والعثمانية حتى على المصطلح جنائية كبيرة؛ حيث أفقده معناه وكاد يفقده حضوره لدى فريق منهما، وإن حضر فيؤجّه متهم. فيبنّ تضخيم العلوية لهذا المصطلح وبين تقزيم العثمانية له، صار حضوره بين المؤمنين باهتًا يشي بصور وظلال وإبجاءات ليست من طبيعته تمامًا، بل هي من طبيعة الإسقاطات المذهبية عليه.

و"الولاية" رباطٌ معنويّ قيميّ بين طرفين، أو مجموعة أطراف لغير اعتبارات نفعية يكون فيه الالتقاء وعليه الافتراق. وله في "المفردات" لـ "الراغب الأصفهاني" تعريف لطيفٌ هو: أن يحصل شيان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما و ليس منهما، ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد ولهذا اعتبر الله الإيمان ولايةً لقيام روابط قيمية معنوية غير نفعية بين المؤمنين؛ فقال: **كُلُّكُمْ كِي كِي لِمَلِي** التوبة: 71. واعتبر الكفر ولايةً لقيام روابط قيمية معنوية غير نفعية بين الكفار؛ فقال في شأنهم: **أَنْ تَه بِح بِح بِح** الأنفال: 73. أمّا النفاق فليس يقوم على روابط قيمية معنوية غير نفعية، فهذا قال فيه ربنا الكريم: **أَنْ يَنْ بِي بِي بِي نَجَّ نَجَّ نَجَّ** التوبة: 67. لأنّ المنافق ينافق المؤمن وينافق الكافر وينافق المنافق⁽⁸⁾ ينطلق "لحليح" في هذه المقالة من معرفة إستمولوجية؛ فيؤصل لمفهوم "الولاية" بناءً على استقراء نصوص قرآنية وتاريخية ولغوية ممّا يعكس إحكامه علم أصول الدين الذي يرفد منه إلى علم اللغة فالتاريخ الإسلامي في عصوره الأوائل ليقدّم تأصيلًا جديدًا لمفهوم "الولاية"

يربطها بعناصر المقام التخاطبي لإحداث "التبليغ" الذي هو هدف الخطاب؛ لذلك فالتداولية من سمات "الخطاب العلمي" لأنه كبقية الخطابات يستهدف إقناع المخاطب بمضامينه، من خلال لغته الخاصة التي يُراعى ملاءمتها لمستواه العلمي والاجتماعي واستعداداته للانخراط في هذا الفعل التواصلية، وهذا ينطبق على خطابات "الحليح" كالمثالين السابقين وغيرهما، كما يتيح "الحليح" خيار التعليق للمناقشة والتفاعل لأصدقائه "المخاطبين" كخاصية يقترحها موقع "فيسبوك" هذا من جهة، من جهة أخرى يوظف اللغة بشكلٍ مدروسٍ ودقيق؛ كما يتضح في مقاله "لغة الجسد" الذي قول فيه: « إنَّ الجسد الإنساني - بحركته وسكونه - عبارة عن منظومة لغوية، تكاد تكون متكاملة، وذلك إذا استنتطقه أو نطق به من يحسن قراءته، أو من يحسن استعماله للإقراء. ولهذا قيل: إنَّه بقبضة اليد - فقط - نستطيع كتابة 500 كتابة مفهومة، وإذا كان "هيدغر" قد اعتبر "اللغة بيت الكائن"، فإنَّ "ابن عربي" قد اعتبرها "الوجود" لأنَّ الكينونة بلا لغة عدم...» (14) فالمزاوجة بين العلامات اللغوية وغير اللغوية (500 كتابة مفهومة) تُبيِّن دلالاته، وتُوضِّح مقاصده وتكون أقرب إلى تغيير قناعات قُرَّائه وحَمَلهم على التسليم بأرائه والإقرار بأطروحاته (أهمية لغة الجسد في التخاطب)، كما أنَّه يستعير بما يُعرفُ بـ "حجاج السلطة" هو حجاج تأييد؛ يدعم نتيجة قضية ما (15) ويتمظهر في خطابات "الحليح" على صورة أدلة نقلية (آيات قرآنية أحاديث نبوية، أشعار، كلام علماء، حكم...) يستشهد بها ليُعَلِّي من صدقية القول؛ وتُصنَّف هذه النقول على أنَّها « حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها» (16) فالنصُّ المقتبس لابن عربي وكذا "هيدغر" ... وغيرهما كما سيأتي في تنمة الخطاب، هذه النصوص لها مقبولية لدى المخاطب؛ بسبب وجود شِبْه اتِّفاق بين النَّاس على شخصهما (ابن عربي عارفُ الأُمَّة وعالمها وأحد أقطاب التصوف... و "مارتن هيدغر" فيلسوف ألماني وعالم لغوي...) هذه المكانة العلمية الراسخة تضيفي شرعية لكلامهم؛ ممَّا يرفع الخطاب ليجعله في أعلى مراتب الحجّية؛ وبالتالي يضمن إفحام المخاطب.

3.3. المرتكز القيمي:

ويتجلى في مجموعة القيم العلمية و المعرفية الأخلاقية والسلوكية التي يستهدف كل خطاب علمي الترويج لها، وتختلف هذه القيم تبعاً لأيدولوجية صاحب الخطاب نفسه. فإذا بحثنا عن هذه القيم في ما يكتبه "عبد الله عيسى حليح" في صفحته الفيسبوكية؛ ألفينا نصوصاً زاخرة بالقيم من قبيل:

- الوطنية: كما في مقال " ترقية الهوية" (17).
- تفعيل العقل النقدي: المناادة بإعادة قراءة التراث الديني وتجديده؛ كمقال ماذا في وهاء أبي هريرة؟ (18) بينات البيئية (19).
- التمسك بالهوية: مناهضة قيم النظام العالمي الجديد في مقاله الموسوم "عن التربية أتحدث" (20) عن الأزمة أتحدث (21).
- التدبُّن الوسطي: محاربة الغلو في الدين مثل مقال "قولوا للناس حسناً" (22).
- الاحتفاء بالأنا: تعزيز "الأنا" المسلمة من غير كِبْر كمقال: "الاجتمع الجزائري والأنا" (23) و مقال "أنا" (24).

هذه شواهد للتمثيل على قيام خطابات "لخيلح" على قيمة أو قيم توجه تيممة النصّ لخدمة مقاصده وهي سمّة متقرّرة في كلّ خطاباتّه.

4. خصائص الخطاب العلمي:

لا يُدَّ أن نُسلّم في المنطّلق بضرورة معرفة الخطابات والتمييز بينها، و خاصةً أنّ « لكلّ خطابٍ خصوصياته التي تحقق أصالته المميّزة له عن غيره من الخطابات»⁽²⁵⁾ لذلك يتسمّ الخطاب العلمي بعدّة خصائص فارقة؛ وهي:

1.4. الموضوعية:

وتقتضي الالتزام بالمقاييس العلمية الدقيقة في طرح الموضوعات، وبيان الحقائق بشكلٍ منسجم مع الواقع، إنّما ضربٌ من المنطقية و اللاتناقض، والتجرد من الأهواء والنزعات الذاتية التي من شأنها تغيير حقيقة الموضوع. وهذا يصدق على النماذج التي استشهدنا بها سابقاً، و ما سيلحق؛ نحو: « حادثة الغيب أم غيب الحادثة؟ الحادثة في أزمة... أزمة في الخطاب الذي لم يعد قادراً على أن يقول أيّ شيء؛ لأنّه كان قد ادّعى أنّه سيقول كلّ شيء... أزمة في مفردات الخطاب، وذلك لما تجرّدت هذه المفردات من الانتماء ففقدت كل ما يعينها على أن تشير، وكل ما يُمكنها أن تحدد... أزمة في الاتجاه؛ لأنّها ما أرادت أن تسلك طريقاً مطروفاً، فظلت واقفة تحاول التملّص من ظلّها... إنّها أزمة الحادثة التي أنتجت حادثة الأزمة، وقد كان أولى بما أن تفعل ذلك... ومن ثمّ صارت عدوانية، يسهل استفزازها واستدراجها إلى حيث تشترع في "التنازير بالألقاب" كباقي الأيديولوجيات دفاعاً عمّا تبقى من زبائن. لقد عجزت عن قراءة الغيب، وعجزت عن إنتاجه، بعدما تبين لها أنّ الغيب "ضرورة عقلانية" في صورة من الصور، وليس بالضرورة أن يكون الغيب ما نحن فيه، إنّما قد يكون ماهو فينا مكنوناً؛ لأنّ الإنسان كائنٌ غيبٍ أكثر منه كائنٌ شهادة. ولقد عجزت أن تتصوّر نفسها موضوع قراءة، وليست قارئاً فقدت عقلانيتها وبعض عقلها، فكان منها ما ظنّه الناس تجاوزاً للعقل فصارت تعلّم الناس كيف يفككون أمّا كيف يحكمون فلا، وكيف ينقلعون، أمّا كيف ينغرسون فلا. إنّ الحادثة التي من غير غيب - أيّ غيب - شروع في الموت»⁽²⁶⁾ يُظهر "الخطاب" موضوعيةً وتجزؤاً كبيرين من "عيسى لخيلح" في نقده الحادثة بالنظر إلى نتائجها غير المرضية في الواقع التي أفرزت عجزاً في قراءة الغيب وقرّاً في القيم عند الإنسان المعاصر، يميّز التحقّق منها واقعياً... هذه الموضوعية التي انطبع بها الخطاب تُسوِّغ لنا ونسّمه وأمّثاله بالعلمية.

2.4. اللغة الخاصة:

يتوسّل الخطاب العلمي لغةً خاصةً ذات جهاز مصطلحي يتلاءم وطبيعة موضوع الخطاب، كما يتميّز معجم الخطاب العلمي بدوَالٍ؛ تتسمّ مدلولاتها بـ: « الدقة و الوضوح والإيجاز... لا تقبل الالتباس و الإيجاء والإبهام، ومن هنا يكون التركيز أولاً على اللغة العلمية التي تميل إلى الدقة التي تعصم من الخطأ»⁽²⁷⁾ و الخالية من « الإيجاء والتراكم، ومحدد الدلالة، وغير قابل للاشتراك والترادف وتراكيبه غير مكررة و لا تعيد نفسها، ونمو معناه واسترساله يتمّ في شكلٍ وحيد البعد، بالإضافة إلى منطقية التراكيب»⁽²⁸⁾. إنّ دقة لغة الخطاب العلمي مرّدها اعتماد لغة رمزية و«كلّما كانت هذه

✚ يتضح من صفحة "الحيلح" أنَّ له مشروعاً تنويرياً إصلاحياً؛ فهو لا يُدوّن بشكلٍ عفوي وفق ما يفيض عليه من خواطر، بل بطريقةٍ مؤسَّسةٍ تستهدف توجيه المخاطبين لتفعيل العقل النقدي، بغية مراجعة المسلّمات وإعادة ضبط المفاهيم والتصورات.

✚ تتسمُّ خطابات "الحيلح" الفيسبوكية بعدّة خصائصٍ وهي: اعتماده الموضوعية في طرح القضايا مع توظيف اللغة الخاصة ذات الاتِّساق الشكلي والانسجام المفهومي؛ وهذا ما يمنحها سمّ "العلمية" ورغم جودتها فإنَّ إمكانية تجاوزها مطروحة؛ الأمر الذي يُعلي من طابعها العلمي.

✚ ممَّا يُؤكِّد الطابع العلمي لخطابات "الحيلح" الفيسبوكية؛ قيامها على أسس منهجية و إبتيمولوجية، ومرتكزات تداولية تستثمر إمكانات اللغة العربية بنياتها المختلفة لعقد علاقة تواصلية ناجعة بين "الحيلح" كمخاطب ومخاطبيه بشكلٍ يضمن خلق بيئة تبليغية وتفاعلية تُروِّج مفاهيم وتصوِّرات "الحيلح" ورؤيته في قضايا بعينها؛ فاصداً من ذلك إقتناعهم بأرائه، دون تعسف أو ممارسة الإكراه والتثبيت بالرؤية الأحادية الضيقة.

✚ لا تخلو خطابات "الحيلح" الفيسبوكية ذات الصبغة العلمية من قيّم يُريد صاحب الخطاب الإعلاء منها؛ وعلى رأسها القراءة النقدية الواعية لنصوص التراث العربي الإسلامي.

قائمة الهوامش:

1- ينظر، (جمال الدين محمد بن مكرم) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 6، 1997، مادة {خطب}، ص98-99.

2- يوسف منصر، مقال الخطاب العلمي خصائصه ومرتكزاته، منشورات مخبر اللسانيات و اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 6، جوان 2009، ص 42.

3- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ج 2 ص 11.

4- يوسف منصر، مقال الخطاب العلمي خصائصه ومرتكزاته، ص 47.

5- حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، نحو مقارنة إبتيمولوجية، مخبر اللسانيات و اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 2، 2006، ص 10.

6- ينظر، عبد العالي بنعيد العالي وسالم يفوت، درس الإبتيمولوجيا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط 3، 2001، ص 5.

7- "عبد الله عيسى حيلح من مواليد 31 ديسمبر 1962م في بلدية "جيملة" ولاية "جيجل" تلقى تعليمه الأول بجامع القرية حيث حفظ قسطاً من القرآن الكريم، ثمّ دخل المدرسة الابتدائية ببلدية "الولوج" ولاية سكيكدة، تابع تعليمه

المتوسط بمتوسطة "الحسن بن الهيثم" بدائرة "الشفقة" ولاية جيجل، أمّا التعليم الثانوي فتابعه بثانوية "الطاهير" ومنها تحصّل على شهادة البكالوريا فانتقل إلى معهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة ونال منها شهادة "الليسانس" بعدها سافر إلى "القاهرة" ليكمل دراساته العليا فنال شهادة الماجستير "من جامعة "عين شمس" ثمّ التحق بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ليعمل أستاذًا فيها، تحصّل على شهادة الدكتوراه عن أطروحته الموسومة "الجدلية التاريخية في القرآن الكريم" وهو يعمل -حاليًا- أستاذًا بمعهد الآداب والأدب العربي بجامعة جيجل بالشرق الجزائري". ينظر، موقع المعرفة، <https://www.marefa.org/>، 18:51 2018/05/05.

8- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 5 أبريل 2018، 09:36.

9- النجم: 32.

10- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 3 أبريل 2018، 08:54.

11- يوسف منصر، مقال الخطاب العلمي خصائصه ومرتكزاته، ص.49

12- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص40-41.

13- بشير إبرير، في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، العدد8، جوان 2001، ص.73

14- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 7 أبريل 2018، 22:33.

15- القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح: محمد دويدري، دار الجيل، لبنان، ط2، 1982، ص.175

16- العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجًا، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1 1986. ص.65.

17- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 23 أبريل 2018، 07:50.

18- المرجع نفسه، 19 أبريل 2018، 10:13.

19- المرجع نفسه، 28 أبريل 2018، 14:46.

20- المرجع نفسه، 03 ماي 2018، 13:40.

21- المرجع نفسه، 01 ماي 2018، 10:52.

22- المرجع نفسه، 17 أبريل 2018، 21:47.

23- المرجع نفسه، 14 أبريل 2018، 08:37.

24- المرجع نفسه، 13 أبريل 2018، 09:15.

25- علي وطفة، إشكالية المفهوم في الخطاب العربي المعاصر، قراءة اجتماعية (سوسولوجية)، مجلة التعريب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 19، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق السنة العاشرة، 2000، ص.131

26- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 25 مارس 2018، 22:28.

27- صالح بلعيد، اللغة العلمية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص.116

28- محمد مفتاح، دينامية النص " (تنظير و إنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص.54.

29- الشريف بوشهدان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي: الخطاب اللساني أمودجًا، مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 6، 2002، ص.269

30- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 13 أبريل 2018، 09:15.

31- ينظر، جميل عبد المجيد، بلاغة النصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1999، ص.15.

32- ينظر، دي بوجراند وديسلار، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب الحديث، ط1 مصر، 1998 ص.299.

33- بشير إبرير، في تعليمية الخطاب العلمي، ص.74

34- عبد القادر الفاسي الفهري، أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن المنهجية في الأدب و العلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2001، ص.44

35- ينظر، <https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7>، 08/05/2018، 20:06.

قائمة المراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

1. جمال الدين محمد بن مكرم) ابن منظور، لسان العرب، ط 6، دار صادر، بيروت، 1997 مادة {خطب}
2. جميل عبد المجيد، بلاغة النصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة مصر 1999.
3. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
4. الخطيب القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح: محمد دويدري، ط2، دار الجليل، لبنان 1982.
5. دي بوجراند و ديسلار، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، ط1، عالم الكتب الحديث مصر، 1998.
6. صالح بلعيد، اللغة العلمية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
7. عبد العالي بنعبد العالي وسالم يفوت، درس الاستمولوجيا، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، 2001.
8. عبد القادر الفاسي الفهري، أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن المنهجية في الأدب و العلوم الإنسانية، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
9. العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجًا ، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1986.
10. محمد مفتاح، دينامية النص" (تنظير و إنجاز)، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990.
11. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997 ج2.

ثانياً: الدوريات و المجلات:

1. بشير إبرير، في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، العدد8، جوان 2001.
2. حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، نحو مقارنة استمولوجية، مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة العدد 2 ديسمبر 2006.
3. الشريف بوشهدان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي: الخطاب اللساني أمودجًا مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد6، 2002.
4. علي وطفة، إشكالية المفهوم في الخطاب العربي المعاصر، قراءة اجتماعية (سوسيولوجية) مجلة التعريب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد19، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر دمشق، السنة العاشرة، 2000.
5. يوسف منصر، مقال الخطاب العلمي خصائصه ومركزاته، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد6 جوان 2009.

أشكال السلطة في التجربة القصصية الجزائرية

" الزهرة والسكين لزهرة بوسكين و بيت النار لفاطمة بريهوم اختيارا "

The forms of authority in the algerian short story experience Flower and knife zahra bouskin, house of fire fatima brihoum selection

فغلول حورية (جامعة مستغانم /الجزائر)

ملخص:

حاولت القاصة الجزائرية أن تقف في نصوصها عند بعض من جوانب علاقة الأنتى بالسلطة في أشكالها الثلاثة(سلطة الذكورة، سلطة المجتمع، سلطة الدين)، ذلك أن جملة التصورات الذهنية و المعتقدات الشعبية السائدة في المجتمع قد وتجهت التفكير حول الأنتى في اتجاه مغلوط و من ثمة تسعى القاصة الجزائرية في قصصها القصيرة إلى زعزعة هذه المعطيات الجامدة ، كمحاولة لتدشين بداية السلوك المتحرر و الابتعاد عن النمطية السائدة، و المبدعة الجزائرية بهذا إنما هي تصور معاناة الذات الأنتوية في بحثها عن كينونتها المستقلة بعيدا عن مجموعة السلطات الرمزية ؛ فما هي إذن تجليات السلطة في القصة القصيرة النسائية؟

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند مظاهر و تجليات السلطة في القصة النسوية الجزائرية القصيرة ، سيما و أن السلطة بمختلف أشكالها ما انفكت تجلبد بقسوة المرأة الجزائرية عامة و الأدبية المبدعة بصفة خاصة ، و هو ما جعل القاصة الجزائرية تستدعيها في نصها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، علما بذلك تكسر جدار الصمت .

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة الجزائرية، زهرة بوسكين، فاطمة بريهوم، سلطة الذكورة، سلطة الدين، سلطة المجتمع.

Abstract :

Algerian writer essay to stand in their texts when certain aspects of the female relationship of power in the three forms of (the authority of masculinity, community authority, religious authority), so that, among other perceptions of mental beliefs and popular prevailing in society has thought of the woman in a wrong direction, and from there the Algerian Alqasp in short stories that seek to destabilize these static data, an attempt to launch the beginning of the liberal and move away from stereotypical behavior prevailing, And the Algerian creative woman It is the perception of the suffering of the feminine ego in its search for its being independent of the

group of the symbolic powers. So, what are the manifestations of the competence in the news of the women?

This study aims to hold the aspects and manifestations of power in the new feminist Algerian, in particular, and that the power in its various forms has always whipped hard Algerian women in general and literary creation in particular.

توطئة:

لقد استطاع السرد النسوي العربي أن يفرض نفسه ظاهرة أدبية متميزة على مستوى الرؤى الفكرية و الملامح الجمالية ، "فقد أعلن عن حضوره المتماهي بالراهن الثقافي و السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و المندغم بالوجع الأنثوي القادر على التعبير عن مباحج الأنوثة و مخاوفها خالفاً بذلك خصوصية ذات صلة مباشرة بطبيعة الأنثى البيولوجية و النفسية و ظرفها الاجتماعي الخاص"1؛ إذ عبرت الكاتبة العربية في سردها عن فهمها الخاص لحثيات العالم الخارجي الذي لطالما احتكر الرجل لوحده حقَّ تصويره و التعبير عنه، تماما مثلما تحكّم في مجرياته و وقائعه، بيد أنها لم تحمل العوالم الداخلية للأنثى العربية ، فحفرت عميقا، و خاضت في التفاصيل الصغيرة، و هكذا استطاعت أن تُصوّر الداخل كما الخارج ، و أن تجمع بين ما هو خاص يتعلق بها و بين ما هو عام يتجسد في الراهن العربي بقضاياها في شتى المجالات.

لقد جاء إسهام القاصة الجزائرية في فن القصة متأخرا نوعا ما بالقصة القصيرة الرجالية، فكانت البداية الحقيقية للقصة النسوية في الجزائر مع أول صورة قصصية* لزهور ونيسي سنة 1955 بعنوان جناية أب ، و قد بدأت القصة النسوية القصيرة في الجزائر بداية ساذجة شكلا و مضمونا ؛ حيث إنها " من حيث الشكل كانت خطافية النبرة، مهزوزة الصورة ضعيفة الحبكة و الإحكام الفني، أما من حيث المحتوى ، فقد كانت منبرا و وسيلة للوعظ و الإرشاد "2.

لكن القصة النسوية القصيرة لم تلبث أن شقّت طريقها نحو النضج و التطور مع قاصات جزائريات مثل زهور ونيسي و جميلة زنير و زولبخة السعودي و جميلة خممار و نورة سعيدي و زكية علال ...

و لما كانت المرأة الجزائرية ضحية جملة من الظروف اجتمعت في إفرازها عوامل مختلفة و متعددة ، فقد عبرت في قصّها عن موضوعات تتصل بشخصها و طبيعتها، فهي أنثى أولا و أخيرا ، و لذلك يُنظر إليها نظرة مختلفة، تماما مثلما تطرقت إلى موضوعات تتصل بواقعها الذي تهيمن فيه الأعراف المورو و التقاليد الجامدة،" و هي أعراف و تقاليد تحاصر بوطأها الرجل بقدر ما تحاصر المرأة في أحيان كثيرة ، و من ثمة حملت قصصها في داخلها جرأة التحدي، و ثورة جذرية ضد التقاليد المتعسفة ، التي غذتها ذهنية الرجل و ماضوية المجتمع."3

" إن غياب المرأة وتأخرها عن الرجل في مجال الإبداع القصصي و الروائي في العقود السابقة، لم يكن نتيجة قصور ذاتي عندها، بقدر ما كان قصورا في الحياة العامة الثقافية و الاجتماعية ، التي لم تتح لها الظهور و التعبير عن ذاتها فنيا و أدبيا".4

استطاعت المرأة العربية في سردها أن تقتحم المسكوت عنه في الثقافة العربية ، و تقترب من الممنوع ، و لا بأس في ذلك مادامت الكتابة النسوية عامة كتابة جريئة مستفزة تفتح على المغاير و المختلف، مغامرة لا تمادن ، ترفض أن تركز إلى المؤلف ، و تقفز على النمطي و العادي السائد .

و لما كان موضوع السلطة من أبرز الموضوعات التي حضرت في السرد النسوي العربي، فيحق لنا التساؤل: ما المقصود بالسلطة؟ و ما هي أشكالها؟ و ما هي تجليات حضورها في القصة القصيرة الجزائرية؟

1- حضور السلطة في السرد الجزائري:

شكلت السلطة واحدا من المحاور الأساسية في الخطاب السردى العربي ، و خاصة في شقه المتعلق بالرواية ؛ فنلاحظ أن الرواية العربية" ارتبطت بالأيدولوجيا السياسية ارتباطا وثيقا ، ذلك ما يمكن ملاحظته على مستوى التطور التاريخي الذي ميّز الرواية العربية ، فقد مرّت بطروف تاريخية و ثقافية جعلتها تنتقل من فترة إلى أخرى، حاملة معها إيديولوجيات و رؤى متباينة و تجنّبا للتكرار5.

و لم تكن الرواية الجزائرية بدعا من ذلك كلّ، " فارتبطت الرواية السياسية الجزائرية بالواقع الإيديولوجي التاريخي ، مثلها في ذلك مثل الرواية العربية التي سايرت التطورات الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي ميزت المجتمع الجزائري"6؛ و هكذا سارت الرواية الجزائرية جنبا إلى جنب مع جملة التحولات السياسية و الإيديولوجية التي عرفتها الجزائر بداية بفترة الاحتلال و وصولا إلى يومنا هذا .

تشكل الروايات الثورية جزءا مهما من الإنتاج الروائي الجزائري انطلاقا من سبعينات القرن الماضي، إذ مثلت الثورة تجربة ملحمة فريدة من نوعها استعادها الروائيون الجزائريون في نصوصهم ؛ فإذا ما تمعنا في الرواية الجزائرية التي تتخذ من الثورة الجزائرية موضوعا لها سنجد أن السلطة التي تهيم و تفرض نفسها هي سلطة الاستعمار الفرنسي ، الذي حرم الجزائريين من حقهم في العيش الكريم، و بعد قيام الدولة الجزائرية المستقلة تبنت الكثير من النصوص الروائية إيديولوجيا السلطة، فوفقت " لتعارض إيديولوجيا السلطة ، و تطرح أزمة الحرية و الديمقراطية و التجاوزات الاجتماعية التي يُخفيها خطاب السلطة الاشتراكي"7. من أهم الروايات التي انتقدت السلطة السياسية الحاكمة رواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي ؛ حيث تحضر هذه السلطة في الرواية بوصفها المسؤولة عن كبج الحريات الفردية و العامة .

وإذا كانت السلطة السياسية تحضر بشكل كبير في السرد الجزائري ، مع اختلاف في الإيديولوجيات والأفكار السياسية ، فإن نوعاً آخر من السلطة يبرز هو الآخر وإن بقدرٍ أقل ، نقصد بذلك سلطة الذكورة وسلطة المجتمع، وسلطة الدين، وهي كلها أنماط ثقافية ، تمارس سطوتها في المجتمعات البشرية عامة، والعربية منها خاصة.

والآن نستطيع أن نتساءل: ما هي تلك الموضوعات المرتبطة بالسلطة التي شغلت المرأة الجزائرية في سردها القصصي؟ وكيف حضرت السلطة وما هي أبعادها؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في هذا البحث مُركّزين في ذلك على مجموعتين قصصيتين لقاصات جزائريات هما: (الزهرة والسكين) للقاصة زهرة بوسكين ، و (بيت النار) لفاطمة بريهوم.

2- أشكال السلطة في القصص النسوية القصيرة:

تُعامل المرأة العربية عامة و الجزائرية خاصة في الغالب الأعم على أنها تابعة للآخر/الرجل، تتبع تحت وصاية الأب و الأخ في البداية، ثم تحت وصاية الزوج ، و أخيراً تحت وصاية الأبناء ، و هي تكتسب وجودها انطلاقاً من علاقتها بالرجل في حياتها أيّاً كانت صفته، فهي البنت، أو الأخت، أو الزوجة، أو الأم، و أما ذاتها الحقيقية فإنها تتضاءل حتى تنتفي تماماً ، و من هنا منح الرجل نفسه الحق المطلق في السيطرة على الأنثى و قمعها ، و توجيه سلوكها.

و كما عملت الذكورة على وأد الأنثى تأسيساً على كون ثقافة الفحولة هي الثقافة المهيمنة، نرى المجتمع كذلك يمارس سطوته عليها، فيحددها للأنثى السلوكيات الجائزة لها و الممنوعة عليها، و إذا ما حاولت المرأة الخروج عن قوانين الجماعة عوقبت بالتهميش و الإقصاء .

و إضافة إلى سلطة الذكورة و المجتمع تصطدم المرأة بشكل آخر من السلطة هو سلطة الدين أو بالأصح بالتفسير الذكوري للنص الديني.

بناء على ما سبق حاولت القاصة الجزائرية أن تقف في نصوصها عند بعضٍ من جوانب علاقة الأنثى بالسلطة في أشكالها الثلاثة (سلطة الذكورة، سلطة المجتمع، سلطة الدين) ، ذلك أن جملة التصورات الذهنية و المعتقدات الشعبية السائدة في المجتمع قد وَّجَّهت التفكير حول الأنثى في اتجاه مغلوط ، و من ثمة تسعى القاصة الجزائرية في قصصها القصيرة إلى زعزعة هذه المعطيات الجامدة ما دام "كل اقتراب منها لمساءلتها ، و إخراجها من الثبات إلى السؤال و الشك ، يدشن لبداية السلوك المتحرر من النمطية ، و دخول الفكر إلى زمن التجربة" 8، و المبدعة الجزائرية بذلك إنما تصور معاناة الذات الأنثوية في بحثها عن كينونتها المستقلة بعيداً عن مجموعة السلطات الرمزية.

أولاً: سلطة الذكورة:

إن التفرقة بين الرجل والمرأة ليست وليدة اليوم ، بل إنها قديمة قِدَم التاريخ ، فلطالما عُدَّ الرجل مركز الأسرة ، لذلك ساد الاعتقاد أن فوقية الذكر و دونية الأنثى حقيقة من صنع الطبيعة ، فهي ناتجة عن مجموعة فروقات طبيعية بينهما، غير أن الحقائق العلمية قد أثبتت أن هذه التراتبية إنما اصطنعها المجتمع، " فسلبية المرأة ليست صفة طبيعية في المرأة و لكنها صفة غير طبيعية نتجت عن ضغوط المجتمع و كبتة لنموها، و كذلك أيضا جميع الصفات الأخرى التي ألصقها المجتمع بالمرأة و الأنوثة و كلها صفات غير طبيعية دخيلة على المرأة السوية " 9؛ و معنى ذلك أن المرأة تبدو عاجزة ضعيفة لأن المجتمع فرض عليها أن تبدو كذلك، و ذلك حين مارس عليها الكبت و القمع و جعلها خاضعة لمجموعة من التقاليد المتوارثة.

"يتشكل المنظور النسوي تجاه فعل الذكورة في سياق سردي رئيس ، يتكون من خلال استحضار العلاقة بين المستعمر (الرجل) و المستعمر (المرأة) ، إذ يعدّ النقد النسوي المرأة الباحثة عن حريتها و إنسانيتها مستعمرة للرجل المتسلط و القمعي على وجه العموم؛ لذلك تظهر صور الرجل عموما في أنساق نمطية قائمة على استغلال المرأة و اضطهادها بأساليب عنف عديدة: أهمها الضرب و الاغتصاب ، و بذاءة القول ، و سجنها في البيت، و مصادرة رأيها ... "10 لتغدو المرأة على هذا النحو مجرد سلعة في يد الرجل المهيمن عليها سواء كان أباً ، أو زوجاً، أو أخاً ، أو ابناً...

عادة ما تتناول القاصة مواضع التأزم في علاقات المرأة بالرجل ، و هنا يظهر الرجل في تمثيلات العنف العضلي على وجه التحديد، فنجد الضرب و الإيذاء اللفظي يصل بالمرأة إلى درجات الانهيار و ربما الموت ؛ بناءً على هذه الخيئات جميعها قَزَمَ المجتمع المرأة و اختصرها في الجسد ، فإذا كان الرجل قد تميّز بالعقل و الحكمة و القدرة على الإبداع الخلاق، "فإن المرأة على العكس من ذلك مخلوق سجين جسده، و لا يمكن أن يرقى إلى مستوى متقدم فكريا، لأن هذا المستوى من اختصاص الرجل "11.

لقد صورت القاصتان الجزائريتان في مجموعتيهما القصصية التي بين أيدينا القهر و القمع اللذين تمارسهما السلطة الذكورية المهيمنة، فحضر في قصصهما الرجل كرمز للسلطة، و هي بذلك تزيح النقاب عن رؤية الآخر الذكر الذي يصرّ على أن يستلب الأنوثة و يدفعها إلى الهامش... فكيف تجلت السلطة الذكورة في القصة النسوية الجزائرية القصيرة؟

أ- الذكورة و شهوة القتل:

شهدت المجتمعات العربية منذ القدم هيمنة الثقافة الفحولية، تختفي بالرجل بعده العنصر الأقوى، و تهتمش الأنوثة ، و من هنا كان إصرار الرجل على وأد الأنثى جسديا و فكريا و عقليا، فمن أشهر صور العنف في الذاكرة العربية قصة شهريار و هو يهتك كل ليلة الأنوثة المستلبة ثم يعدها صباحا ...

تتبدى شهوة القتل في قصة (شهرزاد الزمن الأخرس) من المجموعة القصصية (الزهرة والسكين) للقاصة الجزائرية زهرة بوسكين لتحليل على تاريخ من اضطهاد الأنثى واستلابها، حيث يغدو الزواج اغتصابا جسديا تباركه الجماعة ، فتقول القاصة: " في الليلة الموالية يعتذر ككل رجل (عربي) وتحاول هي أن تشكل مشهدا آخر من مشاهد شهرزاد .. يكاد يسهو .. يكاد ينام .. وعند اقتراب الفجر يخرج مسدسه ويغرس في جسدها رصاصة قاتلة... فتموت شهرزاد الزمن الأخرس وتخرج من زهرا زهرة منتصرة محاولة أن تثبت على جدارية من الشوك"12.

تبرز على مستوى هذا المقطع العلامة (شهرزاد) مذكرة إيانا بتلك الأنثى الذكية التي استطاعت أن تراوغ الموت وتتفاداه بدهاء ، فقد كانت في كل ليلة تقص على الملك شهریار أجمل الحكايات وأكثرها تشويقا حتى إذا طلع الصباح سكتت عن الكلام المباح، ولأنها لم تكمل حكايتها فإن الملك كان يؤجل قتلها يوما آخر، وهكذا مرت ألف ليلة وليلة وشهرزاد في كل ليلة تسحر ملكها بأخبارها وخرافاتها وحكاياتها. لقد حافظت شهرزاد على حياتها لأنها استطاعت أن تحكي، ولو لم تكن تمتلك ملكة الحكيم لكانت خسرت في مواجهة الموت، ومن ثمة استطاعت شهرزاد بفضل الحكيم أن تصارع سلطة الذكورة ممثلة في بطش شهریار وتنتصر عليها.

ويحضر في المقطع عدد من القرائن اللغوية التي تنتمي إلى الحقل الدلالي (القتل)، وهي (مسدسه) و(رصاصه) و(قاتلة) و (فتموت)، فهي جميعها ألفاظ توحى بالموت الذي يطارد الأنثى في القصة، بل إنها تتجاوز ذلك فتحليل على بطش السلطة الذكورية التي تخنق كل فعل أنثوي متمرد وصارخ وتقمعه.

" تظهر ضرورة مواجهة العنف والقهر بالحوار كطبيعة ثقافية، وهو بالطبع اختيار جريء، واستراتيجية لعرقلة سلطة الرجال، وهي كذلك سلطة حضارية على النساء تستحضر إلى الأذهان عبقرية شهرزاد في مواجهة لعبة الموت ودونجوانية شهریار، لقد كان الحوار خشبة خلاص بالنسبة للمرأة المضطهدة في شخصية شهرزاد فأصبحت فيما بعد أنموذجا ثقافيا له حضوره الخاص واستراتيجيته المناهضة للقهر المرضي الذي سيطر على شهریار"13، فقد اتخذت شهرزاد يوما من الحوار وسيلة تخاتل بها الملك فرارا من مصير سيقته إليه قبلها نساء كثيرات.

ب- الرجل وقهر الذات الأنثوية:

يحاول الرجل قهر الأنثى وإخضاعها بوصفها الطرف الأضعف في نظر المجتمع والثقافة، وخاصة إذا ما شعر برغبتها في التمرد على الأوضاع القائمة، ففي قصة (كما لم يكن من قبل) من المجموعة القصصية (بيت النار) للقاصة الجزائرية فاطمة بريهوم تجد الشخصية الأنثوية نفسها في مواجهة مع الأب من جهة والأخ من جهة أخرى، حيث ينقمان عليها مجموعة من السلوكيات التي يريان فيها عدم مراعاة لأعراف المجتمع، فتقول: " فبادر أبي :

تصرفاتك لا تعجبني وخروجك يقلقني

- إني في سن تسمح لي بأن أميز.

فقال أخي :نحن في مجتمع يطلب استفسارات عن تصرفاتك.

- وأنا لست مجبرة على إعطاء تقرير بمواعيدي...

لم أتم كلامي لأنّ أخي صفعني ولم يبح ذلك لنفسه إلاّ لكونه ذكرا.

فاكتشفتني امرأة تشبه آلاف النساء، وقد اعتقدت قبل أيّ مختلفة.

فشهادتي ليست مرسومة على وجهي ليحذر الآخرون في تعاملهم معي"14.

لا تواجه البطلة في القصة رجلا واحدا وإنما رجلين هما الأب والأخ، وكلاهما يرفض سلوكها في المجتمع، ذلك أن كثرة خروجها تمثل في نظرهما عيبا ياباه المجتمع، ومن هنا جاء تعنيفهما لها.

ولما كانت "السلطة المطلقة في حرمها ضد الذات الأنثوية، ل تجد طريقا أفضل من العنف الجسدي واللفظي والنفسي، بصورته البدائية"15؛ فقد تبدّى قمع الذات الأنثوية في هذا المقطع في مظهرين اثنين، يتمثل الأول في التعنيف اللفظي الذي مارسه كل من الأب والأخ على البطلة، والثاني هو تعنيف جسدي جاء نتيجة لتفاقم النقاش بين الأنتى من جهة والأب والأخ من جهة أخرى، وهكذا جاءت الصفعة لتعبر عن أقصى درجات قهر المرأة، وهو الفعل الذي ربطته الأنتى البطلة بالذكرورة تحديدا، وذلك عبر الاستثناء، تقول:"لم أتم كلمي لأن أخي صفعني ولم يبح ذلك لنفسه إلاّ لكونه ذكرا"16.

لقد شكلت الصفعة بالنسبة إلى الأنتى في القصة صدمة حقيقية جعلتها تعي وضعها الحقيقي في المجتمع، فنقلتها من خانة المختلف إلى خانة المتشابه، ذلك أن الشخصية الأنثوية الرئيسة في القصة كانت تظن أنها بلغت من العلم والنضج ما يمنحها القوة والاستقلالية اللتين تمكنانها من الوقوف في وجه التسلّط الذكوري، ولكنها نتيجة للصفعة أضحت تدرك أنها في نظر الرجل لن تكون إلا المرأة التي يستضعفها ويضطهدها ويحجر عليها ويصادر حريتها، وهكذا فإن المرأة أيا كان مستواها الفكري وتحصيلها العلمي تظل مُحاصَرة بالسلطة الذكورية بشكل أو بآخر.

وهكذا يعتمد الرجل في ظل هيمنة ثقافة الفحولة إلى قمع الأنتى واستلابها، فيصر على وأدائها جسديا ونفسيا، كما يحاول أن يفرض عليها نمطا معيناً من السلوك مستعينا بالقوة والعنف، وتزداد حدّة هذا العنف بخاصة إذا ما أبدت الذات الأنثوية رغبة في التمرد على سيطرة الرجل.

- ثانيا: سلطة المجتمع:

يُكرّس المجتمع عامة والعربي الجزائري خاصة عبر مجموعة من التصورات والمعتقدات ذلك الفهم العميق القابع في الضمير الجمعي للأفراد والذي يرى في المرأة - الآخر المختلف جسدياً وفكرياً - كائناً أدنى لا يمتلك من الفاعلية أو الكفاءة ما يجعل منه مساوياً للرجل، وبالتالي تُرسخ هذه القناعة المستندة إلى فكرة المركزية الذكورية دونية المرأة و تحقيرها، وقد تعرضت الأنثى بفعل هذا الترسخ الممنهج لفكرة الدونية العقلية والعملية وحتى الشعورية إلى عملية مسخ واستلاب، بل لقد تم إضفاء المشروعية على هذه العملية من خلال مسميات القبيلة (الشرف، العُرف، العادات والتقاليد)...، ومن ثمة حاول المجتمع تنميط العقل الأنثوي باعتماد المنع إلى الإلغاء والحجر، فكيف تجلت القيود الاجتماعية التي تحاصر المرأة في القصة النسوية الجزائرية القصيرة؟، وما الأبعاد التي اتخذتها؟، وما موقف الأنثى منها؟

أ- المجتمع و استراتيجية هدم الأنوثة:

يعدّ حضور المرأة في المجتمع العربي عامة و الجزائري خاصة بوصفها ذاتاً فاعلة أمراً مرفوضاً؛ ذلك أنها تقتحم فضاءات ذكورية بامتياز، و تقدم صورة مغايرة عن تلك الصورة النمطية الرتيبة التي رسمها لها الفكر الجمعي؛ لذلك يسعى المجتمع على أن ينفي عن المرأة صفات الإبداع و الفاعلية، في حين نراه يحاول أن يُفرغها في قالب ثابت يرضى عنه، و هو الأمر الذي تحاول أن تصوّره القاصة فاطمة بريهوم في قصة (التحليق تحت الأرض) من المجموعة القصصية بيت النار، حيث تزيح البطلة النقاب عن جانبٍ من معاناتها الداخلية في مجتمع يرفض أن يتقبلها ذاتاً أنثوية فاعلةً .

تقول مُتحدّثة عن ردة فعلها على قرار الأهل بتزويجها وهي بعد طفلة تعشق كراريسها " وقتها لم أرفض ولم أوافق لأن الموقف تعدائي . كنت أحلم أن أكون قائدة طائرة فكسرت أجنحتي وتحولت إلى دجاجة بياضة؛ فأنجبت أبنائي الثلاثة .

ومن وقتها وأنا أحاول أن أتأقلم مع واقع الحال فما استطعت، وما رفضت، وكلما طفح الكيل بي حملت حقائي وتركت أطفالاً ورائي وعدت إلى بيتنا لأبدأ من جديد! وأكتب فأحل ق أياماً"17، يحضر التذكر في هذا المقطع بوصفه " آلية فنية لتفعيل التخيل وتوليد معطيات راهنة بأحداث ماضية تنتمي إلى الذات الفردية والجمعية، كما لو أن التذكر في السرد يفضي إلى القول بسيرورة الأفعال والأحداث وبترباط الآثار في ما بينها"18، فالشخصية الأنثوية الرئيسة تسترجع ذكري قائمة من زمن الطفولة والصبأ، يوم حرمت من الدراسة من طرف الأهل الذين لم يروا فيها غير مشروع زوجة مستقبلية مثل عشرات الزوجات، وهي بذلك إنما تعرض بداية مأساتها لتنفيذ عبر هذا الاسترجاع إلى حياتها الحاضرة في بيت الزوجية.

تتكسر في هذا المقطع عدّة دوال لغوية تحيل على معاني التحليق والطيران، وهي (قائدة طائرة)، و(أجنحتي)، و(أحلّق)، وترتبط هذه الدوال بنوازع النفس ودواخلها العميقة، فنلاحظ أن البطلة تستغرق في حزن تشوبه مرارة كبيرة، إنّه حلم

الطفولة المفقود، أو قُلَّ المسروق، يوم كانت تخطّط لمستقبل واعد تُثمُّ فيه دراستها لتصبح قبطان طائرة تُحلّق في السماء، أنّ هذا الحلم قد ضاع واندثر مع جملة المفقودات الأخرى يوم أُجبرت على ترك مقاعد الدراسة في سنٍّ مبكّرة من أجل الزواج.

تقول البطلة في نهاية المقطع: "وكلما طفح الكيل بي حملت حقائي وتركت أطفالي ورائي وعدت إلى بيتنا لأبدأ من جديد! وأكتب فأحلّق أياماً" 19، تتلازم الكتابة والتحليق في هذه العبارات فتغدو مزاولة فعل الكتابة بالنسبة إلى البطلة تحليقاً رمزياً، إنه الهروب من واقع مر، وبذلك تتحول الكتابة إلى معادل لفعل التحليق، للحلم الضائع، فيؤدي انتفاء فعل الكتابة بطبيعة الحال إلى انتفاء فعل التحليق.

ب- المرأة و سلطة العادات و التقاليد:

تخضّر العادات والتقاليد في القصة النسوية الجزائرية القصيرة بوصفها واحدة من أبرز السلطات الرمزية التي تحاصر المرأة الجزائرية وتحاول أن تفرض عليها نمطاً محددًا من السلوك الاجتماعي، وهي في ذلك تستمد قوّتها وشرعيتها من المجتمع الذي كرس مجموعة من الأعراف الاجتماعية حتى غدت معطيات ثابتة ومسلمات لا يحق لأي كان التشكيك في يقينيتها، بل لقد أصبحت هذه الأعراف تراحم الأوامر والنواهي الدينية، فالمرأة مجبرة على الخضوع لمنظومة العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه، وهي مقبولة في هذا المجتمع إذا ما خضعت لأعرافه الاجتماعية، وأما إذا تجرأت على تجاوز هذه الأعراف فإنها ستغدو مجرمة عاصية عبثت بشرف القبيلة ودنّست مقدساتها.

تُصوّر القاصة فاطمة بريهوم في قصة (انتحار الشوق) من المجموعة القصصية (بيت النار) معاناة الزوجة التي تصطدم بوسطٍ أسري تمارس فيه العادات الاجتماعية سلطةً قاهرة على الأفراد، و توجّه أفعالهم و تصرفاتهم من دون أن يكون لهم قدرة على مواجهة هذا الواقع المأزوم، وفي المقطع الآتي يتجلى جانب من جوانب هذه السلطة، فالزوج لا يستطيع أن يتواصل مع زوجته في ظل الرقابة الاجتماعية الصّارمة، تقول القاصة: "وهو يبتسم لها في حضرة أبيه، لأنه يجب رؤيتها تمشي أمامه هكذا قال. على أنه لا يجرؤ أن يناديها باسمها أو يحدّثها أمام العائلة ليقول ليلى ما إن تطأ قدمه الغرفة: اشتقت إليك" 20.

لعل أهم ما يلفت النظر في هذا المقطع هو أن الزوج/الرجل والزوجة/المرأة يبدوان كلاهما خاضعين لأعراف الجماعة، وهكذا تغدو المأساة أكثر شمولية وعمقا، فهي لا تتوقف عند حدود الجنس و إنما تتجاوز ذلك لتشكّل في بعض فصولها مأساة الإنسان في مواجهة السّلطة الاجتماعية، فالرجل في قصة (انتحار الشوق) يظهر كما المرأة مفعولا به لا فاعلا، إذ نراه عاجزا عن التقرب من زوجته التي ارتضاها لنفسه، كما أنه لا يمتلك القدرة على أن يخاطبها باسمها أو يُجري معها حوارا مهما كان قصيرا.

وكما في قصة (انتحار الشوق) تتبدى الأعراف الاجتماعية في قصة (من هواجس امرأة تنتكر للعالم) للقاصة زهرة بوسكين واحدة من أهم الأشكال السلطوية التي تقهر الذات الأنثوية، ولذلك تقرّر الشخصية الأنثوية الرئيسة في القصة أن تسير في الشارع الرئيسي، متحدية بذلك قانون القبيلة الذي يفرض عليها وعلى بنات جنسها أن يتسلّلن عبر الدروب الخلفية، حيث تقول: "ولكنني وأنا أتأمل قريتي الغارقة في أيقونة التقاليد البالية.. قريتي النيلونية التي سرعان ما تنكمش تحت شمس الحضارة.. قررت فجأة أن أسير في الشارع الرئيسي" 21، تصف البطلة في هذا المقطع القرية ب(الغارقة في أيقونة التقاليد البالية)، ولما كان الغرق معناه الرسوب في الماء فقد وصفت البطلة القرية بما سبق لأنها تعاني في نظرها الرسوب في مجموعة من العادات والتقاليد التي عفا عنها الزمن وتجاوزها التاريخ، ولكنها مع ذلك تصر على التمسك بما بقوة.

- ثالثا: سلطة الدين:

يجب أن يتسم حديثنا عن سلطة الدين في المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة، من منطلق قراءة واعية و متبصرة لهذا الموضوع هي تلك التي تنطلق من إدراك واعٍ للحدود التي تفصل بين الدين بوصفه رسالة سماوية ربانية وبين الدين كأويلا بشريا قد يخضع لغايات مختلفة، وقد تنبعت القاصة الجزائرية إلى هذه القضية، فلم يكن عليها أن تكتب لتعيد بناء دين جديد و إنما لتصحح زوايا النظر التي كثيرا ما التبست بما هو لا ديني وأصبحت تشكل بعدا أعمق من العقيدة" 22، وهكذا صورت في قصصها محاولات الرجل قمع المرأة انطلاقا من تفسير ذكوري للنصوص الدينية.

نتبين مما سبق أن القاصات الجزائريات قد صوّرن في قصصهن القصيرة الصراع بين المرأة والسلطة في أشكالها الثلاثة (سلطة الذكورة، سلطة المجتمع، سلطة الدين)، حيث تحاول سلطة الذكورة أن تقمع الأنثى وتغتالها جسديا ونفسيا، كما يحاصرها المجتمع بعاداته وتقاليدته وأعرافه الاجتماعية، ليس هذا فحسب بل إن الرجل قد اتخذ من النص الديني وسيلة أخرى يكرس بها دونية المرأة انطلاقا من تأويل ذكوري.

الإحالات و الهوامش:

- 1- وجدان الصانع، شهزاد و غواية السرد قراءة في القصة و الرواية الأنثوية، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ط1، ص9
- * شكل من أشكال القص يقدم فيه المبدع مجموعة من الصور تعرض بعض مظاهر الحياة في افتقار بيّن إلى بناء فني متكامل.
- 2- باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002، ط1، ص14، 15.
- 3- المرجع نفسه. ص65.

- 4- شمس الدين موسى، تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، (دط)، 1997. ص11.
- 5- علال سنقوقة، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية(دراسة)، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، 2000، ط1. ص 40.
- 6- المرجع نفسه. ص62.
- 7- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. ص 409.410.
- 8- زهور كرام، خطاب ربات الخدور مقارنة في القول النسائي العربي و المغربي، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2009، ط1. ص7.
- 9- نوال السعداوي، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1990، ط2. ص36.
- 10- حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردي النسوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013، ط1. ص09.
- 11- محمد نور الدين أفاية، الهوية و الاختلاف في المرأة-الكتابة و الهامش-، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، دط، دت. ص34.¹
- 12- زهرة بوسكين، الزهرة و السكين، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003، ط1. ص 20.
- 13- نihal مهيدات، الآخر و الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ط1. ص 34.35.
- 14- فاطمة بريهوم، بيت النار، أصوات المدينة، قسنطينة، 2004، ط1. ص 17.
- 15- ليندا عبد الرحمان، تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة، دار فضاءات للنشر و التوزيع، الأردن، 2007، ط1. ص46.
- 16- فاطمة بريهوم، بيت النار. ص 17.
- 17- المرجع نفسه. ص 48.
- 18- عبد العالي بوطيب و آخرون، الكتابة النسائية التخيل و التلقي، اتحاد كتاب المغرب، 2006، ط1. ص 32.
- 19- فاطمة بريهوم، بيت النار. ص45.
- 20- المرجع نفسه. ص 81.
- 21- . زهرة بوسكين، الزهرة و السكين. ص46.

- 22-آمال منصور، الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل و سؤال الهوية ربيعة جلطي و أحلام مستغامي نموذجاً، مجلة عمّان، ع135، 2006، ص78.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- وجدان الصائغ، شهرزاد و غواية السرد قراءة في القصة و الرواية الأنثوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ط.1
- 2- باديس فوغالي، التجربة القصصية المسائية في الجزائر، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002، ط.1
- 3- شمس الدين موسى، تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 1997، دط.
- 4- علال سنقوقة، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية(دراسة)، رابطة كتّاب الاختلاف، الجزائر، 2000، ط.1.
- 5- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 6- زهور كرام، خطاب ربّات الخدور مقارنة في القول النسائي العربي و المغربي، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2009، ط.1
- 7- نوال السعداوي، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1990، ط.2
- 8- حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013، ط.1
- 9- محمد نور الدين أفاية، الهوية و الاختلاف في المرأة-الكتابة و الهامش-، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، دت، دط.
- 10- نihal مهيدات، الآخر و الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ط.1.
- 11- فاطمة بريهوم، بيت النار، أصوات المدينة، قسنطينة، 2004، ط.1.

12- ليندا عبد الرحمان، تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة، دار فضاءات للنشر و التوزيع، الأردن، 2007، ط.1

13- عبد العالي بوطيب و آخرون، الكتابة النسائية التخيل و التلقي، اتحاد كتاب المغرب، 2006، ط.1

14- آمال منصور، الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل وسؤال الهوية ربيعة جلطي و أحلام مستغانمي نموذجاً، مجلة عمان، ع2006، 135.

اللغة الأمازيغية بين الطرح البنيوي والاستخدام الوظيفي: مسارات في إشكالية الوعي بالأزمة الهوياتية

Amazigh language between structural proposition and functional use: Pathways in the problematic of awareness of the identity crisis.

الجيلالي رقاد (جامعة تلمسان/ الجزائر)

محمد كحلي (جامعة وهران 2/ الجزائر)

ملخص:

يمكن القول: أن الاعتراف الأخير باللغة الأمازيغية كلغة وطنية والإقرار بها دستوريا، أعاد طرح الكثير من النقاشات، ولعل الجدل الأكثر حضورا وتوسعا كان حول تعليمها، باعتبار اللغة الأمازيغية تحمل إشكالات متعرجة طبعتها مسارات متعددة من الأزمات السوسيوثقافية والسياسية، ونحن نعتزف أن الأزمة اللغوية للأمازيغية، ليست وليدة جزائر الاستقلال التي عادت منذ إعلان تعليمية اللغة الأمازيغية، والكل يعلم مدى مساهمة الأطروحة الفرنسية «عرب/بربر» قبل الاستقلال وبعده، لتفجير المسألة الأمازيغية والنفخ فيها، فإن الاعتراف بتعليم اللغة الأمازيغية أعادت معها جذور الأزمة الهوياتية بين التيارات النخبوية الأمازيغية داخليا، حول الحرف الذي تكتب وتدرس به، لأنها تعاني أزمة تراكيبية، أو بين النخب التي ترفض الأمازيغية وتريد من تصعيد الأزمة الهوياتية للجزائريين على الصعيد اللغوي، وحتى العرقي، إنها حقا متاهة بدأت تعود لإفراز أزمات بيداغوجية بالدرجة الأولى للمدرسة الجزائرية، وللهوية الوطنية. وتركيزنا في هذه الورقة سيكون على الأزمة الهوياتية التي ولدت أزمة بيداغوجية تعليمية في تدريس اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: تعليمية اللغة الأمازيغية، الطرح البنيوي، الاستخدام الوظيفي، الأزمة الهوياتية.

Abstract:

It can be said that the recent recognition of Amazigh language as a national language and its constitutional recognition has re-introduced many debates, and perhaps the most controversy and expanding debate was about its teaching as the Amazigh language carries tortuous problems typified by multiple tracks of sociocultural and political crises. And we recognize that the linguistic of Tamazight is not the result of Algeria independence that has returned since the declaration of Amazigh language teaching and everyone knows the contribution of the thesis (Arabs/Berber) before and after

independence to blow up the Amazing issue and molding in it. So the recognition of Amazing language teaching re-established the roots of the identity crisis between the Amazing elite currents internally about the character that you write and study with it, because it suffers from a compositional crisis or between the elites that reject the Amazing and further escalate the identity crisis of Algerians on the linguistic and even ethnic levels. It is really a maze that began to return to the emergence of pedagogical crises primarily for the Algerian school and national identity. Our focus in this paper will be on the identity crisis that generated a pedagogic educational crisis in teaching Amazing language in the educational system in Algeria.

Keywords : Amazing language teaching, Structural proposition, Functional use, the identity crisis

مقدمة:

قال الله عز وجل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ إن تعدد الألسن لآية من آيات الله، خص به خلقه وجعلها ضربا ومثلا للعالمين، وهنا يمكن القول: إن اللسان أو اللغة هي المعبر الحقيقي، عن الهويات بل هي المكون الأقوى في إعطاء توسيمات للأجناس والأعراق، عن كينونتهم وهويتهم .

فلا مراء أن ما تمر به اللغة الأمازيغية يعبر بحق عن الأزمة الهوياتية، وتلك الحالة السيكلوسانية التي يعيشها العرق الأمازيغي، الذي عرفها منذ عصور سبقت دخول العرب والمسلمين للشمال الإفريقي، نتيجة التشتت وكثرة العصبية، التي سيطرت من حيث لهجاتها المنتشرة في المنطقة المغاربية، وعدم انضوائها تحت منبع ومصدر لغوي تلمحاً إليه، ويكون حافظاً لها من الاندثار أما لهجاتها، ولعل هذا ما عمق وأعاق تطور اللغة الأمازيغية، بشهادات الكثير من الباحثين. ومن هنا يتضح أن الأزمة اللغوية الأمازيغية ليست وليدة جزائر الاستقلال، وليس لها أي علاقة بالإسلام والعروبة، وإنما تصاعدت نتيجة الإيديولوجيا الإستعمارية، التي خلقت الأزمة للتفرقة بين العرب والبربر، وساهمت النخب المفرنسة في إحياء الأزمة*، ونحن نشهد عودة البعض إلى توجيه الإتهام للغة العربية، إن هذا الطرح عاري من عين الصواب والحقيقة، وإن أزمة الأمازيغية مطبوعة على العديد من المسارات، التي وضعت بصمتها وزادت من تعميق أزمة اللغة للعرق البربري، سواء كانت تاريخية أو إستعمارية أو عرقية أو سياسية، ونحن هنا نقف على محاولة الدولة الجزائرية، فتح الباب أمام تعليم اللغة الأمازيغية والإعتراف بها كلغة رسمية ووطنية، ولكن تبقى مسارات الأزمة اللغوية بالنسبة للأمازيغية، قابعة أمام ترجمتها من السياق البنوي إلى الوظيفي، أي ترجمة مفرداتها ومصطلحاتها في العملية التعليمية، التي تلقى أزمة حقيقية أمام العديد من الإشكالات، التي أفضت إلى أزمة بيداغوجية، أولاً تعدد اللغات الأمازيغية وعدم وضوح الرؤية في ترجمتها وكتاباتها، وعدم تطويرها لترقى إلى مصاف اللغات من الناحية العلمية، فاللغة الأمازيغية لها نسق متعرج لأزمته، وهي مرهونة بغطاء

سيوسيوسياسي، وما أقصده بالغطاء السيوسيوسياسي، هو إخفاء أزمة هوياتية عميقة، تستقي سياقها من التاريخ البعيد والحديث أيضا، بمعنى رغم إقرار الدستور بما كلفه ثانية وإدراجها في المنظومة التربوية، إلا أن صيغة تدريسها تبقى مبهمة إلى الحد الذي يجعلها غير قادرة على تلفظ مفرزات تلك المسارات السوسيوثقافية التي ورثتها، والتهجين الذي مورس عليها، لكن تدريس اللغة الأمازيغية يكون من حيث التركيبة اللغوية ومرجعياتها التدريسية، من خلال طرح إشكال عويص يتمثل في المرجعيات التدريسية، هل تدرس باللغة العربية؟ أم باللغة الفرنسية؟ أم بالحرف البربري؟ وهذا في حد ذاته إشكال معرّي وإبستمولوجي، يعكس بشكل أو بآخر الأزمة الهوياتية، أي أن الأزمة لها مسارات ليست وليدة اليوم، بل لها مسارات متتالية حتى قيام الدولة الوطنية، وأولها الأزمة السياسية والحضارية وصراع النخب الأمازيغية، والإستخدام التعليمي للغة الأمازيغية، يتطلب حسما بيداغوجيا في كيفية تدريسها، وهذا يتوجب طرحا سوسيوثقافيا، وإعادة النظر في أعتابها، مع الإهتمام بخصائص اللغة الأمازيغية التركيبية. ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات الآتية:

كيف ساهم الإقرار باللغة الأمازيغية في إعادة إحياء الأزمة الهوياتية للعرق الأمازيغي؟

وما مدى معاناة اللغة الأمازيغية من أزمة تراكيبية في ظل صراع النخب في الجزائر؟

الفرضيات:

تعتبر بمثابة حلقة منهجية مهمة في البحوث الأكاديمية، فهي كإجراء تمكن الباحث من السير بخطوات واضحة نحو فهم وتفسير إشكالية دراسته، باعتبارها حلا مؤقتا لبحثه، وعليه كانت الفرضيات كالتالي:

- الإقرار باللغة الأمازيغية وترسيمها في المنهاج الدراسي، أعاد إحياء الجدل حول الأزمة الهوياتية للعرق الأمازيغي.
- صراع النخب في الجزائر أدى إلى تعميق الأزمة التراكيبية للغة الأمازيغية.

المدخل النظري:

يمكن اعتبار المشكلات والأزمات اللغوية في الجزائر تتحملها الهويات برمتها، ولعل دراستنا للأزمة اللغوية الأمازيغية تتطلب مدخلا تفسيريا، يمكننا من خلاله تفسير هذه الأزمة، وعليه لجأنا إلى نظرية «سوسولوجيا الهوية»، التي اعتنت بتفسير الظواهر الهوياتية، وهنا يمكن القول أن العامل الأبرز في بناء الهوية هي اللغة، إذ تعتبر الحصن الحصين في مدى سلامة أو تأزم الهوية، وبالتالي قمنا بالارتكاز على منهجية «الفهم والتحليل» وفق الرؤية الفيبرية لـ «ماكس فيبر»، لأن فهم الهوية في أبعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية يمكن من المدلولات التي تسمح بفهم الأزمة، ولا شك أن عودة أي ثقافة أو عرقية من العرقيات لمناقشة اللغة، فهي حتما سوف تعود بقوة إلى المسألة الهوياتية، للبحث فيها عن حلول لمشكلاتها اللسانية واللغوية، ولعل الأزمة اللغوية للعرق الأمازيغي في الجزائر طرحت ولازالت تطرح بجدّة، رغم الإقرار بما كلفه

وطنية وإدراجها في المنظومة التعليمية، وهو ما جعل العديد من الباحثين يعيد النظر فيها، عبر العديد من المداخل النظرية التي حاولت تفسير الإشكالية اللغوية لمختلف الثقافات والأعراق عبر البحث والتقصي اللساني داخل الجزائر وخارجها، لتفسير ما رسمته الحركات الأمازيغية من التوتر الهوياتي، وتضارب النخب حول طرق تعليم اللغة الأمازيغية وكيفية كتابتها، وتطويرها.

ومن هنا نقول أن هناك تضاربا بين الطرح البنيوي والاستخدام الوظيفي، أي ما نعتبره انفصال للفكر عن الواقع، فحين نعود لأغلب الكتاب والباحثين، فإن تصوراتهم في إيجاد حلول تكون أشبه بالأمثلة، التي لا نستطيع توظيفها عمليا، أو أن أفكارهم لا تحمل أي حياد قيمي بخصوص الأزمة الأمازيغية، في حين أن الاستخدام الوظيفي للغة الأمازيغية في مكنم الصعوبة، رغم الإقرار بها ومحاولة فك العزلة والتهميش عنها أو محاولة فتح الأبواب أمامها، إلا أن أزمة اللغة الأمازيغية تحمل عمقا في أبعادها الوظيفية، سواء على المستوى التراكبي، من نحو وصرف أو طريقة الكتابة، بالإضافة إلى الصراع بين النخب، إن هذا الشكل بدأ يعيد الأزمة الهوياتية للأمازيغ أكثر مما يناقش المسألة اللغوية، وعليه فإن هذه الدراسة أردنا فيها التعرض لبعض المسارات التي أعادت جذور الأزمة بعد الاعتراف بتعليم اللغة الأمازيغية.

1: تعليم اللغة الأمازيغية والعودة إلى جذور الأزمة الهوياتية:

لقد أصبحت المجتمعات المعاصرة تزخر بالتنوع والتعدد وتساعد الثقافات العرقية في المطالبة بحقوقها، في عصر أصبح من خصوصياته الانفتاح على الآخر والاعتراف بالحريات الفردية والجماعية، إذ تعتبر الجزائر واحدة بين أكثر الدول التي طرحت ولا زالت تطرح فيها الأزمة اللغوية والهوياتية الموصولة بالعرق البربري، وبالتالي لا ينكر أحد اليوم أن إدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية، أعاد رياح الأزمة الهوياتية إلى الواجهة من جديد، حيث أن حدة الإقرار بها كلغة وطنية، لم يكن بحدة تعليمها، ولعل العامل الأول في ترسيخ الأزمة التي احتضنها المجتمع الجزائري، كانت كمخلف للإستعمار الثقافي، الذي مورس عليها من قبل الفرنسيين قبيل وبعد الإستقلال، حيث أن الكثير من دعاة النزعة البربرية هم في حقيقة الأمر يدافعون عن اللغة الفرنسية، ويستعلمون اللغة الأمازيغية كستار لمشروعهم فقط، الهادف إلى إزاحة اللغة العربية، وإحلال الفرنسية محلها، ونحن نشهد تلك الحالة الاغترابية التي ولدت أزمة سيكولسانية تجعل البعض يتكلم الفرنسية كمحاولة لإثبات تمرده عن العربية ونكاية في دعائها، إذ ينظر البعض إليها على أنها الفاعل الحقيقي للأزمة اللغوية للأمازيغ، وبذلك فإن الدعوة إلى إعادة الإقرار للغة الأمازيغية مؤخرا بتعليمها هو نوع من الضغط السياسي فقط، ومؤشرا على صراع نجبوي في الجزائر، بين المعربين من جهة، والفرنكوفونيين من جهة أخرى. فتاريخيا الأزمة البربرية تعد إحدى الركائز التي طفت منذ العقود الماضية، والتي تعود بداياتها إلى نهاية النصف الأول من القرن الماضي، مع جهود الإستعمار الفرنسي عبر «البعثة العلمية»، و«معهد الدراسات البربرية» في باريس، حيث كان يُصدر أعدادا من مجلة «الأرشيف البربري» «1915-1918م»، ثم مع «مجلة هسبريس»، التي صدرت بداية من العام 1921م، والتي كان يعدها

ضباط فرنسيون ومستشرقون، بالإضافة إلى أنثروبولوجيين وسوسولوجيين فرنسيين.2 الذين استطاعوا تفكيك البنية الثقافية والإجتماعية للمجتمع الجزائري، خدمة لمشروعهم الاستعماري، مما سمح باستمالة الدراسات على أساسات عرقية.

إن هذه الأطروحات كان لها التأثير الكبير في بزوغ الحركة الشعبية البربرية، التي أحدثت اندلاع الأزمة البربرية في الأربعينيات، بعد ما أقدم عليه « مصالي الحاج»، بإرساله مذكرة للأمم المتحدة يحدد فيها معالم الهوية الجزائرية سنة 1948 أين حددها في العروبة والإسلام بشكل حصري، مما وجد فيه أنصار البربرية أنه ردة فعل عن الذات و إسقاط لأهم مكون من مكونات الشخصية الجزائرية، وهو الإمتداد الأمازيغي، ولا شك أن للسلطات الإستعمارية دور ويد في ردة الفعل هذه، التي كان الهدف منها تأزيم الهوية الوطنية، وضرب أي مشروع وطني في الصميم، لقد مثلت هذه الأزمة فاتحة ومقدمة للعديد من الإنزلاقات، التي شهدها المشروع التحرري الإستقلالي فيما بعد3، مع الإعتراف أنه من الخطأ تجاهل الهوية الأمازيغية.

هذه الأخطاء التي ارتكبتها التيارات المناادية بالتعريب، جعلت الحركات الأمازيغية تسهم في إعادة الأزمة الثقافية، للمجتمع كردة فعل تتميز بالعنف أحيانا وبالحوار أحيانا، لتفصح عن أطروحاتها كلما سمحت لها الفرصة، وتحولها من الهامش إلى المركز في العديد من المناسبات، خاصة عندما تعلق الأمر اليوم بتعليم الأمازيغية، رغم أن المتتبع لهذه الحركة منذ نشأتها سنة 1949 واستئصال جذورها من جسم الحركة الوطنية، في ذلك الوقت ثم تجديد بعثها بقوة بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1967، بمباركة وتمويل وتخطيط فرنسي، وتنفيذ محلي جزائري تحت أقتعة متنوعة4، فجعلت الكثير ممن تأثر بالأطروحات والتنظير الفرنسي، يغالي في المسألة الأمازيغية إلى حد مناداة البعض بإنشاء منطقة القبائل الكبرى. وهنا نجد «مالك بن نبي» يقول بخصوص اللغة أن الإستعمار الفرنسي سعى أن يجعل من الفرد خائنا ضد المجتمع، الذي يعيش فيه، وثانيا حاول أن يحقق خيانة المجتمع على يد البعض، وبخصوص اللغة الأمازيغية، أرادت فرنسا أن تمزق الجنس البربري ككل ممزق وتفركه وتوزعه على أمم أوروبية، كي تذهب وحدته، وهي أمنية يحلم بها بعض السياسيين الأمازيغ، الذي يفتنمون كل فرصة ومناسبة لتبني الدفاع عن المسألة الأمازيغية5، خاصة أننا اليوم نعايش نموذج فرحات مهني، وحركة الماك التي أسست حكومة مؤقتة في فرنسا، وأصبح لها علم خاص، وهي تسعى إلى ضرب الوحدة الوطنية، بحجة الدفاع عن اللغة الأمازيغية، لكن يبقى تمثيلها محدود، وشعبيتها منعدمة، في منطقة القبائل، التي تبحث عن إحياء اللغة الأمازيغية، لكن دون المساس بالهوية الوطنية، وهذا التيار المعتدل هو من يشكل الأغلبية، بالنسبة لمسألة اللغة الأمازيغية كمكون أساسي للهوية الوطنية.

فالإعتراف في العقدين الأخيرين بتعليم الأمازيغية وترسيمها كلغة وطنية في الدستور، أعاد طرح الأزمة الهويةية، مما سمح للبعض بالعودة لأطروحات مغمورة بالنزعة العرقية، لأن طرح المسألة اللغوية حتما تدفع البعض إلى الرجوع لمسألة الهوية الأمازيغية الجامعة وهنا نجد «محمد عمارة» يقول بأن هوية الشيء ثابتة، التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها، لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره

وتتحدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الشمس، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات"6.

إن إدراج الامازيغية في المنظومة التربوية أدى إلى عودة الجدل والنقاش حول تلك الأطروحات التي تثير الهوية الامازيغية، إنفا القضايا التي خلقتها أزمة المطالب الامازيغية سابقا، كتدريس الامازيغية، توحيد الامازيغية، الحكم الذاتي " للمناطق" الامازيغية، علاقة الغزو العربي بنشر الإسلام... إلخ7، والتي تتبناها الحركات الامازيغية المناوئة للنظام السياسي أو للبربريين، وتعتقد أنهم المسؤولين عن أزمتهما، دون الشعور بالأزمة الضارية في الزمن البعيد، فحينما نعود لمسار الحراك البربري نجد قد قام بالعديد من الاحتجاجات التي وصلت إلى العنف، خصوصا عندما نعود لما حدث في الثمانينات على خلفية منع الكاتب «مولود معمري» من إلقاء محاضرة له، حيث كانت هذه الحركات دائما ما تتبنى أطروحات الدفاع عن الهوية الامازيغية ولغتها، رغم أن بعضها حمل مشاريع وأفكار خطيرة، ولكن بعد «أحداث 2001» دخلت التنظيمات التقليدية بثقلها التعوي ورصيدها الشعبي على ساحة الأحداث وصولا إلى الاعتراف بما كلغة وطنية، والذي كان بمثابة سحب للباسط من طرف السلطة لكل تمثيل سياسي " شرعي" للمنادين بهذه المطالب8. وهنا يمكن اعتبار أن أغلب الأحزاب السياسية، التي حاولت أن تتصدر المشهد كمدافع عن الهوية الامازيغية، كمحاولة لإنكار عروبة الجزائر وإسلامها أو إثبات إسلامها، دون عروبتها أو إثبات عروبتها المستعمرة دون إسلامها، وجدت نفسها تطرق أو تقفل أبوابا فتحها الفاتحون الأوائل، ولئن كان طرق الأبواب لا يفيد، فإن محاولة غلقها لا يعيد التاريخ9، ولذلك فإن القفز الى الوراء من طرف البعض يعد بمثابة محاولة لتغذية الهوية الامازيغية أو محاولة لفهم ذاتها، حيث تبرز هذه الأفكار كمشروع لبعض الاحزاب البربرية أو الحركات التي تلزم نفسها بأنها الاحق بالدفاع عن المطالب الامازيغية، رغم أن أنصار هذه التوجهات ليس بالكثير أو المسيطرة في المناطق الامازيغية ولكن يمكن تغذيتها وتجييشها بمرور الوقت من طرف بعض الاحزاب السياسية البربرية التي تستثمر في عواطف الأفراد.

ولذلك لو عدنا إلى السلطات السياسية في تعاملها مع هذه المطالب، سوف نجد أنها أخرجت المسألة الامازيغية من قبضة الأحزاب البربرية، وإسقاط شرعيتهم، وهو ما جعل الدول تسارع إلى تهدئة الشارع الامازيغي، دون أن يتبنى أي وسيط سياسي دوره في المسألة والاستثمار فيها، ونحن نعتزف أن الكثير ممن تبنا الهوية الامازيغية والدفاع عنها كانت أطروحاتهم أكثر إقلاقا، خاصة إذا تعلق الامر بالوحدة الوطنية، وهذا ما يمكن أن يحدث شرخا في الهوية ويهدد الأمن الوطني، ولذلك قامت الجزائر بفسح المجال أمام الامازيغية وإكسابها مكانة في وطنها الأصلي، وبذلك أصبحت الدولة هي المبادر الوحيد إلى تقديم حلول ترسخ من الهوية الامازيغية، متجنبين الدخول مع أي طرف للحوار أو تيار سياسي يدعي أنه يتبنى المطالب الامازيغية، وهذا حتى لا تعطي أي فرصة لتحويل بعض الأحزاب والشخصيات إلى رموز بالنسبة للمسألة الامازيغية، فمثلا «حركة العروش» التي تبنت المطالب الامازيغي، نجد السلطة حاورتها، لكن من أجل تفكيكها وإفقادها مصداقيتها في

المنطقة، وليس من أجل تقديم تنازلات في ما يخص اللغة الأمازيغية، وهنا حتى تبقى السلطة وحدها هي التي تقدم الحلول وتستبعد أي محاولة لممارسة الضغط عليها.

ولكن منذ اعتراف الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة بالأمازيغية، كلغة وطنية ورسمية في الدستور الصادر في فبراير/شباط 2016، وإعلانه الإحتفال بعيد رأس السنة الأمازيغية، في 12 يناير/كانون الثاني من كل سنة، تفاقمت المناوشات السياسية والإعلامية والفكرية بين أنصار الأمازيغية، والرافضين لفرضها في المنهاج الدراسي ومختلف المستويات الإدارية¹⁰. التي طفحت بإعادة الأزمة الهوياتية، إذ بدأت تعيد نوعا من التشقق والصراع والعودة إلى أطروحات عرقية، بين العرب والأمازيغ حول المحددات الهوياتية للجزائر، وقد انطلقت المسألة الأمازيغية فعليا مع «ميشو بلير» الذي يمكن اعتباره أول من دعا إلى توظيف ثنائية «العرب/البربر»، والتي أصبحت فيما بعد مقولة مؤطرة لجميع الدراسات الكولونيالية¹¹، حيث تتحول الأزمة في الكثير من الأحيان من اللغة وتعليمها إلى طرح مسألة الوافد، إنها مسألة خطيرة تستهوي الكثير من الذين يعودون إلى أطروحات ترفضها الوحدة الوطنية على شاكلة «فرحات مهني» ونحن لا نرفض الهوية الأمازيغية أو تعليمها، ولكن لا نوافق على النزعة البربرية التي تستثمر في مسألة اللغة واستخدامها كأيدولوجيا، للتعبية والحشد واستئثار العواطف، إذ تساهم في تحويل الأزمة اللغوية إلى صراع عرقي يهدد الوحدة الوطنية، فإن عودة هذه الأطروحات على مساحات واسعة تجعل اللغة معاقبة، وحينما نتحدث هذه الأزمة الأمازيغوفونية فإننا نتحدث عن شيء يهم في الوقت الحاضر، ما يربو عن عشرة بلدان في المغرب الكبير والصحراء والساحل، لكن المغرب والجزائر هما من بعيد، البلدان اللذان يتوفران عن العدد الأهم من الساكنة الأمازيغوفونية، وهما البلدان اللذان تطرح فيهما " المسألة الأمازيغية " بحدة أكثر¹².

وهنا نعود لنقول أن الخطوة الجبارة، التي قطعتها الجزائر بترسيم اللغة الأمازيغية كلغة وطنية في الدستور، أعاد الجزائر إلى مسارات الأزمة الهوياتية، ولا شك أن ترسيم الأمازيغية في المدرسة الجزائرية أصبح من الضروب التي باتت تشكل هاجسا حقيقيا عن إيجاد حل رغم تدريسها، بل توسعت حتى وصلت إلى الطبقات الشعبية هذه المرة، ونحن نشهد تظاهرات للأولياء التلاميذ في ولاية جيجل يرفضون إجبارية تعليم أولادهم للأمازيغية، بل حتى بعض الطبقات الأمازيغية لم تتلقف الإعتراف بتدريسها بالحماس الذي كان منتظرا في الأوساط الأمازيغية. لماذا؟ لأن الكثير من الأمازيغيين يقولون: لماذا "سيضيع" أولادهم الوقت والجهد في تعلم الأمازيغية التي لا يطالبون بها غدا في المباريات والإختبارات الخاصة بالشغل والتوظيف، والتي تشترط الفرنسية والعربية وليس الأمازيغية؟¹³.

ولعل هذا ما جعل بعض اللغويين ينطلق من مقترح وفرضية استحالة تشكّل لغة أمازيغية موحدة لسبب بسيط كما يقول: «عبد الرزاق دوراري» أنّ العربية تلعب دور اللغة المشتركة في الجزائر بل والبلدان المغاربية كلها ليست فكرة تدريس القبائلية في حد ذاتها إذاً سخيفة أو غير علمية، لكن انتشارها في الطرف الراهن لن يكون - للأسف - دليلا على تحسن المعارف الألسنية للجماهير، بقدر ما سيكون دليلا على تعاظم تأثير أفكار «فرحات مهني» شبه الانفصالية¹⁴.

وهنا يمكن الإعراف بأن تعليم الأمازيغية بات مفتاحاً في يد البعض، لصب النار على الزيت بالعودة لإقحام الهوية الوطنية ضمن هذا الصدام، وطرح الأزمة على أنها سياسية فقط، متناسين الأزمة السوسيوثقافية للعرق البربري، وربط الإقصاء للغة الأمازيغية بالعروبة، والحقيقة أن العربية كانت لغة حضارة، ولذلك من الطبيعي أن تخضع اللغة المغلوبة للغة الغالبة، كما يقول ابن خلدون: «المغلوب مولع بتقليد الغالب» في حين أن بقاء اللغة الأمازيغية قاصرة على التطور نتيجة هيمنة اللغة الغالبة أو لغة الحضارة الغالبة. ويشبه هذا إلى حد ما تأخر لغتنا بالمقارنة مع لغات العولمة، كالإنجليزية نتيجة قوة الحضارة الغربية ولكن بالعودة للسير التاريخي بين الأمازيغية والعربية، يبدو مدى الإنسجام اللغوي، الذي أعقب دخول المسلمين كدخيل بلغتهم، حيث خرجت من رحم القبائل البربرية الكثير من العلماء عبر تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي الذين كتبوا بالعربية، مع الإعراف بعدم إلزام التعريب بالإسلام للأمازيغ، كما فعل بعض المعربين، وذلك أن "وتيرة الدخول في الإسلام كانت أسرع من وتيرة إعتناق اللغة العربية في الجزائر، لذلك فإن أطروحة إلزامية الإسلام بالعربية خطأ واضح، وعرفت العربية والأمازيغية بتعايشهما لأكثر من عشرة قرون وظهرت المسألة اللغوية مع الجزائر المعاصرة وظهر معها التشنج"¹⁵، وهذا دليل على اللعبة الكونية، التي تتسرب إلينا تحت غطاء العولمة، أي إثارة المكونات داخل الدولة الوطنية وتفتيتها بحجة الحرية وتشجيع الثقافات المحلية، والانتقال بنا من مجتمع الهوية الواحدة أو الغالبة، مع إحترام الهويات الأخرى إلى مجتمع الطائفية والمحاصصة مثل العراق ولبنان، وأفغانستان بعد حرب 2003.

لقد سار البربر والعرب بنفس السياق التاريخي واللغوي، الذي أسهم في بناء حركة علمية أمازيغية بلسان عربي، حيث يقول «جوزيف بوريلي "j.bourilly"» أن الإسلام له العامل الأكبر في تعريب البربر، فالتعليم الديني والصلاة كانت تجري باللغة العربية¹⁶، فهذا يوحي بالانسجام البربري العربي في مختلف المجالات، وليس اللغوي فقط، وبهذا الشكل يرى البربر أنهم اعتنقوا الإسلام وتعلموا لغته، في حين لم يتنكروا لهويتهم اللغوية، ولم يرى البربر عبر مساهمتهم للجنس العربي أن الأمازيغية أصبحت قاصرة أمام العربية، لأن العربية لغة دينهم بل حافظوا على الإرتين مع لغة الدين (العربية) ولغة العرق (الأمازيغية) هنا يمكن القول أن حل العلماء المغاربة كانوا من العرق الأمازيغي الذي برعوا في اللغة العربية ابن معطي الزواوي وعبد الحميد ابن باديس وغيرهم كثير.

2: أزمة التراكيب اللغوية وتعدد الآراء النخبوية:

لقد كانت الأبجدية الأمازيغية في بداية مراحلها الأولى من وجودها تتكون من حروف صامتة، هي المعنية بالتيفيناغ، وقد كانت حروفها ستة عشر حرفاً وأنها صارة ثلاث وعشرين فهذه الزيادات المتأخرة تقابل الفتحة والكسرة التي كان يكتب بها الأمازيغ القدماء¹⁷، أما اليوم ورغم أن بعضها مكتوب من طرف مثقفين ذوي مستوى تعليمي عالٍ، فهؤلاء الكتاب الأمازيغيون يظنون أنهم "يكتبون"، لكنهم في الحقيقة يدونون خليط ما ينطقون به صوتياً، وهذه ليست كتابة، بل هي

بمجرد كلام مدوّن بحروف لاتينية في الغالب، وشتان بين الكتابة، الخاضعة للقواعد النحوية، والإملائية، والتي من شروط إتقانها وتعلمها في المدرسة¹⁸.

وهنا يمكن القول أن طول الفترة التي غيّبت فيها كتابة الأمازيغية، وبقائها حبيسة المشافهة جعلها تنحصر وتختص للشرط والمحيط الذي فرض على نسقيتها اللغوية، ولذلك نجد بعض الكتاب المعاصرين نبهوا إلى خطورة التعريف الوظيفي الشائع للغة، والذي يقوم على أنها أداة ووسيلة للتبليغ، ذلك أننا إذا حصرنا اللغة ضمن هذا التعريف التبسيطي، وقصرنا مهمتها في دور التبليغ أو التعبير، انتفت كافة الفروق الأساسية، التي تفصل بين اللغة القومية واللغة الأجنبية، فأصبح بإمكان أية أمة أن تختار اللغة، التي تستعملها بالإعتماد على المفاضلة بين اللغات، من حيث نضجها وقدرتها على الإستيعاب¹⁹، أي إنه يستحيل الفصل بين اللغة والهوية، لأن هذين النسقين متلازمين دوماً، فعودة الأزمة اللغوية الأمازيغية حتماً تتلازم بعودة الأزمة الهويةية.

وإذا عدنا إلى الواقع نجد تشخيصات الأزمة اللغوية للأمازيغ متباينة إلى حد ما من الوضوح، حيث نجد «سعيد بن عبد الله الدارودي» يقول أن الدعوة البربرية قائمة على الأساس العرقي، وإن ادعت غير ذلك، وارتكزت على اللغة بصفتها الصخرة الصلبة والراسخة، التي يمكن الوقوف فوقها بثبات لإيصال رسالة الحركة الأمازيغية وتحقيق مطالبها والوصول إلى أهدافها²⁰، لرد الاعتبار للأمازيغية، وكذلك نجد أيضاً «أحمد بن نعمان» يقول أما اللغة البربرية الأصل فهي مضمحلة اضمحلالاً كلياً في البلاد، سواء على مستوى التراث المكتوب أو التداول الشفهي اليومي، ولم يبق في الجزائر اليوم إلا اللهجات المتفرعة عنها منذ قرون، والتي يبلغ عددها في الجزائر وحدها ما يفوق العشر لهجات عبر كافة أرجاء الوطن²¹، إن هذه المقولة تجعلنا نعترف أن الأزمة التركيبية تطرح على عدة مستويات، بداية مدى توفر التوليفات الجامعة، بين اللهجات ومدى انضباطها بنسق لغوية واحد، يمكن أن يكون ملم بجميع اللهجات، ومدى اعتراف الهويات اللغوية الفرعية واتفاقها. لأنه حتى عندما يكتب الأمازيغيون أمازيغيتهم، فإن غالبيتهم يكتبونها بطريقة تنفّر من قراءتها لأنها كتابة غير مفهومة وغير سليمة، لا تحترم القواعد الإملائية والنحوية التي تخضع لها كتابة أية لغة، وهي كتابة غير سليمة ولا تحترم قواعد الكتابة، وذلك لسبب بسيط، هو أن أصحابها لم يتعلموها في المدرسة، لأن شروط الكتابة والقراءة لأية لغة هي تعلمها في المدرسة بواسطة معلم مختص²².

ولكن بالرجوع لـ«عمر تقي» فهو يعتبر اللغة الأمازيغية هي «لغة الزاي» وهي لغة قائمة بنفسها وليست لهجة متفرعة عن لغة أخرى، ولها هي لهجاتها المتفرعة عنها المنتشرة في الشمال الإفريقي ودول الساحل الإفريقي، ويعتبر أيضاً أنها ما زالت لغة حية يتخاطب بها الأمازيغيون ويكتبون بها أبحاثهم وأفكارهم²³، إنها نوع من الأدلوجة الخالية من الحيادية والموضوعية، إذا ما قارنا هذه الرؤيا بدروب الواقع اللغوي الأمازيغي عندما يتحدثون عنها وكأنها لا تعاني من أية أزمة تراكمية وما يحدث

من صراع حول كتابتها ناهيك عن الإشكاليات الأخرى، رغم ما قامت بها النخب الأمازيغية من جمع وتأليف للقواميس والمعاجم كمحاولة لتطويرها والإرتقاء بها.

فالحقيقة أن اللغة الأمازيغية تنتمي إليها كل اللهجات الإقليمية لهؤلاء، وبالتالي فإن وحدة المفردات أمر لا جدال فيه، من جزر الكناري إلى واحات سيوة في مصر، ومن المتوسط إلى النيجر، كما أن الأسس الرئيسية للغة من نحو وأصوات هي الإشكال باعتبارها ظلت تقاوم عزلة هذه اللهجات عن بعضها منذ قرون، لأن الوحدة اللغوية تقوم أساسا على منظومة من الأفكار المتقاربة، حتى ولو اختلف المسلك الظاهري²⁴، وعليه فإن هذه العزلة جعلت هوة واسعة في تعميق الأزمة اللغوية، إلى الحد الذي انفصلت لهجاتها كليا، ووصلت إلى حد اختلاف مضمونها بين الناطقين بها في مختلف المناطق الجزائرية والمغربية عموما.

وهنا نجد «ابن خلدون» يبرر تراجع اللغة الأمازيغية عن باقي اللغات إلى كثرة العصبية، التي ساهمت في تشتت اللغة واستبدالها باللهجات، وبالعودة إلى البحث في مجالات متعددة، لعلم اللغة الاجتماعي، وعلم النفس الاجتماعي وعلم الإنسان الاجتماعي واللغوي، إذ نجده يشير إلى الأهمية المركزية للإرتباط الحاصل بين اللغة والهوية، ويظهر ذلك من خلال اتساق تصوراتنا بشكل سريع عن هويات بعضنا بعضا، بناء على طريقتنا في الكلام²⁵. وهذا ما يحدث بالنسبة للسان الأمازيغي، من تجاذب وتنافر حول لهجاته، التي تقترب في الكلام والأصوات وتبتعد في المعاني، وهو ما يعد إشكالا عالقا في أوساط علماء اللغة واللسانيات في الجزائر، وهو الجدلية القائمة بخصوص ما إذا كان يتوجب تصنيف هذا النسق اللغوي في خانة اللغة، أو تصنيفه في خانة اللهجة، بسبب افتقاره إلى نظام رمزي هجائي و قواعد نحوية و صرفية موحدة بين جميع مستخدمي هذا النسق، على المستوى الوطني، لذلك يرى البعض أنه مجموعة من اللهجات المحلية²⁶، إنها أطروحات عادت بجدل واسع وبدأت تستحكم في تعميق الأزمة اللغوية ومضاعفة الأزمة البيداغوجية داخل المدرسة الجزائرية، في المناطق الأمازيغية، نتيجة تدريسها اعتمادا على المنطوق حسب اللهجات واختلاف الكتابة، وهذا ما يؤكد أن إدراج الأمازيغية في الحقيقة ما كان إلا أفعال وردود أفعال، أسهمت في إعادة إنتاج الأزمة الهويةية، لعدم إمكان الوصول إلى بناء مشروع تربوي موحد ودائم²⁷ حول تعليمها، أو لتطوير الأمازيغية، وبالتالي يتضح أن الإقرار بتدريسها وجعلها لغة اختيارية كان للتهدة، وهنا يمكن القول أن الإنتقال بالأمازيغية من المستوى الشفوي إلى المستوى الكتابي المنشود صعب، لغياب قواعد الكتابة والقراءة التابعة لها فلا يُقبل حتى الأمازيغيون على قراءة النصوص المنشورة بالأمازيغية لأنهم لا يعرفون كيف يقرأونها، وهو ما يعني أنهم لا يفهمونها²⁸.

إذا عدنا إلى واقع اللغة الأمازيغية، سوف نجد أن تدريس هذه الأخيرة، يحمل نوعا من الأعباء الثقافية الضارية في التاريخ البعيد للسان الأمازيغي، ونحن نشهد تدريسها في الكثير من المدارس بمنطقة القبائل مؤخرا بطرق مختلفة ومتباينة، حسب اللهجات الموجودة، وهنا نجد البعض يتساءل عن مدى القدرة على تعلمها؟ ومدى الإستفادة من تعليم اللغة الأمازيغية من طرف الكثيرين، لأبنائهم؟، فإن ترسيم الأمازيغية باعتبارها أحد هذه المطالب، لم يكن نتيجة المطالبة بها، ولكن كان

ذلك بقرار سياسي لاحتواء الأزمة بعد انتشار الثورات العربية، إلا أن تدريسها بقي أمراً متعلقاً بميولات التلاميذ ورغباتهم، وهي تدرس اليوم ليس إجبارياً وللمتعلم حرية الاختيار²⁹.

وهذا ما يفسر تناقض الانتقادات الموجهة من قبل الإسلاميين والأمازيغيين للمدرسة الجزائرية، ففي الوقت الذي يرى فيه الإسلاميون أن المدرسة الجزائرية قد خُربت بفعل الفكر الفرانكوفوني اللائكي (الأمازيغيين التغريبيين)، يرى الأمازيغيون أن المدرسة الجزائرية قد خُربت بفعل الفكر الإسلامي الرجعي (التغريبيين)، الذي يعتقد أن تاريخ الجزائر يبدأ مع الفتح الإسلامي، متجاهلاً بذلك كل الإمتدادات التاريخية الماقبل إسلامية للجزائر³⁰، وقد مثل هذا الصراع وجهاً بارزاً من وجوه النضال من أجل التحرر الوطني، ومقاومة الاستعمار والاستيلاء والاحتواء فارتبطت اللغة بقضية التحرر الوطني بصفة أساسية جذرية³¹ وبالتالي فإن صعوبة الوضع اللغوي الذي خلفه الإستعمار وخلق المسألة الأمازيغية زاد من تعميق أزمة اللغة الأمازيغية، بتهميشها وإقصاء كل ما يمت إليها بصلة. وهنا حدث انقسام هوياتي خطير سيطر على التنظير اللغوي لعقود، وإلى غاية العقود الأخيرة.

في ظل هذا الوضع الهوياتي المنقسم والمتسم بمشاشة البناء، وضع هذا الواقع النخب الفاعلة أمام التحدي المطروح للإستثمار في مسلمات جاهزة، وتوظيف عناصر الهوية الوطنية المحمية بالدستور في صراع خفي، قصد تحقيق شرعية هذه الفئات المتصارعة، بما يخدم في المقام الأول توجهاتها ومصالحها. والنتيجة أن كل توجه يؤسس بطريقة مختلفة لشرعية معينة، حسب ما يخدمه³²، حيث تعيش النخبة صراع الهوية بين التيار الإسلامي والوطني من جهة والتيار العلماني في الحركة الأمازيغية من جهة أخرى، وقد عرف هذا الصراع محطات عديدة في «الجزائر» الراهنة، أبرزها ما يسمى بـ«معركة الحرف»³³. ولعل أزمة الحرف التي تكتب به الأمازيغية استهلكت الكثير من التضارب بالأفلام.

إن المتمعن في كيان هذه الأطروحات يجد حقاً أزمة هوياتية ضاربة في التاريخ البعيد، لأن اللغة الأمازيغية المشتركة القديمة لا توجد إلا في أذهان علماء الألسنية، ولا ريب أنها تتميز عن لهجات اليوم³⁴، أي أن إشكالية اللغة الأمازيغية حيال أزمتها اللغوية، تجعل المتمعن في مصدر أغلب لهجاتها، ليست محددة بمنبع أمازيغي، نتيجة للتفكك الذي عرفتها منذ قرون، ولعل هذا ما يفسره «أحمد بن نعمان» باعتماد لهجاتها على اللغة العربية منذ الفتح أو الفرنسية، التي نخلت منها بعد الاحتلال، وهنا يمكن القول أن اللغة الأمازيغية ليس لها مصدر لغوي فصيح، يمكن الإعتماد عليه، وهو ما يفسر عجز اللغة عن التطور بسرعة كباقي اللغات كالفرنسية، التي وجدت منذ قرون قريبة واستطاعت أن تواكب التطور لأن لها مصدراً ومنبعاً تنهل منه أي اللغة اللاتينية.

فنحن نشهد العديد من الإنقسام حول الحرف، الذي تعلم به اللغة الأمازيغية، فهناك تيارات متباينة، تدعوا بعضها إلى الحرف البربري لأنها ترى أن تعليم الأمازيغية بالحرف العربي يعد خطراً على اللغتين قد يؤدي إلى زوال إحداها وهو أيضاً يؤدي إلى ضرب الهوية الأمازيغية، في حين يرى البعض بأن اللغة الأمازيغية تستلزم الكتابة بالحرف العربي، لإضافة المزيد

من الاندماج بين اللغة العربية والأمازيغية، وخلق سياق هوياتي مندمج، أما الطرف الثالث فإنه يرى تعليمها بالحرف اللاتيني متأثراً بالغة الفرنسية وتملصاً من العربية، ويرى أن تعليمها بالتيفيناغ مجرد إدخال إلى التراث و المتاحف، لذلك تعاني اللغة الأمازيغية من عدم الإستقرار على مستوى الكتابة في حين يبقى تداولها على الألسن غير كاف لاستمرارها كلغة في المستقبل لدى الأجيال، وهو ما يترجم الصراع الخفي بين دعاة الحرف الفرنسي والعربي للغة، وهو صراع أيديولوجي أكثر منه تمكينا لتمازيغت، وإعادة الإعتبار لها كلغة 35، ولعل امتدادات الأزمة البيداغوجية للحرف الأمازيغي، ليست مرتبطة حقا بآراء عقلانية، تريد الخروج من دوائر الأزمة الإيديولوجية، بل تنطلق من مستقى غير مبالي بالوضع اللغوي المأزوم للهوية الأمازيغية إذ تجد دعاة الحرف البربري متأثرين بالحرف اللاتيني، نتيجة أن أغلبهم خريجي المدارس الفرنسية وتأثرهم بالثقافة الغربية، ومحاولة التخلص من العروبة، وتمردا على ما كان مفروضا في ظل مجتمعات أصبحت مفتوحة. وينظر الطرف المعرب للحرف الأمازيغي بنظرة نابعة من إسلامية الهوية الأمازيغية والتحامها بالثقافة العربية، كما يحتج الطرفين باحتواء الأمازيغية على كلمات لاتينية وعربية كثيرة 35% من القاموس القبائلي عبارة عن كلمات عربية 36.

وهنا نجد الناشط الأمازيغي «رفيق بومشرة» من منطقة باتنة شرقي الجزائر، يقول أن: «تغيير حروف كتابة اللغة الأمازيغية من حروف التيفيناغ إلى الحرف اللاتيني أو العربي سيكون تعديلا كبيرا على هذه اللغة»، مضيفا أنه: «لا يجب السماح باغتياال هذه اللغة التي يجب أن تكون لغة قائمة بذاتها، وتفرض نفسها بحروفها وتراكيبها ومعانيها بعيدا عن حروف أي لغة أخرى حتى لو كانت العربية». 37 ولعل أغلب المنادين بالحرف البربري التيفيناغ يحاول الوصول إلى مرحلة تأسيسية للهوية الأمازيغية الأصيلة، التي تكون قائمة بذاتها، ولعل رؤيتهم مبنية على أن اللغة مهما كانت أهم أخطر من أن تكون مجرد أصوات وأدوات للتفاهم أو التعليم، فهي على مستوى الماضي الذاكرة الجماعية الحافظة لخلاصة تجربتها في التاريخ وحصيلها ما أسست لنفسها من أساليب النظر والفكر 38.

فيما ترى الناشطة «فاطمة بن جلّول» «ضرورة كتابتها بمخطوط اللغة العربية حتى يتسنى للجميع قراءتها وفهمها واستعمالها، ويسهل على الناشئة تعلمها بسرعة»، وبزت ذلك بالقول: «إن حروف التيفيناغ لا يستطيع فك طلاسمه إلا أقلية قليلة من الشعب الجزائري، وهو صعب في الكتابة وأشبه بالفلكلور»، مبينة أن «الأقرب هو اعتماد الحروف العربية التي تعبر عن هوية المجتمع الجزائري أفضل من الحروف اللاتينية المستوردة»، جدير بالذكر أنه إلى غاية كتابة هذه الأسطر لم يُجسم بعد الشكل الذي ستكتب به الأمازيغية. 39 إنه دليل على توظيفي سياسي، من طرف الجميع، الكل يريد أن ينتصر لتصوراته، مع إغفال أهمية اللغة الأمازيغية من عدمه، حيث يريد المعربون إنتاج لغة أمازيغية بحرف عربي، وهذا من أجل التكريس للغة العربية، بينما دعاة التيفيناغ فيبحثون عن هوية مغايرة وتختلف عن ما هو معروف، من تيار عروبي في مواجهة تيار فرنكوفولي، أما دعاة الحرف اللاتيني، فهم يطمحون إلى التقرب إلى الغرب عن طريق التكريس للحرف الفرنسي، فهم يريدون القول إن البربر أصولهم آرية وليست سامية.

خاتمة:

من الملاحظ أن الاعتراف باللغة الأمازيغية كان له صدا كبيرا في الآونة الأخيرة، نتيجة إدراجها في سلك التعليم، وهنا بمن الاعتراف أنه رغم جعلها مسألة اختيارية إلا أنها أعادت طرح الأزمة الهوياتية، ويرجع ذلك إلى التلازم بين الهوية واللغة، إلى اعتبار اللغة الركن الأساسي في بناء الشخصية الإنسانية ولكن بالعودة أهم المستخلصات، نجد أن إدراج الأمازيغية في المنظومة التعليمية، خلق قلقا هوياتيا ولغويا للعرق الأمازيغي، وبعث الخوف عند العديد من النخب الجزائرية، لأن الاعتراف بها في هذا الوقت بالتحديد يجعل الكثير من الحركات تستثمر في رمزيتها.

أما من الناحية التعليمية فإن الأمازيغية رغم الاعتراف بها، فهي تعاني من أزمة تراكمية لا يمكن التغاضي عن ما تخلفه من الإغتراب والإستلاب داخل الهوية الأمازيغية، وعدم وضوح الرؤية اللسانية في الكتابة والقواعد النحوية لصعوبة إيجاد منهل فصيح تنهل منه اللغة الأمازيغية، وهو ما عمق وأخر من تطورها، ولا شك أن تعدد لهجاتها وتباينها في الالفاظ والمعاني صعب أيضا في إيجاد سبل حل هذا الإشكال، بالإضافة إلى معركة الحرف بين النخب الأمازيغية فيما بينها وبين النخب المعربة.

قائمة الهوامش:

1- سورة الروم: الآية 22.

*- انظر اسماعيل قبيرة واخرن، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، حيث تناول العلاقة المتأزمة بين النخبة المعربة والنخبة الفرنسية، وكيفية توظيف اللغة الامازيغية كنوع من الضغط.

2- محمد مصباح، الأمازيغية في المغرب: جدل الداخل والخارج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، تشرين الأول / أكتوبر، 2011، ص.2.

3- حامي حسان الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنارع الإيديولوجي و التوظيف السياسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد: 29، جوان 2017، ص.56.

4- أحمد بن نعمان، ط2، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات الأهداف الوسائل والبدائل دار الأمة، الجزائر، 1997، ص.41.

5- غاضب مناصرية آمال، الأدلوجة اللغوية وبناء الهوية الثقافية: نموذج الجزائر، حوليات قالة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد: 11، جوان 2015، ص.72.

6- محمد عمارة، ط1، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نخصة مصر للطباعة والنشر، 1999، ص.6.

7- محمد بودهان، ط2، في الهوية الأمازيغية للمغرب، منشورات تاويزا، 2013، ص.3

8- حامي حسان ، مرجع سبق ذكره، ص 57.

9- أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص.136

10- عثمان لحياي، تصريحات نائبة ضد اللغة الأمازيغية تثير جدلاً في الجزائر، موقه ال عربي الجديد، نشر في 7 فبراير 2018، الاطلاع:2018/10/01، انظر الرابط: <https://www.alaraby.co.uk>

11- محمد مصباح، مرجع سبق ذكره ، ص.2

12- سالم شاكر، تمازيغن أس ل : الأمازيغيون اليوم، تر: عبدالله ژارو، دنون سنة، دون طبعة، ص.4

13- محمد بودهان، مرجع سابق. ص.133

14- ياسين تملالي، اللغة الأمازيغية في الجزائر : بين ملاحظة السلطات ولا مبالاة النخب، نشر في: 11 يناير، 2015 ، الإطلاع: 2018/10//10، انظر الرابط: <https://www.almounadila.info>

15- خولة طالب الإبراهيمي، المسألة اللغوية عند الجزائريين التعددية لا تلغي الوحدة الوطنية، تاريخ الاطلاع (2016/12/05)، الساعة (22:18)، انظر الموقع: www.djazairiss.com

16- عز الدين المناصرة، المسألة الامازيغية في الجزائر والمغرب: التعددية اللغوية، اطروحة: علي فهمي خشيم ، دار الشروق، د(ط، س)، ص98-99.

17- عمر تقي، اللغة الامازيغية ومصطلحاتها القانونية، مطبعة فضالة، المحمدية ، المغرب ، 1997، ص20.

18- محمد بودهان، مرجع سابق، صص131-132.

19- عبد العزيز العاشوري أحمد بعلبكي وآخرون، قضايا في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص.267

20- سعيد بن عبد الله الدارودي، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، منشورات فكر، ط1، 2012، ص.7

21- أحمد بن نعان، مرجع سابق، ص.186

22- محمد بودهان، مرجع سابق، ص.131

23- عمر تقي، مرجع سابق، ص.19

24- العربي عقون، ط1، الامازيغ عبر التاريخ: نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوحي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010، ص ص15، 16.

25- جون جوزيف، د(ط)، اللغة والهوية : قومية- إثنية- دينية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة ، الكويت، 2007، ص.18.

26- علاوة أمير فنور، نظرة صغيرة على إشكالية اللغة و الهوية في الجزائر، نشر في 09-11-2009، الإطلاع: <http://amir-fennour.over-blog.com/article-2018/10/01-أنظر-الرابط-.74357050.html>

27- دريس علي، الأبعاد الهوياتية ورهانات الإصلاح التربوي في المدرسة الجزائرية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد: 457، مارس 2017، ص.101

28- محمد بودهان، مرجع سابق، ص.132

29- دريس علي، مرجع سابق، ص.100

30- غماري طيبي، "خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية"، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد:07، منشورات جامعة معسكر، الرشد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، 2012، ص.65

31- عبد العزيز العاشوري أحمد بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.270

32-- دريس علي، مرجع سابق، ص.98

33- محمد مصباح، مرجع سبق ذكره، ص.3.

34-- العربي عقون، مرجع سبق ذكره ص.9

35- إبراهيم هواري، كلّ ما تريد معرفته حول اللغة الأمازيغية ومشكلاتها في الجزائر، موقع ساسة بوست، نشر في: 18 فبراير، 2016، الاطلاع: 2018/09/29، أنظر الرابط: <https://www.sasapost.com/tamazight>

إبراهيم هواري، كلّ ما تريد معرفته حول اللغة الأمازيغية ومشكلاتها في الجزائر، موقع ساسة بوست، نشر في: 18 فبراير، 2016، الاطلاع: 2018/09/29، أنظر الرابط: <https://www.sasapost.com/tamazight/>

36- العربي عقون، مرجع سبق ذكره ص.32

37- عبد القادر بن مسعود، الأمازيغية ليست لغة، وسأقتل إبنتي إذا تكلمت بها، 21 فبراير، 2018، موقع ساسة بوست أنظر الرابط: <https://www.sasapost.com/amazigh-circulation/>

38- عبد العزيز العاشوري أحمد بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.268

39- - عبد القادر بن مسعود، مرجع سابق.

السجلات اللغوية في مجموعة البشير خريف الأقصوية "مشموم الفل"

The Linguistic records in Béchir Khaief s fictionnel collection "Machmoùm el fel"

الفاضل النابلي (جامعة سوسة / تونس)

ملخص:

"مشموم الفل"، متن إبداعيّ أقصويّ تونسيّ حبره البشير خريف في بدايات تجرّته الإبداعية، التزم فيه الواقعية نَحج كتابة، واقعية شكّلت طورا أطوار المغامرة الأدبية في تونس. وقد مثّلت لغة هذا المنجز الإبداعيّ نافذة نستقرأ بها ومن خلالها ظاهرة تنوّع السجلات اللغوية لأنّها كانت خصيصة مائزة لهذا المنجز الإبداعيّ. ولما كان رهان هذه الورقة البحثية استجلاء العلامات الدالة على انفتاح هذا المصنّف الإبداعيّ على حقيقة تنوّع السجلات، آلينا على أنفسنا النظر في تجليات هذا المفهوم وتتبع العلامات الدالة على تجلّيه في المتون الداخليّة. إنّها لمسة وفاء لمبدع تونسيّ غادر وغى الكتابة في الواقع، ليبقى واقع الكتابة الدليل على كونه طائرا محكّيا والآخر صدى. الكلمات المفتاحية: الواقعية، المدرسة الأدبية، السجلات اللغوية.

Abstract:

« Mashmum Alfull » is a collection of short stories that was written by Albashir Khrayf in the early days of his creative experience, in which he was committed to realism as a writing approach. This approach, indeed, represented one of the stages of literary adventures in Tunisia. The language of this creative achievement represented a window through which we can read the phenomenon of linguistic overlap as it was a special privilege for this creative achievement. Since this research paper is designed to clarify the signs of the openness of this creative work on the reality of linguistic interference, we have chosen to consider the manifestations of this concept and follow the signs that reflect these manifestations in both the main titles and the sub ones as well as in the internal matrix.

This is a touch of loyalty to a Tunisian outstanding writer who left the writing field in fact, but kept an evidence that writing is in reality a judicious bird and the Other is a mere echo.

تشكّل المنجز الإبداعيّ في تونس، على الثراء والتنوّع، فمنه ما كان في شكل مذكرات، ومنه ما قارب المقال الصحفيّ، وآخر كان في السيرة ذاتية كانت أو غيرية، ولعلّ أهمّها حضورا النصّ الأقصويّ. إذ كثيرة هي المحاولات الأقصوية في

تونس، وكثيرٌ همّ أعلامها، ولكنّ المقاربات النقدية التونسية انكبت أساسا على نصوص دون أخرى وشغلها أعلام دون سواهم، حتّى بات الحديث في النصّ الأقصوصيّ مقصورا على جماعة "تحت السور" ورائدهم الأديب "علي الدوعاجي"، الذي وصفه بعض النقاد بأب للأقصوصة في تونس.

وقد كان لهذا النصّ الأقصوصيّ، في بواكيره الأولى، كلّ الفضل محاكاة للواقع تسجيلا ونقلا من فضاء الممكن إلى فضاء المتخيّل، إذ غالبا ما كان الجوار والحوار بين الأقصوصة وسياقها التاريخيّ والحضاريّ، تنهل منهما لتعود إليهما إبداعا. والبشير الخريف (1983/1917) لم يشدّ عن هذه القاعدة، ولم يمثّل الاستثناء، بل كان من أولئك الأدباء الذين تشرّبوا أصيلَ المعارف ودخيلها، الرافد منها والوافد، يقول في ذلك محمود طرشونة في مؤلّفه "من أعلام الرواية في تونس": "والبشير الخريف لم يتصنّع التحديث ولم يتكلّف التجديد رغم تشبّعه بمصادر الثقافة الفرنسيّة وقراءته لعديد الروايات التي كانت تعتبر في طليعة هذا الفنّ. ولكن لم يحاول محاكاتها ولا التشبّه بأصحابها بل كتب نصوصه مُستلهما البيئتين التي عاش فيهما، بيئة الجنوب التونسيّ حيث نشأ وبيئة العاصمة حيث اشتغل معلّما في إحدى المدارس الابتدائية قبل أن يتحوّل إلى مكتب محامٍ"¹.

وللبشير خريف العديد من الأعمال الأدبية، بعضها روائي² وبعضها الآخر أقصوصيّ³. وميزه هذا الكمّ الإبداعيّ أنّ كان قائما على سنّة التّداول، فمرة كان رواية وأخرى كان أقصوصة، لكنّ الغريب، في أمر هذا المبدع، نفوره من نشر أعماله. ونصّ البشير خريف نصّ ممكن فيه نطالع الواقع بعيون الأدباء وعبره يجد الناقد ضالّته تحليلا وتأويلا. وما مجموعة "مشموم الفل"⁴ سوى نموذج من الأعمال الإبداعية التي تستهوي الباحث تدبّرا. قد كان الاختيار على ظاهرة "السجّلات اللغوية في مجموعة البشير خريف الأقصوصيّة" مشموم الفل" عنوانا لهذه الورقة البحثية، تكرّما لهذا المبدع الذي فارق الساحة الإبداعية لنقارب منجزا إبداعيا تونسياً تليدا ونفجر طاقات "اللغات" فيه، كيف تتفاعل تقاربا وتباعدا، نفورا وحضورا، تقلّصا وامتدادا؟.

"مشموم الفل"، نصّ أقصوصيّ⁵ من حيث جنسه الأدبيّ، بينه وبين غيره من الأجناس مظاهر تمايز، لذلك كان هاجس البحث في هذا المتنّ الأقصوصيّ التونسيّ، دون غيره من المتون، إذ أغلب المقاربات والدراسات النقدية كثيرا ما جعلت وجهتها الرواية لتغفل القصة القصيرة، وكأنّ هناك تقصير، فنادرا ما كان الاهتمام بالأقصوصة وتحديد أعمال البشير خريف⁶. ولما كان الأمر كذلك حفزنا البحث في هذا العمل الإبداعيّ، وملامسة مظاهر تنوّع السجّلات اللغوية فيه. لذا كانت الغاية من هذه الورقة العلميّة البحث طيّ المجموعة الأقصوصيّة عن علامات ذلك. وقد بدا جليّا، أنّ ظاهرة تعدّد السجّلات اللغوية، تسمّ اللغة حيث خلّفت تفاعلا بين نوعين لغويّين للسان الواحد. وأسباب ذلك عديدة فالحياة اللغوية: "تخضع لمؤشّرات شتى قديمة وحديثة طارئة ومناخية ومزاجية بيولوجية متشابكة في نسيج معقّد"⁷. هكذا وبفعل تنوّع السجّلات اللغوية أصبحت الأنواع الأدبية، نصوصا مرّنة ومفتوحة، تسمح بالتعدّد. والأقصوصة نوع أدبيّ، منفتح، ومستوعب لغيره من الأنواع على اختلاف لغاتها.

1- تجليات السجلات اللغوية في العنوان الأصلي: "مشموم الفل".

إنّ العنوان، عتبة أولى من عتبات النصّ الجامع، له وظيفة إغرائية يُمارسها على القارئ شدًا لانتباهه وإمالة له، فهو بهذا الحضور: "أول شيء يشدّ اهتمامنا"8. وعنوان: "مشموم الفل" عنوان جامع كما ذهب إلى ذلك البشير الوسلاطي، وهو يقول: "وحسبنا أن نُشير في هذا المقام إلى أنّ مشموم الفلّ عنوان جامع، وليس هو عنوان إحدى الأقصيص الواردة في هذه المجموعة، فهو بذلك يروم أن يتطابق معها تطابقًا معنويًا شاملاً"9. نباشره لحظة استكشاف المجموعة الأقصوصية، إذ هو مركّب إضافي، المضاف فيه في علاقة تجاذب مع المضاف إليه، ليكون وجه التلاقي العذوبة رائحة. ويأخذ هذا العنوان تشكّله وتماه من ذاك التقارب بين اللفظة النكرة "مشموم" والثانية المعرفة "الفل"، على اعتبار الثانية تمييزًا للأولى وإظهارًا لها. ونحن نصوّت بالعنوان محضرنا احتفال الكاتب بالمرجع الطبيعيّ الذي يمثّل مهادًا صوّغ، يُلقى بظلاله عليه ويهبه طاقةً تأثيرية على القارئ تقبلاً وتمثلاً. هذا العودُ إلى المرجع الطبيعيّ يمثّل لحظة حنين اللغة إلى طور البدايات الأولى، إلى الفضاء الرحب وجنّة خلد الشعراء. وقد يُثير العنوان في ذهن القارئ، تحديداً التونسيّ، انفتاحاً على تلك الأغنية التونسية الشهيرة: "مشموم الفل" للمغنيّ التونسيّ محمد النوريّ (1904 - 1977)، هذا ما يثبت قدرة اللغة الأقصوصية على الاقتباس من لغة الشعر، لكنّ الدلالة تختلف من سياق إلى آخر، من سياق التغيّ بالطبيعة إلى سياق التخييل الغنيّ، وتلك علامة أولى من علامات تضاييف السجلات اللغوية لينفتح النصّ الأقصوصي على النصّ الغنائيّ عنواناً.

2- تجليات السجلات اللغوية في المتون الداخلية:

إنّ الرحلة في النصّ الأقصوصيّ التونسيّ، شائقة، إذ هي مغامرة في المنجز الإبداعيّ الذي وسم مرحلة هامة من تاريخ الأدب التونسيّ، لذلك كان الرهان على تمثّل ظاهرة تنوع السجلات اللغوية في هذا المتنّ الأقصوصيّ في المتون الداخلية، لأنّ النصّ الإبداعيّ غالباً ما يستدعي سجلات لغوية أخرى. وهو بذلك يُؤكّد أنّ: "تداخل مستويات الكلام وتنوعاته يُتيح تنشيط اللغة الجماعية التي يتمّ استيعابها ذاتياً بقصد مقارنة الواقع وتشخيصه جماليّاً، مثلما يُسهّم في إغناء السجلّ الأسلوبيّ للنصّ...بتشغيل الذاكرة ذات الصيغة الفسيفسائية"10. ويبدو نصّ البشير خريّف للوهلة الأولى من النصوص التي لا تؤمن بالحدود، مقوّضا للحواجز، وفعل الكتابة فيه عابر لحدود غير نوعيّة وغير أجناسيّة. ألا يعدّ ذلك من مظاهر تحرّز النصّ وتجاوزهِ للقيود التي تُسيّجُه. فهل يُسعفنا البحث في هذا الأثر بمبررات لهذا التحرّز؟

لقد أولت المقاربات النقدية كلّ الاهتمام نصّ "الرواية" دون غيره من الأنواع الأدبية، وقد نجد في آراء بعض النقاد تبريراً، إذ يرى البشير الوسلاطي الرواية: "جنساً إمبريالياً آكلاً للأجناس ومن ثم مزاحمتها لأنماط الخطاب ورواجها"11، لذلك كانت الرواية مدار بحث نقديّ غزير، دون سواها، وقد يكون ذلك من معايب نظرة الدون والتحقيق للأقصوصة وما سبقها من أجناس أدبية أخرى من شعر وقصة ومسرحيّة. أليس من الغريب أن ينكبّ البحث النقديّ على الرواية ويغفل غيرها؟ هذا فضلاً عن كون أغلب مناهج البحث وخاصة العربية كانت متّصلة بالرواية: "إذ يلاحظ المطلّع على مناهج

النقد القصصي الحديث عامة كيف أنّ النظريات التي تمّ سنّها لم تستنبط أغلبها من مدوّنات أقصوصيّة، وإنّما استمدّت من مخزون الخطاب الروائيّ الأساسيّ¹². والأقصوصة في تونس ليست بمعزل عن هذا "العزوف" النقديّ، ورغم ذلك آلينا على أنفسنا أن ننظر في مسألة "السجلات اللغويّة" في عموم الأقصيص الفرعيّة التي تُشكّل النصّ الجامع "مشموم الفلّ"، لنقف عند مظاهر التقاطع والتداخل، علّنا نتبيّن طرق الصوغ اللغويّ في منجز البشير خريّف الإبداعيّ "مشموم الفلّ".

يرى قارئ هذه المجموعة الأقصوصيّة أنّ اللغة فيها على طبقات، أو هي فصائل مفتوحة ذلك ما قد يكون مدخلا لإغفال نظريّة الأنواع التي: "لم تعد تحتلّ مكان الصدارة في الدراما الأدبيّة في هذا القرن، والسبب واضح لذلك، هو أنّ التمييز بين الأنواع الأدبيّة لم يعد ذا أهميّة في كتابات معظم كتاب عصرنا، فالحدود بينها تعبر باستمرار والأنواع تختلط أو تمتزج، القديم منها يُترك أو يُحوّر، وتُخلّق أنواع جديدة أخرى إلى حدّ صار معه المفهوم نفسه موضع شك"13. إنّ اللغة لغات، لا تُقدّم دفعة واحدة، يستدعي بعضها البعض، أو هي في لحظة تناسل مستمرّ، ومنطلق الخطاب القصصيّ أدبيّ ولكنّه في ثنايا الأقصوصة يُجاور خطابات أخرى متفاعلة معها. وتلك سمة عرف بها البشير خريّف ومن سار على نهجه في الكتابة الأقصوصة في تونس: "ولا ريب في أن نعطي اللغة من المعطيات التي اقترنت بأسلوب البشير خريّف القصصيّ، إذ عرف بمزجه بين الفصحى والعاميّة. لقد تفرّعت لغة القصّ في هذا النموذج إلى ثلاثة مستويات: "فصحى وعاميّة ودخيلة"14.

وترخّلت لغة البشير خريّف في المتن الأقصوصيّ في فضاءات شتى، بعضها عربيّ فصيح تليد وبعضها الآخر راهبيّ منفتح على سياقات شتى ثقافيّة واجتماعيّة وحضاريّة، وكأنّ هذا المبدع وهو يكتب ينتقي من كلّ حقول اللغة "زهرة" كيّ يُشكّل "مشموم فلّ"، له فوح لحظة التأويل. لمجموعة "مشموم الفلّ" الأقصوصيّة، عقب من نوع خاصّ، إذ سجلّات لغتها شتات غريب وعجيب. جمعت الفصحى والعاميّة و الدخيل معا.

"مشموم الفلّ"، نصّ أقصوصيّ¹⁵ من حيث جنسه الأدبيّ، تحضره سجلّات لغويّة تختلف لتتناغم، تتباين لتنصهر،

وهي في مستويات:

❖ اللغة الفصحى:

هي المعين الأصليّ الذي نهل منه البشير خريّف، إذ تحتلّ من حيث المكانة الصدارة، فأدبيّة النصّ تتجلى من خلال اتساقها مع الذائقة النقديّة السائدة، وليس للبشير خريّف سوى السير على منهج محدّد في الكتابة، حتّى ينسجم مع المؤلف في تلك المرحلة التاريخيّة ويجاور العرف الإبداعيّ. وإذا تأملنا هذا المتن الأقصوصيّ "مشموم الفلّ" بدا لنا جليا أنّ المساحة النصيّة المخصّصة للفصحى تهيمن هيمنة كليّة على العاميّة والدخيل معا. وقد تشرّبت هذه اللغة الفصحى عديد المصادر الثقافيّة التي كانت رافدا من روافد كتابة ينهل منها المبدع بدرجات متفاوتة تضمينا واقتباسا وتحويرا وتحويلا. وليس غريبا على البشير خريّف هذا الانفتاح على الأدب العربيّ بمختلف أنواعه الأدبيّة في هذه المجموعة الأقصوصيّة، لأنّها مرايا

تمكّن من تدبّر الخطط القولية¹⁶. وتحتاج ظاهرة تدبّر النصوص الإبداعية مرانا وتنقيبا دقيقا في تفاصيل النسيج اللغوي، والنصّ الجامع "مشموم الفل" مزيج عجيب من السجالات اللغوية على اختلاف مراجعها وتنوع نصوصها.

● **لغة السجلّ الدينيّ:** معين مكين عاد إليه البشير خريف، كي يُسيّج نصه الإبداعيّ بمالة من البيان الساحر ويعقل اللغة بعقل "المقدّس" الذي يهب النصّ مساحة تأويل ساعة القراءة. ففي أقصوصة "خليفة الأفرع" حضرت لغة النصّ القرآنيّ غمزا إلى السورة القرآنية، سورة الإخلاص، التي كانت "صلوحة" تتلوها ليلة غضبت الطبيعة يقول السارد: "وحدها لاصقة بجانب الشباك (...). فتمسك الشباك وتسرع شفتاها بتلاوة سورة الإخلاص مقطّعة بطلب اللطف والستر"¹⁷. واستدعاء السورة القرآنية، دليل تمكّن البعد الروحيّ من الشخصية الأقصويّة، إلى ذلك نلاحظ تضمينا لحديث نبويّ في النصّ الأقصويّ "رحلة صيف" لما أيقن "مسعود" أنّ القعود والعطالة لا يهبانه شرف العيش، فحفّر الذات بحديث نبويّ يدفعه إلى تجاوز البطالة والبرد والمرض، حجّة ذلك المركّب الشرطيّ التلازميّ الذي دلّ على الإمكان، فتجاوز صروف الحياة يكون نضالا وحلدا: "إذا اشتدّت الأزمة يشنّ عليها هجوما معاكسا فيداوي الهّم بالطرب حتّى يصير القليل كفاية وغيّ، عملا بقوله صلّى الله عليه وسلّم: "لا تمارضوا فتمرضوا"¹⁸، وفضلا عن حضور لغة القرآن ولغة الحديث، يستدعي البشير خريف في متنه الأقصويّ الأدعية، التي تمثّل رصيذا لغويّا آخر يخلق تفاعلا نصيّا ماتعا. والدعاء في أقصوصة "القرعة مسدودة" لا يحضر بصريح القول بل اختزالا، من ذلك أن ترجم "عبد الكريم" اعتذاره لضيفه "حوقلة"، إذ الحوقلة اختزال للدعاء "لا حول ولا قوة إلاّ بالله"، قرينة ذلك الاختزال النصيّة، ما ورد في خطاب السارد: "فاعتذر عبد الكريم وحوقل"¹⁹.

● **لغة السجلّ الشعريّ:** جنس أدبيّ آخر يلقي بظلاله على المتن الأقصويّ، ليخلق عناقا بين المنثور والمنظوم. وللشعر مراتب حضور، فغالبا ما حضر تضمينا وفي بعض المواضع اقتباسا. من علامات تضمين لغة الشعر، ما اختتمت به أقصوصة "رحلة الصيف" إذ استدعى السارد هذا البيت الشعريّ كي يغلّق الأحداث على لحظة هدوء فريد تُمثّل انفراجا للأحداث. يقول تضمينا:

"وبأثوا كراما، قد قضا حَقَّ ضيفهم
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما"²⁰

والبيت من قصيدة للشاعر الخطيئة مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مزمل بيداء لم يُعرّف بها ساكن رسما

إلى ذلك ضمّن السارد بيتا شعريّا آخر، أوردّه على لسان الأمّ "عيشة"، يقول: "وأشدّ لسان حالها مع المنشد:

"البيت تحفّق الأرواح فيه أحبّ إلي من قصر منيف"²¹

ينطق ملفوظ "عيشة" بمفاضلة بين فضاء الرفاه وفضاء "سقفه من قصدير"²²، إذ ترى الثاني أفضل من الأول، لحظة اشتدّ الحرّ والقيض. وفي أقصوصة "محفظة السمار" يورد السارد عَجْزًا من قصيدة لـ "مصطفى صادق الرافعي": "نموت نموت ويجيا الوطن" على سبيل التضمين حتّى يرسم لوحة النضال التي كان عليها التونسيون يوم 9 أبريل 1938، وينحت

ملحمة التحدي، يقول: "وقامت الاجتماعات في مختلف الأحياء، فمن خطيب يحاسب الاستعمار ومن مقررٍ يتلو آيات الجهاد ومن منشد يُنادي نموت نموت وبجيا الوطن"23.

ويمتدّ فعل التأثير في الجماهير الغاضبة، جزاء سياسة المستعمر الماثلة في القتل والاعتقال وإخماد نار الثورة، ليشكّل السارد لوحة أخرى تحمل بعدا من أبعاد حوار النثر والشعر، لحظة رسم رسما سينمائيًا ثورة الجماهير، لما اعتلى "المنجي سليم" ورفيقه "علالة البلهوان" ظهر السيارة، فتجودُ قريحة الثاني بيت شعريّ، به يُريدُ تحميشَ الجماهير الفائرة. وقد أورد السارد هذا البيت نقلا عن صاحبه: "فصعد المنجي سليم على ظهر السيارة وأعقبه علالة البلهوان فخطب الشعب بما زاد في نخوته:

"كفى لعبًا إنّ البلدة مريضةٌ وليس بشرب الماء تنظفي الحمى"24.

ونرى كذلك حضورا لتضمين الشعر في أقصوصة "النقرة المسدودة"، فـ "ضيف الله" وهو يقطع مع حياته السابقة، يرى السفر هروبا من الأهل والخلان والمشاكل. هذه القطيعة الاجتماعية جعلته يعود بالذاكرة إلى الوراء استدعاء لعجز بيت شعريّ، يرسم اللحظة. والتضمين سبيل من سبيل انتهاك حجب الشخصية وفضح عالمها الباطني الموبوء، قرينة ذلك النصية ما ورد على لسان السارد: "ترك الأهل والخلان والمشاكل للذين سئمهم، لكن ألقهم، وذكر من محفوظاته هذا البيت المرهف الحسن: "إن التفرق للأحباب بكاء"25. والبيت من نظم "النابعة الجعدي"، لكن "ضيف الله" يستدعيه ترجمة لما آل إليه بعد البين والهجر. وهكذا ساوق السارد بين حال الشاعر وحال شخصية "ضيف الله" على الرغم من التباعد الزمنيّ بينها، فالأول شخصية واقعية والثاني وعاء فنيّ شُحنَ بمواجس المبدع.

على خلاف التضمين للشعر بصريح منظومة، نقف عند مظاهر أخرى من مظاهر تعدد السجلات اللغوية من ذلك امتزاج لغة الشعر بلغة القصّ، عبر آلية الاقتباس. ومن تجليات الاقتباس ما ورد في أقصوصة "رحلة صيف" من حوار طريف بين نصّ غائب لأبي القاسم الشابي وآخر حاضر من نسج السارد، لما رسم لوحة تحديّ عائلة "مسعود بن خليفة" لأوامر عون البلدية أنّ منعها من الاصطياف، فاستدعى السارد بعضا من بيت لأبي القاسم الشابي في قصيدته "نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثوس" من ديوانه (أغاني الحياة)26 كي ينحت لحظة انفراج الأحداث، تجاوزا لعوائق الفعل ورسمًا للوحة التضخّم والتفاخر ومغالبة "الداء والأعداء"، فالصراع من خلال ظاهرة الاقتباس محاوره عديدة بعضها أفقيّ (الأعداء) وبعضها الآخر عموديّ (الداء)، أليس في ذلك ما يدلّ على تنوّع وجوه الصراع من صراع مأسويّ إلى آخر تراجميديّ؟

● لغة السجلّ الحكمي: تستدعي لغة السرد، عديد اللغات الأخرى كي تشكّل المتن الحكائي وتظهره فسيفساء من اللغات، فعلى غرار النصّ الدينيّ والشعريّ نقف في بعض الومضات السردية على نتف حكمية. والحكمة نصّ تأمليّ ميزته التكريف وعمق الدلالة. وهي إلى ذلك نصّ مجمل يفصله المتن. ومن تجليات هذا الأسلوب الفنيّ ما ورد في أقصوصة "رحلة صيف" ما قاله السارد موظفًا رابطًا منطقيًا ماثلا في القياس: "إذن فمنّ يمارض يمرض، وعلى هذا القياس، من يتطارب يطرب"27، فمن أراد حياة السكون كان له ما أراد ومن رغب عنها حقيق هو بمُتعة الحياة.

● **لغة السجّل التاريخي:** على الرغم من أدبيّة النصّ الأقصوصيّ، إلا أنّ لغته كثيرا ما تحيل على سياقات خارجة عنه، يستدعيها المبدع سواء تقصّد ذلك أم لم يتقصّد. ومن هذه النصوص التي حاورها البشير خريّف النصّ التاريخي، الذي يعد رافدا من روافد الكتابة ومعينا واقعيًا غالبا ما طُوّع ليحوّل مادة إبداعية لها جماليّتها الخاصّة. ومثل هذا التوجّه في الكتابة لا يقصي البعد التوثيقيّ في مجمل الأفاصيص ولكنّه يستحيل فعلا سرديا جماليا، يظهر ذلك بجلاء في أقصوصة "محفظة السمار". ولغة التاريخ وظائف معلومة تعيد النصّ إلى المرجع وأخرى مضمرة يقف عنها الدارس تأويلا، وطرافة هذه الأقصوصة تتأتى من التأريخ لأحداث 9 أبريل 1938، ولكن بطريقة فنية تختلف عن طريقة المؤرّخ. وهذا التطويع للمادّة التاريخيّة يُبْطِئُ موقفا من المبدع إزاء السائد، خاصّة إذا ما ارتبط بقمع القوى الاستعماريّة. ويوحى هذا الاستدعاء للمادّة التاريخيّة بدلالات عدّة منها التعاطف مع حركة النضال والشجوب لممارسات المستعمر وفضحها. ولما كان الاستعمار قوّة مانعة لأصوات الحرّيّة، يهرب الأديب إلى "اللغة" علّها تمكنه من تجاوز واقع القمع وقيوده، عبّر عن ذلك محمد طرشونة بقوله: "حيث تفرض السلطة نظاما وتدافع عنه بجميع وسائل القمع والتعذيب ولا تسمح لأيّ كان أن يرفع صوته ويندّد بتلك الممارسة، فهو نفوذ مطلق لا يترك مجالاً لحرّيّة الرأي والتعبير"²⁸.

وليس من الغرابة في شيء أن تكون أقصوصة "محفظة السمار" مستوحاة من مشهد ملحميّ نضاليّ، شكّل لوحته كلّ صوت رافض لواقع الاستعمار. وللرفض فضاءات منها البيوت والشوارع والمدارس، يقول السارد: "من اليوم الثامن من أبريل سنة 1938، أصبحت المدينة في سكون رهيب. الإضراب عامّ كامل"29، وله كذلك وسائل نضاليّة منها: "القماش وقوارير خمر وآلة الطباعة و الورق و مناشير ومسودات المقالات"30، هذا فضلا عن ذكر رموز النضال الوطنيّ مثل الزعيم الحبيب بورقيبة والمنجي سليم وعلي بلهوان. وللرفض شعارات تؤثّثه منها: ["يجيا بورقيبة"/"نموت نموت ويجيا الوطن"/ "برلمان تونسي"/"السلطة للتونسيين"/"تسقط الامتيازات"]

كانت اللحظة التاريخيّة قادحا لتشكيل مشهد ملحميّ قصصيّ، لذلك كان الولاء للحظة رهيبا: "فالمسألة مسألة كرامة بعد أن كانت مسألة حقوق. ولا حساب مع الكرامة"³¹. وللرفض ضريبة "مقدّسة" منها إخماد نار الثورة والرجّ بكلّ رافض للاستعمار سجون التعذيب: "أدخله دهليزا في مركز فندق الفول، ودفعاه إلى عملاقين نزعا ملابسه العليا وربطاه يديه في حبل مشدود إلى السقف وانحالا عليه ضربا بالنافحة حتّى أغمي عليه"³²، إلى ذلك انغلقت هذه الأقصوصة على لحظة تُخلّد اللوحة النضاليّة يقول السارد: "فالتأمل في النصب، وهو سارية بسيطة ذات ثلاثة أمتار تقريبا، يعلوها هرم صغير، يرى في الاسمنت بقعة أعمق من البقيّة. ذلك أثر محفظة السمار"³³.

هكذا تبدو اللغة التاريخيّة في مجمل الأفاصيص، وتحديدًا أقصوصة "محفظة السمار"، حاملة لأبعاد ذاتيّة، تؤسّس لموقف البشير خريّف الإيديولوجي من التاريخ التونسيّ، والاستفادة من لغة التاريخ علامة دالة على تلاقي النصّ الإبداعيّ بالتاريخ، ساعتها ينشأ التفاعل الحيّ بينهما. وإذا كانت هذه الأقصوصة قد نشأت من رحم المادّة التاريخيّة فهي لا تُعطي تلك اللحظة قيمة كبيرة ومطلقة: "ولكن كاستعارة لشيء سيّد وانتفى وصار جزءا من الذاكرة الجمعيّة، ووظيفته في النصّ ... هي أقرب إلى الإيهام والاحتمال البعيد منها إلى الحقيقة الثابتة"³⁴.

***لغة السجّل البياني:** ليس من الغريب أن تحفل المجموعة الأقصوصيّة "مشموم القل"، بكلّ فنون البيان أساسا ما اتصل بالصورة البيانيّة، حتّى تقرب المشاهد والمواقف والأطوار القصصيّة من الواقع، وتجعلها متحدّرة فيه نابعة منه، من ذلك طرق الإحاطة بالشخصيات وتقديمها على ملامح تحاكي المألوف. ومن القرائن الدالّة تلك الصورة البيانيّة التي خصّ بها السارد زوجة الحاج الفلاح إذ قارب لحظة بوقع السيف، فـ"سهام لحظها قاتل"، تقارب هذه الصورة البيانيّة التي خصّ بها السارد الحرب/السيف) وهي مهارة فنيّة غالبا ما سادت النصّ الشعريّ الغزليّ. ويتأكد ذلك الجوار الغريب بين القبيح والجميل ما أفصح عنه ذلك التشبيه في قول السارد: "أطلت عليه امرأة بدينة سمراء عيونها كوميض السيف"35. وتشدّدنا طريقة تقديم "بوبر الدقاز"، إذ قاربه السارد ربما كاريكاتوريّا، يبعث على الإضحاك والتندرّ حجّة ذلك النصيّة: "وكان شاربه خطّا رقيقا فوق شفثيه (.....) فمه كجنّاحي خطّاف"36. والتشبيه ناطق بقدره "بوبر الدقار" على محاصرة فرائسه والتهاهما. وتنتشر هذه الصور البيانيّة في أغلب الأقصيص محاصرة للشخصيّات، من ذلك ما نطق به تشبيه السارد لـ"صلوحة" — "الدجاجة" التي تنفّس ريشها حماية لأفراخها، إذ ساعة عاد إليها الأقرع تمّلاّ يريد أن يبيت الليلة مائلها السارد بالدجاجة التي تمّال الخطر الداهم يقول: "فرعشت كالدجاجة التي تحمي أفراخها"37، والدلالة معقودة على صؤن العرض والشرف. بيد أنّ التمثيل البيانيّ، لم يكن همّه في مجمل الأقصيص "الأصاغة في الوصف" بل تجاوز ذلك إلى لغة الرمز والإيحاء، من ذلك تلك الصورة المجازيّة التي صوّرت لحظة التحول في علاقة صلوحة بـ"الأقرع"، من رغبة عنه إلى رغبة فيه فكان الوصال، لكنّ اللغة هامت في فضاء الطبيعة لتمارس ضربا من الانزياح دليل ذلك النصّي: "مرّ العارض، وأمسى الرعد كزئير أسد عجزو، لا يُفصّد من زئيره إلّا إشعار الناس بوجوده، ثمّ يعود إلى أحلامه ناسيا نفسه، وأمسى البحر يزفر بزفرات جهوريّة بطيئة كزفرات خطّاب مجهود"38. ويظهر هذا الحضور المجازيّ للغة القصّ في أقصوصة "المروض والثور"، فيها تشحن أركان القصّ بكلّ الدلالات الرمزيّة، من ذلك الأطر المكانيّة — "الداموس"، مكان منغلق ومُسيّج فيه تُستباح إنسانيّة الإنسان ساعة تحوّل مُهرّجا، ويصبح الحيوان وسيلة تسليّة وإلهاء. على خلاف هذا الإطار الضيّق كان "الجلبل" رمزا للتسامي والسناء والهروب من تجربة العدد (ميدان اللعب) إلى الفضاء المطلق حيث العناق الأبديّ بين الآدمي والحيوان. أمّا الشخصيات، فقد طالها هي الأخرى سحر الرمز فالمرؤّس رمز "للعقل" والثور رمز "للقوة" يتأكّد ذلك من خلال قول السارد: "للثور القوة وللإنسان العقل"39، وعُدّ الصراع بينها صراعا بين أبعاد كامنة في الإنسان، بعدّ حيوانيّ وآخر إنسانيّ. والبشير خريف لحظة يعالج هذه القضية كان يتقصّد البحث في "تعادلية" الإنسان، أهّي في الإيمان بجدوى العقل أم في العود إلى المهّد الطبيعيّ الذي انطلق منه. وتجب مغالقة الأقصوصة عن هذه القضية، لحظة الاتصال بين الثور والمرؤّس: "فغمزه الثور هيتا بنا. واختفيا في ثنيات الجبل يتجادبان"40. وللأحداث، هي الأخرى، تجلّ رمزيّ، إذ الصراع بين المرؤّس والثور هو على الحقيقة صراع بين القوى الكامنة في الإنسان، حيوانية كانت أم آدمية. لكنّ النهاية كشفت خلاصا يمثّله العود إلى المعدن. فبداية الصراع تبدو "تراجيدية" لكنّه ينتهي على عناق طريف بين "القوة" و"العقل" حتّى كان الخلاص. هكذا نلحظ تقاربا نهج الكتابة عند ابن المقفع في "كليلة ودمنة" والبشير خريف في أقصوصة "المرؤّس الثور" ساعة وظّفنا الحكاية المثليّة وجعلنا الزمن حرّا طليقا ينطق بدلالات كوتيّة.

❖ لغة السجل العامي:

وهو ضرب آخر من اللغات — التي طوّعها البشير خريّف في منجزه الأدبيّ "مشموم الفلّ" — إذ تكاد العاميّة تكون خطابا آخر موازيا للفصحى، فيستدعيه البشير خريّف خاصّة في المساحات الحوارية التي تجمع شخصيات الأفاضل، في ذلك يقول البشير خريّف، مبرزاً اللجوء إلى العاميّة خاصّة في الحوار: "الحوار هو العصب الحيّ الذي يطبق به الكاتب بصورة عملية تحليلاته، فإنّ قدّم شخصاً على أنّه أحمق يجب أن يظهر ذلك في الحوار، ثمّ إنّ الصراع الذي يتجلى في الحوار أبلغ من الحكاية"⁴¹. وتوظيف العاميّة في هذا المتنّ الأفيصويّ مقصود غاية الإيهام بالواقع ونقل أدقّ تفاصيله ومشاهدته اليومية، ساعتها تطلق اللغة برحها العاجي لتلامس اليوميّ وتحرّك في فضاء "الهامشيّ"، يبرّز ذلك البشير خريّف، ساعة حديثة عن تجربته القصصيّة: "اللغة مرآة النفس... فالتعابير والتراكيب تختلف في الأمة الواحدة من مجتمع إلى آخر، ومن طبقة إلى أخرى (...). ولكلّ قوم لغة كتابة ولغة كلام (...). فإنّ جعلنا الأشخاص يتكلّمون غير لغتهم، فقد خُنّا الأمانة وأعطينا صورة مزيفة عن المجتمع الذي نصور"⁴².

هكذا كان هاجس البشير خريّف، وهو يلتزم بهذا الاختيار الفنيّ، الحرص على تجسيم التوجّه الواقعيّ في الكتابة إذ أغلب شخصياته في الحوار لها منطوق متناغم مع السياق الذي تتفاعل معه وتتأثر به وتتأثر فيه، ذلك ما حدا به إلى توصيف واقع الكتابة إدراجاً للعاميّة في الإبداع الأدبيّ يقول: "ثمّ من كتّبت لجميع الناس لم يكتب لأحد، لما يكون عليه من عموميّة وضبابيّة وسطحيّة. فتَهَرَّب أكثر كتّابنا من العاميّة إمّا هو هروب من واقعنا ومنّ زماننا"⁴³. على هذا النحو، كانت اللغة العاميّة سبباً آخر من سبل محاكاة الواقع التونسيّ في أدقّ تفاصيله من جهة السجّل القوليّ المستعمل، أو من جهة الأبعاد الفكرية الكامنة في دلالة الألفاظ. إنّ العاميّة في المجموعة الأفيصويّة "مشموم الفلّ" تتحرّك في فضاءات بعضها مغربيّ وأغلبها تونسيّ، ويعزى ذلك إلى شخصيات النصوص الأفيصويّة الداخليّة التي ينتمي أغلبها إلى عالم المهتمشين والبسطاء. وهذا ما أشار إليه حسين أو عسيري قائلاً: "وصار أصحابها يتوسّلون في كتاباتهم بسجّلات لغوية متعدّدة، و بنسج لغويّ يختلط، حيث يمكن للقارئ أن يقف عند أكثر من لغة و أكثر من لهجة"⁴⁴.

○ **سجّل العاميّة المغربيّة:** ترد في شكل نُتفِ قوليه، تخلّلت خاصّة الأفيصوية الأولى "خليفة الأقرع" في مساحاتها الحوارية، التي كان فيها "بوبكر الدقاز" طرفاً من أطراف الحوار. وعلى الرغم من تحرّك أحداث الأفيصوية في فضاء تونسيّ إلا أنّ منطوق تلك الشخصية يؤكّد وفاءها لهجتها المغربية، فهذا السارد يقدّم شخصية "بوبكر" محدّداً انتماءه الجغرافيّ: "فوجد المغربيّ جالساً"⁴⁵، ينحدر من بيئة ليست هي ذاتها التي تنحدر منها بقية الشخصيات التي تتراد حانوته. إلى ذلك أطرّ المكان الذي يمارس فيه فنّ الشعوذة، ويقصده المريدون لقضاء شؤونهم وإيجاد حلول لحواسهم، فـ "الحانوت" مكان مغلق، فيه نُحَاك كلّ فنون الشعوذة وداخله نُحَلّ جميع المشاكل. وقد قدّمت هذه الشخصية أيضاً اسماً، فلئن كان "خليفة" يلهج بلهجة تونسيّة: "ماتعشش عمّ بوبكر"⁴⁶، فذاك دليل على تشرّب هذه الشخصية اللهجة التونسية وتماهاها في تفاصيلها. هكذا كانت التسمية (بوبكار) ذات بعد مرجعيّ، وهي كذلك باب من أبواب الإيهام بالواقع (l'illusion du vrai)⁴⁷. وتعضد هذه الطرق في التقديم، أخرى في البناء

الثقافي، فبوبر "دقاز" يمارس الشعوذة على اعتبارها سبيلا لإصلاح المعاش زمن غاب العلم وأفل نوره، لذلك كثيرا ما حضرت مفردات عامية، هي سليفة فن الشعوذة من ذلك ما بيّنه الجدول التالي:

المكان	الوسيط	وسائط الشعوذة
فـنّ الشعوذة	حانوت خليفة الأقرع	- "فوجد المغربي جالسا، وبين يديه كتاب أصفر مفتوح وأوراق و دواة وأقلام قصب (ص13).-/ السردوك الأسود وعدة رفيقة في عرسها (ص 15)/ الرّيش (ص15). - وهذا الجزر (ص18).-/ البحور العجمي (ص 19). - فرأى فيه مربعات مخطوطة بالسمق ورموزا ليس من العسير تقليدها (ص 18)/ يحمل جبيرته (ص 25).

بات من الواضح أن هذا البناء الثقافي للشخصية (الدقاز) ضرب من ضروب ارتباط النصّ الأقصويّ مع الواقع المعيش والتفاعل معه، فالنصّ غالبا ما كان سليل السياق. ولعلّ "غزو" العامية المغربية لهذا النصّ الأقصويّ، وللواقع التونسيّ يُرجع بداية إلى اللقاء الجغرافيّ بين "تونس" و"المغرب" ثمّ إلى الموروث الثقافيّ المشترك بين الشعبين، فظاهرة "الشعوذة" متخلّلة في المكان وفي الأذهان سيما وأنّ ثقافة الخرافة هي التي كانت السائدة في تلك الأوساط الشعبية. وينتشر فعل العامية المغربية في هذه الأقصوصة الأولى من أقاصيص "مشموم الفلّ" ليحضر بجلاء في مخاطبات الدقاز الغربيّ وهو يحاور خليفة الأقرع، إذ أغلب مداخلاته تستحضر طرق تأدية الكلام بتنغيم مغربيّ. سبيلنا تتبع جملة المفردات التي لها انحدر من الحياة اليومية الشعبية المغربية، وإيراد يقابلها في اللغة الفصحى حتّى ندلّل عُسرهما تمثّلا.

اللفظة العامية المغربية	الصفحة	مرادفها بالفصحى
تسرق يا واحد القران	14	أو تسرق أيها الحمار.
ودابا ما تغلطشي فيهم	14	وتمّ تُفسّرُ سوء معاملتك؟
ما كايُنشِي عمك بوباكار... دروك	15	لستُ المسسى عمك "بوبرك"
يا واحد الساقوط	18	أيها السافل .
بركالك ... يا ولدي	19	هنيئا لك
داير روحك مرابط	20	وكألك مرابط

نتبيّن من خلال هذه الأمثلة وغيرها أنّ العامية المغربية قد ألقت بظلالها في أقصوصة "خليفة الأقرع" لما استدعاها البشير خريّف خاصّة في ملفوظات "الدقاز" بوبرك، الذي بقي على حنين إلى اللهجة الأمّ.

○ **سجلّ العامية التونسية:** لئن ندر حضور العامية التونسية في المساحات السردية التي تكفل بها السارد، فإنّها غالبا ما استأثرت كمّا كلاميا خاصّة في المواقف القصصية الحوارية، فيها ترك السارد لشخصياته هامشا من الحرية لتتخلّص

من وصاياته وتمارس طقوسها الخاصة في التلقظ. فتستدعي الشخصيات ألقابا وعبارات عامية لها علاقة بالبيئة التي تحضنها، لأن أغلبها منحدر من محيط اجتماعي هامشي. ولهذا السجل العامي التونسي، ارتباط وثيق بعدد السجلات، وذلك من علامات وفاء الأديب التونسي، البشير خريف للبيئة التي كان لها الفضل في قدح قريحة الكتابة. ويُعدّ ميلُ البشير خريف إلى هذه السجلات العامية مظهرا من مظاهر إخصاب النصّ الأقصويّ هذا ما أكّده سلوى السعداوي بقولها: "وتتعدّد السجلات اللغوية وتتكاثر دلالتها، ولم يكن توظيف اللغات بمختلف أصنافها (لغة المخاطب اليوميّ أو الأمثال الشعبية أو الأغاني العامية) زحرفا لغويًا أو إظهار القدرة الروائية على الجمع بين أكثر من لغة، بل إنّ القصد يتّجه نحو إخصاب لغة الرواية ويبرهن على أن سطوة التعدّد اللغويّ في الكتابة الروائية ينخرط في إطار تقريب واقع الرواية إلى المعيش اليوميّ"48.

ولعلّ أكثر السجلات القويّة، التي تؤكد هيمنة العامية على هذا النصّ الأقصويّ، ما ارتبط بقاموس اللباس والمآكل وغيرها.

✓ **اللباس:** أغلبه مرتبط بالسياق التاريخي الذي نشأ فيه هذا النصّ الأقصويّ الجامع "مشموم الفلّ" إذ نرى حشدا من أسماء اللباس التي تعود إلى ما اعتاد عليه التونسيون البسطاء لباسا. وقد وقعت الإشارة إلى اللباس في صيغة الجمع مثل "الأدباش"49 أو "الشلاليق" وبعدها كان التفصيل ثنائي المتون الأقصوية الفرعية من ذلك لفظة "القشايّة"، وهي نوع من الألبسة الصوفية التقليدية التي يتزيّا بها التونسيون شمالا وجنوبا، دثار يقي البرد شتاء والحرّ صيفا. و لفظة "الكردون"50، التي أشير إليها نسبةً في قول السارد وهو يقدم الرجل الذي انتحل صفة الحلاق: "وكان ذا صلعة كصلعة العلماء، وعليه كردون ساحليّ أسود"51، هو الآخر من الألبسة الصوفية التي يتزيّا بها أهل جربه والساحل، هذا فضلا عن "الشاشيّة" التي توضع على الرأس رمزا للوقار والهيبة والأصالة، رغم أنّ خليفة الأفرع ليس من الوجهاء يقول السارد: "أزال الدقاز عن رأس خليفة المحرمة الشاشيّة"52، و(الشاشيّة) في الأقصوية، رمز لإخفاء معايب "خليفة الأفرع"، خاصّة في مظهره.

✓ **الأطعمة:** سجلّ آخر تحفل به المجموعة الأقصوية "مشموم الفلّ"، وحضوره دليل على ترخّل هذا النصّ الأدبيّ في كلّ الأمكنة التونسية جنوبا وشمالا، ويعدّ ذلك علامة على تأصّل النصّ و تجذره في بيئته. والبشير خريف لحظة يعدّد أصناف الأطعمة كأنما به يرسم لوحة معيشية ناطقة بما كان عليه التونسيون زمن الاستعمار. وليس أفضل من تلك الإشارات التي تحوّل اللغة العامية وهي تترصد "سجلّ الأطعمة"، وفق منطق استقرائيّ إلى عملية تشريح، من ذلك الإشارة إلى مناسبة الاستعداد والإعداد زمانا "زمن العولة"53 ومكانا "بيت المونة"54 وبعدها كان تعدد مختلف الأطعمة في الأفاصيص الداخليّة، وهي كلّها لا تقدّم دفعة واحدة بل تستدعيها سياقات القصّ المختلفة من ذلك "العصيدة"55 و"الكسكسيّ" و"الحمص"56 و"الزبدة" و"الجبن"

و"اللحم والدجاج" والحوت والشمنكة"57 و"سويقة وغربوز وشيخ وزعتر وترفاس"58 و"القهوة والحليب و الزبدة والمعجون والخبز الرقيق المشوي والماء لمثلج"59.

إنّ هذا التركيم لمختلف الأطعمة، دليل على بعد تسجيلي توثيقي نرعت إليه لغة البشير خريّف العامية التي قاربت في أقصوصة "رحلة صيف" ضربا من الاحتفال بالأطعمة لحظة: "أتى (الحمال) بتقسيم دزندالي" ردحا من الزمن... فذق دقات مطربة ورفع عقيرته مُنشدا"60.

❖ سجلّ الدخيل اللغوي:

ما يميّز المجموعة الأقصوصية "مشموم الفل"، انفتاحها على ضروب من "اللغات"، بعضها فصيح وبعض منها عامي وبعضها الآخر دخيل، وتلك علامة دالة على تعايش هذه اللغات وتفاعلها وهي تتنوع. وهذا الاسترفاد للغة الدخيلة يُجِيل على الخلفيات الثقافية التي يتحرّك فيها النصّ. والمتأمل في هذا النصّ الأقصوصي، يرى سجلّ الدخيل اللغويّ أغلبه مائلٌ في مفردات فرنسية، ومرّد ذلك السياق الذي كان حاضرا للإبداع، فالبلاد التونسية في تلك الفترة التاريخية كانت تزخ تحت سطوة الاستعمار الفرنسي، الذي كان يُمارس هيمنة بقوة السلاح وكذلك بقوة اللغة. وقد عمد إلى ذلك البشير خريّف في أقصوصة "محفظة السمار" إذ نقل السارد حوارا بين والد عمر والعم رشيد، لحظة تساجلا في "حديث السياسة والأخبار":

__ رخصوا في معالم، إجراءات التحسس، واللي يجب يطورن يزيدوه في شهرته الثلث.

__ شوف الإغراء؟

__ هذا جبر موش إغراء... يجبو يجعلوا إفريقيا الشمالية بأقطارها الثلاثة ولاية واحدة. عليها حاكم واحد. يعني مقاطعة فرنساوية"61.

وليس من الغرابة في شيء أن تحفل هذه المجموعة الأقصوصية بمثل هذا الضرب من اللغة، إذ نرى فيها البشير خريّف يحاكي الواقع التونسي كما هو، بمختلف أنسجته اللغوية محلية كانت أم دخيلة، يتلقفها التزاما بالحياد والموضوعية والتجرد حتى يُقرب الصورة إلى المتلقي من خلال الغوص في المشهد الاجتماعي الفسيفسائي. ومن علامات هذا الحضور للغة الدخيلة:

➤ أسماء الأعلام: [__ كليوپطرة/62 __ بيكاسو/63 __ شكسبير/64 __ غارور/65]، يمثّل حضورها في

هذه المجموعة الأقصوصية علامة دالة على التوثيق والتسجيل، وقد حافظ السارد على أسماء الأعلام مع بعض التجوّر نقلا لها إلى لغة عربية.



➤ أسماء الأمكنة:

. - "إنّ لهم منذ اليوم بَرَآكة على شاطئ البحر"66: إنّ لفظة "برآكة"، نقل حرفيّ للفظّة (Baraque) كما يُصوّت بها باللسان الفرنسيّ، وتعني المكان الذي يُحتَمَى به قرًا وحرًا .

__ "فيجدهن يطرن على قراقهن في البرطال"67: "البرطال" من الألفاظ الفرنسيّة الدخيلة مرادف للفظ الفرنسيّ " Le Portail" وهو البووب الصغير. لكنّ البشير حريف، استدعى اللفظة للتخصيص على مكان تحلّق النساء.

__ "واتجاه الجميع التريبونال"68: اللفظة مرادف لللفظة "Trubinal"، لكنّ الرسم بحروف عربية كان مساوقاً للنطق الفرنسيّ، وتعني في اللسان العربيّ مجلساً قضائيّاً أو هيئة تحكيم .

➤ أسماء المواعين:

__ "فرشيطة": لفظّة أصلها أنجليزيّ "Forket"، ولكنّ المتن الأقصوصيّ يستدعيها لهجة عاميّة تونسيّة لحقها فعل القلب، فقلّب حرف "K" حرف " شين " والتّممة "Et" إلى "طاء" على سبيل التخفيف نطقاً. ويعود ذلك إلى افتقار شخصيات الأقاصيص إلى تملّك اللغة الأنجليزيّة اعتباراً لانحدارهم الاجتماعيّ المتواضع.

➤ أسماء الآلات:

__ "ترموي": يُعرف أيضاً بـ " الترام" مثل القطار الخفيف، خطّ سيره عادة داخل المدن. أصل اللفظة "Tramway" أنجليزيّ لكن لحقها فعل التحوير تخفيفاً للتصويت بحرف "W" إلى حرف "فاء" على سبيل الحوار اللفظيّ بين اللغة دخيلة وأخرى عاميّة تونسيّة تتفقُ وبناء الشخصيات الأقصوصيّة الثقافيّة.

__ "يُمسك في يديه القويتين برويطة مكّومة"69: الغريب في الرسم أنّ التّاء (« T » lettre) حوّلت "طاء" على سبيل التفخيم لأنّ المقابل الفرنسيّ هو (Brouette). وهي النّقالة في الفصيح توظّفُ حملاً للأمتعة .

المفرد .

__ "لأنّ التاكسيات المذكورة استوعبت جلّ عمّال الحّمالة"70: يقابل لفظة "التاكسيات" في اللسان الفرنسيّ " Les Taxis"، غير أنّ البشير حريف أوردتها في صيغة جمع على وزن "فاعلات"، وأضاف إشباع فتح متبوع بتاء للدلالة على صيغ الجمع، حتّى تتماثل مع طريقة النطق باللفظة كما حفظتها الأوساط الشعبيّة التونسيّة .

➤ أسماء المأكولات و المشروبات:

— "يناوله كأس تاي"71: من بدائع الصوغ أنّ الجملة صيغت احتراماً لتقعيد لغويّ لكنّها في مستوى المتمّم (المفعول به الثاني) تسترشد لفظة فرنسيّة (Thé) مع شيء من النقل الحرفيّ للفظة، لأنّ التاء من الحروف المرقّقة.

— "رطل من المقرونة"72: يقابل لفظة "المقرونة" في اللسان الفرنسيّ (Makarounie)، لكنّ النصّ الأقصويّ استدعاها قلباً لحرف "K" إلى "قاف" حتّى يكون النقل أميناً لما هو متعارف عليه في الأوساط الشعبيّة.

➤ أسماء اللباس:

— فجاءت دليّة بنطلون أبيها ورفيقة بجيب قديم ساميجه"73. إنّ لفظة "البنطلون" نقل حرفيّ للفظة الفرنسيّة "Pantalon" مع شيء من التحوير لحرف "T" إلى "طاء" وذلك غاية في التخفيف في اللهج. أمّا لفظة "جيب" فإفادّة من اللفظة الفرنسيّة "Jupe" مع بعض التفخيم لحرف "P"، بينما لفظة "ساميجه" فهي من علامات التجلّي للدخيل اللغويّ في المتن الأقصويّ مع بعض التحوير للمقطع الصوتيّ "CH" الفرنسيّ إلى مرادف عربيّ فيه تطويغ، فاستحال ذلك المقطع الصوتيّ "سينا".

وإجمالاً تشرّبت المجموعة الأقصوصية "مشموم الفل" اللهجة العاميّة مغربيّة كانت أو تونسيّة، وهي بذلك تتفاعل مع النسيج المجتمعيّ الذي تمثله الشخصيات الحاضرة في الأقصيص. فوهبها أسماء وشحنها بما أراد من مواقف ورؤى تتّرحم مخبوءه النقديّ: "مثل هذا التوظيف أصبح يقوم بدور تكوينيّ وتناصي"74. ويمثّل هذا الاستدعاء للهجة العاميّة نافذة أخرى يطلّ منها المبدع وكذلك قارئ النصّ على "مناطق الظلّ من أنماط الوعي في تساكنها وتضارعها وتوتّرها"75، لذلك كانت الأمثال الشعبيّة والمردّدات الشعبيّة والألفاظ نصّاً آخر يوازي النصّ الفصيح بلاغة ودلالة. فاصطناع الدارجة في التعبير مثلاً والمردّدات الشعبيّة وأصناف اللغات الجماعيّة الفوتويّة أو المهنيّة أو الجهويّة (...) لم يعد بالشيء العارض المقترن بحوارات الشخصيات المنتخبة تخيلياً من الأوساط الدنيا"76. إنّ حضور الدارجة سبيل لتشريح المجتمع التونسيّ في تلك الفترة ذلك ما يجعل منها نصّاً مزدوج الوظيفة، فنقف عند وظائفها الجماليّة من فنون الأداء فضلاً عن كونها: "عنصر إضائة متفرّد للذاكرة يصدّر اختزالها للحدث وتفاعلها معه"77.

خاتمة :

يمكن الإقرار بأن المجموعة الأقصوصيّة "مشموم الفل" للبشير خريف جمعت طيّها ضربين من اللغات، لغة فصحيّ عليا وأخرى ثانويّة أقلّ أهميّة تنفرع إلى عاميّة وأخرى دخيلة. وهذه الفسيفساء من اللغات هي التي من شأنها أن تخلق تعايشاً متاعاً وتجادباً طريفاً يلغي الحدود بينها ويذوّب الفوارق الماثرة. ولعلّ السياق الثقافيّ والتاريخيّ والاجتماعيّ كان قادحاً لمثل هذا التعايش السلميّ بين السجالات اللغويّة حتى غابت معالم الاختلاف بين اللغات وعوّضتها أخرى دالّة على الائتلاف.

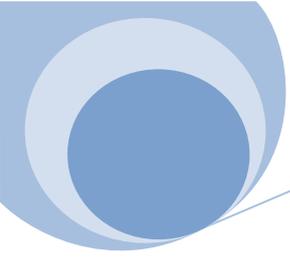
ذلك ما جعل هذه المجموعة الأقصوصيّة عملاً إبداعياً يخلق انصهاراً بين اللغات. وهذه الخاصيّة هي التي جعلت منظري الأدب: " يجمعون على أنّ الأنواع الأدبيّة ليست ثابتة الأركان، ولا مطلقة الوجود، بل كيانات متحركة متحوّلة أبداً "78. والبشير خريف، وهو مجرّب منجزه الإبداعيّ، تشرب لغات أخرى مجاورة حتّى ينسجم إبداعه مع ما هو سائد في تلك الفترة. والكتابة عنده وعي جادّ بما يجب أن يكون عليه النصّ من تداخل وتنوع. ليس من الغرابة في شيء أن تستدعي لغة الكتابة لغات أخرى، حتّى تشكّل كرنفالاً (carnaval) تكون فيه الأقصوصة الواقعيّة قادرة على امتصاص (absorber) جميع اللهجات وهذا أثبتته ميخائيل باختين وهو يباشر روايات دوستوفاكسي (Dostoïevski) لما يقن أنّ النصّ الإبداعيّ، جنس مستحيل تعريفاً دلاليّاً وجماليّاً لأنّه معروف بالتعدّد (multiplicité) والمرونة (plasticité)، لهذا كانت المجموعة الأقصوصيّة "مشموم الفل"، نصّاً منفتحاً وقابلاً للحوار مع غيره من الخطابات بمختلف أجناسها الأدبيّة.

وتنوّع السجلات اللغويّة، في "مشموم الفل"، ظاهرة مائزة جعلت من هذا المصنّف، حقيقياً بالدرس لتعدّد مستويات اللغة فيه، وتلك علامة من علامات الانفتاح والتفاعل النصّيّ، إذ استعمل البشير خريف: "جملة من المستويات اللغويّة تناسب أوضاع الشخصيات الروائيّة الثقافيّة والاجتماعيّة والفكريّة"79. ومبدع مثيل البشير خريف لم يترحلّ فقط في فضاء النصّ الفصيح، بل غالباً ما انصرف عن طريق أهل الفصاحة وشقّ طريق المغامرة في عالم الهامشيّين والبسطاء، حتّى يكون النصّ نصوصاً.

قائمة الهوامش:

- 1- محمود طرشونة، من أعلام الرواية في تونس، مركز النشر الجامعي، 2002، ص 81 .
- 2- من رواياته: إفلاس أوخبتك درباني(1958)، بلاّرة (كتبها في الخمسينات)، برق الليل (1960)، (الدقلة في عراجينها 1966)
- 3- من أفاصيحه: ليلة الوطنية، نشرت بجريدة الدستور (1937). أمّا في المسرح فله: سوق البلاط بالعاميّة وطمبياس وهي مسرحية تاريخيّة .
- 4- البشير خريف، الأعمال الكاملة، المجلّد الثالث، جمع وتحقيق وتقديم وببليوغرافيا فوزي الزمرلي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، دار الجنوب للنشر، دت. / أو "مشموم الفل"، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1971.
- 5- معجم السرديات (مؤلّف جماعيّ) إشراف محمد القاضي الرابطة الدوليّة للناشرين المستقلّين، ط1، 2010.
- 6- عبد الوهاب الرقيق، أدبية الأقصوصة العربية من البدايات إلى النضج، الجزء الأول، صفاقس، دار حامد للنشر والتوزيع، 2007.
- 7- عائشة عبد الرحمان، لغتنا و الحياة، دار المعارف، مصر، ط2، 1978، ص95.

- 8- نقلا عن البشير الوسلاطي، مرجع سابق، ص151.
- 9 - البشير الوسلاطي، مرجع سابق، ص152.
- 10 - عبد المجيد غفّار، الرواية المغاربية "تحولات اللغة والخطاب"، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، ط1، 2000، ص 6 .
- 11 - البشير الوسلاطي، مرجع سابق، ص17.
- 12 - المرجع نفسه، ص18.
- 13- رينيه ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد110، المجلس الوطني للثقافة والأدب والفنون، الكويت، 1987، ص376.
- 14- البشير الوسلاطي، مرجع سابق، ص163.
- 15- معجم السرديات، (مؤلف جماعي)، إشراف محمد القاضي الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010.
- 16-Jonathan Cuiller, «La littérature » in théorie littéraire ;presse ;universitaire de France ; 1989 -1 p31 et p33.
- 17- النصّ الأقصويّ "خليفة الأفرع"، ص30.
- 18 - النصّ الأقصويّ "رحلة الصيف"، ص56.
- 19- النصّ الأقصويّ "النقرة مسدودة"، ص 111.
- 20 - أبو مُليكة جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، الحطيئة، الديوان، رواية وشرح ابن السكيب، دراسة وتبويب د، مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1. 1993 .
- 21- البيئ للخطيئة .
- 22- النصّ الأقصويّ "رحلة الصيف"، ص49.
- 23- النصّ الأقصويّ "رحلة السمار"، ص87.
- 24- النصّ الأقصويّ "رحلة السمار"، ص89 ، والبيت لعليّ البلهوان ألقاه على المسامع يوم 9 أفريل 1938.
- 25- النصّ الأقصويّ "النقرة المسدودة"، ص102.
- 26 - أبو القاسم الشابيّ، أغاني الحياة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ، تونس، ط5.
- 27- النصّ الأقصويّ، "رحلة الصيف"، ص56.
- 28 - محمود طرشونة، مباحث في الأدب التونسيّ المعاصر، دراسة مؤلفات المسعدي والمدنيّ والفارسيّ وخريف، المطابع الموحدّة تونس، 1989، ص80-81 .
- 29- النصّ الأقصويّ، "محفظة السمار"، ص86.
- 30- نفسه، ص83.



- 31- نفسه، ص 92.
- 32- نفسه، ص 121.
- 33- نفسه، ص 100.
- 34 - سليمة عذراوي، شعريّة التناصّ في الرواية العربيّة، دار الرؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2012، ص 8.
- 35- النصّ الأقصويّ، "خليفة الأقرع"، ص 12.
- 36- نفسه، ص 13.
- 37 - نفسه، ص 31.
- 38- نفسه ، ص 36.
- 39- النصّ الأقصويّ، "المروض والثور"، ص 119.
- 40- النصّ الأقصويّ، "المروض والثور"، ص 120.
- 41- البشير حريف، نقد قصة "الصراع" مجلّة قصص، العدد 63، "عدد خاصّ بالبشير حريف" جانفي 1984، ص 116.
- 42- المرجع نفسه ، ص 116.
- 43- البشير حريف، نقد قصة "الصراع"، مجلّة قصص، العدد 62، ص 109.
- 44 - حسين أوعسيري، التعدّد اللغويّ في الرواية المغربيّة، النحو مقارنة سوسيو لغويّة، مجلّة الراوي، النادي الأدبيّ الثقافيّ بجدة، العدد 29.
- 45 - البشير حريف، الأعمال الكاملة ، أقصوصة "خليفة الأقرع"، ص 13.
- 46 - المصدر نفسه ، ص 14.
- 47 - Bernard Valette, Le nom de personnage dans les contes Maupassant et l'écriture , actes du colloque , Fécamp 21 ,22 ,23 Mai 1993 ; sous la direction de L ouis Forestier ; Edition Nathan ; 1993.
- 48 - سلوى السعداوي، الرواية العربيّة بضمير المتكلّم، تقديم محمد القاضي، دار تونس للنشر، تونس، ط 1، ماي 2010، ص 229.
- 49- النصّ الأقصويّ، "خليفة الأقرع"، ص 17.
- 50- النصّ الأقصويّ، "النقرة مسدودة"، ص 105.
- 51- نفسه .
- 52- النصّ الأقصويّ، "خليفة الأقرع"، ص 37.

- 53- نفسه، ص 20.
- 54- نفسه، ص 26.
- 55- نفسه، ص 20.
- 56- نفسه، ص 20.
- 57- نفسه، ص 47.
- 58- نفسه، ص 48.
- 59- النصّ الأقصويّ، "النقرة مسدودة"، ص 103.
- 60- النصّ الأقصويّ، "رحلة الصيف"، ص 57.
- 61- النصّ الأقصويّ، "محفظة السمار"، ص 68-69.
- 62- النصّ الأقصويّ، "محفظة السمار"، ص 91.
- 63- النصّ الأقصويّ، "النقرة المسدودة"، ص 106.
- 64- النصّ الأقصويّ، "ليلة الوطيّة"، ص 125.
- 65- نفسها، ص 129.
- 66- النصّ الأقصويّ، "رحلة الصيف"، ص 50.
- 67- النصّ الأقصويّ، "محفظة السمار"، ص 69.
- 68- نفسه، ص 94.
- 69- نفسه، ص 41.
- 70- نفسه، ص 48.
- 71- النصّ الأقصويّ، "خليفة الأقرع"، ص 11.
- 72- النصّ أقصويّ، "رحلة الصيف"، ص 56.
- 73- النصّ الأقصويّ، "خليفة الأقرع"، ص 13.
- 74- عبد الحميد عقار، الرواية المغاربيّة تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 86.
- 75- المرجع نفسه، ص 86.
- 76- المرجع نفسه، ص 85.
- 77- المرجع نفسه، ص 87.
- 78- الدكتور صلاح السروري، الأنواع الأدبيّة المغاربية للتنوّع، تداخل النصوص والأنواع الأدبية، جامعة الزقازيق، الزقازيق، مارس 2009.

79- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، 1989، ص.120

80- ربّنا المصادر والمراجع ترتيباً ألف بائياً.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

خرّيف (البشير)، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق وتقديم وببليوغرافيا فوزي الزمري، تونس، دار الجنوب للنشر، المجلّد الأول، ديسمبر 2005 .

القرآن الكريم، دار الجليل، بيروت لبنان، ط2، 1995.

المراجع :

- المراجع العربيّة :

- التوحيدّي (أبو حيان)، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، [1939. 1944].

- ألف ليلة وليلة، مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطّة العدويّ، بيروت دار صادر، 1252 هـ.

- الحطيئة (أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسيّ أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسيّ)، الديوان، رواية وشرح ابن السكيب، دراسة وتبويب د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1. 1993.

- الحوار (فرج)، "المدينة لعيون قروية" قراءة من مجموعة "مشموم الفل" للبشير خريف ضمن كتاب مشترك: البشير خريف في عيون النقاد، تونس، منشورات اتحاد الكتاب التونسيين، 2003.

- خريف (البشير)، الأعمال الكاملة، المجلّد الثالث، جمع وتحقيق وتقديم وببليوغرافيا فوزي الزمري، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، دار الجنوب للنشر، دت.

- الرقيق (عبد الوهاب)، أدبيّة الأقصوة العربيّة من البدايات إلى النضج، الجزء الأول، صفاقس، دار صامد لنشر والتوزيع، 2007.

- السروري (صلاح)، الأنواع الأدبيّة المغايرة للتنوع، جامعة الزقازيق، الزقازيق، مارس 2009.

- السعداوي (سلوى)، الرواية العربيّة بضمير المتكلم، تقديم محمد القاضي، دار تونس للنشر، تونس، ط1، ماي 2010 .

- الشايبيّ (أبو القاسم)، أغاني الحياة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط5.

- طرشونة (محمود) :

من أعلام الرواية في تونس، مركز النشر الجامعي، 2002، ص81 .

مباحث في الأدب التونسي المعاصر، دراسة مؤلفات المسعدي والمدني والفارسي وخريف، المطابع الموحدة تونس، 1989.

- عبد الرحمان (عائشة)، لغتنا والحياة، دار المعارف، مصر، ط 1، 1978.

- عذراوي (سليمة)، شعريّة التناصّ في الرواية العربيّة، دار الرّؤية للنشر والتوزيع، 2012.

- غفّار (عبد المجيد)، الرواية المغاربيّة "تحولات اللغة والخطاب" شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، ط 1، 2000.

- الوسلاطي (البشير)، النصّ الأقصوصي وقضايا التأويل، دار صامد للنشر والتوزيع، طبعة 1، ماي 201.

المجالات العربيّة:

- أوغسيري (حسين)، التعدّد اللغويّ في الرواية المغربيّة، النحو مقارنة سوسيو لغويّة، مجلة الراوي، النادي الأدبيّ الثقافيّ بجدة، العدد 29.

- خريف (البشير):

نقد قصة "الصراع"، مجلّة قصص، العدد 62.

نقد قصّة "الصراع" مجلّة قصص، العدد 63، "عدد خاصّ بالبشير خريف"، جانفي 1984.

الكيلاي (مصطفى)، "التجريب في نماذج من الأدب الروائيّ التونسيّ"، مجلّة الحياة الثقافيّة، منشورات وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية، عدد 64-65، 1992.

- مرتاض (عبد الملك)، "في نظريّة الرواية"، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، العدد 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989.

- ويلك (رينيه)، "مفاهيم نقدية"، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 110، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987.

- المعاجم العربيّة:

- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ط 3، 1986.

- ابن منظور (لسان الدين)، لسان العرب، المجلّد الثاني، ط 1، 1997، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- معجم الوسيط، الجزء الأول، مجمع اللغة العربيّة، شركة الإعلانات الشريّة، القاهرة، ط 3، دار عمران، 1985.

- معجم السرديات، (مؤلف جماعيّ)، إشراف محمّد القاضي، الرابطة الدوليّة للناشرين المستقلين، ط 1، 2010.

- المراجع الأعممية:

- Bernard Valette, Le nom de personnage dans les contes Maupassant et l'écriture, actes du colloque, de Fécamp, 21, 22, 23 Mai 1993, sous la direction de L'ouïs Forestier, Édition Nathan, 1993.
- DUBOIS Jean, GIACOMO Mathé, GUESPIN Louis, MARCELLESI Christiane--MARCELLESI Jean-Baptiste, MEVEL Jean-Pierre, Dictionnaire de linguistique, Paris, librairie la Rousse ; 1973 ;
- Jonathan Cuiller, « La littérature », in *théorie littéraire* , PUF, 1989

الوطنيون الجزائريون و النهضة الجديدة 1912-1939

Algerian Nationalists and the new Renaissance 1912-1939.

زايدى عزالدين زايدى عزالدين (جامعة سيدي بلعباس/الجزائر)

ملخص:

حاول الاستعمار الفرنسي منذ البداية طمس الماضي العريق للجزائريين باستعماله شتى الأساليب القمعية التي اعتبرها "مهمة الغرب الحضارية" تجاه الشعوب المستعمرة. وذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث تيقن من أن استعمار الشعوب المتخلقة لا يخضع لأي مصلحة، بل هو "مسألة واجب". فجاءت ردّة فعل الشعب الجزائري مخالفة لكل المخططات الاستعمارية و عرف كيف يصمد في وجه الغطرسة الفرنسية و أرغمها على التخلي عن مشروعها الإمبريالي الكبير الذي فيه الجزائر إحدى الركائز الأساسية.

فكانت البداية بظهور الجمعيات الدينية ثم التيارات السياسية المختلفة للدفاع عن مصلحة الشعب الجزائري، فيما أسماه أحد المؤرخين "بالأفاق غير المحدودة" و التي تبلورت فيها قضايا و أفكار جديدة نتيجة التحولات الهائلة التي مست العالم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى و امتدت إلى غاية نشوب الحرب العالمية الثانية سنة 1939.

و إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد مكنت من بروز التشكيلات السياسية الجزائرية، التي شهدت تطورات متوازية ناتجة عن ردود الأفعال الفردية أو الجماعية للشعب الجزائري عقب انتهاء ح ع 1، فإن الحرب العالمية الثانية مثلت نقطة تحول في مسار الحركة الوطنية الجزائرية التي تيقنت من عدم جدوى الاعتماد على الوعود الاستعمارية الكاذبة.

من هذه الأوضاع المزرية شاع شعاع الأمل الذي وظف له الوطنيون الجزائريون كل الوسائل التي أتاحت و توفرت لهم من أجل النهوض لمجتمعهم نحو مستقبل مشرق... من هنا نطرح إشكالية الورقة العلمية التالية: كيف كانت مساهمة الوطنيين الجزائريين في حركة "النهضة الجديدة" إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية؟

الكلمات المفتاحية: الوطنيون، الجزائريون، الاستعمار، النهضة، الجمعيات الدينية، التشكيلات السياسية، الأساليب القمعية، مهمة حضارية....

Abstract :

From the outset, French colonialism tried to obliterate the ancient past of the Algerians by using the various repressive methods which it regarded as "the West's cultural mission" towards the colonized peoples. He went so far as to make sure that the colonization of the created peoples was not subject to any interest, but was a "matter of duty." The reaction of the Algerian people was contrary to all colonial schemes and knew how to withstand French arrogance and forced it to abandon its project The great imperialism in which Algeria is one of the main pillars .It was the beginning

of the emergence of religious associations and then different political currents to defend the interest of the Algerian people, in what one historian called "unlimited prospects", which crystallized new issues and ideas as a result of the enormous transformations that characterized the world after the end of the First World War and extended until the end of World War Second in 1945.

If World War I enabled the emergence of Algerian political formations, which witnessed parallel developments resulting from the individual or collective reactions of the Algerian people after the end of World War II, the Second World War marked a turning point in the Algerian national movement, which realized the futility Relying on false colonial promises.

From these dire situations, the ray of hope that Algerian nationalists have employed all the means available to them to advance their society towards a bright future has become commonplace. Here we raise the problem of the following paper: How was the contribution of Algerian patriots to the dynamics of the "New Renaissance" until the outbreak of World War II?

Key-words : Algerian nationalists, French colonialism, New renaissance, Religious association, Political formations, Repressive methods, Civilization mission, The World war...

مقدمة:

إن الكتابات المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية غير متوازنة بسبب غزارة الكتابات الفرنسية و شخ الكتابات الجزائرية التي تعتمد على المادّة الخام، مع بعض الاستثناءات. و بقيت كذلك إلى ما بعد مرحلة تحرير بلدان المغرب من الاحتلال الفرنسي فيما بين 1952 و 1962.¹ و كان علينا انتظار هبوب ريح التجديد التي مست الدراسات المتعلقة بالحركات الوطنية حتى نشهد بروز كتابات أخرى حاولت إعادة قراءة المسار العام لهذه الحركات من خلال الكشف عن حقائق تاريخية جديدة.² كما أن خارطة عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى جسدتها هيمنة الدول صانعة الانتصار من خلال ما ألت إليه كل نتائج مؤتمر الصلح التي لم ترضي آمال كل الشعوب و القوميات، بما في ذلك تلك التي كانت تعيش تحت وطأة الاحتلال الأوروبي. حيث اكتفت المستعمرات بلعب دور "الضمان اللوجستي" للقوى الاستعمارية الكبرى، خاصة في الجانب الاقتصادي، و ذلك لتوفيرها للموارد و الأسواق، مدعمة باليد العاملة التي كانت توفرها هذه المستعمرات.

تسارعت الأحداث بشكل ملفت للانتباه في الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي ساهم في وجود حركة سياسية جادة كللت بظهور أحزاب مختلفة الاتجاهات داخل المشهد السياسي الوطني. فبرز الوعي السياسي لدى طبقات مختلفة من المجتمع، ساهمت في وجوده ظروف الحرب العالمية الأولى التي اشترك فيها مسلمي شمال إفريقيا عامة، و

الجزائريين خاصة، سواء كمحاربين في جبهات القتال أو كعمال في المصانع أو فلاحين في "المتروبول". و قد خضعت كل بلدان شمال إفريقيا إلى الاستغلال الاستعماري الفرنسي المكثف خدمة للمشاريع "الكولونيالية" المتنوعة التي وفرت لها فرنسا إمكانيات ضخمة.

من هذه الأوضاع المزرية شاع شعاع الأمل الذي وظف له الوطنيون الجزائريون كل الوسائل التي أتاحت وتوفرت لهم من أجل النهوض لمجتمعهم نحو مستقبل مشرق... من هنا نطرح إشكالية الورقة العلمية التالية: **كيف كانت مساهمة الوطنيين الجزائريين في حركة "النهضة الجديدة" إلى غاية نشوب الحرب العالمية الثانية ؟**

هذا الطرح وجدناه حتى قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، أي خلال سنة 1915، عندما بدأ الأوروبيون يتخوفون من الجزائريين العائدين من جبهات القتال، أين مثلت عودتهم تخوف الإدارة الاستعمارية من ظهور فكرة التمرد، خاصة بعد ما تأكد الجميع من هروب عدد كبير من المسلمين، تنصلا من عملية التجنيد الإجباري التي كانت متواصلة، و من صفوف الجيش، و الذين بدأوا في الاختفاء داخل قرى و مدن المتروبول هروبا من القتال، و هناك من فضل السجون الألمانية و المحتشدات على أن يبقى يدافع على قضية ليست بقضيته.³

ظهرت الجمعيات الدينية، في البداية، للدفاع عن مصالح الجزائريين، فتبلورت الأفكار في قضايا جديدة نتيجة التحولات التي أفرزتها نهاية الحرب الكبرى، امتدت قرابة عقدين كاملين قبل اندلاع الصراع العالمي الثاني في سبتمبر من سنة 1939. و مع بداية هذا الصراع، ازدادت الهوة اتساعا بين فرنسا و شعوب مستعمرتها إلى درجة أن هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في جوان 1940 و استسلامها لشروطها، غير من معطيات كثيرة في الصراع القائم بين الاستعمار و الوطنيين الجزائريين، إذ أنه باختلاف الظروف الدولية و المحلية، تحولت مطالب الوطنيين، من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال.⁴

و لم يكن للاستعمار الفرنسي حدود، بدليل انتصار إيديولوجية " المهمة الحضارية" التي جاءت بها فرنسا الاستعمارية وفرضتها على ضحاياها العاجزين على توحيد مقاومة حقيقية مما جعلهم يستسلمون في النهاية للقدر المحتوم، فلم يبقى في البلاد مكان لم تطأه الأقدام الفرنسية. لذلك، يعتبر العديد من الباحثين بأن الربع الأول من القرن العشرين هو بمثابة العهد الجديد الذي شهد ميلاد أشكال جديدة من المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي أبرزها، الإضرابات و العرائض و المفوضين، إلى جانب توفير وسائلها، خاصة منها: الصحافة و المقالات المنتقدة للسياسة الفرنسية، و الجمعيات و أخيرا، الأحزاب. غير أن بدايتها كانت في اتجاه المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية لإصلاح أحوال المسلمين في الجزائر.⁵

إن الصعوبات الاقتصادية و الظروف الاجتماعية المتدهورة، هي الأخرى حطت بكل ثقلها في ظهور الفكرة الوطنية، حيث توفرت كل الشروط لتنظيم احتجاجات للمطالبة بتحسين الظروف الاجتماعية للمسلمين ضد البؤس و الحرمان الذي طال السكان في الأرياف و حتى في المدن. و أكدت كل مطالب الوطنيين في هذه المرحلة على الأوضاع المعيشية المزرية للسكان و بضرورة إقدام السلطات الاستعمارية على إيجاد الحلول المناسبة لها.⁶ و لعل خطاب الرئيس

الأمريكي "ولسن" هو الذي ألهم مشاعر مجموعة من المهاجرين التونسيين و الجزائريين لتأسيس "مجلة المغرب" ⁷ سنة 1916 تحت مسؤولية التونسي "محمد باش حانبة" ⁸ Bach-Hamba والتي باشرت كتاباتها بنضال سياسي و أيديولوجي مكثف أين نددت في العديد من المرات بالممارسات الاستعمارية في تونس و الجزائر.

أولا: الجزائريون و النهضة الجديدة 1919-1939

حرصت فرنسا منذ غزوها للجزائر بأن تكون البلاد ملكا لها. فانتهجت سياسة واضحة المعالم تمكنت من خلالها تطبيق مشروعها الرامي إلى طمس الخصائص القومية للمجتمع الجزائري حتى تهيئه إلى المرحلة الحاسمة المتمثلة في دمجها نهائيا داخل أوصار فرنسا المسيحية. فالإدماج كان يمثل المرحلة النهائية للأسطورة الاستعمارية التي كانت تتغنى بالحضارة و الرقي و السلم و السلام. غير أن الأمر في النهاية لم يغدو أن يكون سوى جعل من الجزائر امتدادا لفرنسا فيما اصطلاح عليه بإقليم ما وراء البحار. Province d'Outre-mer. أو الذي أطلق عليه الفرنسيون ببساطة: "جزائر الفرنسيين" بفعل السياسة الاستعمارية المنتهجة. ⁹

اعتمد المخطط الفرنسي منذ البداية على تدمير أسس البنية التحتية و القيم الروحية للمجتمع الجزائري المسلم، و التي عرف بها قبل 1830 عندما كانت البلاد من المراكز الحضارية و الثقافية المزدهرة في حوض البحر المتوسط إلى جانب حواضر المغرب الأقصى و المغرب الأدنى. كما واجه الجزائريون هذا الهدم المبرمج بكل وسائل المقاومة المتاحة لهم إلى أن اهتموا إلى السبل و الطرق السلمية الجديدة في الحصول على حقوقهم المهضومة. فاستخدموا الأسلوب السياسي و اعتمدوه كخيار و علقوا عليه الآمال الكبرى ظنا منهم بأن الاستعمار قد تجاوز مرحلة الاستبداد بمجرد انتهاء الحرب العالمية الأولى. و أنه تعدى ذلك إلى مرحلة الانفتاح السياسي التي ستسمح له بمراجعة أمور كثيرة متعلقة بوضعية الجزائريين. إلا أن الذي حدث كان مغايرا لكل هذه التوقعات، بدليل أن فرنسا راحت تتمادى في مناوراتها المعهودة كلما حلت بها أزمة تهددها في كيانها. فتلجأ إلى الأساليب الدنيئة للتحايل على الشعب الجزائري و على الطبقة السياسية حيث كانت تعتبرها أداة في خدمة أطماعها و مصالح الكولون في الجزائر لا غير.

1- الشروع في العمل السياسي بعد نهاية الحرب الكبرى

من خلال عملية تشريع موجزة للتطور التدريجي الذي صاحب مراحل احتلال الجزائر و سعي فرنسا إلى فرض منطلق الاستيطان و الإدماج، وجدنا بأن فرنسا حاولت توطين الأوروبيين في الجزائر من أجل خلق واقع جديد يفرض نفسه بالقوة من أجل القضاء على العنصر المحلي الذي بقي أسيرا للقوانين و المراسيم الاستعمارية طوال عقود من الزمن، رغم التفوق العددي للجزائريين. ¹⁰ و بقدر ما كانت دوافع فرنسا قائمة على تطبيق تجاربها المكثفة على أرض الجزائر، بقدر ما كانت ردود أفعال هذا الشعب قوية في رفضه لكل أشكال الهيمنة و الاضطهاد. غير أن فرنسا، التي اعتبرت أرض الجزائر ملكا لها منذ البداية و مخبرا ملائما لتجارها، راحت تطبق فيها و على شعبها سياساتها القمعية و التوسعية، من أجل تحقيق حلم الإمبراطورية الفرنسية العظمى. ¹¹ كما حاول البعض تبرير هذا الطرح حينما اعتبروا الاحتلال الفرنسي للجزائر مرحلة انتقالية ضرورية كان لا بد منها لإخضاع كل مناطق البلاد ¹²

فالجزائر لم تكن "مستعمرة فرنسية" بالمفهوم التقليدي للكلمة، خاضعة لوزارة البحرية. و إنما كانت "أرض فرنسية" تابعة لوزارة الحربية، كما تبينه دساتير سنوات 1848 و 1852 التي كانت تفرق بين المستعمرات الفرنسية و الجزائر في الشق المتعلق بتطبيق القوانين و التعليمات و المراسيم. و حتى عندما أنشأ نابليون الثالث ما عرف "بوزارة الجزائر و المستعمرات" بقيت الجزائر في وضع خاص يميزها عن باقي المستعمرات الفرنسية لما وراء البحار. هذه الخصوصية ستعيشها الجزائر خلال كل فترات الحقبة الاستعمارية كون عملية استعمار الجزائر اعتبرت مشروع لا مثيل له و دون مقارنة في التاريخ المعاصر. ربما ذلك راجع لطبيعة العلاقات الجزائرية- الفرنسية التي كان يعتبرها الكثيرون علاقات مميزة منذ عهد بعيد. كما عرفت الجزائر مع مطلع القرن العشرين تحولات نوعية تأسست على إثرها الحركة السياسية الوطنية التي كان المبدأ منها مطالبة السلطات الاستعمارية، و بشكل مغاير عما كان معمول به سابقا، بالحقوق السياسية التي لا طالما حرمتهم منها فرنسا طيلة العقود السابقة. فكانت حركة "الشبان الجزائريين" أول حركة سياسية اعتمدها الأقاليم العصرية تحت هذه التسمية¹³. كما أن هذه الجماعة نعتت أيضا بكلمة "المتطورين"¹⁴.

قد تعود البداية الفعلية للنشاط السياسي إلى مرحلة متقدمة من القرن العشرين،¹⁵ و ذلك راجع للاهتمام المتأخر للمؤرخين لما كان يجري في الجزائر من حركية سياسية تفاعلت مع الحركات الوطنية المتجددة التي ظهرت في بقاع متعددة من العالم و التي حملت في طياتها المفاهيم السياسية و الإيديولوجية على حد سواء، على غرار الحركات التي ظهرت داخل أوروبا مثل: ألمانيا الفتاة و أيرلندا الفتاة و إيطاليا الفتاة، و ما كان يجري داخل البلاد العربية الإسلامية، كما هو الشأن بالنسبة لتركيا الفتاة و مصر الفتاة.¹⁶

إن ظهور جماعة "الشبان الجزائريين" يعود إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث قامت بعمل كبير في سبيل دفع السلطات الاستعمارية إلى اعتماد ما عرف "بالإصلاحات" التي تأخر ظهورها إلى غاية سنوات 1918-1919. مع العلم أن هذه الحركة كانت تحمل في طياتها توجهات متشعبة جعلت منها النخبة الجديدة التي تفتقر إلى العدد و المنقسمة على نفسها في محاولة لإيجاد مشروع مجتمع جديد يخدم مصالح الجزائريين. فتضاربت مشاريعها بين القبول بالمقترحات الفرنسية نحو التحنيس، كما اقترح ذلك ابن تهمي، أم التفكير بجدية في مشروع الاستقلال، كما بدر من مجموعة المغتربين من سويسرا، أم الدفاع عن المبادئ التقليدية مع الانفتاح على العصرية الأوروبية في حال احترامها لتعاليم الدين الإسلامي و لعادات و تقاليد الشعب الجزائري. فكانت هذه هي النقاط الجوهرية التي اصطدم بها الشباب الجزائري في مهمتهم السياسية الأولى.¹⁷

نشطت النخبة في تقديم المذكرات لدى السلطات الفرنسية، و سارت على نفس نهج و أسلوب القدامى أمثال "حمدان خوجة"، الذي بدأ بالمذكرات الاحتجاجية مع بداية الاحتلال، خاصة بالمذكرة التي تقدم بها إلى البرلمان. ثم تواصلت العملية في عهد نابليون الثالث حيث قدمت له عرائض تنتقد الحكم المدني و نظام التحنيس. و لما طرح موضوع تجنيد الجزائريين للمرة الأولى أمام البرلمان الفرنسي سنة 1887، بدأت الأقاليم من جديد تتحرك للمطالبة بالمساواة و حقوق الشعب الجزائري.¹⁸

أما مسألة التجنيد فقد طرحت بشدة مع نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، حيث فكرت الإدارة الاستعمارية بإنشاء جيش كبير في إفريقيا تقوم من خلاله بتجنيد دائم للمسلمين ليصل العدد إلى قرابة 300000 جندي. إلا أن ذلك لم يتحقق بسبب عدم قدرة الإدارة الاستعمارية على تمويل هكذا مشروع مالياً، إلى جانب تخوف الكولون و الإدارة من منح حق المواطنة للمسلمين.¹⁹ ثم جاء "مشروع-قانون" "Projet de loi" "قوليبي" و "ميشلان" سنة 1889، مجهضاً منذ البداية، باعتبار أنه اقترح إدماج المسلمين و منحهم الحقوق السياسية كشرط مسبق لإلزامهم بالخدمة العسكرية، غير أنه رفض من طرف المستعمرين لأنه يشكل خطراً على مستقبل الجزائر الفرنسية.²⁰

كما اهتم مشروع "كاميل شوطان" "Chautemps Camille" الذي تقدم به سنة 1900، بإنشاء وحدات عسكرية جزائرية تمثل القوة الاحتياطية للجيش الفرنسي في الجزائر مشكلة من جميع من له القدرة على حمل السلاح. و هذا المشروع لم يرى النور أيضاً، بسبب تعنت الكولون.²¹ و تم اتفاق المحافظون و النخبة على معارضة فكرة تجنيد الجزائريين لأسباب مختلفة. فالمحافظون قالوا إنها تتعارض مع المشاعر الدينية و مع تعهد فرنسا سنة 1830 باحترام الإسلام. أما النخبة فرأت أن التجنيد يقتضي مبدأ المساواة في الحقوق طالما أن الجزائريين سيؤدون مثل المواطنين الآخرين نفس الواجبات.

فيما يخص الفرنسيين، فقد قيل الكثير عن البدايات الأولى لعمليات التجنيد التي سبقت سنة 1912.²² فالفكرة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، عندما راودت الإدارة الفرنسية فكرة استغلال الجزائريين لتجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي بعدما تم إنشاء "فيلق القناصة" سنة 1841. إلا أن كل المشاريع التي عرضت على وزارة الحربية رفضت لأن فرنسا كانت تخشى أن ذلك التجنيد سوف يفتح للمسلمين الحصول على حقوق سياسية قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.²³

مع تسارع وتيرة الأحداث العالمية و تدهور العلاقات بين القوى الأوروبية مع مطلع القرن العشرين، و جد العسكريون و السياسيين الفرنسيين أنفسهم أمام حتمية التفكير الجدي في مسألة تجنيد الجزائريين إجبارياً لتقوية صفوف الجيش الفرنسي. فاحتلت القضية حيزاً كبيراً في مختلف نقاشات الطبقة السياسية الفرنسية. و لما فشلت جميع الجهود لمنع صدور قانون تجنيد الجزائريين سنة 1912، لجأ بعض أهالي مدينة تلمسان إلى الهجرة الجماعية اتجاه الولايات العثمانية في بلاد الشام.

كما طالب آخرون على الأقل بتخفيض مدة الخدمة و رفع سن التجنيد. و قد وعد "ريموند بوانكريه" Poincaré Raymond بالنظر في هذه المطالب و وعد بإعفاء المجندين من الخضوع لقانون الأهالي و المحاكم الرديعة و إعطائهم ميزات سياسية بعد تسريحهم. غير أن ظروف الحرب أجلت النظر في هذه الوعود، و كان لا بد من انتظار سنة 1919 لتطبيق أول حلقة في الإصلاحات، من خلال قانون 4 فبراير الشهر.²⁴

لم تشكل هذه الثورات خطراً محسوساً، و تركزت في شمال الأوراس سنة 1916، و مع ذلك فإن المصادر الفرنسية تقلل من شأنها و تتحدث على العكس ذلك، عن ولاء الجزائريين و التحاقهم بالجيش و تبرع أغنيائهم بالأموال

لفائدة فرنسا. كما أن هناك عوامل أخرى دفعت الجزائريين إلى قبول الخدمة العسكرية منها: انخفاض مستوى المعيشة و انخراط الكثيرين في صفوف الجيش خاصة ضمن فرق القنصاة الجزائريين التي اشتهرت بحروبها في إفريقيا. يضاف إلى ذلك تشجيع بعض رجال النخبة على ذلك مقابل بعض الامتيازات.²⁵

غير أن الحرب العالمية الأولى فتحت مرحلة جديدة أمام الجزائريين قابلتها فرنسا بسياستها المعروفة "بقوانين الإصلاحات" التي لم تكن سوى ظرفية و اقتضت على أوضاع و حالات لا يمكنها أن تغير شيئا من الواقع المعاش من طرف الجزائريين. إن هذه الإصلاحات التي تقدمت بها فرنسا للجزائريين لم تكن سوى مناورة منها للتخفيف عن ذنوبها تجاههم، الأمر الذي دفع بجماعة من الجزائريين اقتحام المعتزك السياسي لما عرف عند بعض الكتاب بميلاد الوطنية الجزائرية.²⁶

مهما يكن من أمر، فإن ذلك لم يجد من اهتمامات الجزائريين المسلمين التي كانت مصوبة تجاه الصعوبات الاقتصادية التي أصبحت واقعهم المر و الأكثر تأثيرا على حياتهم اليومية.²⁷ هل يمكننا تسمية الفترة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الأولى بعهد النهضة الفكرية و السياسية في الجزائر؟ لأنه في هذه الحالة سوف تتحقق الأطروحة التي اعتبرت ظهور الحياة السياسية في الجزائر، بمفهومها الحديث و العصري، مرتبطة بمرحلة ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، و بالتحديد منذ بداية عقد العشرينات، كما اعتبرها "سعد الله" حركة جامعة بين مختلف الاتجاهات: المحافظة و المعتدلة و الليبرالية و الثورية الإسلامية و الاشتراكية الشيوعية. و هكذا تمكن الجزائريون، من وراء هذه الحرب، الدخول في عهد جديد سمح بظهور الأحزاب السياسية الجزائرية.

يتضح مما سبق أن الحرب أفادت حركة الوطنيين الجزائريين كثيرا، حيث ساعدتهم على الخروج من العزلة متأثرين من ذلك بصدى الثورة البلشفية لسنة 1917 و بمبادئ الرئيس الأمريكي "ولسن توماس و دروف" Wilson Thomas Woodroof. حيث أتيح لمئات الآلاف من الجنود و العمال أن يحتكوا بمجتمع جديد و يعيشون حياة جديدة، و أن يشهدوا مظاهر الحرية في فرنسا. فأصبح في وسعهم مطالبة السلطات الفرنسية بأن تفي بوعودها مقابل التضحيات الكبيرة المقدمة في سبيل نصره فرنسا.²⁸ كما سمحت هذه الحركة الوطنية ب بروز جيل جديد من الجزائريين. فأخذت مطالبه و طموحاته تكبر يوما بعد يوم، لأنه فهم اللعبة التي دارت في كواليس مؤتمر الصلح و التي كرسست الفكرة الرئيسية التي كانت تدور من أجلها الحرب.²⁹ و عليه، تبدو لنا أحداث نشأة الأحزاب السياسية، و الاحتفالات الاستعمارية بمرور قرن على الاحتلال، و انعقاد المؤتمر الإسلامي، هي من جملة الأحداث التي كان لها تأثيرا بالغا على الحياة السياسية للجزائريين في مرحلة ما بين الحربين.

لقد تعرض "الأمير خالد" إلى مسألة حقوق الجزائريين مما جعل مواقفه تتطور بوضوح في المرحلة الأخيرة من نضاله فتجاوزت حلقة المساواة المبدئية و تعدتها إلى وقوفه ضد القمع الاستعماري، ليكتسي بذلك نضاله مغزى وطنيا حقيقيا تجلى ذلك في المحاضرة التي ألقاها في باريس.³⁰ من جهة أخرى، يعتبره بعض المؤرخين الفرنسيين بأنه "مخترع الوطنية" باعتبار أنه ناضل من أجل استقلال الجزائر منذ البداية.³¹ في المقابل يرى البعض بأنه من دعاة سياسة الإدماج.

32 وكان فضل الأمير خالد كبيرا في ظهور النجم، لا سيما من خلال احتكاك مجموعة من مناضلي و مؤسسي النجم به، خاصة في الفترة التي كان موجود فيها بفرنسا. و لعل ما يدعم هذا الطرح هو احتفاظ النجم بوسيلة الدعاية التي استعملها الأمير خالد و هي صحيفة "الإقدام". و يرى البعض بأن الأمير خالد قد درب الجزائريون، لأول مرة، على مفاهيم مثل الحملة الانتخابية و الجريدة و التجمعات و على سلاح الاستقالة من المجالس المنتخبة. بعبارة، لقد استبق كل أشكال النضال السياسي و وضعها في السكة الصحيحة. 33

بالرغم من أن زعماء النجم قد أضافوا إليها كلمة "الباريسي" لتصبح الإقدام الباريسي، 34 إلا أنها كانت في سياق ما قدمه "الأمير خالد"، حيث كانت تصدر في الجزائر و منعت بأمر من الإدارة الاستعمارية، ثم ها هي تصدر في باريس بواسطة العمال الجزائريين المهاجرين. و هذا لوحده يعد تحد و تواصل و ارتباط وثيق بين الجزائر الوطن و فرنسا المهجر، ساهمت فيه بقسط كبير جريدة "الإقدام". و يرى الكثيرين، بأن النجم هو أول حركة سياسية تظهر إلى العلن مطالبة بالاستقلال، خلافا لما حدث في تونس و المغرب، أين ظهرت بحما الحركة الوطنية داخل بلادها.

مع العلم أن النجم لم يحمل في طياته عناصر تقليدية و نخبوية ميسورة الحال، و إنما ظهر في المهجر في ظروف شهدت هجرات جماعية للطبقة الجزائرية المحرومة و التي عانت البؤس و الفقر و الحرمان في بلادها. و لم يظهر النجم على أرض الوطن إلا بعد مرور عشرية على وجوده. 35 و لم يكن قرار حل النجم ليمنع الوطنيين من مواصلة نشاطاتهم المختلفة، فالتفوا حول "أصدقاء الأمة" و عملوا على تحقيق مطالبهم وفق إستراتيجية واضحة تمثلت في مشاركتهم في جل التظاهرات مهما كان نوعها: حفلات، تجمعات و مناسبات، للتعبير عن رفضهم القاطع إسكات صوت الأحرار و الوطنيين. الأمر الذي دفع بالحاكم العام إلى إصدار تعليمة إلى حكام المقاطعات الثلاثة، يطلعهم فيها على ذلك التغيير و يوضح فيها أن النجم قد تحول إلى جمعية تحمل اسم "أحباب الأمة". 36 و طالب من كل المسؤولين الإداريين المتواجدين عبر مختلف مدن و قرى الجزائر، إبلاغه بأي تحركات يقوم بها أعضاء هذه الحركة المنحلة. 37 غير أن مهمة "أحباب الأمة"، لم تكن سهلة مما استدعى ضرورة إنشاء تنظيم جديد و رسمي تكون له نفس الديناميكية التي يتمتع بها حزب سياسي. و على هذا الأساس أودع كل من: "مصالي الحاج" و "عبد الله الفيلاي"، الوثائق الرسمية لإنشاء حزب، لدى مصالح الشرطة في باريس يوم 11 مارس 1937. 38

أصبح نفوذ الحزب في تزايد مستمر داخل الأوساط الشعبية و السياسية معا، الأمر الذي دفعه إلى التفكير في إنشاء "جبهة إسلامية جزائرية" بإشراك شبيبة المؤتمر الإسلامي الجزائري في المشروع. 39 و استغل الحزب بداية عملية التجنيد و التوتر الذي ساد العلاقات الدولية في تلك الفترة من أجل الاتصال بدول المحور عن طريق الجناح المناهض لفرنسا و الذي أطلق على نفسه اسم: "لجنة العمل الثوري للشمال الإفريقي". 40

كان من الواضح أن حزب الشعب لن يدعم فرنسا في حربها هذه. بل بالعكس من ذلك، فقد أبان عن عداة كبير من الوجود الاستعماري، لذلك عملت الإدارة الاستعمارية على حله في 26 سبتمبر 1939، عندما أدركت أنه غير قابل للمساومة. فقامت بتعطيل جرائده "الأمة" و "البرلمان الجزائري"، و قامت بمحاكمة 41 من مناضليه بتهمة إعادة

تشكيل جمعية منحلة و التظاهر ضد السيادة الفرنسية في الجزائر و المساس بأمن البلاد و وحدة ترابها الوطني. فجاءت العقوبات قاسية جدا لخصها أحد المؤرخين بقوله " يمكن تلخيص العقوبات التي سلطت على أعضاء حزب الشعب على أنها تساوي؛ 123 سنة أعمال شاقة، و 114 سنة سجن، و 560 سنة ممنوع الإقامة في البلاد، و 161000 فرنك غرامة مالية.."⁴¹

أما عن العلماء، فإذا كان أغلب الباحثين يرجعون تاريخ التأسيس الفعلي للجمعية في حدود الخامس من ماي 1931، فإن ذلك لا ينفي أن الفكرة قد راودت مثقفي الحركة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. و هي عبارة انبثقت على شكل إرهابيات عبر مختلف مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر. و قد ساهم رواد الحركة النهضوية في البلاد إلى تنوير حياة و فكر الجزائريين خلال السنوات العصيبة المتمثلة في العقد الأول من القرن العشرين و ذلك بمساهمتهم في إحياء التراث الوطني و الديني من خلال معالجة الأوضاع الوطنية بشكل عام و شرحها للجزائريين، مستعملين في ذلك شتى المنابر و متخذين مختلف السبل و الطرائق لشرح ذلك. و كانت قضية التجنيد الإجباري هي الأولى التي عارضها رواد النهضة بشدة لما كان لها من انعكاسات سلبية على حياة الجزائريين.

خاصة بعد القضاء على حركة الأمير خالد. فالفضل كله يعود لشخصية "عبد الحميد بن باديس" التي تمحورت حولها كل الأنظار، ليس لأنه يعتبر المؤسس الحقيقي لها فقط، و إنما كونه هو صاحب الفكرة و مجسد المشروع، و هو الذي وحد كلمة المؤسسين و جمع شملهم. و قد توفرت فيه شروط جعلته يحض بثقة الجميع.⁴² ظاهريا، كانت تهدف الجمعية إلى غاية غير سياسية. أما في الواقع فإن مبادئها القائمة على تطهير العقيدة الإسلامية من كل الشوائب، جعلها تضرب في صميم العمل السياسي حيث أن دخولها في منازعات قوية و مشادات مع الإدارة الاستعمارية هو في حد ذاته تعبيرا صادقا عن رفض الفكرة الاستعمارية من أساسها. و قد استغلت الجمعية كل منابرها في إظهار توجهها السياسي من خلال التركيز على صحافتها، خاصة منها "المنتقد" و "البصائر" و "الشهاب".

كما اجتهدت الجمعية في تنويع طرق التحايل على السلطات الاستعمارية، هذا ما شذ إليها انتباه الجميع لما كان لها من أثر في إبعاد شكوك الإدارة الاستعمارية عن المولود الجديد على الساحة السياسية الوطنية. كما أن وحدة الصف هي التي دفعت بالسلطات الاستعمارية إلى الاعتراف بها بعد مرور خمسة عشر يوما فقط من تاريخ تأسيسها.⁴³ أما في حقل المنافسة، فقد تعرضت الجمعية إلى مضايقات الإدارة الاستعمارية، و إلى حملة الطرقيين لها و المرابطين و بعض رجالات النخبة. كما كان من خصومهم رجال الكنيسة الذين بدأوا يشعرون بالخوف من العلماء، لأنهم شرعوا في تنوير العقول النائمة و في إيقافها و في مهاجمة حتى حملات التنصير التي قامت بها الكنيسة خلال مجاعات سنوات 1864 و 1869 عن طريق "الكاردينال لافيغري" و رجاله (الآباء البيض). كما لم ينسى العلماء دور المستشرقين الفرنسيين في الجزائر الذين كانوا يمثلون في الحقيقة، آلات للسياسة الاستعمارية و روادها الفاعلين في تمرير الفكر الاستعماري. و ما زاد في يقظة العلماء من هؤلاء المستشرقين هو إقدامهم على عقد "المؤتمر الأفخارستي" في الجزائر سنة 1939.⁴⁴

و لوحظ عليهم، عندئذ، الخلط بين السياسة و الدين، بل أكثر من ذلك، فقد تغلب الدين على السياسة عندهم. من الأزمات التي تعرضت لها الجمعية أيضا، و التي أثرت فيها كثيرا، التهمة التي حاولت الإدارة الاستعمارية إصاقها بالشيخ "العقبي" في قضية اغتيال المفتي "بن كحول محمود"، حيث كان الهدف من وراء ذلك هو ضرب استقرار الجمعية و زعزعة سمعتها التي يعتبر "العقبي" أحد الرجال النافذين فيها. أما الأزمة الثانية، فكانت داخلية أكثر، عندما نشب خلاف على مستوى المجلس الإداري سنة 1938 حول الموقف من فرنسا و هي مقبلة على الحرب.⁴⁵

فيما يخص نشاط العلماء خارج الوطن، فقد تزامن مع زيارة "بن باديس" لباريس ضمن الوفد الجزائري للمؤتمر الإسلامي، حيث بدأ الاتصال بين العلماء و قادة العمال هناك بواسطة العلماء الذين أرسلتهم الجمعية هناك على غرار "الفضيل الورثاني" و "السعيد صالح" و "حمزة بوكوشة" و غيرهم.⁴⁶ و قد تجاوز ذلك ليشمل الطلبة أيضا، الذين تجاوبوا مع العلماء. و كان هؤلاء الطلبة ضمن "الحركة الطلابية الشمال إفريقية" التي كانت نقطة الالتقاء بين العلماء و الطلبة في المبادئ و الأهداف التي كان يناادي بها كلاهما و المتمثلة في الدفاع عن القضايا الوطنية. كما كانت لتونس مكانة خاصة عند العلماء الجزائريين، حيث أتهم اعتبروها بلدهم الثاني بفعل الاحتكاك المستمر مع الزيتونيين و الدستوريين. و حتى المغرب الأقصى أخذ حصته عند العلماء خاصة التعليم الملحق من كبار الشيوخ أمثال "أبو شعيب الدكالي" أحد أقطاب الإصلاح الديني في شمال إفريقيا و المغرب.⁴⁷

لقد تأسست في باريس "جمعية طلبة شمال أفريقية المسلمين" و كان ذلك في ديسمبر 1927، و كان من بين أعضائها عدد من زعماء المغرب العربي الذين سوف يكون لهم شأن كبير في المستقبل. و ساهمت هذه الجمعية بفعالية في الحياة السياسية و الثقافية لبلداتها. و قد اتخذت عدة مواقف من التجنيس و اللغة و التعليم و المرأة و غيرها من القضايا الأخرى ذات الصلة بالأوضاع الداخلية لبلدان المغرب العربي. و عقدت عدة مؤتمرات لهذه الجمعية تناولت فيها عدة نقاط نذكر منها، حالة التعليم العربي و اللغة العربية و وضعية المرأة و مستقبل بلاد شمال أفريقية و تأسيس المدارس القرآنية و المدارس الحرة و توحيد الأقطار الثلاثة فيما بينها و بين العالم العربي و الإسلامي. كما طالبت الحكومة الفرنسية من التوقف عن عرقلة نشاط "العلماء" في الجزائر.

أما داخل البلاد العربية، فقد تأسست في تونس "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" سنة 1933، و ظهرت نتيجة ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين في جامع الزيتونة حيث أصبح عددهم في سنة 1936 حوالي مائتي طالب. لكن سرعان ما بدأت تظهر بوادر الأزمة الأوروبية في الأفق. هذا ما دفع بزعماء الجمعية توخي الحذر بفعل دخول بعض المراسيم الفرنسية حيز التنفيذ على التراب الجزائري. الأمر الذي ربما شجع لهم حين أقدمت الإدارة الاستعمارية على حل الأحزاب السياسية و تعطيل نشاطها مع بداية الحرب العالمية الثانية.⁴⁸

بخصوص النواب و المنتخبين فقد أسسوا فيدرالية نواب مسلمي الجزائر في 18 جوان 1927 برئاسة الدكتور "ابن تهمي" و جماعة من النواب منهم: بن جلول و بلحاج و زياتي و غيرهم، غير أن عملهم لم يكن سوى إدخال تعديلات طفيفة على الممارسات السياسية التي كانت دوما مرتبطة بفكرة الإدماج، التي لا طالما شكلت أسس المطالب

النخبوية.⁴⁹ كما صادق المؤتمر التأسيسي،⁵⁰ الذي انعقد بنادي الترقى بالجزائر ، على برنامج معدل من ثمان نقاط في شكله التقليدي المعتاد.⁵¹ و بالرجوع إلى نشاط النواب يمكن القول أنه لم يكن أمامهم خيارا آخر سوى الانقياد وراء السلطة الاستعمارية، مبررين ذلك بالظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد. و حتى تنافسهم في الحملات الانتخابية لم يكن نابعا إلا من قناعة واحدة و هي الحصول على المزيد من الامتيازات فقط. لأن النفوذ و السلطة كان في يد المستعمر و إدارته. فهم في الأخير لم يقدموا لفرنسا سوى طلبات للتودد و وعود بالإخلاص و الوفاء.

أما الشيوعيين فكانوا منذ البداية قد اصطدموا بمعارضة شديدة من طرف الشعب الجزائري، و ذلك بسبب معارضتهم العلنية للزعماء الجزائريين الوطنيين و زعماء الإصلاح، و كذا النهج السياسي المتبع و الذي أبان عن طرح لم يأخذ بعين الاعتبار حقيقة المجتمع الجزائري مما صعب عليهم الوصول إليه.⁵² كما لم يكن بمقدورهم تحديد سياسة واضحة المعالم تجاه المسألة الجزائرية، ما دام أنهم أنفسهم لم يتمكنوا من التحرر من وصاية الأُممية الشيوعية و منها من الحزب الشيوعي الفرنسي.⁵³

كما أن الشيوعيين تنكروا في العديد من المواقف للفكرة الوطنية و تحالفوا مع مجموعة من المنتخبين و الأعيان و تمكنوا من استمالتهم إلى أفكارهم، و أثروا بطريقتهم على مجريات المؤتمر الإسلامي عندما استدرجوا عناصر مؤثرة من جمعية العلماء المسلمين ليعطوا صبغة الشرعية الجماهيرية للعمل الذي هم مقبلون عليه لخوض صراع سياسي مع الإدارة الاستعمارية من أجل تثبيت فكرة "الإتحاد الفرنسي" المناهضة الفاشية العالمية، خاصة بعد بروز تياراتها في كل من إيطاليا و إسبانيا.⁵⁴

2 - التهليل الفرنسي بالمؤوية الاحتفالية للجزائر

لقد حضى الاحتفال بمرور مائة سنة عن احتلال فرنسا للجزائر، ببذخ كبير تخليدا للإنجازات فرنسا. فأعطته من الميزانية و أحاطته من العناية ما لم يعطى للجزائريين طيلة قرن من الاحتلال. و كان الاحتفال بمثابة استعراض لقوة و عظمة فرنسا و غطرستها اتجاه الشعب الجزائري الأعزل، و ربما هذا الذي دفع ببعض المؤرخين الفرنسيين أن يدرجوها ضمن الاحتفالات الرسمية فقط، لأنها كانت من أجل الترويج للفكرة الحضارية التي لازمت الإمبراطورية الفرنسية لفترة طويلة.

في السياق ذاته، كانت سنة 1930 بمثابة وصول الاستعمار الفرنسي إلى قمته في الجزائر. و هي نفس السنة التي شهدت انعقاد المؤتمر "الأفخارستي" في قرطاج بتونس في شهر ماي، و الذي اعتبر تحد صارح للفكر الإسلامي في بلاد المغرب. أما في المغرب الأقصى، فكان الدور على السلطات الاستعمارية هناك للإعلان عن صدور "الظهير البربري" الذي حاولت من وراءه السلطات الاستعمارية التفريق بين السكان المسلمين في المغرب. و قد أريد للمأوية أن تكون في حجم و مستوى الإنجازات التي حققتها فرنسا الاستعمارية في الجزائر،⁵⁵ فانطلقت حملة كبيرة من المتروبول لجلب اهتمام الفرنسيين بمستعمرات بلادهم.

لقد عبر "جول كامبون" Jules Cambon عن هذه الاحتفالية المؤوية لاحتلال الجزائر في مجلة الأهالي بمقال حمل عنوان: "دروس من غزو الجزائر 1830-1930" جاء فيه: "لقد مثلت حملة 1830 تنويجا للسياسة المتواصلة التي انتهجتها فرنسا منذ قرون في حوض البحر الأبيض المتوسط من أجل الحفاظ على أمن التجارة و السير الجيد للملاحة فيه، وذلك حتى تتبوأ بلادنا مكانتها الحقيقية، بفعل موقعها الجغرافي، في البلدان البربرية بشمال إفريقيا.."⁵⁶

فنظمت "الأسابيع الاستعمارية" من طرف "الرابطة البحرية و الاستعمارية" و التي اشتملت على محاضرات و أسرطة وثائقية و سينمائية مدعمة بحوالي 29 لجنة للدعاية أنشأت لهذا الغرض، جسدها مشروع فيلم "البلاد" Le Bled، بمشاركة للممثل الفرنسي الكبير "جون رونوار" Jean Renoir الذي يشيد بتمجيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

فجاء تصريح الرئيس الفرنسي "فاسطون دومرغ" Doumergue Gaston ، من مدينة قسنطينة، ليدعم الطرح الذي يمجّد كل الأساليب و الطرائق التي اتبعتها فرنسا في حملتها على الجزائر عندما صرح قائلاً: "لقد أظهرت الاحتفالات المؤوية، بشكل قاطع، الطابع الإنساني و السلمى العادل و النافع للأساليب الاستعمارية الفرنسية و للأعمال الحضارية التي تم إنجازها.."⁵⁷ و هناك من الشخصيات الوطنية التي عارضت الفكرة بشدة، و كان لها رأي آخر، نذكر منها "توفيق المدني" الذي عبر عن ذلك بقوله: "إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر قد أعطى دعماً للقضية الجزائرية ساهم بتقدمها بعشرين سنة على الأقل.."⁵⁸

و من المفارقات الكبرى، أن تلك العبارات التي أطلقها "توفيق المدني" وجدت صدًى واسعاً في الأوساط الجزائرية المناضلة، التي تيقنت أنه بالرغم من كل الفرحة العارمة التي عمت الكولون و الإدارة الاستعمارية، إلا أن ذلك رسم بداية النهاية للوجود الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا. حيث اعتبرها أحد المؤرخين الفرنسيين على أنه بالرغم من طابعها الاحتفالي إلا أنها لم تنقد شيئاً بالنسبة لفرنسا.⁵⁹

أثناء الاحتفالات الصاخبة التي صاحبت المؤوية لاحتلال الجزائر، و بينما كان الرئيس الفرنسي "فاسطون دومرغ" يشيد بالإنجازات الحضارية الفرنسية في الجزائر، و يتذكر أنه في شبابه كان "قاضي صلح" Juge de Paix في "عين الأربعاء" بضواحي عين تموشنت بالقطاع الوهراني، ظهرت بعض المناشير تنبأ بقرب طرد الكولون من البلاد. و ظن حينها أنها من صنع الحزب الشيوعي الجزائري. غير أن بعض المهتمين بمسائل "الأهالي"، كالأستاذ "ديبارمي" Deparmets مثلاً، كان يرى عكس ذلك و كانت مخاوفه في محلها.⁶⁰

لم تكن لفرنسا أن تحتفل كل هذا الاحتفال لولا أن وجدت من "الأهالي" من شجعها في ذلك. و قد أوردت "مجلة الأهالي" La revue des Indigenes في عدد خاص صدر في 1930 بخصوص مرور مائة عام على احتلال الجزائر بعض التصريحات لشخصيات جزائرية محسوبة على التيار الاندماجي من أمثال "حاج حمو"، متحدثاً باسم هيئة التدريس للمساجد حين قال: "يا إلهي لقد خطونا خطوة عملاقة بفضل اليد الحنونة التي غالباً ما كانت غير مرئية. إنها

يدك يا فرنسا الكريمة... لنصرخ بصوت عال و دون ملل: "المجد لفرنسا اللاتينية، بلد المثل الإنسانية، و المجد للإسلام
السمح..".⁶¹

أدرك الجزائريون حجم الإهانة التي لحقت بهم قياسا بالواقع المر الذي كان عليه غالبية الشعب، فاعتبروا هذه الاحتفالات بمثابة دعابة للحرب. خاصة عندما اطلعوا على محتوى "الكتاب الذهبي لمرور قرن على الجزائر الفرنسية"، و الذي حمل معه إهانات كبيرة للإسلام و المسلمين، و اعتبر أن الفرنسيين هم الذين صنعوا الجزائر!! و حتى الحاكم العام للجزائر قد شبه الأمر بعملية زرع، و لم يبق سوى جني الثمار.

3- مصير الحركة الوطنية : من المؤتمر الإسلامي إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية

إن الحدث الذي ألهم حماس الجزائريين و حرك الحياة السياسية بشكل واضح في هذه المرحلة، فكان بدون شك انعقاد المؤتمر الإسلامي و تداعياته على المسار العام للحركة الوطنية فيما بعد. لأن من الغموض الذي أحاط بظروف انعقاده، نتجت أسباب فشله. فالحدث في البداية كان يدور حول فكرة إنشاء حزب جزائري إسلامي على طريقة الأحزاب الفرنسية الكبرى، مهمته أن يحرك في الجزائريين حسهم و رغبتهم تجاه الواجبات السياسية.⁶²

لقد شجع انتصار حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا الوطنيين الجزائريين على عقد مؤتمر كبير في الجزائر خلال صائفة سنة 1936، عرف "بالمؤتمر الإسلامي". اتحدت حوله معظم أطراف الحركة الوطنية باستثناء حزب الشعب الجزائري الذي كان يفتقد لزعمائه بسبب وجود غالبيتهم في السجن. كما خيب المؤتمر الإسلامي و معه مشروع بلوم-فيوليت آمال الجزائريين و طموحات الطبقة السياسية الجزائرية⁶³ التي وضعت فيه كل أمانيتها باستثناء حزب الشعب، الذي حارب المشروعين من زاويتين مختلفتين لعدم تطابقهما مع نظرة الحزب للمسألة الوطنية، الأمر الذي عرضه للحل من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية. في الظاهر اتخذ هذا الإجراء كذريعة قانونية للحد من نشاط التيار الاستقلالي و من ثم تسهيل عملية اعتقال أو نفي زعماءه و مناضليه.

تمكن النجم من التأثير على مجرى أحداث المؤتمر حين قام "مصالي الحاج" بإلقاء كلمته الشهيرة في الملعب البلدي بالجزائر في 2 أوت 1936 بمناسبة تنظيم التجمع الشهير لإطلاع الجزائريين على نتائج الزيارة التي قام بها وفد المؤتمر إلى باريس، فكان جواب النجم أنه إذا كان يدعم المطالب المتواضعة المرفوعة لسلطات حكومة الجبهة الشعبية، فإنه في المقابل يرفض رفضا قاطعا فكرة إدماج الجزائر في الحياة الفرنسية ضد إرادة الشعب الجزائري المسلم. لأننا لا نريد أن نرهن مستقبل أولادنا و لا الآمال الوطنية في تحقيق الحرية للشعب الجزائري.⁶⁴

فبات واضحا أن الحركة الوطنية قد وجدت نفسها ضعيفة و مقسمة، ما دام أن "فكرة الاستقلال" باتت على لسان الآلاف من الشباب الذين تغيرت نظرتهم "للفكرة الوطنية" و تأثروا بالخطاب السياسي الجديد للنجم، فكان ذلك سببا كافيا لدفعهم إلى صفوف النجم الذي وجد نفسه أكثر قوة و انسجام في مواجهة أنصار المؤتمر الإسلامي فكان ذلك سببا في اتساع الهوة. و مع اندلاع الحرب العالمية الثانية لم يعد للمؤتمر الإسلامي وجود، ففيدرالية المنتخبين ذابت

لوحدها، و لم يكن للأحزاب التي أنشأها كل من "فرحات عباس" و "بن جلول" سوى صدى ضعيف لدى الجزائريين نظرا لتعدادها القليل و لنشاطها شبه المنعدم.

و أكثر من ذلك أن هذه الأحزاب لم تقف موقفا مدافعا عن زعماء حزب الشعب و لا جمعية العلماء التي واجهت جملة من الإجراءات التعسفية. كما يعود فشل المؤتمر الإسلامي إلى جملة من الأسباب الداخلية و الخارجية،⁶⁵ كان للإدارة الاستعمارية ضلع فيها، خاصة قضية اغتيال مفتي الجزائر "كحول"، ما تسبب في إقالة بن جلول أو استقالته؟؟ من رئاسة المؤتمر و استبداله بالدكتور "البشير" من البليدة.⁶⁶

كما أن بوارد الفشل اتضح منذ البداية عندما طرحت جريدة "الدفاع" La defense إشكالية الوحدة التي كان يحلم بها المسلمون الجزائريون في سؤال: ماذا نختار؟ جبهة شعبية أم جبهة وطنية؟ أم نؤسس حزب إسلامي؟ و كأن ظروف البلاد و الجزائريين تتطلب مثل هذا الاختيار. و ما دام أن الإدارة الاستعمارية كانت تستغل سوء التفاهم الحاصل بين مختلف التوجهات السياسية الجزائرية، طلب "العمودي" من المنتخبين المسلمين الالتفاف حول مشروع محدد و أن لا يبقوا متفرقين.⁶⁷

الاستنتاج:

تبددت مع نهاية الحرب العالمية الأولى أحلام جماعة من النخبة، كون أن مطالبها لم تؤخذ بعين الاعتبار من طرف الإدارة الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين. الأمر الذي فسح المجال أمام جماعة من الجزائريين لاقتحام المعتزك السياسي. و ظهرت الخطوات الأولى لما يعتبره البعض ميلاد "الوطنية الجزائرية". غير أن أوضاع ما بعد الحرب العالمية الأولى، شهدت تكثيف النشاط السياسي و احتلاله صدارة الأحداث، و تبلوره في عدّة اتجاهات متباينة الرؤى، في غالب الأحيان. كما انتشرت غداة الحرب، مخاوف كبيرة لدى الجزائريين الذين كانت اهتماماتهم متجهة صوب الصعوبات الاقتصادية التي شكلت بالنسبة لهم الواقع المرّ و الأكثر تأثيرا في حياتهم اليومية.

حملت نهاية الحرب العالمية الأولى معها أيضا، تحولات عميقة مست الجانب الاقتصادي، بالدرجة الأولى، باعتبار أن الجزائر هي التي غدّت الآلة الحربية الفرنسية و مدّت جبهات القتال بالمؤن الضرورية و المقاتلين و المصانع الفرنسية باليد العاملة التي ساهمت في مواصلة النشاط الصناعي في مصانع المتروبول.

كلّ هذه العوامل مجتمعة، أثرت و بدرجات متفاوتة، في النضج السياسي و الوعي الفكري الذي بدأ ينتشر في صفوف الجزائريين، الذين كان حظهم في أنهم وجدوا في مكان و زمان سمح لهم لعيش هذه التجارب التي مكنتهم من باكتشاف عالم جديد فتح لهم أفقا كبرى لولوج عالم السياسة عبر بوابات فرنسية مختلفة عادت عليهم بالفائدة في النهاية...

الإحالات أو الهوامش

1- يمكننا الإشارة هنا إلى مؤلفات عديدة تناولها مؤرخون فرنسيون بالدرجة الأولى، و التي تناولت الموضوع و نذكر منها على وجه التحديد:

- Julien Charles André, L'Afrique du Nord en marche..., op.cit.
- Le Tourneau Roger, Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane..., op.cit.
- Nouschi André, La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954, éditions Minuit, Paris 1962.

2- Sur ce sujet voir la thèse de Kaddache :

- Kaddache Mahfoud, La vie politique à Alger de 1919 à 1939, SNED, Alger, 1970.

3- A.W.O, dossier presse, L'Echo d'Oran, du 03 janvier 1940.

4- سمير (أمين)، المغرب العربي الحديث، ترجمة: كميل ق. داغر، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، ش.م.م، بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، بيروت، ط2، 1981، ص ص 73-141.

5- Djeghloul (Abdelkader), Eléments d'histoire culturelle Algérienne, collection patrimoine, ENAL, Alger, 1984, p 200

6- Valette Jacques), La France et L'Afrique, L'Afrique française du Nord 1914-1962, Sedes éditions, Paris, 1993, pp 14-15.

7- أنشأت "مجلة المغرب" في سويسرا سنة 1916 من طرف "محمد باش-حانية"، و هو من أصول تركية و يحمل الجنسية التونسية. و بداية من 1918 بدأت تطالب باستقلال كل من تونس و الجزائر. و في سنة 1919 تمكنت مجموعة مشكلة من 4 تونسيين و 3 جزائريين من إرسال مذكرة إلى الزعماء المجتمعين في قصر فرساي تحتوي على مجموعة من المطالب التي تخص تحسين ظروف المسلمين الأهالي في القطرين.. ينظر كل من:

- Tlili Béchir, Crises et mutations dans le monde islamo-méditerranéen contemporain 1907-1918, publications de l'Université de Tunis, 1978.

- Benhabilès Chérif, L'Algérie Française vue par un indigène, imprimerie orientale Fontana Frères, Alger, 1914, p 129.

ملاحظة: لا تتوفر أي مكتبة جزائرية على أعداد هذه المجلة و هي موجودة في تونس و في المكتبة الفرنسية بباريس.

8- ولد محمد باش حانية سنة 1881 و هو الأخ الأصغر لعلي باش حانية. اشتهر بكتابات الوطنية في الجرائد و هو رئيس تحرير المجلة التي أسسها في سويسرا سنة 1916 "مجلة المغرب". و كانت هذه المجلة الشهرية تنتقد بشدة الواقع الاستعماري الذي فرضته فرنسا على الشعبين الجزائري و التونسي. و كانت تطالب بإصلاحات عميقة للشعبين. غير أن سلطات الإدارة الاستعمارية قامت بمصادرة كل الأعداد التي كانت ترسل إلى تونس و الجزائر. أُلّف مذكرة بعنوان: الشعب

الجزائري-التونسي و فرنسا" أين ندد فيه بسياسة المشاركة مع فرنسا. توفي في 27 ديسمبر من سنة 1920 في ألمانيا.
أنظر:

- <http://www.citoyens des deux rives.eu/index.php>

9- يمثل الفعل الاستعماري مهمة "الدولة" و التي تتجسد بمجرة استيطانية على أراضي الشعب المقهور. و عملية الاستعمار تتطلب قبل كل شيء، وضع مجموعة ميكانيزمات تسمح بتحقيق السيطرة السياسية و الأرباح الاقتصادية. أي تحديد نظام يتماشى مع طبيعة البلد المراد استعمار. ينظر في هذا الباب إلى كل من:

- Luchaire François, Manuel de droit d'outre-mer, librairie du recueil Sirey, Paris, 1949, p 17.

- Vatin Jean Claude, L'Algérie politique Histoire et Société, éditions El Maarifa, Alger, 2010, pp 111-112.

10- هناك كتابات عديدة في هذا الباب أشارت إلى مختلف السياسات و الطرق التي اتبعتها الاستعمار من أجل امتلاك الأرض و البشر في الجزائر. و كلا من الاستيطان و الإدماج شكلا تهديدا خطيرا على الشعب الجزائري. فكانت مصادرة الأراضي أولى الخطوات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية من أجل تفكيك البنية التحتية للمجتمع الجزائري، ثم تلتها المشاريع الكبرى في طريق الإدماج من خلال ما عرف بـ"مملكة العرب" لنابليون الثالث. لأكثر شروحات ينظر كل من:

- Prenant André, « La propriété foncière des citadins dans les régions de Tlemcen et Sidi Bel Abbes » in revue Annales Algériennes de géographie, N° 03, 2ème année, 1967, pp 11-13.

- Rey Goldzeiguer Annie, Le royaume arabe, la politique Algérienne de Napoléon III, 1861-1870, SNED, Alger, 1971, p 647 .

11- راود القادة العسكريين و الحكام السياسيين الفرنسيين حلم بناء إمبراطورية عظمى على الطريقة البريطانية، لدرجة أنه تحول إلى أسطورة في مخيلة الضباط "سان سيمونيين". ينظر :

- Collinet (Michel), « Le Saint Simonisme et l'armée », in revue Française de sociologie, N° 01, 2ème année, Janv.-Mars 1961, pp 50-66. In Iremam bibliothèque, Aix en Provence.

12- Aron (Robert) et les autres, Les origines de la guerre d'Algérie Textes et documents contemporains, librairie Fayard, Paris, 1962, p 7.

13- Aron (Robert) et les autres...Ibid.. p 107.

14- من خلال الأدبيات السياسية، سجلنا ظهور كلمة "المتحضرين" Les évolués، التي أُلصقت بجماعة من المثقفين الجزائريين الذين تمكنوا من شق طريقهم نحو العلم و المعرفة بعدما تيقنوا من ضرورة التعلم بلغة المستعمر. لأن طريق آخر لم يكن ليتمكنهم من الوصول إلى ما وصلوا إليه. غير أن حركة هؤلاء الشباب لم تكن لها صفة المعارضة السياسية الحقيقية، على الأقل في بداية مشوارها، لأن كلمة الشباب الجزائريين بقيت لمدة و هي تتداول في الأوساط الجزائرية إلى غاية انعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936، و قد اعتمدتها حتى الصحافة الجزائرية. أنظر:

- Archives de la wilaya d'Oran, Dossier presse, La défense, « Les leaders du mouvement jeunes Algériens », N°06, Septembre 1935.

15- تمثل هذه المرحلة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية صراع جوهري بين دعاة المساواة في الحقوق السياسية و الاجتماعية بين الجزائريين و الفرنسيين، و لكن دون التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، و بين دعاة الإدماج الحاملين لفكرة التجنيس و الانصهار داخل المجتمع الفرنسي. حيث يرى هؤلاء أن ذلك من حتميات الأمور التي تفرضها السياسة المنتهجة من طرف فرنسا في الجزائر، و يعتبرونه الوضع الأنسب و الأمثل للجزائريين. و قد انجرت النخبة المتفرنسة وراء هذا المطلب، بينما انتهجت جماعة الأمير خالد و الحاج موسى الطريق المعاكس بمطالبتها بحقوق الشعب الجزائري.. و قد تجلّى هذا الصراع بين الفريقين في الانتخابات البلدية التي نظمت في مدينة الجزائر في سنة 1919 و التي أسفرت على معركة انتخابية شديدة التنافس.

16- Ageron (Charles Robert), Genèse de l'Algérie algérienne, EDIF 2000, Alger, 2010, p 107.

17- Djeghloul (Abdelkader)..., op.cit..., p 209.

18- تبنى هذه المبادرة مجموعة من المثقفين الجزائريين الذين درسوا في المدارس الفرنسية و تخرجوا من جامعاتها على غرار الأستاذ "أحمد أبو ضربة" الذي يعتبر أول محامي جزائري تخرج من كلية الحقوق بباريس، و الصحافي "صادق دندان" و المفوض المالي "الحاج عمار"، الذين طالبوا بإصلاحات على أساس قانون 1865. ينظر في الموضوع إلى:

- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي...، مصدر سابق...، ص ص 10-11

19- Ageron (Charles Robert), Les Algériens musulmans et la France 1871-1919, T2, PUF, Paris, 1968, p 1058.

20- Meynier (Gilbert), L'Algérie révélée la guerre de 1914-1918, éditions Droz Genève, 1981, p 88.

21- Meynier (Gilbert), L'Algérie révélée..., op.cit..., p 89.

22- في حقيقة الأمر، لقد أدهش مرسوم التجنيد العسكري الإجباري الذي أصدرته الإدارة الاستعمارية في 3 فبراير 1912 كل الجزائريين، خاصة في ظل استمرار فرنسا الإبقاء على سيطرتها في الجزائر. هذا ما دفع بمجموعة من الأعيان

بالتوجه إلى فرنسا و التقدم أمام حكومة المتروبول بعريضة شملت مجموعة إجراءات لفائدة الجزائريين مقابل تجنيدهم العسكري. وكانت هذه المطالب في الأصل، ما احتوت عليه مجموعة عرائض عبر عنها الجزائريون في المحافظات الثلاث. لمزيد من المعلومات ينظر إلى:

- Benhabilès Chérif, L'Algérie française vue par un indigène..., op.cit..., pp 117-118.

23- صدر في أبريل من سنة 1903 مرسوم يسمح للجزائريين الانخراط في صفوف مختلف وحدات الجيش الفرنسي، و لم يعد الأمر يقتصر على فيالق القناصة فقط. كما تم تقليص مدة الخدمة من 16 إلى 12 سنة بمقتضى المرسوم الصادر في جويلية 1903 و الذي عرف "بقانون ماسيمي" Loi Messimy نسبة لصاحبها مقرر الميزانية الحربية آنذاك. ينظر كل من:

- Ageron Charles Robert, Les Algériens musulmans et la France..., op.cit..., pp 1060-1061. Voir aussi : Meynier Gilbert, L'Algérie révélée,...Op.cit..., pp 88-89.

24- صدر هذا القانون عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ليحمل فرنسا على رد جميل المسلمين الجزائريين من خلال مشاركتهم لنصرة فرنسا. و قد حاولت الإدارة الاستعمارية التخفيف من بشاعة سياستها المنتهجة في الجزائر حتى تظهر بمقام تلك الدولة المتحضرة التي تتعامل برفق و لطف مع مختلف رعاياها في مستعمراتها من وراء البحار. غير أن الحقيقة المرة لهذا القانون جعلت الجزائريين لا يثقون في هذه الإدارة. ينظر إلى:

- Collot Claude, Les institutions de l'Algérie..., op.cit..., p 19.

25- Benhabilès (Chérif), L'Algérie française vue par. ..., op.cit..., p 118.

26- هناك عدة دراسات تقدم بها كل من سعد الله و قداش و الأشرف، حول الموضوع تبرز لنا اختلاف الرؤية في تشخيص العمل السياسي الوطني من خلال ما عرف بميلاد الحركة الوطنية الجزائرية، التي ظلت لعقود، حبيسة رؤى لا تخدم مصلحة تاريخ الأمة كونها تؤدي إلى فرض نوع من الصراع الأيديولوجي على الطرح المقدم من طرف هؤلاء. فالمسألة تحدد من وجهات النظر المختلفة، فهي بذلك نسبية. غير أن "سعد الله" يصحح البعض من هذه المفاهيم في دراساته الحديثة من خلال مجلداته الخمسة: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، المجلد 1، ص ص 68-69.

27- Yacono (Xavier), Histoire de l'Algérie de la fin de la régence turque à l'insurrection de 1954, éditions de l'atlanthrope, Paris, 1993, p 286.

28- قدر الأمير "خالد" التضحيات المقدمة من طرف الجزائريين بـ 80000 قتيل و 150000 معطوب. أما السيد "مورينود" أحد ممثلي البرلمان، فقد أعطى الأعداد التالية: الجنود الفرنسيين الذين غادروا إلى مختلف جبهات القتال:

115220، و قدر عدد المجندين المسلمين الذين غادروا الجزائر نحو مختلف جبهات الحرب بـ 155222. أما عدد القتلى الفرنسيين فقد بلغ 18350، و من المسلمين 19074. أما عدد المعطوبين فقد قدره بـ 7787 فرنسي، و 8779 من المسلمين، أما الجرحى فقد كان عددهم عند الفرنسيين 54070، و عند المسلمين 72035. غير أن محفوظ قداش يرى بأن هذا التساوي في عدد القتلى و الجرحى و المعطوبين غير منطقي نظرا لأن عدد الجزائريين كان يفوق عدد الفرنسيين بعشر مرات. أنظر كل من:

- L'Echo d'Alger, du 4 aout 1920. In Archives de la wilaya d'Alger.
- Benkhedda (Benyoucef), Les origines du 1er novembre 1954., op.cit..pp 31-32.
- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien question nationale et politique Algérienne 1919- 1951, 2ème édition, tome 1, S .N.E.D, Alger, 1981, p 48.

29- يعترف بذلك أحد الكتاب الفرنسيين و هو الأستاذ "ديبارمي" Deparmets، و قد ذكره أبو القاسم سعد الله، في كتابه: ح.و.ج، ج 2، ص 300.

30- Ageron (Charles Robert), Politiques coloniales..., Ibid..., pp 280-284.

31- يقول عنه "أجرون" بأنه الشخصية الغامضة بالنسبة للعديد من الفرنسيين و حتى في فرنسا. غير أن صورته لا زالت حية في ذاكرة الجزائريين. و ما كتب عنه قليل مقارنة بالدور الذي لعبه في الحياة السياسية الجزائرية. أنظر كل من:

- Esquer Gabriel, Histoire de l'Algérie, PUF, Paris, 1950, pp 64-66.
- Julien Charles André, L'Afrique du Nord en marche..., op.cit..., pp 110-112.

32- Lacouture (Jean), Cinq hommes et la France, éditions du Seuil, Paris, 1961, p 275. Et Voir aussi : Favrod Charles Henry, La révolution algérienne, Plon éditions, Paris, 1959, p 89.

- نذكر هنا أن هذه المصادر قد تطرق إليها "أجرون" في كتابه "السياسات الاستعمارية بالمغرب" (باللغة الفرنسية ص 249).

33- Meynier (Gilbert), Histoire intérieure du FLN 1954-1962, casbah éditions, Alger, 2003, p 51.

34- يعتبر الإقدام الباريسي أول جريدة أصدرها النجم سنة 1926. و قد منعت عن الصدور في الفاتح من فبراير سنة 1927. و استبدلت فيما بعد "بالإقدام الشمال الإفريقي" الذي صدرت منه بعض الأرقام فقط و منع هو الآخر في فبراير 1928. لمزيد من المعلومات راجع:

- قنانش محمد و قداش محفوظ، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984. الجزء العربي، ص ص 43-45، و الجزء الفرنسي ص 40.

35- شكل ميلاد النجم أحد الأحداث الكبرى في التاريخ السياسي للجزائر و في تاريخ الحركة الوطنية. لذلك كتب له أن يتبلور في قالب الاتجاه الثوري الذي كان بمثابة الحل الجذري للأزمة الجزائرية. فحاول أن يدخل عناصر جديدة في السياسة الجزائرية، لأنه ولد في المهجر، و أسمع صيت الجزائر من المهجر، و نشط داخل المهجر، و جعل القضية الجزائرية معروفة عالميا من المهجر. و لم يتسرب إلى الجزائر إلا في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين. ينظر في ذلك إلى كل من:

- A.W.O, B 2260, Note sur l'étoile nord africaine, datée de l'année 1936

- Benkhedda (Benyoucef), Les origines du 1er novembre 1954..., op.cit..p 35.

36- A.W.O, Boite 2260, lettre du gouverneur général d'Algérie au Préfet d'Oran en date du 22 Avril 1937, sous le N° 898, dossier P.P.A.

37- A.W.O, B 2260, Bulletin de renseignement sur l'activité des anciens éléments de L'ENA, en date du 30 Avril 1937, portant transcriptions suivantes : N° 3094, 2ème S.C.R, dossier P.P.A.

38- عن قضية تأسيس الحزب الجديد، تذكر المصادر الفرنسية، بالدرجة الأولى، أنه تم عقد اجتماع بمدينة نانترين Nanterre أين تم الإعلان عن ميلاد حزب الشعب الجزائري. حيث تمكن مصالي الحاج من ربط الصلة مع فرق النجم المختلفة التي كانت تنشط عشية حله من طرف السلطات الاستعمارية. كما ربط الاتصال بلجان أحباب الأمة. و من مجموع الثمانين فرقة التي كانت موجودة، تم إحصاء 14 في العاصمة و 6 في تلمسان و 4 في قسنطينة، هذا ما دفع إلى التكثيف من زيارته عبر مختلف مناطق الوطن، فانتقل إلى وهران في 31 جويلية سنة 1937، أين استقبل أعضاء فرق: تلمسان، سيدي بلعباس و عين تموشنت و أيضا أعضاء نوادي مستغانم و غليزان، كما كان ينوي تأسيس فرق لحزب الشعب عبر منطقة الغرب الجزائري و خاصة في مدينة وهران. كما اهتم حزب الشعب الجزائري منذ البداية بمسألة تجنيد الجزائريين و مسلمي شمال إفريقيا، خاصة العمال الجزائريين الذين أصبحوا فيما بعد يشكلون غالبية الأعضاء المنخرطين. و لعل ضعف المستوى التعليمي عند غالبية المنخرطين قد عوض بالإيمان و إرادة العمل على تحقيق الدفع الثوري للشباب الجزائري. خاصة لما ندرك بأن المثقفين الجزائريين هم الذين رفضوا أن يكونوا في مقدمة ركب الثوريين. هذا ما كتبه أحد العمال المسؤولين في حزب الشعب عندما خاطب المثقفون بكلمات معبرة: " أيتها النساء احملن السلاح، لأن الرجال رفضوا فعل ذلك. هذه وضعية حالتنا هنا. لقد انتظرنا كثيرا للخروج إلى المعركة و الدفاع تحت إمرتكم. و بما أنكم مهتمين فقط بأناية ملذاتكم، ارتأينا بأن نحمل على عاتقنا هذا العبء الثقيل، أملين في ذلك أن نوقظ فيكم الشعور الوطني الذي

سوف يدفعكم إلى الالتحاق بنا، خدمة للوطن و للشعب الذي يئن تحت وطأة أكثر من قرن من الاستعمار.. " لأكثر توضيح في الموضوع في الوثائق الأرشيفية التالية:

- A.W.O, B 2260, Services des affaires indigènes nord-africaines, deux lettres datées du 13 et 16 mars 1937.

- A.W.O, B 2260, CIE, Oran, 1937, dossier P.P.A

- Kaddache (Mahfoud), Histoire du nationalisme Algérien.., t1, op.cit, p 488.

- Appel d'un militant du PPA, « Ouvrier émigré, aux intellectuels », in journal El Ouma, mars 1939.

39- A.W.O, Dossier presse, journal La Défense du 4 janvier 1939.

40- حاولت الجماعة التي أنشأت هذا التنظيم، استغلال ظروف الحرب العالمية الثانية لفائدة القضية الوطنية. فاجتهدت و اتصلت بدول المحور للتفاوض حول ما يمكن أن تقدمه هذه الدول للقضية الجزائرية. في الموضوع ينظر إلى:

- Ageron Charles Robert, Genèse de l'Algérie Algérienne.., op.cit.., p 409.

41- Kaddache (Mahfoud), Histoire du nationalisme Algérien, T2, op.cit.., p 611.

42- عبرت الجمعية عن مواقفها من خلال الخطابات العديدة التي كان يلقيها الشيخ عبد الحميد بن باديس، و الذي أكد في مناسبات عديدة عن فكرة الاستقلال التي اعتبرها حق طبيعي لكل شعوب الأرض. فارتبطت بذلك أهدافها بفكرة الوطنية التي انتشرت في الأوساط الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى. و لعل عدم فهم الآخرين لنوايا الجمعية الحقيقية جعلهم يختلفون معهم في نظرة المستقبل. فكانت تساؤلاتهم حول الغاية من وراء إنشاء هذه الجمعية. لأن البعض اختصرها في التعليم العربي و محاربة الخرافات و البدع. و البعض الآخر ربطها بالنشاط السياسي و فكرة تأسيس الدولة الجزائرية. أما آخرون فاعتبروا أعضاء الجمعية أنصاف مثقفين يستمدون تعليماتهم من الخارج، و كان يقصد بها بلاد المشرق التي كانت تعيش على وطأة نهضة عربية إسلامية أدت إلى ظهور الفكر الإصلاحية جسدهته شخصيات بارزة مثل: محمد عبده و رشيد رضا و جمال الدين الأفغاني. أما أنصار الجمعية فلخصوا أهدافهم فيما يلي: إحياء الإسلام بإحياء القرآن و السنة. و دعمهم في الطرح "ديبارمي"، الذي كتب سنة 1932 يقول أن أهداف الجمعية تتمثل في فهم لغة القرآن و العودة إلى الثقافة الإسلامية القديمة و تبسيط و تنقية الدين من الشوائب. ينظر في الموضوع إلى كل من:

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية...ج2...مرجع سابق...، ص ص 104-111.

- Merad Ali, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 Essai d'histoire religieuse et sociale, les éditions El Hikma, Alger, 1999, pp 73-78.

- Abbas Ferhat, La nuit coloniale, éditions Anep, Alger, 2005, pp 97-105.

43- يعتبر البعض من المؤرخين أن تاريخ ميلاد الجمعية فيه ما يقال، باعتبار أن هناك منشور لجمعية العلماء المسلمين نشر في جريدة "البصائر"، يتحدث عن ميلاد الجمعية قبل تاريخ الخامس من ماي من سنة 1931. ينظر إلى كل من:
- جريدة البصائر، عدد 160، صادرة بتاريخ 7 أبريل 1939.
- عمامرة تركي رابع، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956، دار النشر، الجزائر، 2005، ص 33.

44- انعقد هذا المؤتمر في الفترة الممتدة من 3 إلى 7 ماي 1939 و حضرته أوجه بارزة و وفود رسمية من أسلاك الإدارة و الجيش و أكثر من 50 قس جاءوا للتشهير بمسيحية منطقة شمال إفريقيا. و كان ذلك بداية القطيعة المعنوية بين العلماء و الكاثوليكين، لأنه أعاد إلى الأذهان الاحتفالات الصاخبة لمؤوية الاحتلال، و أكثر من ذلك أن تاريخ انعقاد هذا المؤتمر تزامن مع احتفالات المولد النبوي الشريف. كما أنه أعاد إحياء الحروب الصليبية و قرون الجهل و الظلام التي عاشتها أوروبا خلال القرون الوسطى على أنها رمز لظهور قوة أوروبا من جديد. بعبارة بسيطة شبهتها إحدى الجرائد الوطنية الصادرة في تلك الفترة على أنها: "تظاهرة إمبريالية في جو مشحون بالحق من الكراهية." ينظر في هذا الموضوع إلى:
- جريدة البصائر، 19 ماي 1939.

- جريدة الأمة، أبريل 1939.
- جريدة البرلمان الجزائري، 18 ماي 1939. (ذكرهم: محفوظ قداش، الحياة السياسية في الجزائر 1919-1939، ص 359). (مرجع فرنسي)

45- تعرضت عدة جرائد وطنية لقضية اغتيال مفتي الجزائر، و إلى اتهام الشيخ العقبي بهذا الفعل، الأمر الذي ربما دفعه إلى تقديم استقالته من مجلس إدارة الجمعية، ربما كان ذلك تحت تأثير مجريات المحاكمة و الاتهام الذي كان الشيخ عرضة له من قبل الإدارة الاستعمارية التي حاولت تلطيف سمعته و سمعة الجمعية ككل. أنظر:

- Kaddache Mahfoud, La vie politique à Alger de 1919 à 1939, ENAG éditions, Alger, 2009, p 358.

46- مازن صلاح (حامد مطبقاتي)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، دار عالم الأفكار، الجزائر، 2011، ص 110.

47-¹ كانت لعبد الحميد بن باديس علاقات وطيدة مع الأوساط الزيتونية و الدستورية، حيث كان يقوم بزيارة تونس كلما سمحت له الفرصة بذلك. و قد شهدت سنة 1937 لوحدها زيارتين لعبد الحميد بن باديس لتونس، الأولى في شهر ماي، لحضور مراسيم احتفال الخلدونية بمرور عشرين سنة على وفاة شيخها القدير "البشير سفر"، و المرة الثانية في جويلية بمناسبة عودة صديقه "عبد الرحمان الثعالبي" من المنفى. أنظر:

- Merad Ali, Le réformisme musulman en Algérie..., op.cit., p 372.

48- جاء مرسوم 27 أوت 1939، ليغتم على الجزائر مرسوم القانون الصادر في 24 أوت 1939، و الذي يسمح للسلطات الاستعمارية الفرنسية بحجز و توقيف كل المنشورات التي من شأنها المساس بالأمن الداخلي. من هنا بدأ نشاط الإصلاحيين يشهد انخفاض في الوتيرة حتى لا تتعرض الجمعية إلى المقصلة التي طالت كل الأحزاب الأخرى. في الموضوع ينظر كل من:

- Journal officiel de la république Française, n° du 27 aout 1939, pp 1075-1077.

- Hérelle Sophie, « L'Afrique du nord et la guerre », In revue Afrique Française, oct.-nov., 1939, p 248.

- Merad Ali, Le réformisme musulman en Algérie..., op.cit., p 369.

49- قيل عن برنامج النواب المعدل أنه جاء في شكل رغبات و تمنيات، و هو في الحقيقة لم يكن سوى بلورة للخطوط العريضة التي تضمنها برنامج الأمير خالد. بل أكثر من ذلك، فإننا نجد في بعض بنوده تراجع في المواقف.

50- انعقد المؤتمر التأسيسي لفيدرالية النواب في 11 سبتمبر 1927 بالجزائر حيث تضمن البرنامج المقدم للمصادقة على الخطوط العريضة التي قادت مسيرة الشبان الجزائريين في المطالبة بتحسين الظروف الاجتماعية و ظروف العمل و مسألة المساواة في الخدمة العسكرية و مسألة التعليم بالنسبة للجزائريين. ينظر لمزيد من المعلومات إلى:

- Vatin Jean Claude, L'Algérie Politique Histoire et Société..., op.cit., p 176.

51- حضر المؤتمر التأسيسي الأول حوالي 150 مندوبا، منهم 21 يمثلون القطاع الوهراني. و قد ورد نص البرنامج في جريدة "الوحدة" بتاريخ 01-10-1927. كما نجد الموضوع مذكور عند كل من:

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930...، مرجع سابق.. ص 391.

- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص 43.

52- Voir journal : « **La Lutte sociale** », du mois de mars 1931.

53- يعتبر "فداش" أن الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن سوى عبارة عن "عربة خلفية" يجرها الحزب الشيوعي الفرنسي، مما جعله يتخلى عن أطروحة الاستقلال الوطني. ينظر في الموضوع إلى:

- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien..., T1, op.cit., p 397.

54- Alexandre (François), « Le PCA de 1919 à 1939, données en vue d'éclaircir son action et son rôle », In R.A.S.J.E.P, n° 04, Alger, 1974, pp 201-203.

55- Ageron (Charles Robert), « Les colonies françaises devant l'opinion public 1919-1939 », In Cahiers de l'Institut d'Histoire de la presse et de l'opinion, n°1, année 1972-1973.

56- Revue Indigène, 25eme année, N-258-259, juillet-aout 1930, `Les leçons de la conquête d'Alger 1830-1930`, pp 126-127.

57- Ageron (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine..., T2..., op.cit..., p 405.

58- المدني (أحمد توفيق)، مذكرات كفاح، ج2، في الجزائر 1925-1954، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1977. و ينظر أيضا إلى:

- عمارة تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956، دراسة تربية..، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، ص. 64.

59- يعتبر صاحب الفكرة أن سنوات 1934-1935 هي التي شكلت المنعطف الحاسم للانحياز الفرنسي الذي لم يفهمه الكثير من الفرنسيين. لمزيد من التوضيحات ينظر إلى:

- Berque Jacques, Le Maghreb entre deux guerres, 3e éd., éditions du Seuil, Paris, 1979, p 254.

60- Martin (Claude), Histoire de l'Algérie française 1830-1962, éditions des 4 fils Aymon, Paris, 1963, p 269.

61- إلى جانب تصريحات "حاج حمو"، هناك تصريحات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها أدلى بها كل من السيد: "بلحاج" ممثل عن المثقفين المسلمين، و "البشاغا أورابح" باسم العائلات الكبرى و المنتخبين العرب و البربر، و السيد "علي أمبارك بن علال" مفوض مالي باسم عائلات الزوايا. لأكثر معلومات أنظر:

- Revue Indigène, `Les indigènes et le centenaire`., op.cit., pp 154-158.

62- أورد هذه الفكرة "الأمين لعمودي"، في مقال نشر في جريدة "الدفاع" La défense، بتاريخ 19 أبريل 1935. و قد ذكر الفكرة نفسها كل من : أجرون و قداش. ينظر:

- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme., T1, op.cit., p.417.

- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine., op.cit., p.435.

63- A.W.O, Revue Afrique Française, Mai 1938, pp 387-388.

64- Benkhedda (Benyoucef), Les origines du 1er novembre 1954..., op.cit..pp 50-51.

65-¹ - لكن يمكننا القول أن المؤتمر الإسلامي ولد ميتا أو توفي حتى قبل أن يولد، وفق النظرة التي تغطي الزاوية. لأن تعيب التيار الوطني الاستقلالي، عمدا، لم يكن بالنظرة الإستراتيجية و لا الاستشرافية التي تمكن الجزائريين من تحقيق مطالبهم، ما دام هناك نية مبيتة لعدم التشجيع على حضور المصاليين لهذا المؤتمر. و الفكرة الجامعة التي نادى من أجلها المسؤولين على هذا المؤتمر كانت تفتقد للجوهر، و هو "تحقيق الوحدة بين كل التيارات الوطنية". أكثر من ذلك، يمكننا التساؤل حول جدوى مناقشة هؤلاء المؤتمرين للمسائل السياسية الهامة و حقوق المسلمين الجزائريين و التفكير في إنشاء "حزب إسلامي كبير؟؟؟" بدون مشاركة مناضلي التيار الاستقلالي؟؟؟ و الواقع أن كل من شارك في المؤتمر الإسلامي كان متخوفا من منافس كبير يستطيع تجنيد الجماهير كما لا يمكن أن يفعله أي حزب آخر. و الفكرة التي راجت أن عدم حضور المصاليين للمؤتمر لم يكن له تأثير باعتبار أنه لم يكن لهم حزب في داخل الجزائر، و أن حزبهم تأسس سنة 1938؟؟؟ هي فكرة خاطئة من الأساس ما دام أن ما ألت إليه أمور المؤتمر بعد ذلك قد أثبتت الوجود العميق للمصاليين داخل مختلف شرائح الشعب الجزائري، و أن شخصية "مصالي الحاج" شخصية "كاريزمية" قادرة على التأثير بأسلوبها الخاص المتمرن في العمل السياسي و النقابي الذي امتلكته منذ احتكاكها بعالم الشغل الفرنسي الذي جسده التوجه الشيوعي الاشتراكي للطبقة الشغيلة الفرنسية التي حاولت احتواء كل التيارات و الحركات الناشطة في المستعمرات الفرنسية لما وراء البحار.

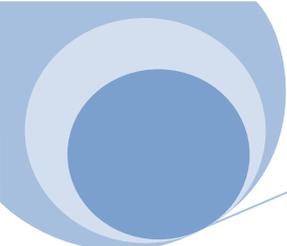
أما على الصعيد الخارجي فيمكننا القول أن سفيرة اللجنة التي شكلها المؤتمرين للتوجه بمطالبها إلى سلطات الحكومة الشعبية في فرنسا، فكانت من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها هؤلاء، كون أنهم قبلوا بتبني مبادئ حكومة الجبهة الشعبية التي كانت تتمحور حول: الخبز و السلم و الحرية..مقابل ماذا؟ لا شيء.. إلا الوعود الكاذبة. ينظر في الموضوع لكل من: - Ferhat Abbas , La nuit coloniale..., op.cit., p 152 ??

- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في...، مصدر سابق...، ص ص 28-30..

66- أوردت مصادر هامة بأن بن جلول استقال من المؤتمر بعد فشل الإصلاحات التي وعدت بها فرنسا، بالإضافة إلى مسائل أخرى. و هناك من يرى بأن بن جلول أقبل من عضوية و رئاسة المؤتمر الإسلامي الثاني لسنة 1937 لأسباب غير معلنة. و فيما يتعلق بتعيين الدكتور البشير رئيسا جديدا للمؤتمر الإسلامي فقد كان أمرا حتميا نظرا للظروف المحيطة بالمؤتمر. لمزيد من التوضيحات ينظر كل من:

- A.W.O, B 2260, Dossier presse, La lutte sociale du 7-10-1936. Et aussi : La Justice du 7-11-1936.

- A.W.O, B 2260, SEA, n° 332/K, du 9-02-1937.



- Aron Robert et les autres,. Les origines de la guerre d'Algérie., op.cit., p
31.

67- La défense, N- du 10 septembre 1934.

لغة وجماليات السينما

The language and aesthetics of cinéma

عبدالله طيبي (جامعة مستغانم/الجزائر)

ملخص:

السينما كفن وهي تبحث عن ذاتها كان عليها أن تتجاوز العديد من العوائق حتى يتسنى لها تشكيل أدواتها الخاصة وسن أساليبها التعبيرية كي تظهر وتستقل، إن هذه الطريق التي سلكتها السينما كانت ولا تزال محط نقاش وجدل كبيرين في إطار نظرية وجماليات السينما حول ما إذا أمكن الكلام عن لغة خاصة بالسينما (لغة سينمائية)، هذا لأن مفهوم اللغة في حد ذاته شكل إلى حد ما عائقا نظريا عند الكثيرين عندما نلحقه بفن السينما نظرا لارتباطه بحقل اللسانيات، الأمر الذي جعل بعض الدراسات تنحى منحى لسانيا في مقارنة الخطاب السينمائي وتحاول جاهدة مطابقة نظام الفيلم بنظام اللغة فظهرت في نظرياتهم اصطلاحات مثل (اللغة السينمائية، البلاغة في السينما، الأسلوب في السينما، نحو السينما) إلى غير ذلك من العلوم ذات الصلة بالدراسات اللغوية عادة، كما أن السينما مصطلح واسع شديد العمومية، وهو يضم تحت عباؤه كل ما به علاقة بفن الفيلم من تاريخ، واتجاهات، ونظريات، وحرفيات، ونقد، ويضم كذلك أنواعها الروائية، والتسجيلية، وأفلام- تحريك الرسوم المتحركة- وغير ذلك مما يتعلق بهذا الفن الجميل، الذي يعد أيضا تجارة مريحة، وهو زاد ثقافي، وترفيهي، لجماهير عريضة على مستوى العالم كله. والسينما بحكم كونها فناً سمعياً وبصرياً تصل إلى كافة المستويات، الثقافية والاجتماعية، تعد أداة هامة من أدوات التغيير الاجتماعي، وتنمية الوعي الثقافي، أو العكس، فيمكن استخدامها كسلاح مدمر، وأداة طيعة من أدوات الإعلام غير الصادق، وتصبح قوة خطيرة ومضلة تعمل على غرس مشاعر ومعايير سلوكية تحارب الجهود الرامية إلى التخلص من النواقص الاجتماعية، وإرساء الخلق الاجتماعي الصحيح.

الكلمات المفتاحية: الفن، الجمال، السينما، اللغة، الكاميرا، المونتاج، الأفلام.

Abstract:

The cinema as a shroud looking for the soul had to go beyond many obstacles so that it could shape its own instruments and enact its expressive methods to show and take on. This cinematic path was and still is the subject of great debate and controversy within the theory and aesthetics of cinema about whether to speak about This is because the concept of language itself is, to a certain extent, a theoretical obstacle for many when we associate it with the art of linguistics because of its connection with the field of linguistics, which has led some studies to step aside Sanya in the approach of cinematic discourse. The language p Their theories include cinematography, rhetoric in cinema, cinema, cinema, and other language-related sciences. Cinema is

a very broad term, embracing everything related to film art from history, Trends, theories, craftsmanship and criticism, as well as narrative, documentary, motion-animation, and other beautiful art, which is also a lucrative, cultural and entertaining trade for large audiences worldwide. By being an audio and visual art of all levels, cultural and social, an important instrument of social change, the development of cultural awareness, or vice versa, it can be used as a destructive weapon and a tool of dishonest media and a dangerous and misleading force that instills feelings And behavioral standards that combat efforts to eliminate social shortcomings and establish the right social fabric

Keywords: art, beauty, cinema, language, camera, montage, movies.

1-السينما بين حقيقتي الواقع والخيال:

في الفنون والآداب هناك حقيقتان، حقيقة الواقع وحقيقة الفن. والفيلم السينمائي لا يتعد عن هاتين الحقيقتين، وحقيقة السينما هي الأعظم جماليا، لأنها تظهر حاملة لعناصر التربية الجمالية، وتفسير ذلك أننا أثناء مشاهدتنا لفيلم من الأفلام نرى أنفسنا داخل الفيلم، وهذا نتيجة التطور الهائل للسينما، حيث اكتسبت القدرة على بلورة لغتها¹، وان تمد شخصيتها بقوتها وأسلوبها المميز. وهذه القوة الطاغية والأسلوب المميز قد لا نجد لها عند فن آخر من الفنون، وقد فسر بعض علماء الجمال السينمائي هذا بالمطابقة الذاتية للخداع، وكان الكاميرا هي عين المتفرج لحظة بلحظة لتضع أمامها الأحداث والأحوال والأماكن والتصرفات لتصبح في لحظة واحدة².

ورغما عن تغيير اللقطة السينمائية بتغيير البعد والرقعة والمساحة، وكذا تغيير حجم الصورة، واختلاف الوضع في الصورة أو الصورة المتلاحقة نتيجة تغيير الزوايا المتعددة لالتقاط هذه الصور، رغما عن كل هذا فإن الفيلم وبجهد الجماليات وبواقع فلسفته الخاصة كفن، يلغي كل تلك المساحات ويصل أو يقرب العلاقة بين الصورة والمشاهد، وأحيانا كثيرة يصل إلى حد تجميد الإدراك الذاتي عند المتفرج، وهذه خطوات جديدة لم يسبق لفن من الفنون الوصول إليها، وبنفس المستوى التأثيري الفعال. وهذا راجع إلى الخصائص الجديدة التي كشفت عنها فلسفة فن السينما والتي اعتبرت فن صناعة الفيلم من الفنون الجماهيرية ذات التأثير الفعلي على الناس، سواء كإفراد أو جماعات.

ويعود ذلك التأثير على الجماهير إلى اللغة السينمائية ذاتها التي تطورت هي أيضا، فاللغة هي من أهم وسائل الاتصال، والسينما حققت الأهم بالتوفيق بين الحوار والكاميرا. ومن هنا نقول أن اللغة والكاميرا يوجدان دائما بين التوازي والمغايرة، لأنه كلما حقق الحوار وظيفته في الفيلم بشكل واضح، وكلما اقترب من الاهتمام بالمستمعين، اقترب أيضا من فقدان حيويته، وهذا الأمر يطرح مشكلة أمام بلوغ الحوار أهدافه وغاياته، وهنا تتحدد مهمة الكاميرا بوجه خاص في تعويض ما

يلحق من نقائص في التقدم والتطور الذي قد يمس الحوار بما يقتضي من التعويض، وهنا تظهر الأهمية البصرية للكاميرا لدى المشاهد، في إثارة الصورة الذهنية لديه ووضعه في حالة تسمح له بمتابعة حقل اللغة السينمائية فهذه من خصوصياتها.

2- خصوصية العلاقة بين لغة الحوار ولغة الكاميرا:

بداية نرى وسيلتين للتعبير سينمائيًا، هما اللغة والكاميرا، وكل وسيلة منهما تتحرك بمفردها ووفق خصائصها لإثبات دورها وكفاءتها.

فاللغة وسيلة سمعية والكاميرا وسيلة بصرية رغم انه حتى اللغة من ناحية أخرى يمكن وبطريقة غير مباشرة، أن تعبر بصريا أيضا، وذلك لكون الصور الفنية للغة تحمل في طياتها صورا لغوية عديدة، وأشكالا تعبيرية تصويرية³، لان الانطباع الأول في الذهن والنفس للأثر السمعي تظهر الصورة الصوتية في علاقة مراجعة وصلة، ومعنى ذلك أن التعبيرات السمعية تعمل جنبا إلى جنب مع التعبيرات البصرية والحسية رغما عن تعارض مهمات التعابير السمعية والبصرية من حيث وظائفها وقوانينها.

فاللغة أقرب إلى الأذن التي هي أداة للحس وحسن الفهم، كما أن تأثيراتها السمعية تقترب في العادة من الإنسان المفكر العقلاني والمتأمل، بما يتيح لنا الاستنتاج انه كلما كانت اللغة مكتملة وواضحة، فإنها تلعب دورا مهما في الحياة الروحية والوجدانية للإنسان⁴، وأمام هذه الحقيقة فان العين وآثارها البصرية تتفقان دائما إلى جانب الأشكال البديهية والحسية المدركة للحياة أو التعبير.

3- التيارات السينمائية في أوروبا:

ظهرت في أوروبا عدة تيارات سينمائية منها الواقعية الايطالية الجديدة في السينما، والموجة الفرنسية الجديدة، وكذلك تيار السينما الحرة في بريطانيا.

3-1- تيار الواقعية الايطالية الجديدة في السينما:

ظهر هذا التيار في ايطاليا حوالي عام 1945م في محاولة لكشف تزييف العصر الفاشي، وكان ذلك عصرا جديدا لفن السينما يحمل ثقافة إنسان ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكان هذا التيار يهدف إلى أن يسمع صوته بالصورة والحوار السينمائي إلى الرجل العادي مشاهد السينما مهما كانت ثقافته، ومن أهم النقاط التي يركز عليها هذا التيار:

أ- الوصول إلى تماسك وجداني بالسينما وإجماع جماهيري يتفهم الواقع عبر الصورة السينمائية.

ب- مهاجمة الوضع القائم على سطح الحياة الايطالية.

ج- إبراز المشكلات الاجتماعية للمجتمع.

د- إيقاظ مشاعر وأحاسيس مشاهدي السينما عبر الفيلم السينمائي.

ومن أهم أفلام هذا التيار:

- الطريق العام، الحياة الحلوة، والساعة الثامنة والنصف، اخرج فيديريكو فيليني.

- الصرخة، المساء، إخراج مايكل أنجلو انتونوني.

3-2- الموجة الفرنسية الجديدة:

بدأت هذه الموجة ما بين عامي 1957م و 1959م، في العاصمة الفرنسية باريس وكان غالبية روادها من المخرجين المبتدئين ومع ذلك اثروا في تاريخ السينما العالمية، لاحتلالها مكانا هاما فيه، وكان سبب ظهور هذه الموجة هو التعبير عن مدى البشاعة التي تسببت فيها الحرب، ولتصوير الخراب والدمار الذي حل بالعالم، وبرز رواد هذه الموجة نذكر منهم "اندرية بازان"، "الكسندر استروك"، "جاك تاتي"، "روبرت بريسون"، "جان لوك جودار"، "آلان رونييه"، "كلود شابرول"، "جان روش".

3-3- تيار السينما الحرة:

ظهر هذا التيار في بريطانيا في منتصف القرن العشرين، وكان قائما على تصوير الفقر في الريف الإنجليزي، والتركيز على مشكلات الناس ونقل صورة واقعية لمستوى معيشة المجتمعات، ومثال ذلك فيلم المخرج رايس "مساء السبت صباح الأحد" عام 1961م، المأخوذ عن قصة آلان سيليتو.5

3-4- تيار المدرسة التعبيرية في السينما:

المدرسة التعبيرية في السينما كان مهدها المانيا، واعتمدت في أسلوبها على إيضاح ولو بقدر محدود أن التعبيرية هي الوسيلة الطبيعية للسينما، وتوظف الصورة بما يعكس ويترجم الحالة النفسية، والحركة الداخلية للشخصية6، وفيلم "كاليجاري" نموذج عن أفلام التيار التعبيري، فالمبالغة البصرية والشكلية في هذا الفيلم لم تعرف لها السينما خلفا ولا تابعا حيث حين ظهر "كاليجاري"، كانت الأفلام الالمانية قد قدمت للعالم نموذجا قادر على توظيف التفصيلات البصرية الموحية لاضاءة العوالم النفسية للشخصيات، واكتشاف الحقيقة الباطنية والنظر إلى الحقائق السيكولوجية للظواهر الاجتماعية، وكل هذا للتأكيد على المضمون الانفعالي النفسي7، ومن ابرز السمات الأسلوبية للتعبيرية في السينما ما يلي:

1- سيطرة موضوعات الرعب والجريمة والخيال الشاذ على الأفلام التعبيرية.

2- استخدام تقنيات الإضاءة لخلق نوع من الإحساس بالخيالية الغامضة.

3- استخدام الماكياج والديكور بطريقة تبدو غير مألوفة.

4- الميل إلى التوسع في استخدام الخدع السينمائية والتقنيات.

أبرز الأفلام التعبيرية:

*عيادة الدكتور كاليجاري 1919م للمخرج روبرت واين.

*مجلس وزراء تمثيل الشمع 1924م للمخرج بول ليني.

*ظلال تحذيرية 1922م للمخرج ارتر روبنسون.

4- علم الجمال السينمائي:

هو احد فروع علم الجمال، وهو فرع حديث من فروع المعرفة، يبحث في تحليل ونقد الأفلام ليستخرج النظريات والقواعد الأساسية التي يقوم عليها فن الشريط السينمائي، وقد بدأت هذه النظريات تأخذ شكلها العلمي منذ عام 1908م، وبعد سنة 1910م ظهرت عدة أبحاث في هذا الاتجاه، فكانت هناك دراسات في ايطاليا لـ "كانودو" الذي كان أول من استعمل تعبير الفن السابع في إشارة إلى فن السينما، كما صدرت عدة كتب تناول هذا العلم الجديد في المانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا، بالتركيز على علاقة الفيلم بثقافة الإنسان بصفة عامة، والمقارنة بين فن الشريط السينمائي وبقية الفنون الأخرى¹⁰.

وفي عام 1926م ظهرت أهم أبحاث علم الجمال السينمائي على يد الانجليزي "جريرسون"، الذي كان متخصصا في الأفلام التسجيلية، الذي يعتبر الفيلم وسيلة مهمة للدعاية والتربية، ويثق في الأفلام التسجيلية للتعبير عن هذه المهمة والغاية، وفي تطوير علم الجمال السينمائي نجد أن هناك ارتباط وثيق بين الفيلم السينمائي وفروع فنية أخرى كالفن التشكيلي، أو فنون الموسيقى، أو فن الرقص وغيرها، كون هذه الفروع لها قيمتها الفنية التعبيرية، وهذا الارتباط الذي خلق نوعا من التزاوج بين فن السينما والفنون التعبيرية الأخرى، ساهم في تقدم الجماليات السينمائية، وحقق نسيجا جماليا من حيوط إدراكية-حسية مختلفة الألوان، ومتعددة التأثيرات، كيف تم ذلك؟ لقد تم هذا لثلاث نقاط جاءت كخاصية من خصائص الفيلم السينمائي وهذه النقاط هي:

*احتواء فن الفيلم - إلى جانب المضمون الدرامي السينمائي الذي يتضمنه السيناريو - على نشاطات علمية جمالية صاحبت الإبداع الفني.

*استطاعة فن الفيلم السينمائي إبراز كل الحقائق المعلومة والمعروفة لدى المشاهد لتأكيد ما فرضته الصورة في حركتها، والألوان بسحرها، والوضعيات المختلفة في الصورة السينمائية المتلاحقة حول بعضها.

*نجاح الفيلم السينمائي في عرض حقائق الطبيعة وحقائق الواقع، وإيجاد الحلول والنهايات المقنعة لمشكلات الواقع والحياة.

إذن علم الجمال السينمائي لم يكن له من هدف سوى إلباس صناعة السينما ثوبا عصريا يتلاءم مع ما وصل إليه علم النفس، وعلم الفلسفة، وكذا علوم الاجتماع من تقدم يمس الإنسان، خاصة بعد ظهور التلفزيون وخواصه التي قد تتشابه مع الفكر السينمائي.

وتتوالد العناصر الجمالية في فن الفيلم من طبيعة الفن نفسه، نتيجة الأدوات والآليات والتقنيات الحديثة التي أتت بها فن الفيلم، ففي المشهد السينمائي الواحد تتغير رقعة المساحة بين الصورة والمشاهد، ومعها يتغير حجم اللقطة، أضف إلى ذلك التركيب "المونتاج" الذي هو عملية لصق الصور الواحدة تلو الأخرى، هكذا تقدمت السينما العالمية مع الجماليات التي بدورها أكدت التأثير الذي أدى بدوره إلى تطور وازدهار فن السينما.

وقد أدى الإنتاج السينمائي العالمي الذي وفرت له جهود كبيرة، وكذا إنشاء مراكز العلوم السينمائية، إلى تطور النقد السينمائي، وهذا النقد يؤدي في كل مرة إلى ظهور حركات جديدة في السينما، كما في فرنسا، وإيطاليا، والمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، والتي ساهمت بدورها في ارتقاء الجمالية السينمائية، وتقديم تطبيقات عملية في الأفلام التي حملت بذور هذه الحركات، بما قدمته من لغة سينمائية جميلة وسط كوادر فيلمية منتقاة، دون الإخلال بالموضوع أو القصة الأدبية السينمائية، وقد أضفت هذه التطبيقات رؤى جديدة لخطاب السينمائي مميز عن الأفلام التي سبقته، وفي هذه المرحلة المتقدمة من عمر السينما صارت كيفية نقل الواقع بالصورة البصرية فنا سينمائيا مميذا عن المسرح، والهيم الأكبر سواء للنقاد أو المخرجين على حد سواء، وهذا الهيم أدى بالسينمائيين إلى التوصل إلى المونتاج.

فقد توصل الأمريكي "ادوارد وولد قريفيت" إلى الأساس النظري الذي بنى عليه نظرية المونتاج، وتبعه السوفييت بعد ذلك بجهود أفسحت لنظرية المونتاج مجالا واسعا لاستعماله وتطبيقه، إذ يرى "دزيقا فيرتوف" أن الشريط السينمائي هو وثيقة لحقائق جيدة، لكنها بحاجة إلى عملية المونتاج لبلورته في شكل جديد11، وستعرض أكثر إلى المدرسة السوفياتية في السينما عند تناولنا للمونتاج.

1- المونتاج وقواعد اللغو السينمائية:

المونتاج عملية فنية إبداعية مستعملة في فن الشريط السينمائي، واصلا الأحداث والأماكن ورباطا إياها بالزمن العقلي "على خلاف زمن التصوير الفعلي" وهو على مرحلتين:

الأولى: هي القطع ثم إعادة اللصق أو الوصل من جديد.

والثانية: هي مضامين وسائل التعبير الفني الخاصة الناتجة عن عمليتي القطع واللصق.

ونشير إلى أن أول المنظرين للمونتاج ومضامينه هو الأمريكي "ديفيد وولد قريفيت"، وأول المشتغلين به، السوفييتان "سيرجي ايزنشتاين" و "بودوفكين".

قدم "قريفيت" في فيلمه "مولد امة" نوعين من المونتاج، مونتاجا موازيا، وآخر متتابع كدليل على عملية فن المونتاج، كما أضاف السوفييات نظريات في المونتاج، مبتدعين وحدات المونتاج الكبيرة، والمونتاج الجذاب، المونتاج المتتابع، والمونتاج الإيقاعي، والمونتاج الفكري، وبدا النقاش والحركة النقدية حول المونتاج يزداد وأصبح يلعب دورا فعالا في ولادة الشريط السينمائي، كما متن العلاقة التي نشأت بين الصورة والصوت.

المونتاج إذا عملية فنية، تقوم أساسا على عمليتي القطع واللصق وتركيب اللقطات في السياق الطبيعي الذي وضعه المخرج مع كاتب السيناريو، فقد قال المخرج والأديب السوفيياتي "فيستفولود بودوفكين" "1893-1953" قوله المأثور "إن التوليف هو الأساس الفني للفيلم" 12، وجاء بعده "كوليشوف" مكتشف تأثيرات المونتاج ليحدد فلسفته القائمة على لحظات التضارب والتصادم والتعارض بين الجانب السمعي والجانب البصري، لتتم ولادة أفكار ورؤى ومعان جديدة، ونذكر هنا أن المدرسة السوفييتية في السينما تركت بصمتها بشكل قوي في تاريخ السينما العالمية، إذن وبعد كوليشوف جاء "ازنشتاين" ليقوم بدراسة نظرية هذا الأخير ليصل هو أيضا إلى المونتاج الجذاب، للوصول إلى أعلى درجات المصادقة والمرافقة والاتحاد بين المشاهد والفيلم السينمائي، فهو يرى أن المونتاج قناة إبداع فنية للفيلم من خلال التعامل معها على أساس الابتكار والعبقرية، إذن الاستمرارية في إبداعات العمل السينمائي التي هي روح العمل الفني كفله المونتاج الذي جوهر الإبداع السينمائي.

2-أنواع الفيلم السينمائي:

يعرف الفيلم السينمائي بأنه سلسلة من الصور المتوالية عن موضوع معين، وهو من وسائل الاتصال التي يمكن استخدامها لتوضيح وتفسير العلاقات والتفاعلات المتغيرة في مجالات كثيرة، وهناك تصنيفات عديدة للفيلم السينمائي من بينها:

*أفلام المغامرات.

*أفلام الكوميديا.

*أفلام الرعب.

*أفلام رعاة البقر.

*الأفلام الوثائقية.

*أفلام الرسوم المتحركة.

– أهمية الفيلم السينمائي:

انتبه الكثيرون منذ أول عهد لظهور السينما إلى أهميتها، وخطورة الدور الذي يمكن أن تلعبه في توجيه سلوك الناس وتعديل قيمهم الاجتماعية، والأخلاقية، وتغيير أسلوب الحياة الذي اعتادوا عليه، بل هناك من اعتبرها ابعده الفنون أثرا وفاعلية في تشكيل العقل البشري والثقافة الإنسانية بشكل عام. وتكتسي السينما أهمية اجتماعية حيث تعتبر أداة من أدوات الثقافة والمعرفة، ووسيلة من الوسائل التعليمية الفعالة التي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمع، وهي واحدة من القوى التربوية داخل المجتمع، شأنها شأن وسائل الإعلام الأخرى، وسائر مؤسسات المجتمع¹³، ومما يزيد من التأثير التربوي للسينما، إنها لا تقدم لنا أفكار الإنسان كما فعلت الرواية من قبل، بل تقدم لنا سلوكه، وتقتح علينا مباشرة ذلك الأسلوب الخاص، ويتميز الفيلم السينمائي بـ:

*القدرة على التخيل.

*القدرة على تغيير قوانين الزمان والمكان.

*القدرة على فتح عالم جديد.

قائمة الهوامش:

- 1- عبد القادر التلمساني، فنون السينما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص6.
- 2- د/هايني ابو الحسن سلام، جماليات الإخراج بين المسرح والسينما، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2008، ص76.
- 3- المرجع نفسه، ص87.
- 4- المرجع نفسه، ص88.
- 5- المرجع نفسه، ص105.
- 6- تاريخ السينما في العالم 1895-1980، ديفد رونسون، ترجمة إبراهيم قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م، ص84.
- 7- المدخل إلى السينما والتلفزيون، رائد محمد عبدره-عكاشة محمد صالح، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، 2009، ص72.

- 8- هاني ابو الحسن سلام، مرجع سابق، ص.113
- 9-د/كمال الدين عيد، فلسفة الأدب والفن "علم الجمال السينمائي"، ص ص199-200.
- 10-المرجع نفسه، ص.201
- 11- هاني ابو الحسن سلام، مرجع سابق، ص120.
- 12-المرجع نفسه، ص.124
- 13- د/رضوان بلخيري، مدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال نشأتها وتطورها، جسور للنشر والتوزيع، ط1 2014م، ص97.

المصادر والمراجع:

- 1-فنون السينما.
- 2-جماليات الاخراج بين المسرح والسينما.
- 3-تاريخ السينما في العالم 1895-1980.
- 4-مدخل الى السينما والتلفزيون.
- 5-فلسفة الادب والفن.
- 6-مدخل الى وسائل الاعلام والاتصال نشأتها وتطورها.
- 7-فلسفة الجمال ودور العقل في الابداع الفني.
- 8-الفن والقيم الجمالية بين المثالية والمادية.